أحمد عبد الوهاب

تعدد نساء الأنبياء

عليهم السلام

ومكانة المرأة

في اليهودية والمسيحية والإسلام

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدين
القاهرة - ت - ٣٩١٧٤٧٠

لواء أحمد عبد الوهاب

تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة

في اليهودية والمسيحية والإسلام

الناشر
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية/عابدين
القاهرة ـ تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار التوفيق النموذجية
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر ٣/ درب ضان الموصلي بجوار جامع الدعاء
ت : ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ
أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(الرعد : ٣٨)

*

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

هذا حديث يعالج موضوعين رئيسيين يرتبطان معا أشد الارتباط .

أما الأول : فهو تعدد الزوجات بوجه عام ، وبين الأنبياء على وجه الخصوص .

وأما الثانى : فهو مكانة المرأة ، حيث تسير المعالجة وفق دراسة مقارنة لكل منهما فى اليهودية والمسيحية والاسلام .

ولقد قصد بهذه الدراسة أن تعطى القدر الضرورى والكافى من المعرفة بهذين الموضوعين الخطيرين اللذين تلوكهما الألسن كثيرا بغير علم ، وتأخذ من التقاليد المتوارثة ــ رغم ما لحق بها من دخل وأباطيل ــ ما تعتبره حقائق أساسية ومسلمات لا تقبل الجدل .

لقد أثبت الواقع أن كثيرا لا يقرءون كتابهم المقدس ، واذا تيسرت القراءة فهيهات من حديث عن الدراسة والاستيعاب . واذا كان الأمر كذلك ــ وانه لكذلك ــ فمن باب أولى ألا يقرأوا كتاب غيرهم المقدس ، فتشيع الأمية الدينية بين مختلف الطوائف ، وينعكس هذا بدوره على اشاعة سوء الفهم والتقدير .

*

لقد أطلق لفظ النبى فى اليهودية والمسيحية على الأنبياء الحقيقيين الذين يتحدثون باسم الله ، كما أطلق على الأنبياء الكذابيين أو الوثنيين ، وقد بينا ذلك فى دراسة سابقة(١) .

أما فى الاسلام فالأمر جد مختلف ، فلا حديث فى القرآن الا عن أنبياء الله الحقيقيين الذين طابت ذكراهم جميعا وبرأهم الله من كل دنس ونقيصة .

---

(١) راجع كتاب : « النبوة والانبياء » للمؤلف ــ ص ١٣ ــ ٢٨

وللتمييز بين هؤلاء وهؤلاء الذين جاء ذكرهم فى **الكتاب المقدس** فلسوف نأخذ معيارا ما جاء فى قول موسى : « يا ليت كل شعب الرب كانوا **انبيـاء ، اذ جعل الرب روحه عليهم** ـ سفر العدد ١١ : ٢٩ » •

وهو ما علمه صموئيل نبى الله ، لشاول أول مسيح ملك فى بنى اسرائيل، اذ قال له : « عند مجيئك الى هناك •• تصادف زمرة من الأنبياء •• **وهم يتنبأون فيحل عليك روح الرب فتتنبأ معهم ، وتتحول الى رجل آخر** واذا أتت هذه الآيات عليك فافعـل ما وجدته يدك **لأن الله معك** ـ صموئيل الأول ١٠ : ٥ ــ ٧ » •

معيار الحكم على أنبياء **الكتاب المقدس** هو أن يكونوا من الذين (حل عليهم روح الرب) أو من (مسحائه) أو من الذين (كان الله معهم) • وان هذا لهو المعيار الذى أعلنه بطرس ــ رئيس التلاميذ ــ خاصا بمعلمه المسيح عيسى ابن مريم حين قال : « أنتم تعلمون الأمر الذى صار فى كل اليهودية •• يسوع **الذى من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس** والقوة الذى جال يصنع خيرا ويشفى جميع المتسلط عليهم ابليس **لأن الله كان معه** ـ أعمال الرسل ١٠ : ٣٧ ــ ٣٨ » •

*

لننظر ، اذن ، فى أخبار تعدد نساء الأنبياء ومشروعيته ، ولنبحث حقيقة مكانة المرأة ، حسبما يستبان من الكتب المقدسـة ، وما يتعلق بهما من دقيق البحوث والدراسـات • وسبيلنا الى ذلك هو وضـع النصوص بين يدى القارىء ، فهي أقرب السبل الى البيان والاقناع •

واذا كان هناك ما أرجوه ، فهو أن يجد القارىء العادى ــ الذى طحنته مشاكل الحياة ومشاغلها ــ فى هـذا الكتاب ، نشرة معلومات ميسرة ، جاءت من مصادر موثوقة ، تعينه على استجلاء الحقائق ، ونبذ كثير من الاشاعات والأوهام التى سرت قرونا بين الناس ، واكتسبت بكثرة الترديد قوة وقبولا جعلها تبلغ حد البديهيات •

﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين ﴾ •

احمد عبد الوهاب

الباب الأول

نساء الأنبياء

- نســاء ابراهيم •
- نســاء يعقوب •
- نســاء موسى •
- نســاء جدعون •
- نســاء داود •
- نســاء سليمان •
- نســاء هوشع •
- نســاء محمد •

نســـاء ابراهيم

ابراهيم هو الأب الروحى لكل المؤمنين بالله : الاله الواحد الأحد الذى تنزه عن الشبيه والمثل • يتعلق به اليهود والمسيحيون والمسلمون ويفخرون بالانتساب اليه ، وقد طابت ذكراه فى كتبهم المقدسة •

تقول فيه التوراة : « قال الرب لابرام : اذهب من أرضك ومن عشـيرتك •• الى الأرض التى أريك • فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك ، وتكون بركة • وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض ــ تكوين ١٢ : ١ ــ ٣ » •

« ظهر الرب لابرام وقال له : أنا الله القدير • • لا يدعى اسمك بعد ابرام بل يكون اسمك ابراهيم • لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم• وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما •• وأقيم عهدى بينى وبينـك وبين نسلك من بعـدك فى أجيالهم عهدا أبديا لأكون الها لك ولنسـلك من بعدك ــ تكوين ١٧ : ١ ــ ٧ » •

لقد عاش ابراهيم مائة عام بعد تلقيه أول وحى الهى ، قضاها فى البر واسلام القلب والمشيئة لله • ولمـا بلغت حياته مائة وخمس وسبعين سنة « أسلم ابراهيم روحه ومات بشيبة صالحة ــ تكوين ٢٥ : ٨ » •

ويقول الانجيل فى ابراهيم على لســان المسيح : « أقول لكم : ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات ــ متى ٨ : ١١ » •

ويقول القرآن فى ابراهيم : ﴿ واذ ابتلى ابراهيم ربـه بكلمات فاتمهن ، قال انى جاعلك للناس اماما ، قال ومن ذريتى ، قال لا ينال عهدى الظالمين ﴾ (البقرة : ١٢٤) •

﴿ ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين • شاكرا لأنعمه ، اجتباه وهداه الى صراط مستقيم • وآتيناه فى الدنيا حسنة ،

وانه فى الآخرة لمن الصالحين . ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا ، وما كان من المشركين (النحل : ١٢٠ — ١٢٣) .

ولقد كان ابراهيم أبو الأنبياء هو الذى اتفقت فى شأنه النصوص المقدسة وقررت أنه خليل الله .

تقول أسفار العهد القديم : « وقف يهوشافاط فى جماعة يهوذا وأورشليم فى بيت الرب .. وقال : يارب اله آبائنا . أما أنت هو الله فى السماء وأنت المتسلط على جميع ممالك الأمم .. ألست أنت الهنا الذى طردت سكان هذه الأرض من أمام شعبك اسرائيل وأعطيتها لنسل **ابراهيم خليلك** الى الأبد — أخبار الأيام الثانى ٢٠ : ٥ — ٧ » .

وتقول أسفار العهد الجديد : « ألم يتبرر أبونا ابراهيم بالأعمال .. فترى أن الايمان عمل مع أعماله وبالأعمال أكمل الايمان .. فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ، ودعى **خليل الله** رسالة يعقوب ٢ : ٢١ — ٢٣ » .

ويقول القرآن : « **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا ، واتخذ الله ابراهيم خليلا** » (النساء : ١٢٥)

ذلك هو ابراهيم الذى طابت ذكراه فى الكتب المقدسة : عاش صالحا ومات صالحا ، وضمن الحياة الأبدية « **فى مقعد صدق عند مليك مقتدر** » فما هى أخبار ابراهيم ونسائه الكثيرات ؟

*

من المعلوم أن ابراهيم كان متزوجا بسارة ، أخته من أبيه (تكوين ٢٠ : ١٢) ، ثم تزوج هاجر المصرية التى أنجب منها بكره اسماعيل . وبعد أربع عشرة سنة ولدت سارة اسحق الابن الثانى لابراهيم . فجمع ابراهيم بين الزوجتين : سارة وهاجر . ثم ما لبث أن اتخذ ابراهيم سرارى أنجب منهن ذرارى ، سكت الكتبة الاسرائيليون عن أخبارهن واكتفوا باشارة مقتضبة تحرص على جعل جدهم اسحق

هو الوريث الوحيد لابراهيم ، وذلك فى قولهم « **اما بنو السرارى اللواتى كانت لابراهيم** فأعطاهم ابراهيم عطايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حى — تكوين ٢٥ : ٦ » .

واذا أخذنا بتتابع الأحداث وفق روايات التوراة ، نجد أنه بعد موت سارة : « **عاد ابراهيم فاخذ زوجة اسمها قطورة** . فولدت له : زمران ، ويقشان ، ومدان ، ومديان ، ويشباق ، وشوحا .

وولد يقشان : شبا ، وددان .

وكان بنو ددان : أشوريم ، ولطوشيم ، ولأميم .

وبنو مديان : عيفة ، وغفر ، وحنوك ، وأبيداع ، والدعة . جميع هؤلاء : بنو قطورة — تكوين ٢٥ : ١ — ٤ » .

وتذكر المصادر التاريخية أن ابراهيم تزوج « امرأتين من العرب : احداهما **قنطورا** بنت يقطان (ذكرتها المصادر الاسرائيلية باسم قطورة) فولدت له ست بنين . والأخرى منهما **حجور** بنت ارهير ، فولدت له خمسة بنين . كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس »[1] .

هذا — ونريد الآن استقصاء عـدد سرارى ابراهيم اللاتى ذكرن سلفا ، فنقول : تتحدث الفقرة الخاصة بهن عن جماعة من النساء أى أن عددهن يبدأ من ثلاثة فأكثر : والى هنا نقطع بأن ابراهيم قد جمع بين سبع نســاء على أقل تقدير هن : سارة ، وهاجر ، وقطورة ، وحجور وثلاث سرارى . واذا اعتبرنا أن زواج ابراهيم بقطورة وحجور حدث بعد موت سارة التى عاشت ٣٧ سنة بعد مولد ابنها اسحق (تكوين ٢٣ : ١ ، ١٧ : ١٧) فان الوضع يبقى كما هو ، أى : ست نساء زوجات لابراهيم على الأقل .

---

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الأول — ص ٣١١

وفى دراسة احصائية مثل هذه ، تبتغى تحديد عدد سرارى ابراهيم، فاننا نستطيع استخدام طريقة « الاستقراء » ، وهى طريقة مستخدمة فى شتى الدراسات الاحصائية ، وخاصة تلك المتعلقة بالأنشطة السكانية ، مع مراعاة العرف السائد فى تلك المنطقة فى العصور القديمة .

تقول **مونيكا بييتر** فى كتابها : **« الوضع النسوى عبر العصور »(١)** عن تعدد الزوجات فى العصر القديم : « ان تعدد الزوجات فى شكله المطلق بدأ يترسخ شيئا فشيئا . فأولاد يعقوب الاثنا عشر ، الذين هم من أمهات مختلفات ، كانوا متساوين فى الحقوق . وقد كان لجدعون سبعون ولدا ، ولعبدون أربعون [٢] ولرحبعام ثمانى عشرة زوجة وستون خليلة ، ولداود تسع زوجات عدا الخليلات . وقد بلغ الشطط أوجه مع سليمان الذى كانت له ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ خليلة »[٣] .

من ذلك يتبين أن التسرى بعشر نساء يعتبر عددا مقبولا جدا ومتواضعا ، ونستطيع الأخذ به فى الحالات التى يحدثنا فيها « الكتاب المقدس » عن سرارى لأى رجل ، دون أن يحدد لنا عددهن . وتتدعم صحة هذه الفرضية حين نعلم أن داود حين أراد الهرب من أورشليم ابان الثورة التى قادها ضده ابنه ابشالوم ، فانه : « ترك عشر نساء سرارى لحفظ البيت ــ صموئيل الثانى ١٥ : ١٦ » وهؤلاء كن جزءا من سرارى داود .

مما سبق نخلص الى أن ابراهيم قد جمع فى وقت واحد بين ١٣ امرأة على الأقل .

**

---

(١) نشرته دار الطليعة ببيروت تحت عنوان : المراة عبر التاريخ وهو ترجمة لكتاب :

LA CONDITION FEMININE A TRAVERS LES AGES, 1976

(٢) جدعون وعبدون كانا من قضاة اسرائيل ، وكذلك كان ابصان « وكان له ثلاثون ابنا وثلاثون ابنة ــ قضاة ١٢ : ٩ » .

(٣) المرجع السابق ــ ص ٣٦

نســاء يعقوب

نقرأ فى بعض الطبعات الحديثة من تراجم **الكتاب المقدس** عناوين فرعية لفقراته ، قصد بها أن تساعد القارىء على تفهم معانى تلك الفقرات وفى واحدة من هذه الطبعات العربية[1] نقرأ هــذا العنوان الفرعى : **مصارعة الله ... !**

ان هذا العنوان يصدم كل مؤمن بالله وخاصة اذا علمنا أن ترجمته عن الفرنسية يجب أن تكون : **يعقوب يصارع الله(٢) ... !**

كيف كان ذلك ؟ !

يروى كتبة التوراة هذا فى حديثهم عن هرب يعقوب وأهل بيته من خاله ــ وحميه ــ قاصدا أرض كنعان ، فيقولون :

« قام فى تلك الليلة وأخذ امرأتيه وجاريتيه وأولاده الأحد عشر .. أخذهم وأجازهم الوادى وأجاز ما كان له .

فبقى يعقوب وحده . وصارعه انسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه ، ضرب حق فخذه . فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال (يعقوب) لا أطلقك ان لم تباركنى . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب . فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل ، لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باسـمك . فقــال : لمــاذا تســأل عن اســمى ؟ وباركه هنــاك . فدعى يعقــوب اسـم المكان : فنئيل ، قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسى ــ تكوين ٣٢ : ٢٢ ــ ٣٠ » .

---

(١) صدرت عن : دار المشرق ببيروت ــ الجزء الأول من الكتــاب المقدس بعنوان : كتب الشريعة الخمسة ، تعريبــا للترجمة الفرنســية المسكونية .

(٢) النص الفرنسى هكذا : Jacob lutte avec Dieu

وفى تفسير كأنه اعتذار عن هـذه الرواية التى تقرر أن يعقوب أغتصب البركة من الله ، يقول مفسرو **الكتاب المقدس** : « المقصود فى هذه الرواية الغامضة ، هو الصراع الجسدى ، أى صراع مع الله ، يبدو فيه يعقوب الغالب أولا ، لكنه حين عرف طبيعة خصمه السامية ، اغتصب بركته ، مع العلم بأن النص يتجنب اسم الرب ، كما أن المعتدى المجهول يرفض أن يسمى نفسه »[1] .

والآن ما هى اخبار نساء يعقوب هذا الذى اغتصب البركة من رب كتبة التوراة ومن يسيرون على خطاهم الى اليوم ؟

لقد تزوج يعقوب ابنتى خاله : ليئة ، وراحيل ، كما تزوج جاريتيهما: زلفة ، وبلهة . « وكان بنو يعقوب اثنى عشر :

بنو ليئة : رأوبين بكر يعقوب ، وشمعون ، ولاوى ، ويهوذا ، ويساكر ، وزبولون .

وابنا راحيل : يوسف ، وبنيامين .

وابنا بلهة جارية راحيل : دان ، ونفتالى .

وابنا زلفة جارية ليئة : جاد ، وأشير ــ تكوين ٣٥ : ٢٣ ــ ٢٦ » .

كما أن ليئة : « ولدت ابنـة ودعت اسـمها : دينة ــ تكوين ٣٠ : ٢٠ » .

وهكذا جمع يعقوب فى وقت واحد بين ٤ زوجات ، ومنهن جاء بنو اسرائيل أصحاب التاريخ المعروف ...

**

---

(١) المرجع السـابق ــ ص ١١٨

تربى موسى فى كنف فرعون ولمــا كبر عوده واشتد « رأى رجلا مصريا يضرب رجلا عبرانيا من اخوته • فالتفت الى هنا وهناك ورأى أن ليس أحد ، فقتل المصرى وطمره فى الرمل ••

سمع فرعون هــذا الأمر فطلب أن يقتل موسى • فهرب موسى من وجه فرعون وسكن فى أرض مديان وجلس عند البئر ••

وكان لكاهن مديان سبع بنات •• نهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن • فلما أتين الى رعوئيل أبيهن •• قلن : رجل مصرى أنقذنا من أيدى الرعاة •• فارتضى موسى أن يسكن مع الرجل • فأعطى موسى صفورة ابنتــه • فولدت ابنا فدعا اســمه جرشــوم ـ خروج ٢ : ١١ ـ ٢٢ » •

لقد ذكر اسم حمى موسى هنا بأنه : رعوئيل كاهن مدين ، وذكر فى مواضع أخرى بأسماء مختلفة مثل : يثرون ، وحوباب القينى • وفى هــذا يقول مفسرو الترجمة الفرنسية المسكونية : « لا تتفق النصوص على اسم حمى موسى وشخصيته • فالنص الذى نحن بصدده يذكر رعوئيل ، كاهن مدين • وفى (سفر التكوين) ٣ : ١ ، ٤ : ١٨ ، ١٨ : ١ نرى أن اســمه يثرو (أو يثرون) • ويتكلم ســفر العدد ١٠ : ٢٩ عن حوباب بن رعوئيل المدينى ، بينما يتكلم سفر القضاة ١ : ١٦ ، ٤ : ١١ عن حوباب القينى • وفى سفر العدد ١٠ : ٢٩ محاولة للتوفيق بين التقليدين : زواج قينى وزواج مدينى • يتضارب فى الواقع هذان التقليدان ، ولا حاجة الى التوفيق بينهما »[١] •

❋

(١) المرجع السابق ـ ص ١٥٥

لقد كان المتوقع أن تكون أخبار موسى العائلية أكثر وضوحا من أخبار جـده الأكبر يعقوب ، لكن الواقع أن الغمـوض الذى يحيط بسيرته كثيف من جميع الجوانب ، مما دفع علماء الكتـاب المقدس الى الاعتراف صراحة بعدم امكانية فهم كثير من النصوص •

فبعد أن تلقى موسى الرسالة فى سيناء « أخذ موسى امرأته وبنيه وأركبهم على الحمـير ورجـع الى أرض مصر • وأخذ موسى عصـا الله فى يده •• وحدث فى الطريق فى المنزل أن الرب التقاه وطلب أن يقتله • فأخذت صفورة صوانة وقطعت غرلة ابنها ، ومست رجليه • فقالت : انك عريس دم لى • فانفك عنه • حينئذ قالت : عريس دم من أجل الختان ــ خروج ٤ : ٢٤ ــ ٢٦ » •

وفى هـذا يقول المفسرون تعليقـا على هـذه الرواية أنهـا : « رواية غامضة بسبب اقتضابها ، وعدم وجود أى سياق فى الكلام • لا يسمى موسى : ولا نعـلم الى من تعـود الضـمائر • يجـوز التكهن والقول بأن : قلف موسى (باعتباره لم يكن قد ختن) يجلب عليه غضب الله ، وان هـذا الغضب سكن حين ختنت صفورة ابنهـا وتظاهرت بختن موسى فلمست عورته بقلفة الولد »[1] •

فكأن امرأة موسى خدعت رب موسى بتلك الحيلة !

واذا كان الحديث فى الرواية السـابقة قد ذكر ابنا واحدا لموسى يدعى جرشـوم ، فقد جاء ذكر ابن آخر له يدعى اليعـازر (خروج ١٨ : ٤) وذلك عنـد الحديث عن مجىء « يثرون حمى موسى وابناه وامرأته الى البرية حيث كان نازلا عند جبل الله (بعد الخروج ببنى اسرائيل من مصر) ــ خروج ١٨ : ٥ » •

✱

وفى برية سـيناء ــ بعد الخروج من مصر ــ تزوج موسى من امرأة كوشية وعمره آنذاك نحو ٩٠ عاما ، فانتقده بسببها أقرب الناس

---

(١) المرجع السابق ــ ص ١٥٩

اليه وهما : هارون أخوه ، ومريم أخته • وهنا تدخل الله ليدافع عن موسى ويعاقبهما لولا شفاعة موسى •

وفى هـذا تقول التوراة :

« تكلمت مريم وهارون على موسى بسبب المرأة الكوشية (الحبشية) التى اتخذها • لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية • فقالا : هل كلم الرب موسى وحده ؟! ألم يكلمنا أيضا ؟! فسمع الرب • وأما الرجل موسى فكان حليما جـدا أكثر من جميع الناس الذين على وجـه الأرض •

فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم : اخرجوا أنتم الثلاثة الى خيمة الاجتماع •

فخرجوا هم الثلاثة • فنزل الرب فى عمود سحاب ووقف فى باب الخيمة ودعا هارون ومريم فخرجا كلاهما •

فقال : اسمعا كلامى • وان كان منكم نبى فبالرؤيا أستعلن له ، فى الحلم أكلمه • وأما عبدى موسى فليس هكـذا ، بل هو أمين فى كل بيتى •

فما الى فم ، وعيانا أتكلم معه ، لا بالألغاز ، وشبه الرب يعاين •

فلماذا لا تخشيان أن تتكلما على عبدى موسى •

فحمى غضب الرب عليهما ، ومضى •

فلما ارتفعت السحابة عن الخيمة ، اذا مريم برصاء كالثلج •

فالتفت هارون الى مريم واذا هى برصاء •

فقال هارون لموسى : أسألك ياسيدى لا تجعل علينا **الخطية التى حمقنا وأخطأنا** بها • فلا تكن كالميت الذى يكون عند خروجه من رحم أمه قد أكل نصف لحمه • فصرخ موسى الى الرب قائلا : اللهم اشفها •

فقال الرب لموسى : ولو بصق أبوها بصقا فى وجهها أما كانت تخجل سبعة أيام • تحجز سبعة أيام خارج المحلة وبعد ذلك ترجع •

فحجزت مريم خارج المحلة سبعة أيام ـ سفر العدد ١٢ : ١ ـ ١٥ » .

ان هذا التعليم الالهى المجيد ، دفاعا عن موسى ومباركة لزواجه الثانى ، انما هو اعلان للبشر عبر القرون ونذير سوء للحمقى منهم ، الذين لا يخشون أن يتكلموا بسوء على عبيد الله من الأنبياء وخاصة أولى العزم أصحاب الرسالات الكبرى ، الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، وقاتلوا فى سبيله وتعرضوا للأهوال والمحن ، وأحاط بهم الموت من كل مكان حتى كتب الله لهم النصر ، فأخرجوا أمما من الظلمات الى النور .

*

ذلك بعض ما كان من أمر موسى ذى الزوجتين : المدينية والحبشية .

* *

نســاء جدعون

هو فتى اسرائيل وقاضيها الذى اختاره الله ــ بعد موسى ويشوع ــ ليخلص شـــعبه من ذل المديانيين والكعنانيين : « اذا زرع اسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم • وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض الى مجيئك الى غزة ولا يتركون لاسرائيل قوت الحياة ولا غنما ولا بقرا ولا حميرا •• فذل اسرائيل جدا من قبل المديانيين • وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ــ قضاة ٦ : ٣ ــ ٦ » •

وقد كلمه الله مرارا ــ عن طريق ملائكته وفى الرؤى والأحلام ــ وأرسله ليخلص اسرائيل من سطوة أعدائهم : « فظهر له ملاك الرب وقال له : الرب معك ياجبار البأس •

فقال له جدعون : أسألك ياسيدي • اذا كان الرب معنا ، فلماذا أصابتنا كل هذه ، وأين كل عجائبه •• الآن قد رفضنا الرب وجعلنا فى كف مديان •

فالتفت اليه الرب وقال : اذهب بقوتك هـذه وخلص اسرائيل من كف مديان • أما أرسلتك ؟!

فقال له : أسألك ياسيدى • بماذا أخلص اسرائيل ؟ ••

فقـال له الرب : انى أكون معك ، وستضرب المديانيين كرجل واحد ــ قضاة ٦ : ١١ ــ ١٦ » •

ولقـد كان الرعب الذى أوقعه المديانيون بالاسرائيليين يفـوق الوصف حتى ان جدعون سخر من نفسه أن يكون هو مخلص اسرائيل• ولذلك عمل تجربتين ليتأكد من أن الله يكلمه فعلا •

ففى التجربة الأولى قال للملاك : « ان كنت وجدت نعمة فى عينيك

فاصنع لى علامة أنك أنت تكلمنى » • وكانت العلامة أن يقدم جدعون قربانا ، « فصعدت نار من الصخرة وأكلت اللحم والفطير • وذهب ملاك الرب عن عينيه •

فرأى جدعون أنه ملاك الرب ، فقال جدعون : آه ياسيدى الرب ! لأنى قد رأيت ملاك الرب وجها لوجه •

فقال له الرب : السلام لك • لا تخف • لا تموت ــ قضاة ٦ : ١٧ ــ ٢٣ » •

وكانت التجربة الثانية حين « قال جدعون لله : ان كنت تخلص بيدى اسرائيل كما تكلمت ، فها انى واضع جزة الصوف فى البيدر : فان كان طل على الجزة وحدها وجفاف على الأرض كلها ، علمت أنك تخلص بيدى اسرائيل ، كما تكلمت •

وكان كذلك • •

فقال جدعون لله : لا يحم غضبك على ، فأتكلم هذه المرة فقط • امتحن هذه المرة فقط بالجزة : فليكن جفاف فى الجزة وحدها ، وعلى كل الأرض ليكن طل •

ففعل الله كذلك فى تلك الليلة ــ قضاة ٦ : ٣٦ ــ ٤٠ » •

« ولبس روح الرب جدعون » فخلص بنى اسرائيل من سطوة المديانيين » • « وذل مديان أمام بنى اسرائيل ، ولم يعودوا يرفعون رؤوسهم • واستراحت الأرض أربعين سنة فى أيام جدعون ــ قضاة ٦ : ٣٤ ، ٨ : ٢٨ » •

ولقد حاول بنو اسرائيل تنصيبه ملكا عليهم ، وأن يكون الملك وراثة فى نسله من بعده ، لكنه أبى ، وبقى مخلصا لله • فقد « قال رجال اسرائيل لجدعون : تسلط علينا أنت وابنك وابن ابنك لأنك قد خلصتنا من يد مديان •

فقال لهم جدعون : لا أتسلط أنا عليكم ، ولا يتسلط ابنى عليكم • الرب يتسلط عليكم ــ قضاة ٨ : ٢٢ ــ ٢٣ » •

وأخيرا « **مات جدعون بن يوآش بشيبة صالحة** ــ قضاة ٨ : ٣٢ » ، تماما كميتة جده الأكبر ابراهيم (تكوين ٢٥ : ٨) •

وعن أخبار نسائه تقول الأسفار : « **كان لجدعون سبعون ولدا خارجون من صلبه ، لأن كانت له نساء كثيرات** • وسريته التى فى شكيم ولدت له هى أيضا ابنا فسماه أبيمالك ــ قضاة ٨ : ٣٠ ــ ٣١ » •

وفى استقراء لعدد نساء جدعون بمعلومية أولاده ، نقول : أنجب ابراهيم ١٣ ولدا من ٤ نساء ، هن : هاجر ، وسارة ، وقطورة ، وحجور • فيكون المتوسط التقريبى = ٣ أولاد لكل امرأة •

كذلك : أنجب يعقوب ١٢ ولدا من ٤ نساء •

فيكون المتوسط = ٣ أولاد لكل امرأة •

ولما كان جدعون قد أنجب ٧٠ ولدا : اذن ، يكون عدد نساء جدعون لا يقل عن ٢٣ امرأة ، وهو ما يتفق والنص الذى يقول : « **كانت له نساء كثيرات** » •

* *

نســاء داود

هو فخر الاسرائيليين ، « جبار بأس ، ورجل حرب ، وفصيح ، ورجل جميل ، **والرب معه** ــ صموئيل الأول ١٦ : ١٨ » • اختاره الله مسيحا له « فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه وسط اخوته • **وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا** ــ صموئيل الأول ١٦ : ١٣ »•

ولمـا جاء المسيح بعد داود بألف عام ، كان الذين آمنوا به من بني اسرائيل ــ **وهم المسيحيون حقا** ــ يدعونه ابن داود ، تكريما له واقرارا بنبوته وبركاته • فها هو بارتيماوس الأعمى « لمـا سمع أنه يســوع النـاصرى ، ابتـدأ يصرخ ويقـول : يا يســوع بن داود ارحمنى • فانتهره كثيرون ليسكت • فصرخ أكثر كثيرا : يابن داود ارحمنى •

فوقف يســوع وأمر أن ينادى •• وجاء الى يســوع • فأجاب يســوع وقال له : ماذا تريد أن أفعل بك ؟ فقال له الأعمى : ياســيدى أن أبصر •

فقال له يســوع : اذهب • ايمانك قد شــفاك • فللوقت أبصر وتبع يســوع فى الطريق ــ مرقس ١٠ : ٤٧ ــ ٥٢ » •

وفى دخوله أورشــليم « كثيرون فرشــوا ثيابهم فى الطريق • وآخرون قطعوا أغصــانا من الشجر وفرشــوها فى الطريق • والذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين : أوصنا • **مبارك الآتى باسم الرب • مبــارك مملكة أبينــا داود الآتية باسم الرب** ــ مرقس ١١ : ٨ ــ ١٠ » •

وداود عنــد المســلمين نبى عظيم : ﴿ **آتــاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشــاء** ﴾ (البقرة : ٢٥١) •

*

لقد كان داود يكلم الله ويستشيره ، وكان الله يكلم عبده ونبيه داود ، وينبئه بأمر المستقبل ، فيسير داود على هديه ويحقق النصر . فقد « أخبروا داود قائلين : هو ذا الفلسطينيون يحاربون قعيلة وينهبون البيادر . **فسأل داود من الرب قائلا : أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين ؟**

فقال الرب لداود : اذهب واضرب الفلسطينيين ، وخلص قعيلة .

فقال رجال داود له : ها نحن ههنا فى يهوذا خائفون ، فكم بالحرى اذا ذهبنا الى قعيلة ضد صفوف الفلسطينيين !

فعاد أيضا داود وسأل من الرب ، فأجابه الرب وقال : قم انزل الى قعيلة فانى أدفع الفلسطينيين ليدك .

فذهب داود ورجاله الى قعيلة ، وحارب الفلسطينيين وساق مواشيهم وضربهم ضربة عظيمة ، وخلص داود سكان قعيلة ــ صموئيل الأول ٢٣ : ١ ــ ٥ » .

وتكررت استشارة داود لربه مرات ومرات . وقد « كان بعد ذلك **ان داود سأل الرب قائلا : أأصعد الى احدى مدائن يهوذا ؟**

فقال له الرب : اصعد . فقال داود : الى اين أصعد ؟

فقال : الى حبرون .

فصعد داود الى هناك .. وأتى رجال يهوذا ومسحوا هناك داود ملكا على بيت يهوذا ــ صموئيل الثانى ٢ : ١ ــ ٤ » .

بعد ذلك « سأل داود من الرب قائلا : أأصعد الى الفلسطينيين ؟ أتدفعهم ليدى ؟ . فقال الرب لداود : اصعد لأنى دفعا أدفع الفلسطينيين ليدك .

فجاء داود الى بعل فراصيم وضربهم داود هناك .. وتركوا هناك أصنامهم فنزعها داود ورجاله .

ثم عاد الفلسطينيون فصعدوا أيضا وانتشروا فى وادى الرفائيين • فسأل داود من الرب ، فقال : لا تصعد ، بل در من ورائهم وهلم عليهم مقابل أشجار البكا • وعندما تسمع صوت خطوات فى رؤوس أشجار البكا حينئذ احترس لأنه اذ ذاك يخرج الرب أمامك لضرب محلة الفلسطينيين • ففعل داود كذلك كما أمره الرب وضرب الفلسطينيين من جبع الى مدخل جازر ــ صموئيل الثانى ٥ : ١٩ ــ ٢٥ » •

ولقد استمر داود صاحب درجة عليا عند الله ومسيحا رضى الله عنه حتى آخر أيام حياته • « فهذه هى كلمات داود الأخيرة :

وحى داود بن يسى ، ووحى الرجل القائم فى العلا ، مسيح اله يعقوب ، ومرنم اسرائيل الحلو • روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى • قال اله اسرائيل الى : اذا تسلط على الناس بار ، يتسلط بخوف الله ، وكنور الصباح اذا أشرقت الشمس ــ صموئيل الثانى ٢٣ : ١ ــ ٣ »•

والآن : ما هى اخبار داود ونسائه ؟

*

ميكال ابنة شاول : ارتفع نجم داود بعد أن قتل جالوت (جليات الفلسطينى) « فجعله شاول على رجال الحرب ، وحسن فى أعين جميع الشعب ، وفى أعين عبيد شاول أيضا • فلما رأى شاول أنه مفلح جدا ففزع منه » لقد خاف شاول أن ينتزع داود المملكة منه ، فتربص به ، وأخيرا اهتدى الى حيلة ماكرة وهى أن يزوجه ابنته بمهر هو ١٠٠ غلفة من الفلسطينيين • فيكون على داود أن يحارب الفلسطينيين ويقتل منهم ١٠٠ رجل على الأقل ثم يقطع غلفة كل منهم ــ أى : غلاف مقدمة عضو الذكورة ــ ويأتى بها مهرا • وهناك يتعرض داود لخطر محقق ، فقد يقضى عليه الفلسطينيون • وبذلك يتخلص منه شاول بسهولة : « وميكال ابنة شاول أحبت داود ، فأخبروا شاول ، فحسن الأمر فى عينيه • وقال شاول : أعطيه اياها ، فتكون له شركا وتكون يد الفلسطينيين عليه ••

فقال شاول : هكذا تقولون لداود • ليست مسرة الملك بالمهر ، بل بمائة غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك •

قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئتى رجل وأتى داود بغلفهم (٢٠٠ غلفة) فأكملوها للملك لمصاهرة الملك • فأعطاه شاول ميكال ابنته امرأة — صموئيل الأول ١٨ : ٢٠ — ٢٧ » •

ولما ساءت الأمور بين شاول وداود ، لم يلبث شاول أن فسخ زواج ابنته من داود وزوجها لشخص آخر : « أعطى شاول ميكال ابنته ، امرأة داود ، لفلطى بن لابش الذى من جليم — صموئيل الأول ٢٥ : ٤٤ » •

وكان بعد مقتل شاول أن استعاد داود زوجته ميكال ثانية • فحين انقلب أبنير رئيس جيش شاول على ابنه ايشبوشث الذى نصبه ملكا خلفا لأبيه بسبب احدى سرارى شاول « أرسل أبنير من فوره رسلا الى داود قائلا : لمن هى الأرض ؟ يقولون اقطع عهدك معى وهو ذا يدى معك لرد جميع اسرائيل اليك •

فقال (داود) : حسنا • أنا أقطع معك عهدا ، الا أنى أطلب منك أمرا واحدا وهو ألا ترى وجهى ما لم تأت أولا بميكال بنت شاول حين تأتى لترى وجهى • وأرسل داود رسلا الى ايشبوشث بن شاول يقول : أعطنى امرأتى ميكال التى خطبتها لنفسى بمائة غلفة من الفلسطينيين فأخذها ايشبوشث وأخذها من عند رجلها ، من فلطيئيل بن لابش • وكان رجلها يسير معها ويبكى وراءها — صموئيل الثانى ٣ : ١٢ — ١٦ »

*

أبيجايل امرأة نابال الكرملى : عمل داود فترة قاطع طريق يفرض اتاوة على الناس حوله ويرعبهم بعصابته ذات الست مائة مقاتل • وحين كان نابال الكرملى يجز غنمه أرسل داود يطلب منه دفع الاتاوة ، لكن الرجل رفض فما كان من داود الا أن خرج اليه فى عصابته يريد قتله

وكل بيتـــه • ولم يوقف هـــذه المجزرة الا تدخل امرأته أبيجايل • وبعد عشرة أيام مات نابال فلم يلبث داود أن أخذها زوجة له • وفى هذا تقول الأسفار : « كان رجل فى معون وأملاكه فى الكرمل وكان الرجل عظيما جدا •• واسم الرجل نابال واسم امرأته أبيجايل • **وكانت المرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة** •••• سمع داود فى البرية أن نابال يجز غنمه فأرسل داود عشرة غلمان وقال •••• قولوا لنابال : حين كان رعاتك معنا لم نؤذهم ولم يفقد لهم شيء كل الأيام التى كانوا فيها فى الكرمل •••• فأعط ما وجدته يدك لعبيدك ولابنك داود •••• فأجاب نابال عبيد داود وقال : من هو داود ؟ •••• آآخذ خبزى ومائى وذبيحى الذى ذبحت لجازى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم ؟ !

فقال داود لرجاله : ليتقلد كل واحد منكم سيفه •••• وتقلد داود أيضا سـيفه • وصعد وراء داود نحو أربع مئة رجل ومكث مئتان مع الأمتعـــة ••

فبادرت أبيجايل وأخذت مئتى رغيف خبز وزقى خمر وخمســة خرفان •••• ووضعتها على الحمير •••• واذا بداود ورجاله منحدرون لاستقبالها فصادفتهم •

وقال داود : انما باطلا حفظت كل ما لهذا فى البرية فلم يفقد من كل ماله شيء ، فكافأنى شرا بدل خير • **هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد ان أبقيت من كل ما له الى ضوء الصباح بائلا بحائط(١)** •

ولمـــا رأت أبيجايل داود أسرعت ونزلت عن الحمار وسقطت أمام داود على وجهها وســجدت الى الأرض وسقطت على رجليه وقالت :

---

(١) كناية عن قتل جميع الأنفس الحية اذ كان من عادتهم ــ التى لا تزال معمولا بها فى المناطق الريفية النائية الى اليوم ــ أن يتبول الذكور على حــوائط المبــانى المنعزلة ، كمــا تتخــذ الاناث من تلك الحوائط ســتارا لهن .

على أنا ياسيدى هذا الذنب .... والآن هذه البركة التى أتت بها جاريتك الى سيدى فلتعط للغلمان السائرين وراء سيدى ..

فقال داود لأبيجايل : مبارك الرب اله اسرائيل الذى أرسلك هذا اليوم .... لأنك منعتنى من اتيان الدماء وانتقام يدى لنفسى ..

وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات . فلما سمع داود أن نابال مات .... أرسل داود وتكلم مع أبيجايل ليتخذها له امرأة ..

فقامت أبيجايل .... وسارت وراء رسل داود وصارت له امرأة ـ صموئيل الأول ٢٥ : ٢ ـ ٤٢ » .

*

اخينوعم اليزرعيلية : « ثم أخذ داود أخينوعم من يزرعيل ، فكانتا (هى وأبيجايل امرأة نابال الكرملى) له كلتاهما امرأتين ـ صموئيل الأول ٢٥ : ٤٣ » .

وكان ذلك قبل أن يستعيد داود امرأته السابقة ميكال بنت شاول بعد مقتل أبيها .

هذا ، وقد « سبيت امرأتا داود : أخينوعم اليزرعيلية ، وأبيجايل امرأة نابال الكرملى » فى غارة للعماليق ، لكن داود ضربهم « واستخلص كل ما أخذه عماليق وانقذ داود امرأتيه ـ صموئيل الأول ٣٠ : ٥ ، ١٨ » .

*

معكة بنت تلماى ملك جشور ، وحجيث ، وأبيطال ، وعجلة : هؤلاء الزوجات الأربع ، اضافة الى أخينوعم وأبيجايل ولدن لداود فى حبرون ستة أولاد هم :

« بكره أمنون من أخينوعم اليزرعيلية ، وثانيه كيلاب من أبيجايل امرأة نابال الكرملى ، والثالث أبشالوم ابن معكة بنت تلماى ملك جشور ، والرابع أدونيا ابن حجيث ، والخامس شفطيا ابن أبيطال ، والسادس يثرعام من عجلة امرأة داود . هؤلاء ولدوا لداود فى حبرون ـ صموئيل الثانى ٣ : ٢ ـ ٥ » .

« ولم يكن لميكال بنت شاول ولد الى يوم موتهـا ـ صموئيل الثانى ٦ : ٢٣ » ٠

*

بعد ذلك بويع داود ملكا على كل اسرائيل فانتقل منحبرون الى أورشليم وبدأ ملكه فى الاستقرار ، وهنـاك كانت له مع النسـاء صولات وجولات ٠ وقد استمر يضيف الى قائمة نسـائه الكثير حتى آخر أيام حياته ٠

« جاء جميع أسباط اسرائيل الى داود الى حبرون ٠٠٠٠ ومسحوا داود ملكا على اسرائيل ٠

كان داود ابن ثلاثين سـنة حين ملك ، وملك أربعين سـنة ٠ فى حبرون ملك على يهوذا سـبع سنين وسـتة أشهر ٠ وفى أورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سـنة على جميع اسرائيل ويهـوذا ٠ وذهب الملك ورجاله الى أورشليم ٠٠٠٠ وكان داود يتزايد متعظما ، والرب اله الجنود معـه ـ صموئيل الثانى ٥ : ١ ـ ١٠ » ٠

*

بتشبع امرأة أوريا الحثى : « كان فى وقت المسـاء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك **فرأى من على السطح امرأة تستحم ٠ وكانت المرأة جميلة المنظر جدا** ٠ فأرسل داود وسـأل عن المرأة فقال واحـد : أليست هذه بتشبع امرأة أوريا الحثى (أحـد جنـوده) ٠

فأرسل داود رسلا وأخذها ، فدخلت اليه ، فاضطجع معها ٠ وهى مطهرة من طمثهـا ٠ ثم رجعت الى بيتها ٠ وحبلت المرأة ، فأرسـلت وأخبرت داود وقالت : انى حبلى ٠

فأرسل داود الى يوآب (قائد الجيش) يقول : أرسل الى أوريا ٠٠ فأتى أوريا اليه ٠٠٠٠ وقال داود لأوريا : انزل الى بيتك واغسل رجليك

(لعله يضطجع مع امرأته فتضيع معالم جريمة الزنا ويعتبر الحمل من أوريا نفســه) •• فخرج أوريا من بيت الملك •• ولم ينزل الى بيته • فأخبروا داود •• فقال لأوريا : أما جئت من السفر • فلماذا لم تنزل الى بيتك ؟ فقال أوريا لداود (بشهامة الرجال) : ان التابوت واسرائيل ويهوذا ســاكنون فى الخيام وسيدى يوآب وعبيد سيدى نازلون على وجه الصحراء ، وأنا آتى الى بيتى لآكل وأشرب وأضطجع مع امرأتى ! وحياتك وحياة نفسك لا أفعل هذا الأمر ••

ودعاه داود فأكل أمامه وشرب وأسكره وخرج عند المساء •••• والى بيته لم ينزل •

(وهنا لم يجد داود بدا من التآمر عليــه بقتله فى الحرب) وفى الصباح كتب داود مكتوبا الى يوآب وأرسله بيد أوريا • وكتب فى المكتوب يقول : اجعلوا أوريا فى وجه الحرب الشــديدة ، وارجعــوا من ورائه فيضرب ويموت •

وكان فى محاصرة يوآب المدينة أنه جعل أوريا فى الموضع الذى علم أن رجال البأس فيه •••• ومات أوريا الحثى ••

فأرســل يوآب وأخبر داود •• فقال داود للرسول : هكذا تقول ليوآب : لا يسؤ فى عينيك هذا الآمر ، لأن السيف يأكل هذا وذاك ••

فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ، ندبت بعلها • ولمــا مضت المناحــة ، أرسل داود وضمها الى بيته وصارت له امراة وولدت له ابنــا • وأما الأمر الذى فعــله داود فقبح فى عينى الرب ــ صموئيل الثانى ١١ : ١ ــ ٢٧ » •

وكانت هذه الزوجة هى التى أنجب منها داود ــ فيما بعــد ــ سليمان الحكيم !

*

ولا شك فى أن هذه الرواية تتنافى مع عظمة الأنبياء التى يحرص الاسلام على اثباتها لهم .. وقد جاء فى تفسير القرطبى فيما نقله عن السدى : أن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال : لو سمعت رجلا يذكر أن داود عليه السلام قارف من تلك المرأة محرما لجلدته ستين ومائة ، لأن حد قاذف الناس ثمانون ، وحد قاذف الأنبياء ستون ومائة ..

وقد أثنى الله تعالى على داود عليه السلام : ﴿ **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾ (سورة ص : ٢٠) .

*

سرارى داود ونسائه فى أورشليم : « علم داود أن الرب قد أثبته ملكا على اسرائيل ، وأنه قد رفع ملكه من أجل شعبه اسرائيل . **وأخذ داود أيضا سرارى ونساء من أورشليم بعد مجيئه من حبرون فولد أيضا لداود بنون وبنات** ــ صموئيل الثانى ٥ : ١٢ ــ ١٣ » .

ويمكن استقراء عدد نساء داود فى أورشليم كالآتى :

ملك داود فى حبرون على سبط يهوذا مدة نحو سبع سنين كانت معه ست زوجات ، أى بمعدل متوسط نحو زوجة جديدة كل سنة .

ولما انتقل داود الى أورشليم ملكا على كل اسرائيل كان عمره نحو سبعة وثلاثين سنة ، وقد بدأت المملكة تستقر « وأراحه الرب من كل الجهات من جميع أعدائه ــ صموئيل الثانى ٧ : ١ » فمن المتوقع أن يستمر معدل اضافة الزوجات الجدد كما كان سلفا ، أى زوجة جديدة كل سنة . واذا أخذنا عامل السن فى الاعتبار ، فاننا نستطيع تقسيم مدة حياته فى أورشليم ــ التى بلغت ثلاثا وثلاثين سنة ــ الى ثلاث فترات تبلغ كل منها احدى عشرة سنة ، ويكون المعدل المقبول لكل من هذه الفترات هو اضافة زوجة جديدة كل سنة للفترة الأولى ، واضافة زوجة جديدة كل سنتين للفترة الثانية ، واضافة زوجة جديدة كل ثلاث سنوات للفترة الثالثة والأخيرة .

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد اللائى اخذهن فى أورشليم = ٢٠ زوجة على الأقل .

كذلك يمكن استقراء عدد السرارى اللائى كن فى حضن داود فى أورشليم كالآتى :

فى الثورة التى قادها أبشالوم من حبرون ضد أبيه داود : « كان الشعب لا يزال يتزايد مع أبشالوم •••• فقال داود لجميع عبيده الذين معه فى أورشليم : قوموا بنا نهرب لأنه ليس لنا نجاة من وجه أبشالوم أسرعوا للذهاب لئلا يبادر ويدركنا وينزل بنا الشر ويضرب المدينة (أورشليم) بحد السيف • فقال عبيد الملك للملك : حسب كل ما يختاره سيدنا الملك نحن عبيده •

فخرج الملك وجميع بيته وراءه • **وترك الملك عشر نساء سرارى لحفظ البيت** — صموئيل الثانى ١٥ : ١٢ — ١٦ » •

لقد كانت أورشليم عاصمة مملكة داود على وشك الاجتياح بقوات أبشالوم الضخمة التى قيل فيها : « ان قلوب رجال اسرائيل صارت وراء أبشالوم » ، ومن ثم كان على داود ألا يبقى لحفظ بيته الا أقل القليل من النساء ، باعتبار أن أسرهن بيد الثوار صار مؤكدا • واذا قدرنا أن ذلك العدد من نساء حفظ البيت لا يتجاوز ربع سرارى داود ، كان معنى ذلك :

ان مجموع سرارى داود لا يقل عن ٤٠ سرية •

*

وجدير بالذكر أن السرارى العشر اللائى تركهن داود فى أورشليم لحفظ بيته ، قد وقعن فى أسر أبشالوم والثائرين معه ، كما كان متوقعا • وهناك أشار حكيم اسرائيل على أبشالوم أن يزنى بسرارى أبيه اغاظة فيه وقطعا لكل صلة طيبة معه •

« قال أبشالوم لأخيتوفل : **أعطوا مشورة ماذا نفعل** • فقال أخيتوفل لأبشالوم : **ادخل الى سرارى أبيك اللواتى تركهن لحفظ البيت** ، فيسمع كل اسرائيل أنك قد صرت مكروها من أبيك ، فتتشدد أيدى جميع الذين معك •

فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم الى سرارى أبيه أمام جميع اسرائيل •

وكانت مشورة أخيتوفل التى كان يشير بها فى تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله • هكذا كل مشورة أخيتوفل على داود وعلى أبشالوم جميعا ـ صموئيل الثانى ١٦ : ٢٠ ـ ٢٣ » •

هذا ـ وبعد مقتل أبشالوم وانتهاء ثورته ضد أبيه ، « جاء داود الى بيته فى أورشليم وأخذ الملك النساء السرارى العشر اللواتى تركهن لحفظ البيت وجعلهن تحت حجز ، وكان يعولهن ، ولكن لم يدخل اليهن ، بل كن محبوسات الى يوم موتهن فى عيشة العزوبة ـ صموئيل الثانى ٢٠ : ٣ » •

*

أبيشج الشونمية : « شاخ الملك داود • تقدم فى الأيام • وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يدفأ •

فقال له عبيده : ليفتشوا لسيدنا الملك على **فتاة عذراء** فلتقف أمام الملك ، **ولتكن له حاضنة ، ولتضطجع فى حضنك فيدفأ سيدنا الملك** •

فتشوا على **فتاة جميلة** فى جميع تخوم اسرائيل ، فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك •

وكانت الفتاة جميلة جدا ، فكانت حاضنة الملك ، وكانت تخدمه ، ولكن الملك لم يعرفها ـ الملوك الأول ١ : ١ ـ ٤ » •

* *

مما سبق جميعه نخلص الى الآتى :

ـ كان لداود ٩ زوجات ينمن فى حضنه ، وأنجب من أغلبهن ذرية، وقد ذكرت أسماؤهن فى الأسفار وهن :

ميكال ابنة شاول ـ وأبيجايل امرأة نابال الكرملى ـ وأخينوعم اليزرعيلية ـ ومعكة بنت تلماى ملك جشور ـ وحجيث ـ وأبيطال ـ وعجلة ـ وبثشبع امرأة أوريا الحثى ـ وأبيشج الشونمية •

واذا كانت الأسفار قد قالت عن أبيشج أن داود لم يعرفها ، أى لم يعاشرها معاشرة الأزواج ، فما ذلك الا لأنه قد : « شاخ داود وشبع أياما ـ اخبار الأيام الأول ٢٣ : ١ » ، أما هى فقد كانت حاضنته ، يداعبها وتداعبه

ـ كان لداود زوجات أخريات من أورشليم صمتت الأسفار عن ذكرهن وقدر عددهن بنحو ٢٠ زوجة •

ـ كان لداود سرارى لا يقل عددهن عن ٤٠ سرية •

وبذلك يكون لداود ٢٩ زوجة ، و ٤٠ سرية ، اى ٦٩ امراة •

وهذا تقدير معقول يعضده قول الرب لناثان النبى الذى أرسله لداود ، لكى يضرب له مثلا يبين حجم جريمته ، اذ قال له : « كان رجلان فى مدينة واحدة ، واحد منهما غنى والآخر فقير • وكان للغنى غنم وبقر كثيرة جدا • وأما الفقير فلم تكن له شىء الا نعجة واحدة صغيرة ••• ـ صموئيل الثانى ١٢ : ١ ـ ٢ » •

لقد كان لداود ـ اذن ـ نساء كثيرة جدا •••

بل ان حساب ٦٩ امرأة لداود يعتبر رقما متواضعا اذا قورن بما كان عليه الحال فى زمنه وأسرته •

فقد كان لابنه سليمان زوجات وسرارى بالمئات ، كما كان لحفيده ـ رحبعام بن سليمان ـ زوجات وسرارى بالعشرات • وفى هذا الأخير تقول الأسفار : « أحب رحبعام معكة بنت أبشالوم أكثر من جميع نسائه وسراريه • لأنه اتخذ ثمانى عشرة امراة ، وستين سرية ، وولد ثمانية وعشرين ابنا ، وستين ابنة ـ أخبار الأيام الثانى ١١ : ٢١» •

* *

نســاء سليمان

بعد أن استقر الملك لداود ، عزم على بناء بيت لعبادة الله وكلم ناثان النبى الذى رحب بالفكرة . ولكن « فى تلك الليلة كان كـلام الرب الى ناثان قائلا : اذهب وقل لعبدى داود .... قد أرحتك من جميع أعدائك . والرب يخبرك أن الرب يصنع لك بيتا .

متى كملت أيامك واضطجعت مع آبائك أقيم بعدك نسـلك الذى يخرج من أحشائك وأثبت مملكته . **هو يبنى بيتا لاسمى ، وانا اثبت كرسى مملكته الى الأبد .**

أنـا أكون لـه أبا وهو يكون لى ابنا . ان تعوج أؤدبـه بقضيب **الناس** وبضربات بنى آدم **ولكن رحمتى لا تنزع منه كما نزعتها من شاول** الذى **أزلته من أمامك ويأمن بيتك ومملكتك الى الأبد أمامك** . كرسيك يكون ثابتا الى الأبد ــ صموئيل الثانى ٧ : ٤ ــ ١٦ » .

وعندما شاخ داود « دعا سليمان ابنه وأوصاه أن يبنى بيتا للرب اله اسرائيل . وقال داود : كان الى كلام الرب قائلا .... هوذا **يولد** لك ابن يكون صاحب راحة وأريحه من جميع أعدائه حواليه لأن اسمه **يكون سليمان . فأجعل سلاما وسكينة فى اسرائيل فى أيامه . هو** يبنى بيتا لاسمى ، وهو يكون لى ابنا وأنا له أبا ، **واثبت كرسى ملكه على اسرائيل الى الابد** ــ أخبار الأيام الأول ٢٢ : ٦ ــ ١٠ » .

*

وجدير بالذكر أن هذا القول الخطير الذى ذكره سفر أخبار الأيام الأول عن سليمان : « هو يكون لى ابنا ، وأنا له أبا » ، لم يذكر أنه قيل للمسيح الا نصفه فقط ، حسب زعم كتبة الأناجيل .

فيذكر انجيل متى أن المسيح بعد أن اعتمد من يوحنا المعمدان فى نهر الأردن ، « اذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل

حمامة وآتيا عليه • وصوت من السماء قائلا : **هو ذا ابنى الحبيب الذى به سررت** ــ ٣ : ١٦ ــ ١٧ » •

وقد أوردها انجيل مرقس بطريقة مخالفة ، فالخطاب هنا موجه الى المسيح ، بدلا من الحديث عنه بضمير الغائب ، كما فى متى : « وكان صوت من السماء • **أنت ابنى الحبيب الذى به سررت** ــ ١ : ١١ » •

وقد أوردها لوقا بطريقة تقترب من مرقس مع خلاف أيضا ، فقال : « **أنت ابنى الحبيب بك سررت** ــ ٣ : ٢١ » •

فقول مرقس : « **الذى به سررت** » ، غيره لوقا الى : « **بك سررت** »

*

هذا ، ولقد كان سليمان نبيا يكلمه الله فى الرؤى والأحلام • وقد « تشدد سليمان بن داود على مملكته ، وكان الرب الهه معه وعظمه جدا ••

فى تلك الليلة تراءى الله لسليمان وقال له : اسأل ماذا أعطيك • فقال سليمان لله : انك قد فعلت مع داود أبى رحمة عظيمة وملكتنى مكانه •••• فأعطنى الآن حكمة ومعرفة لأخرج أمام هذا الشعب وأدخل•

فقال الله لسليمان : من أجل أن هذا كان فى قلبك ، ولم تسأل غنى ولا أموالا ولا كرامة ولا أنفس مبغضيك ، ولا سألت أياما كثيرة ، بل انما سألت لنفسك حكمة ومعرفة تحكم بهما على شعبى الذى ملكتك عليه ، قد أعطيتك حكمة ومعرفة ، وأعطيك غنى وأموالا وكرامة لم يكن مثلها للملوك الذين قبلك ولا يكون مثلها لمن بعدك ــ أخبار الأيام الثانى ١ : ١ ــ ١٢ » •

«ولما أكمل سليمان بناء بيت الرب •••• أن **الرب تراءى لسليمان ثانية** •••• وقال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى •

قدست هذا البيت الذى بنيته لأجل وضع اسمى فيه الى الأبد ، وتكون عيناى وقلبى هناك كل الأيام ــ الملوك الأول ٩ : ١ ــ ٣ » •

« واعطى الله سليمان حكمة ، وفهما كثيرا جدا ، ورحبة قلب كالرمل الذى على شاطىء البحر . وفاقت حكمة سليمان حكمة جميع بنى المشرق .. وكانوا يأتون من جميع الشعوب ليسمعوا حكمة سليمان من جميع ملوك الأرض الذين سمعوا بحكمته ـ الملوك الأول ٤ : ٢٩ ـ ٣٤ » .

والآن ـ ما هى أخبار نساء سليمان الذى حظى بتلك المكانة العظيمة عند الله والناس ؟

*

يقول كتبة الأسفار : « أحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون : موآبيات ، وعمونيات ، وأدوميات ، وصيدونيات ، وحثيات . ومن الأمم الذين قال عنهم الرب لبنى اسرائيل : لا تدخلون اليهم وهم لا يدخلون اليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة .

وكانت له سبع مئة من النساء السيدات ، وثلاث مئة من السرارى ، فامالت نساؤه قلبه .

وكان فى زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملا مع الرب الهه كقلب داود أبيه .

فذهب سليمان وراء : عشتورث الاهة الصيدونيين ، وملكوم رجس العمونيين . وعمل سليمان الشر فى عينى الرب ولم يتبع الرب تماما كداود أبيه . حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس الموآبيين .. ولمولك رجس بنى عمون . وهكذا فعل لجميع نسائه الغريبات اللواتى كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن .

فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب الله اسرائيل الذى تراءى له مرتين وأوصاه فى هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى . فلم يحفظ ما أوصى به الرب ـ الملوك الأول ١١ : ١ ـ ١٠ » .

لقد جعل كتبة الأسفار سليمان كافرا فى « زمان شيخوخته » ، والعياذ بالله ! ولم يكن العيب فى تعدد نسائه اللاتى بلغن ١٠٠٠ امرأة ، انما كان العيب ومكمن الخطر هو فى اختياره اياهن من الوثنيات اللاتى لا تعرفن الاله الواحد الحق رب اسرائيل •

وجدير بالذكر أن القرآن قد برأ سليمان من تلك التهمة الظالمة الخطيرة التى ألحقها كتبة الأسفار به ، واعتبرها حديث شياطين ، فقال : **« واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا »** (البقرة : ١٠٢) .

* *

نســاء هوشــع

« أول ما كلم الرب هوشع ، قال الرب لهوشع : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنى ، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب •

فذهب وأخذ جومر بنت دبلايم ، فحبلت وولدت ابنا • فقال له الرب : ادع اسمه يزرعيل ••

ثم حبلت أيضا وولدت بنتا ، فقال له : ادع اسمها لورحامة ، لأنى لا أعود أرحم بيت اسرائيل أيضا ، بل أنزعهم نزعا ••

ثم فطمت لورحامة وحبلت فولدت ابنا ، فقال : ادع اسمه لوعمى ، لأنكم لستم شعبى وأنا لا أكون لكم ــ هوشع ١ : ٢ ــ ٩ » •

بعد ذلك يقول هوشع وحيا من الله : « قال الرب لى : اذهب أيضا أحبب امرأة حبيبة صاحب وزانية ، كمحبة الرب لبنى اسرائيل وهم ملتفتون الى آلهة أخرى ومحبون لأقراص الزبيب •

فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير •

وقلت لها : تقعدين أياما كثيرة لا تزنى ولا تكونى لرجل ، وأنا كذلك لك ــ هوشع ٣ : ١ ــ ٣ » •

*

لقد نقض هوشع ــ أو بالأحرى كتبة الأسفار الذين نسبوا هذه الفواحش اليه ــ تعاليم التوراة التى تحرم على الكاهن الزواج من الزانية بل ومن الأرملة والمطلقة • فمن باب أولى أن يحرم ذلك على كل نبى يدعى أنه يتلقى وحى الله •

فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة بنى هرون وقل لهم •••• امرأة زانية او مدنسة لا ياخذوا ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها •••• والكاهن الأعظم •••• هذا يأخذ امرأة عذراء • أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية فمن هؤلاء لا يأخذ ــ لاويين ٢١ : ١ ــ ١٤ » •

وحقا يقول القرآن لهؤلاء المفترين : ﴿ ان الله لا يامر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ (الأعراف : ٢٨) .

لقد كان هذا هو خبر هوشع النبى صاحب الزوجتين الزانيتين !

* *

خديجة بنت خويلد : « كانت خديجة ابنة خويلد أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهم شرفا ، فهى ابنة خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصى .. وأمها فاطمة ابنة زائدة بن الأصم بن رواحة ..

تزوجت وهى بكر (مرتين قبل محمد) ، كان الأول هو عتيق ابن عابد بن عبد الله فولدت له (ابنة) ، ثم هلك عنها ، فتزوجها بعده أبو هالة النباش بن زرارة فولدت له (ابنا يدعى هالة ، وابنة تدعى هند) ثم هلك عنها ..

وكانت خديجة امرأة تاجرة ذات مال ، تستأجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشىء تجعله لهم منه . وكانت قريش قوما تجارا . فلما بلغها عن رسول الله ﷺ ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه ، بعثت اليه ، فعرضت عليه أن يخرج فى مالها تاجرا الى الشام ، وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار ، مع غلام لها يقال له ميسرة ، فقبله منها وخرج فى مالها ذلك ، ومعه غلامها ميسرة حتى قدم الشام . ثم باع رسول الله ﷺ سلعته التى خرج بها ، واشترى ما أراد أن يشترى ، ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة .. فلما قدم مكة على خديجة بمالها ، باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا »[1] . لقد ربحت تجارة خديجة بفضل محمد . فلما أخبرها ميسرة بما لمسه من عظم أخلاق محمد وبشاراته وكراماته ، مال قلبها لاختياره زوجا بعد أن صدق حسن اختيار عقلها له من قبل ليكون عاملا لديها .

ولكن ، كيف السبيل لتحقيق ذلك ، والمحاذير كثير . انها أرملة فى الأربعين من عمرها تزوجت قبله مرتين وأنجبت ذرية ، أما هو فشاب فى الخامسة والعشرين . وفى تلك البيئة العربية التى تنضج فيها الفتاة

---

(١) سيرة ابن اسحق ـ ص ٥٩ ، ٢٢٩

مبكرا وتتزوج فى سن العاشرة وتلد بنين وبنات ، لا تصلح خديجة ــ بمقياس السن ــ لمحمد الا أما ، تعوضه حرمان الأمومة الحانية التى فقدها منذ كان طفلا لم يتجاوز السادسة ..

وهناك تدخلت صديقتها نفيسة بنت منيه ففاتحت محمدا ، تحثه على الزواج لكى تهنأ حياته ، فكان جوابه : ما بيدى ما أتزوج به .

الا أن جوابه هذا قد شجعها على لفت نظره الى خديجة ..

وبين هذا وذاك، تشجعت خديجة وأرسلت اليه قائلة : « يابن عم ، انى قد رغبت فيك لقرابتك منى ، وشرفك فى قومك ، وسطتك[1] فيهم ، وأمانتك عندهم ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك ..

فلما قالت ما قالت ، ذكر ذلك لأعمامه . فخرج معه حمزة ابن عبد المطلب ، حتى دخل على أسد بن أسد فخطبها اليه »[2] .

وهكذا تزوج محمد خديجة ، فولدت له كل أولاده ــ الا ابراهيم ــ وهم : القاسم وبه كان يكنى ، وعبد الله ، وزينب ، ورقية ، وأم كلثوم ، وفاطمة . وقد مات البنون قبل النبوة ، أما البنات فقد أدركن الاسلام فأسلمن وهاجرن معه .

*

انقضت خمس عشرة سنة على زواج محمد بخديجة كانا فيها نعم الزوجين وفى اقترابه من الأربعين عاما بدأت تلوح له ارهاصات النبوة ، وأولها الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا فى نومه الا تحققت . ولقد حبب اليه الخلاء والبعد عن صخب الحياة ، ثم بدأ يعتزل وحيدا فى غار حراء أياما أو أسابيع كل عام ، حتى اذا كانت احدى الليالى من العشر الأواخر من رمضان ، فجىء الوحىء محمدا وبدأ يتلقى القرآن ..

---

(١) قوله : وسطتك ، فسره السهيلى من الوسط ، وقال : فلان أوسط القبيلة ، أعرفها وأولاها بالصميم .

(٢) المرجع السابق ــ ص ٦٠ ــ ٦١

يقول محمد رسول الله : « جاءنى جبريل بنمط من ديباج فيه كتاب • فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • قال : فغتنى به حتى ظننت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ • قلت : ما أنا بقارىء • فغتنى به حتى ظنت أنه الموت ، ثم أرسلنى فقال : اقرأ • فقلت : ماذا أقرأ ؟ وما أقولها الا تنجيا أن يعود لى بمثل الذى صنع بى•

فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق • خلق الانسان من علق • اقرأ وربك الاكرم • الذى علم بالقلم • علم الانسان ما لم يعلم ﴾ (العلق : ١ـ٥).

قال : فقرأتها ، ثم انتهى فانصرف عنى • فخرجت حتى اذا كنت فى وسط الجبل سمعت صوتا من السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل • فرفعت رأسى الى السماء أنظر : فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول : يا محمد ، أنت رسول الله وأنا جبريل • فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر ، وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء ، فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك • ثم انصرف عنى » •

رجع رسول الله الى خديجة يرتجف ، حتى اذا ذهب عنه الروع قال لها : أى خديجة ، مالى ؟ لقد خشيت على نفسى • ثم أخبرها الخبر •

فقالت له خديجة : أبشر يابن عم واثبت • فوالله لا يخزيك الله أبدا • انك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق •

لقد كانت أخلاق محمد ـ التى خبرتها خديجة عن كثب وما اشتهر به بين الناس من جميل المحامد وعظيم السجايا ، هى حيثيات الحكم التى استندت اليها فى التأكيد على صدق ما جاءه ، وأنه « الحق » من الله • لكن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، فما كان خبر السماء الا ليؤخذ بكل الجد ويستيقن منه بالبحوث والتجارب •

وهناك يحدث أمران هما بمقياس العصر تجارب معملية كتلك التى تجرى لدراسة ظاهرة من الظواهر الطبيعية •

الأول : انطلقت خديجة الى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان قد عرف خبر الوحى من الأسفار السابقة ، فلما أخبرته بما حدث لمحمد وما رآه وسمعه ، أطرق مليا ثم قال : قدوس ! قدوس ! والذى نفس ورقة بيده ، لئن كنت صدقتنى يا خديجة ، لقد جاءه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى ، وانه لنبى هذه الأمة ، فقولى له فليثبت » •

الثانى : طلبت خديجة الى محمد أن يخبرها بمجىء الملك متى رآه • فلما جاء الملك ـ يراه محمد ولا تراه خديجة ـ أجلست زوجها محمدا على فخذها الأيسر ، ثم على فخذها الأيمن ، ثم فى حجرها ، وفى كل مرة تسأله عنه فيخبرها أنه لا يزال يراه • حتى اذا حسرت وألقت خمارها فاذا بمحمد لم يعد ير الملك •

لم يبق ـ اذن ـ شك فى أن هذا الذى يأتيه انما هو ملك طاهر ، كما لم تبق هناك أية فرصة للشك فى أن محمدا صلى الله عليه وسلم وخديجة كانا أكثر الناس حرصا على التثبت من حقيقة هذا الأمر الجديد الذى لا عهد لهما ولأمتهما به من قبل •

*

وهنا يستدعى انتباهنا ثلاث نقاط هامة نعرضها فيما يلى :

١ ـ ان حرص محمد وخديجة على التثبت من حقيقة هذا الأمر الجديد يأتى برهانا على الصدق مع النفس ، وهذا ولا شك أول درجات الصدق • فاذا كان الانسان صادقا مع نفسه ، كان حريا به أن يكون صادقا مع أهله وقومه وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بدعوة كبرى يتوقف عليها مصائر الناس فى الدنيا والآخرة • ان هذا ما اتسم به رجال الله الصادقين •

ولقد رأينا ـ سلفا ـ كيف تصرف جدعون مع « ملاك الرب » الذى أرسله « ليخلص اسرائيل من كف مديان »[1] ، فقد أجرى معه

---

(١) راجع ص ١٩ ، ٢٠

تجربتين ليستوثق من أن الرب « يخلص بيده اسرائيل ، كما تكلم » حقا وصـــدقا .

*

٢ ـ دفع الملك الأعظم جبريل الكتاب الى محمـــد قائلا لـــه : « اقرأ » ، فقال له محمد : « ما أنا بقارىء » ...

سبحان الله ! ان هذه واحدة من نبوءات اشعيا التى ســبق أن ألمح اليها فى مثله الذى قال فيه :

« يدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له : اقرأ هذا ، فيقول : **لا اعرف الكتابة** ـ اشعيا ٢٩ : ١٢ » .

لقد تحققت هذه النبوءة كاملة فى محمد خاتم النبيين حين جاءه الوحى لأول مرة .

ومع ذلك ، فهنا شىء خطير لا بد من استبيانه ...

ان النبوءة السابقة من سفر اشعيا (٢٩ : ١٢) تتحدث عمن يدفع اليه الكتاب ، « ويقال له : اقرأ هذا » . فاذا كان لا يعرف القراءة كان حريا أن تكون اجابته : « لا أعرف القراءة » ، وليس : « لا أعرف الكتابة » كما نجده مسطورا فى التراجم العربية للكتاب المقدس ، سواء ترجمة البروتستانت ، أو ترجمة الكاثوليك (طبعة ١٩٨٣) .

ولقد دفعنى هذا الى مراجعة التراجم الحديثة للكتاب المقدس ، فكان الأمر كما توقعت ، وعلى غير ما تقول به التراجم العربية .

فالنسخة الانجليزية المعروفة باسم : **الترجمة القياسية المراجعة** (REVISED STANDARD VERSION) تقول هذه الجملة كالآتى :

« And when they give the book to one who cannot read, saying, (Read this, , he says) I cannot read ».

وترجمتها : « وعندما يدفعون الكتـــاب **لمن لا يعرف القراءة** قائلين له : اقرأ هـــذا ، فيقول : **لا أعرف القراءة** » .

والنسخة الفرنسية المعروفة باسم : **الترجمة الفرنسية المسكونية .**

(TRADUCTION OECUMENIQUE de La BIBLE)

تقول نفس الجملة السابقة كالآتى :

« On le donne alors à celui qui ne sait pas lire en disant : (Lis donc ceei'l il répond) : ' Je ne sais pas lire. »

وترجمتها : « يدفع (الكتاب) بعدئذ **لمن لا يعرف القراءة** ويقال له : اقرأ هذا ، فيرد قائلا : **لا أعرف القراءة » .**

لقد حرف مترجمو الكتاب المقدس الى العربية تلك النبوءة ، واضعين كلمة « الكتابة » ومشتقاتها بدلا من كلمة « القراءة » ومشتقاتها ، حتى لا يلمح القارىء العربى قول المجيب : « لا أعرف القراءة » أو « ما أقرأ » أو « ما أنا بقارىء » وهو ما عبر عنه محمد رسول الله ﷺ فى رده على الملك الأعظم جبريل فى أول وحى تلقاه .

ان الذى يكذب على الناس يفقد الثقة والاعتبار وترفض شهادته فى امور دنياهم ، فما بال هؤلاء القوم لا يزالون سادرين فى غيهم الى اليوم رغم افتضاح أمرهم(١) بسبب التلاعب فى تراجم الكتاب المقدس . وها هو كتابهم ينطق عليهم بخطيئة التحريف التى اعتادوها منذ القديم ، فيقول : « كيف تقولون نحن حكماء وشريعة الرب معنا . **حقا انه الى الكذب حولها قلم الكتبة الكاذب ..**

أما وحى الرب فلا تذكروه بعد لأن كلمة كل انسان تكون وحيه ، **اذ قد حرفتم كلام الاله الحى رب الجنود الهنا ـ** أرميا ٨ : ٨ ، ٢٣ : ٣٦ » .

*

---

(١) من أراد المزيد من أمثلة العبث بتراجم الكتاب المقدس ، فليراجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ـ الناشر : مكتبة وهبة بالقاهرة .

٣ ـ فجىء الوحى محمدا فى غار حراء فأصابه من الفزع الشىء الكثير • وكانت زوجه خديجة نعم المواسى والصديق المخلص ذو العقل الرشيد • فلقد أذهبت عنه روع المفاجأة بكلماتها الحانية ، وساندته بثقتها فى الله الذى طبعه على الخلق العظيم ، فمحال أن يخزيه ، ثم سلكت به سبيل أهل الخبرة بوحى السماء حين هرعت الى ورقة بن نوفل الذى أخبرها أن ما تعرض له محمد انما هو نداء السماء له ، فليثبت •

والحق أن هذا هو طابع الوحى مععبيد الله من الأنبياء المختارين :

الفجاءة فى المجىء ، والشدة والكرب عند التلقين •

يقول **اريك هيتون** فى كتابه : « **انبيـاء العهد القديم** » عن الملامح المشتركة بين انبيـاء الله : « **ان رجال الله حينما حملوا الرسالة الى البشر** ، فانهم بقوا بشرا كما كانوا •••• **واذا اردنا الحديث عن القوة الجبرية التى تلقى بها الأنبياء وحى الله** ، فيجب ان نعلم **انها كانت أقوى نوع من الجبرية واعظمه** ••• ان رجـال الله لم يولدوا لمهنـة ، ولم يمروا خلال فترة للتلمذة ، ولم تكن هناك نقابة للأنبياء ينتسبون اليها ، كذلك فانهم لم يتلقوا دراسـة خاصـة فى التعاليم اللاهوتية تؤهلهم لذلك • لقد انتهوا كما بدأوا رجالا بسطاء أنقياء •

وقد كان عاموس مثل اليشـع ، كلاهما جاءته كلمة الله وهو يعمل فى الحقل : « أخذنى الرب من وراء الضـأن وقال لى الرب : اذهب تنبأ لشعبى اسرائيل ـ عاموس ٧ : ١٥ » •

ان بساطة هـذا القول تعطيه الصـدق والثقة فيه •

وبالمثل كان موسى يرعى غنم حميه عندما رأى الشجيرة المشتعلة ، وهى تماثل ما رآه اشعيا فى الهيكل (اشعيا ـ الاصحاح ٦) »[1] •

(1) E. Heaton : THE OLD TESTAMEMT PROPHETS, pp. 52 - 53.

لقد كانت الفجاءة فى المجىء خاصية مشتركة بين هؤلاء الأنبياء ، وغيرهم مثل داود (صموئيل الثانى ٧ : ٨) واليشع (الملوك الأول ١٩ : ١٦ — ٢٠) • ونجد فى صموئيل مثلا حيا لبساطة الاختيار المفاجىء ليكون نبيا • فقد « كان الصبى صموئيل يخدم الرب أمام الكاهن عالى » • وبعد أن اضطجع للنوم ، اذا به يسمع صوتا يناديه ، فظنه الكاهن عالى ، فذهب اليه ، فقال عالى : « لم أدع • ارجع واضطجع » • ولما تكرر ذلك للمرة الثالثة « فهم عالى أن الرب يدعو الصبى ، فقال عالى لصموئيل : اذهب اضطجع ويكون اذا دعاك تقول : تكلم يا رب لأن عبدك سامع ••

فجاء الرب ودعا كالمرات الأولى •• فقال صموئيل : تكلم لأن عبدك سامع •••• وكبر صموئيل وكان الرب معه •••• وعرف جميع اسرائيل •••• أنه قد اؤتمن صموئيل نبيا للرب — صموئيل الأول ٣ : ١ — ٢٠ » •

*

هذا بالنسبة لمفاجأة الوحى فى المجىء ، وأما بالنسبة للشدة والكرب عند التلقين فتلك خاصية أخرى مشتركة بين أنبياء الله • ففى أول وحى تلقاه موسى : « فغطى موسى وجهه لأنه خاف — خروج ٣ : ٦ » •

واستمر الحال كذلك ، اذ كانت شدة الوحى تنعكس على وجهه « وكان لما نزل موسى من جبل سيناء ولوحا الشهادة فى يد موسى عند نزوله من الجبل ، أن موسى لم يعلم أن جلد وجهه صار يلمع فى كلامه معه • فنظر هارون وجميع بنى اسرائيل موسى ، واذا جلد وجهه يلمع • فخافوا أن يقتربوا اليه •••• ولما فرغ موسى من الكلام معهم جعل على وجهه برقعا — خروج ٣٤ : ٢٩ — ٣٣ » •

وتتكلم عن ذلك أسفار العهد الجديد فتقول : « كان المنظر هكذا مخيفا ، حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد — عبرانيين ١٢ : ٢١ » •

ولقد استمر الوحى شديدا مع النبى محمد فيعانى من شدته الكثير • ولقد شاهد أصحابه هذه الشدة واستشعروها • وفى هذا قال عبادة بن الصامت : « **كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه** » • وقال زيد بن ثابت : « أنزل (الوحى) على رسول الله ﷺ ، وفخذه على فخذى ، **فكادت ترض فخذه فخذى** » •

ولم تكن شدة الوحى أمرا تفرد به موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ، بل نراها ظاهرة غالبة فى الأنبياء الكبار •

فها هو الياس (ايليا) يتلقى الوحى وسط جو مفزع حدثت فيه « **ريح عظيمة وشديدة شقت الجبال وكسرت الصخور •••• وبعد الريح زلزلة وبعد الزلزلة نار •••• وبعد النار صوت منخفض خفيف • فلما سمع ايليا لف وجهه بردائه** ـ الملوك الأول ١٩ : ١١ ـ ١٣ » •

وكان الوحى شديدا مع اشعيا حتى ان الملاك كوى شفتيه بالجمر الملتهب حتى يهيئه لتلقى الرسالة الى شعبه « **طار الى واحد من السرافيم (الملائكة) وبيده جمرة قد أخذها بملقط ومس بها فمى** ، وقال : ان هذه مست شفتيك فانتزع اثمك وكفر عن خطيتك ـ اشعيا ٦ : ٦ ـ ٧ » •

وكذلك كان الوحى شديدا مع حزقيال الذى يصف ذلك بقوله : « **حملنى روح فسمعت خلفى صوت رعد عظيم** •• فحملنى الروح وأخذنى فذهبت مرا فى حرارة روحى **ويد الرب كانت شديدة** على ـ حزقيال ٣ : ١٢ ـ ١٥ » •

*

هذا ـ ونعود الآن الى خديجة التى تزوجت محمدا وعاشا معا خمسة عشر عاما فى هناءة وطيب مقام ، أنجبا خلالها بنين وبنات قرت بهم العيون • ثم كان الوحى والنبوة والرسالة بمثابة

فتح جديد ، قلب المعتقدات والمفاهيم الخاطئة ، وأعاد صياغة العلاقات بين الله والانسان والكون على أسس من الحق والخير والجمال • وكان لهذا أثره الواضح فى حياة تلك الأسرة السعيدة ، اذ بدأ عهد الجهاد والمشقة بعد أن ولى عهد الراحة وهدوء البال • قام رسول الله صلى عليه وسلم يدعو الناس سرا فاستجاب له نفر قليل ، وكانت زوجه خديجة أول من آمن به من النساء ، واستمر على تلك الحال ثلاث سنين سرى خلالها الاسلام بين المكيين على الرغم من تصدى عتاة القوم للرسول وصحبه وتعذيبهم والتنكيل بهم • فلما رأى الرسول ما يصيب أصحابه من البلاء ، وأنه لا يقدر على حمايتهم ، ـض عليهم أن يهاجروا الى الحبشة اذ علم أن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، حتى يجعل الله لهم مخرجا • فكانت الهجرة الأولى الى أرض الحبشة • فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله « قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا ، وأن النجاشى (ملك الحبشة) قد منع من لجأ اليه منهم •• وجعل الاسلام يفشو فى القبائل ، اجتمعوا وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى عبد المطلب : ألا ينكحوا اليهم ، ولا ينكحوهم ، ولا يبيعوهم شيئا ، ولا يبتاعون منهم •

فلما اجتمعوا لذلك كتبوه فى صحيفة ، ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ، ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم »[١] •

وما كانت هذه المقاطعة والحصار القاتل الا ليزيد أبا طالب — عم الرسول — على توكيد حمايته له وللمسلمين معه ، فأدخلهم شعبه الذى يحمل اسمه •

ولما رجع عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة — مبعوثا قريش الى النجاشى ليحرضانه على طرد المسلمين من أرضه —

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام — ص ٧٤

وأخبرا قومهما بفشل مهمتهما « آذوا النبى ﷺ وأصحابه أذى شديدا ، وضربوهم فى كل طريق ، وحصروهم فى شعبهم ، وقطعوا عنهم المادة من الأسواق ، فلم يدعوا أحدا من الناس يدخل عليهم طعاما ولا شيئا مما يرفق بهم ..

فعلوا ذلك ثلاث سنين حتى بلغ القوم الجهد الشديد ، وحتى سمعوا أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب »[1] .

*

لقد خرجت خديجة مع زوجها رسول الله ، وأولادهما ، الى شعب أبى طالب . وعاشت معه ومع المسلمين عيشة الضنك والجوع والخوف ، وكانت نعم المجاهدة فى سبيل الله ، حتى أذن الله بتفريج الكرب ، فنقضت تلك الصحيفة الظالمة ، وعاد المؤمنون الى ديارهم بمكة . ولم تكن تلك العودة ايذانا بنهاية عهد الاضطهاد والتعذيب ، لكنها كانت بداية لمرحلة أخرى جديدة من فتن المسلمين وصدهم عن دين الله .

وما هى الا بضعة شهور بعد فك ذلك الحصار ، حتى توفيت خديجة عن عمر يناهز الخامسة والستين عاما ، وكان ذلك عقب أيام معدودات من وفاة أبى طالب ، فكان ذلك العام ــ كما دعاه المؤرخون بحق ــ عام الحزن .

لقد عاشت خديجة زوجة وحيدة لمحمد ﷺ طيلة خمسة وعشرين عاما ، أفنى معها كل شبابه حتى دلف الى شيخوخته ، وكانت خير زوجاته على الاطلاق . لقد أقسم الرسول على ذلك لعائشة البكر الوحيدة بين نسائه ، والتى زعموا أنها كانت صاحبة الحظوة عنده .

فبعد الهجرة الى المدينة أقبلت **هالة** ــ أخت خديجة ــ الى بيت

---

(١) سيرة ابن اسحق ــ ص ١٤٠

الرسول فلما سمع صوتها ، وكان يشبه صوت زوجه العزيزة الراحلة خديجة ، هتف قائلا : « اللهم هالة ! فما ملكت عائشة نفسها أن قالت : ما تذكر من عجوز من عجائز قريش ، حمراء الشدقين، هلكت فى الدهر ، أبدلك الله خيرا منها !

فتغير وجهه عليه الصلاة والسلام ، وزجر عائشة غاضبا : **والله ما أبدلنى الله خيرا منها** : آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى اذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ، ورزقنى منها الله الولد دون غيرها من النساء .

فأمسكت عائشة وهى تقول فى نفسها : والله لا أذكرها بعدها أبدا ...

وكانت قبل ذلك ، لا تكف عن الكلام فيها !

قالت له يوما وقد ألفته لا ينقطع عن ذكرها : كأن لم يكن فى الدنيا امرأة الا خديجة !

فرد عليها ﷺ : ... انها ... ... وكانت ... ، وكان لى منها ولد !

وطالما سمعت عائشة رضى الله عنها تقول :

ما غرت من امرأة لرسول الله ﷺ ما غرت من خديجة ، لما كنت أسمع من ذكره لها . وما تزوجنى الا بعد موتها بثلاث سنين »[1] .

*

وهكذا كان الزواج الأول لمحمد ﷺ : أرملة فى سن أمه ، قضى معها ربع قرن فى حياة زوجية كريمة ، حتى اذا ماتت ظل يصرح لمن حوله بحبها واكبارها ، ثم يقسم أنها خير نسائه لأسباب هى : الايمان برسالته ، ودعمه ماديا ومعنويا ، ثم انجابها الذرية له . وجميعها أسباب لا تمت الى متعة الجسد وشهوته المشروعة من

---

(١) نساء النبى : للدكتورة عائشة عبد الرحمن ص ٥١ ـ ٥٣

قريب أو بعيد . وحتى اذا كانت تلك المتعة والشهوة المشروعة دافعا لزواج محمد ﷺ ـ سواء بخديجة أو بغيرها ـ فما ذلك بعيب طالما كان انسانا كاملا يملك نفسه ولا تملكه أهواء النفس . ومن مثل محمد ﷺ يملك نفسه ، كما قالت عائشة زوجه فيما بعد . فهو أولا وأخيرا بشر كما قال القرآن بوضوح : ﴿ قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) .. لكنه بحق أفضل البشر .

* *

سودة بنت زمعة : لقد ماتت خديجة بنت خويلد وأبو طالب فى عام واحد فتتابعت على رسول الله ﷺ المصائب « بهلك خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام ، يشكو اليها ، وبهلك عمه أبى طالب ، وكان له عضدا وحرزا فى أمره ، ومنعة وناصرا على قومه . وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين .

فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ من الأذى ما لم تكن تطمع به فى حياة أبى طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش ، فنثر على رأسه ترابا . ودخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه ، فقامت احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهى تبكى ، ورسول الله ﷺ يقول لها : لا تبكى يا بنية ، فان الله مانع أباك . ويقول بين ذلك : ما نالت منى قريشا شيئا أكرهه حتى مات أبو طالب »[1] .

لقد كان « الصحابة يرقبون آثار الحزن على نبيهم فيشفقون عليه من تلك الوحدة ، ويودون لو يتزوج ، لعل فى الزواج ما يؤنس وحشته بعد أم المؤمنين الراحلة .

لكن واحدا منهم لم يجرؤ على التحدث اليه فى موضوع الزواج حتى كانت **خولة بنت حكيم السلمية** هى التى سعت اليه ذات

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ص ٨٧ ، ٨٨

مساء متلطفة مترفقة ، تقول : يا رسول الله ، كأنى أراك قد دخلتك خلة لفقد خديجة !

فأجاب : أجل ، كانت أم العيال وربة البيت .

فتشاغلت خولة بالنظر الى بعيد ، ثم أقبلت على الرسول فاقترحت عليه فجأة أن يتزوج .. فسألها فى نبرة عتاب :

من بعد خديجة ؟

فردت خولة على الفور : عائشة ... بنت أحب الناس اليك ..

فأجاب : لكنها ما تزال صغيرة يا خولة ...

وكان رد خولة حاضرا : تخطبها اليوم الى أبيها ثم تنتظر حتى تنضج .. لكن ، من للبيت يرعى شئونه ، ومن لبنات الرسول يخدمهن ؟ فاقترحت عليه : سودة بنت زمعة بن قيس العامرية .. فأذن لها رسول الله ﷺ فى خطبتها »(١) .

وهكذا « تزوج رسول الله ﷺ ، بعد خديجة ، سودة بنت زمعة ، وكانت قبله عند السكران بن عمرو ، وكان ابن عمها ، تزوجها وهى بكر ، فهاجر الى أرض الحبشة ، ثم قدما مكة فمات عنها مسلما بمكة ، فتزوجها رسول الله ﷺ ، ولم يصب منها ولدا حتى مات »(٢) .

لقد كانت سودة أرملة مسنة ليس لها من الجمال أو المال نصيب ، وما تزوجها رسول الله الا ليجبر كسرها ويرحم شيخوختها ، وقد أبلت فى الاسلام بلاء حسنا ، وتحملت المخاطر والأهوال فى الهجرة مع زوجها الى الحبشة ثم فى العودة الى مكة . ولما مات زوجها صارت مهيضة الجناح معرضة لنكال أبيها الذى كان مشركا . والحل الوحيد أن يتزوجها رجل مسلم ــ والمسلمون يومئذ قليل ــ ليحميها ويرد عنها الفتنة فى دينها . وما كان غير رسول الله لينقذ

---

(١) نساء النبى ص ٥٨ ، ٥٩

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٨

هـذه المسكينة ويعوضها خيرا ، فيتخـذها زوجـا ويجعلها أما راعية لبنـاته .

لقـد كانت سودة ثقيلة الجسم ، فى مشـيتها مما يثير ضـحك ناظريها ، وكان فيها طيبة تقرب من السذاجة . ولقد كانت هى أول من يعلم مثالبها ، وأنها لن تستطيع أن تملأ مكان خديجة . ولمـا جـاءت عائشة زوجـة للرسـول بعـد سـنوات ، لم تملك الا أن تعلن له أنهـا لم تعـد تريد ما يريد النسـاء من أزواجهن ، وأنها تتنازل عن ليلتها لعائشة .

وهكذا صـارت سودة بنت زمعة ــ كما قال نظمى لوقا بحق ــ **زوجة شرف ، لا غير .**

**

عائشـة بنت أبى بكر : « تزوج رسـول الله ﷺ بعد سـودة بنت زمعـة ، عائشة بنت بنت أبى بكر . ولم يتزوج بكرا غيرها ، ولم يصب منها ولدا حتى مات »[1] .

وكيف لا يصـاهر الرسـول ﷺ أبـا بكر وهو : أول من آمن من الرجـال ، قال فيه الرسول : « ما دعوت أحـدا الى الاسـلام الا كانت فيـه عنـده كبـوة ونظر وتردد ، الا مـا كان من أبى بكر ابن أبى قحافة ، ما عكم ــ أى ما تلبث ــ حين ذكرته له ومـا تردد فيه » ، وقال أيضا : « ما نفعنى مال قط ، ما نفعنا مال أبى بكر » . قيل : فبكى أبو بكر وقال : « يا رسول الله ، وهل أنا ومالى الا لك » ؟!

لقد خطب رسـول الله عائشة ــ على القول الراجح ــ وهى فى السابعة من عمرها ، ودخل بها بعد أن بلغت العاشرة . وقد كانت عادة تلك البيئات ــ ولا تزال الى اليوم ــ أن تخطب الفتاة مبكرا ثم تتزوج

---

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٣٩

خلال بضع سنين بعد أن ينضج ويكتمل بناؤها . وهذا ما كان من أمر عائشة قبل خطبتها الى رسول الله ، فقد خطبها المطعم بن عدى لابنه جبير . فلما جاءت خولة بنت حكيم لتخطبها لرسول الله قال لها أبو بكر : « انتظرينى حتى أرجع ...

وقالت أم رومان (زوجه) تجلو الموقف للخاطبة : ان المطعم بن عدى كان قد ذكر عائشة على ابنه جبير . ولا والله ما وعد أبو بكر شيئا قط فأخلف . فدخل أبو بكر على مطعم وعنده امرأته أم جبير — وكانت مشركة — فقالت العجوز : يابن أبى قحافة ، لعلنا ان زوجنا ابننا ابنتك ، أن تصبئه وتدخله فى دينك الذى أنت عليه ؟!

فلم يرد عليها أبو بكر ، بل التفت الى زوجها المطعم فقال : ما تقول هذه ؟

أجاب : أنها تقول ذلك الذى سمعت .

فخرج أبو بكر وقد شعر بارتياح لما أحله الله من وعده ، وعاد الى بيته فقال لخولة : ادعى لى رسول الله »[1] .

فما كان أبو بكر ليزوج ابنته فى بيت من المشركين الذين ينقمون على الاسلام والمسلمين .

ولقد خاض جهلة المستشرقين فى أمر فارق السن بين رسول الله وعائشة اذ غابت عنهم خصائص تلك البيئة العربية وما شابهها — قديما وحديثا — والتى لا تجعل فارق السن بين الزوجين محل اعتبار ، حيث ان انجاب الذرية هدف أساسى يرجح تحقيقه فى حالة الزوجة صغيرة السن ذات الخصوبة العالية التى لا تلبث أن تتضاءل كلما مرت الأيام . « فلقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة فى اليوم الذى تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه من ترب هالة : آمنة بنت وهب . وسيتزوج عمر بن الخطاب من بنت على بن أبى طالب ، وهو

---

(١) نساء النبى ص ٧١

فى سن فوق سن أبيها ! ويعرض عمر على أبى بكر أن يتزوج ابنته الشابة حفصة ، وبينهما من فارق السن مثل الذى بين الرسول وعائشة »[1] .

وفى تاريخ الأنبياء السابقين مثل ذلك ، بل وأكثر من ذلك ... فها هو ابراهيم — خليل الله ، وأبو الأنبياء — يخبرنا كتبة التوراة أنه لما خرج مهاجرا الى أرض كنعان « كان ابن خمس وسبعين سنة — تكوين ١٢ : ٤ » بعد ذلك حدثت مجاعة اضطرته أن ينحدر « الى مصر ليتغرب هناك » . وبعد ما حدث من فرعون مصر لسارة ، وما منح ابراهيم بسببها من عبيد وجوارى وأنعام ، عاد ثانية الى أرض كنعان (تكوين ١٢ : ١٠ — ٢٠) . ولما كان لا يزال بلا ذرية بسبب عقم سارة ، فقد أخذت هذه « هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة ابرام فى أرض كنعان وأعطتها لابرام رجلها زوجة له ، فدخل على هاجر فحبلت — تكوين ١٦ : ٣ — ٤ » « وكان ابرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اسماعيل لابرام — تكوين ١٦ : ١٦ » .

وباعتبار أن هاجر عندما قدمت لابراهيم وسارة كهدية فرعونية كانت لم تتعد العشرين ربيعا[2] ، وهى السن المقبولة لمثل هؤلاء الفتيات ، نجد أن :

عمر ابراهيم عندما تزوج هاجر : ٨٦ — ١ = ٨٥ سنة .
وعمر هاجر عندما تزوجت ابراهيم : ٢٠ + ١٠ = ٣٠ سنة .
وبذلك يكون فرق السن : ٥٥ سنة .

وفى حالة داود نجد أنه لما توفى كان عمره (حسب سفر صموئيل الثانى ٥ : ٤) يبلغ سبعين عاما .

---

(١) نساء النبى ص ٧٥

(٢) كانت جويرية بنت الحارث أقل من ٢٠ سنة لما وقعت سبية فى غزوة بنى المصطلق ، وكانت صفية بنت حيى بن أخطب أقل من ١٧ سنة لما وقعت سبية فى غزوة خيبر — نهاية الأرب ص ١٨٣ ، ١٨٧

« ولما شاخ الملك داود وتقدم فى الأيام .. فتشوا على **فتاة جميلة ..** فوجدوا أبيشج الشونمية فجاءوا بها الى الملك » .

فهذه الفتاة ما كانت لتتعدى العشرين ربيعا أو دون الخامسة والعشرين على أقصى الفروض . وهى حاضنة لداود يداعبها وتداعبه .

لقد كان فرق السن بين داود وآخر نسائه يتعدى ٤٥ سنة على أقل تقدير .

*

ومهما يكن من أمر ، فها هو بودلى ــ يرد على بعض افتراءات بنى جلدته فيقول : « قام محمد بعد موت خديجة بفعل ما كان منتظرا ، فقد تزوج من اثنتين ، وما كان الحب الدافع الى احدى الزيجتين . فقد كانت احدى الزوجتين طفلة فى السابعة من عمرها (حين خطبها) ، وكانت الثانية متوسطة فى العمر وليست على جانب من الجاذبية ، وكان زوجها ممن هاجر الى الحبشة سنة ٦١٤ م ومات بها . وكان الدافع الى هاتين الزيجتين دافعا عمليا . فكانت الطفلة عائشة بنت أبى بكر ، صديقه الحميم ، وأول الناس اسلاما . ولا يمكن أن تنسب الى محمد فكرة الارتباط بعائشة ، فقد كان لموت خديجة أسوأ الأثر فى نفسه ، وكان الى جوار ذلك يلاقى من شانئيه اضطهادا . فما كان والحال هذه خلى البال ليفكر فى الزواج ، ولكن جاء الاقتراح عن طريق خولة بنت حكيم ، وقد قالت له : ان زواجه من عائشة فى ذلك الوقت ان هو الا خطبة ، وبذلك يضمن أن بنت أعز أصدقائه وأخلصهم تصبح من أسرته ، فقبل محمد ذلك ..

ان كثيرا من المؤرخين قد لاموا محمدا على ذلك الزواج ، فمحمد لم يفكر فى ذلك الزواج ابدا ..

أما الزوجة الثانية فهى سودة بنت زمعة ، فانها دخلت بيت محمد

كمربية أكثر من أى شىء آخر ، وكانت امرأة ضخمة ثقيلة ، ولم يشعر محمد نحوها بأدنى عواطف الحب ، ولكنها كانت من أوائل المسلمات ، وقد مات عنها زوجها فى مهجره فى سبيل عقيدته ، وقد قالت خولة لابن أختها ان أقل ما يفعله لها هو أن يتزوج بها ، فانها لم تعش الا قليلا وزوجها الأول • وقد حاول محمد فى ظروف كثيرة أن يتخلص منها ، ولكنها عرضت أن تبقى دون أن يكون لها امتيازات ، وبقيت فى الحريم الى أن ماتت دون أن تجد من يلحظ موتها أو يحزن عليها •

ولو أنه قد تيسر لمحمد أن يتزوج الكثيرات ، الا أنه لم يجد راحة البال ، فبعد موت خديجة وأبى طالب ، عمل أبو جهل وأبو سفيان جاهدين على التخلص من هذا الصابىء ، فأعلنوا دون مناقشة فى مكة أن لا بد من قتل محمد ، فوجد محمد نفسه مضطرا الى الفرار مرة أخرى »[١] •

لعل فى قول بودلى هذا ـ رغم حاجته الى تنقيح ـ ما يزيل الغشاوة عن أعين أولئك الجاهلين ، فيكفوا عن ترديد أكاذيب ورثوها حول تعدد زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم •

* *

حفصة بنت عمر : « كانت حفصة من المهاجرات ، وكانت قبل رسول الله ﷺ عند خنيس بن حذافة السهمى **وكان بدريا** (ومن أصحاب الهجرتين ، هاجر الى الحبشة مع المهاجرين الأولين اليها ، ثم الى المدينة • وقد شهد **احدا** كذلك ، ثم مات بعدها فى دار الهجرة من جراحة أصابته فى **احد**) ، فلما مات عنها وتأيمت ، ذكرها عمر لأبى بكر وعرضها عليه ، فلم يرجع اليه أبو بكر كلمة ، فغضب من ذلك عمر • ثم عرضها على عثمان حين ماتت

---

(١) الرسول : حياة محمد ـ تأليف : ر . ف . بودلى ـ ص ١٢٦ ، ١٢٧

رقية بنت رسـول الله ﷺ فقال عثمان : مـا أريد أن أتزوج اليوم . فانطلق عمر الى رسول الله ﷺ وأخبره بعرضه حفصة عليه ، فقال له رسول الله ﷺ : يتزوج حفصة من هو خير من عثمان ، ويتزوج عثمان من هى خير من حفصة .

ثم خطبها رسـول الله ﷺ الى عمر فتزوجها .. على رأس ثلاثين شهرا من مهاجره »(١) .

ولقد سـمع عمر « يوما من زوجته أن ابنتـه تراجع الرسـول ﷺ حتى يظـل يومـه غضـبان ، فمضى من فوره حتى دخـل عليها فسـألها ان كان ما سـمعه حقـا ؟ أجابت بأنه حق ، فصاح يزجرها : تعلمين أنى أحذرك عقوبة الله وغضب رسـوله ، يا بنيـة ، لا يغرنك هـذه التى أعجبها حسنها (عائشة) وحب رسـول الله ﷺ اياها .

« والله لقد علمت ان رسول الله ﷺ لا يحبك ، ولولا انا لطلقك » ! (٢) .

* * *

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) : « تزوج رسـول الله ﷺ بعد حفصـة ، زينب ابنـة خزيمة الهلاليـة أم المسـاكين . وكانت قبله عنـد الحصين بن الحارث ، أو عنـد أخيه الطفيـل بن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف ، فماتت بالمدينة أول نسـائه موتا ، ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا »(٣) .

وقد اختلف الرواة فيمن كانت عنـده قبل أن يتزوجها رسـول الله ، فقالوا : « كانت قبل رسـول الله ﷺ عند الطفيـل بن الحارث ابن عبد المطلب بن عبد مناف فطلقها ، فخلف عليها أخوه عبيدة بن الحارث

---

(١) نهاية الأرب ــ ص ١٧٧ (٢) نساء النبى ص ١٢٣
(٣) سيرة ابن اسحق ص ٢٤١

فقتل عنها يوم بدر شهيدا ، فخلف عليها رسول الله ﷺ فى شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرا من مهاجره .

وقيل : كانت تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها يوم أحد ، فتزوجها رسول الله ﷺ »[1] .

ورغم اختلاف الرواة فقد أجمعوا على أشياء منها : أن زينب بنت خزيمة كانت امرأة رحيمة القلب بارة بالفقراء والمساكين ، وأنها كانت أرملة لشهيد قرشى ، ولم تعرف بالجمال بين النساء ، ولم تمكث زوجة لرسول الله صلى الله عليه وسلم سوى شهور معدودات حتى توفاها الله فماتت فى حياته ودفنت بالبقيع ، بالمدينة ، فكانت أول من دفن فيه من أمهات المؤمنين .

***

ام سلمة : تزوج رسول الله « أم سلمة هند بنت أبى أمية . وكانت قبله عند أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . هاجرا جميعا الى أرض الحبشة ، ثم قدما المدينة ، فأصابته جراحة بأحد ، فمات بها من جراحته ، وتزوجها (أبو سلمة) وهى بكر ، فولدت له سلمة ، وعمر ، ودرة ، وزينب .

ولم يصب رسول الله ﷺ منها ولدا »[2] .

لقد كان زوجها ابن عمة رسول الله ، وكانت هى قرشية مخزومية ، أبوها أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم . وقد شهد

---

(١) نهاية الأرب ص ١٧٨

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٢ .

أبو سلمة غزوة بدر الكبرى ، ثم شهد يوم أحد وأبلى فيه بلاء حسنا ، ورمى بسهم في عضده مكث يداويه • وبعد شهرين خرج على رأس سرية ضد بنى أسد ، فقاد معركة ظافرة ، لكن جرحه يوم أحد لم يلبث أن قضى عليـــه •

وهكذا ترملت أم سلمة ، وقد كان لها ولزوجها سبقا فى الاسلام ، وفى الهجرة ، وفى الجهاد فى سبيل الله •

تقول أم سلمة فى وصف ما لحــق بها من أذى فى هجــرتها الى المدينة : « لمـــا أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة ، رحــل بعيرا له وحملنى وحمل معى ابنى ســلمة ، ثم خرج يقود بعيره • فلما رآه رجال بنى المغيرة قاموا اليـــه ، فقالوا : هذه نفســك غلبتنـــا عليها • أرأيت صاحبتنا هذه ، علام نتركك تســير بها فى البلاد ؟

ونزعوا خطام البعير من يده وأخذونى ، فغضب عنــد ذلك بنـــو عبد الأســد ، وأهووا الى ولدنا سلمة ، وقالوا لرهط زوجى : والله لا نترك ابننا عندها اذا نزعتموها من صاحبنا •

فتجاذبوا ابنى ســلمة حتى خلعوا يده ، وانطلق به رهط أبيـــه ، وحبسنى بنو المغيرة عنـــدهم • ومضى زوجى أبو ســلمة حتى لحــق بالمدينـــة •

وفرق بينى وبين زوجى وابنى ، فكنت أخرج كل غـــداة وأجلس بالأبطح ، فما أزال أبكى حتى أمسى ، ســـنة او قريبا منها •

حتى مر بى رجل من بنى عمى ، أحـــد بنى المغيرة ، فرأى ما بى ، فرحمنى ، فقـــال : لبنى المغيرة : ألا تخرجـــون هـــذه المســكينة ؟ فرقتم بينها وبين زوجها وبين ابنها ! وما زال بهم حتى قالوا : الحقى بزوجك ان شئت •

ورد على بنو عبد الأسد عند ذلك ابنى ، فرحلت بعيرى ووضعت ابنى فى حجرى ، ثم خرجت أريد زوجى بالمدينة ، وما معى أحد من خلق الله »(١) . وفى الطريق الى المدينة هيأ لها الله من يقودها الى منزل زوجها أبى سلمة فى مهاجره .

لقد كان التقدم للزواج من هذه الأرملة المجاهدة واجب دين ، وواجب أخوة ، وواجب نخوة . وما كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتقاعسوا عن أداء هذا الواجب . فقد تقدم لها أبو بكر ، فاعتذرت . ثم تقدم لها عمر ، فاعتذرت ، ثم تقدم لها رسول الله ﷺ ، فاعتذرت قائلة : « انى امرأة كبيرة ، وانى أغار على زوجى ، وأخاف أن أغار على رسول الله ﷺ وأنا امرأة محسوسة سهمى ، وأنا مطفلة ذات عيال .

فقال رسول الله ﷺ : أما ما تذكرين من الكبر فانه ليس عليك أن تتزوجى من هو أكبر منك ، وأنا أكبر منك . وأما ما تذكرين من الغيرة ، فانى أدعو الله أن يذهبها عنك ، وأما ما تذكرين من السهم ، فأنا أدعو الله أن يحسن سهمك ، وأما ما تذكرين من العيال ، فمن ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينا أو عيالا ، فعلى الله وعلى رسوله .

فتزوجها رسول الله ﷺ »(٢) بعد أن داوى كل معاذيرها .

* *

زينب بنت جحش : « تزوج رسول الله ﷺ بعد أم سلمة ، زينب ابنة جحش ، أخت عبد الله بن جحش ، احدى نساء بنى أسد بن خزيمة . وكانت قبله عند مولاه زيد بن حارثة . زوجه الله اياها ، فمات رسول الله

---

(١) نساء النبى ص ١٣٩ — ١٤٠

(٢) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٣

ﷺ ولم يصب منها ولدا »[1] . « وكان اسم زينب : برة ، فسماها رسول الله ﷺ زينب . وأمها أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم ، عمة رسول الله ﷺ .. تزوجها رسول الله ﷺ وهى يومئذ بنت خمس وثلاثين سنة »[2] .

كان زيد غلاما فى الثامنة من عمره حين بيع — اثر هجمة قبلية — فى احدى أسواق العرب ، فاشتراه حكيم بن حزام بن خويلد ، ثم دفعه ليد عمته خديجة بنت خويلد . فلما تزوجها سيدنا محمد ، وهبته زيدا ، فأعتقه وتبناه قبل المبعث ، وأعلن للملأ أن زيدا صار ابنه ، وارثا وموروثا . ومنذ ذلك اليوم ، دعى الغلام : **زيد بن محمد** .

وعندما آخى النبى بين أصحابه المهاجرين الى المدينة ، كان زيد — هذا الذى بيع فى سوق الرقيق — وحمزة بن عبد المطلب الهاشمى ، أخوين .

ولما بلغ زيد سن الزواج اختار له النبى زينب بنت جحش زوجة ، وهى بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب .

ولقد كرهت زينب ، وكره أخوها عبد الله بن جحش هذه الخطبة منذ الوهلة الأولى ، فما كان لشريفة قرشية أن تزف الى مولى من الموالى .

ففى احدى الروايات « أن رسول الله قال لها : انى أريد أن أزوجك زيد بن حارثة ، فانى قد رضيته لك .

فردت زينب على ولى أمرها — رسول الله ﷺ — وقالت :

---

(١) سيرة ابن اسحق ص ٢٤٤ (٢) نهاية الأرب ص ١٨

ولكنى لا أرضـاه لنفسى وأنا أيم (عزبة) قومى ، وبنت عمتـك ، فلم أكن لأفعل))(١) .

وبعـد أخـذ ورد ، قال لهـا رسـول الله : « قـد رضـيته لك زوجا » . فأجابت : « وقد رضيته زوجا يا رسول الله » .

لقد قبلت زينب الزواج من زيد على مضض ، امتثالا لأمر الله ــ سبحانه ــ فى قـوله : ﴿ **وما كان لمؤمـن ولا مؤمنـة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ، ومن يعص الله ورسـوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾ (الأحزاب : ٣٦) .

لقد تزوج زيد زينب قبـل الهجرة بثمان سـنوات ، وهاجرا الى المدينة ، وبقيت فى عصمته نحو ١٣ سنة ، كانت الحياة الزوجية فيها عبئا ثقيلا عليهما ، بل وعذابا لكل منهما . وكم من مرة اشـتكى زيد لولى نعمته ــ رسول الله ﷺ ــ من استعلاء زينب عليه ، وعدم تمكنه من القوامة على أمر بيته ، وما يعانيه كل منهما من هم وغم ، بحيث لم يعد هناك من حل سوى الطلاق . وفى كل مرة ينصحه رسول الله ﷺ أن يصبر على أمره ، ويمسك عليـه زوجه ، فأبغض الحلال الى الله الطلاق . ولمـا بلغ السـيل الزبى ، واستحالت العشرة ، طلقها زيد ، ثم فرض الله على رسوله الزواج منها لحكمة تشريعية واضحة ، وهى ابطال عادة جاهلية كانت تجعل الأبناء الأدعياء ــ مثل زيد الذى دعى : زيد بن محمـد ــ تماما مثل الأبناء من الأصلاب ، فيما يتعلق بالميراث والزواج ونحوه .

فالآيـة القـرآنية تقول فى ذلك : ﴿ **فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضـوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا** ﴾ (الأحزاب : ٣٧) .

لكن هذا الزواج ــ الوحيد الذى تم بأمر مباشر من السماء ــ أثار

---

(١) قصة زينب بنت جحش ، للدكتور محمد بديع شريف ص ١٥

من أحاديث الهمز واللمز والأقاويل الشيء الكثير • فقديما قال المشركون وأشياعهم : حرم محمد نساء الولد ، وقد تزوج امرأة ابنه •

وحديثا يتخذ المستشرقون وأشياعهم من المبشرين ، من هذا الزواج مادة للهجوم على الاسلام ونبيه ، يبثونها فى نشراتهم المسمومة ، لعلها توقف تقبل الغرب للاسلام اليوم !

ولقد أغراهم بذلك ما وجدوه فى كتب التراث الاسلامى من روايات كثيرة مختلفة ، يزعم بعضها : محمدا ﷺ أعجبته زينب ، ورغم أنه كتم ذلك فى نفسه ، فما لبث أن تزوجها بمجرد أن طلقها زيد •

لقد تمسك خصوم الاسلام بمزاعم هذا البعض ، ونسجوا حوله الأكاذيب • ونريد الآن أن ننظر فى تلك الروايات التى جاءت فى كتب التراث الاسلامى حول زواج رسول الله من زينب بنت جحش ، ثم تقيم الموقف بصفة عامة ، آخذين فى الاعتبار عوامل المنطق وأحداث التاريخ •

*

يقول **الحق** فى القرآن مخاطبا نبيه : **﴿ واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ﴾**
(الأحزاب : ٣٧)

ان الاتفاق تام حول عدد من المسائل التى جاءت فى هذه الآية الكريمة منها : أنها تتعلق بزيد بن حارثة متبنى رسول الله ، الذى أنعم الله عليه بالاسلام • وأنعم عليه الرسول بالعتق والرعاية ، كما تتعلق بزوجه زينب بنت جحش التى طالما اشتكى منها زيد وأراد تطليقها ،

وفى كل مرة يقول له رسول الله : أمسك عليك زوجك واتق الله . حتى اذا نفد الصبر وطلقها زيد ، زوجها الله سبحانه ــ لنبيه ، ليقطع دابر تقليد جاهلى يسوى الأبناء من الأصلاب والأبناء الأدعياء . لكن الخلاف نشأ حول المقصود بقوله تعالى : ﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ﴾ .

فالبعض يرى أن هذا القول موجه الى زيد ، استكمالا لقول النبى له : « أمسك عليك زوجك واتق الله » . وبذلك يكون المعنى باختصار هو : « احتفظ يا زيد بزوجك ، واتق الله فى أمرها ولا تفشى أسرار الزوجية بينكما فى الاكثار من شكواك التى أظهر الله بعضها على لسانك ، وخف الله من اصرارك على فراقها ، ولا تخشى قالة الناس فى عدم قدرتك على أن تكون سيد بيتك ، وأن زوجك تؤذيك بترفعها عليك ، فان الله الذى أنعم عليك نعمة الاسلام ، وجعل بينك وبين زوجك مودة ورحمة أولى بأن ترى شريعته ، وأحق بالخشية من الناس »[1] .

أما الآخرون ، وهم كثير ، فيرون أن الحديث عن الاخفاء فى النفس وخشية الناس ، انما هو موجه الى رسول الله . ومن هنا بدأ التساؤل حول حقيقة هذا الذى أخفاه الرسول فى نفسه ، ومتعلق خشيته الناس ، فوقع الخبط فى التأويل كما قال بحق ابن حجر .

فلنرجع الآن الى الروايات التى تتحدث عن الفصل الأخير فى العلاقة الزوجية بين زيد وزينب ، مبتدئين بأقدم تلك الروايات حسبما نجده فى المصادرة المتاحة .

*

● من سيرة ابن اسحق :

عاش محمد بن اسحق بن يسار فى الفترة (٨٥ ــ ١٥١هـ) ، ويعتبر كتابه هذا المسمى «المبتدأ والمبعث والمغازى ، من أقدم ما كتب فى السيرة النبوية . وقد قام معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالمغرب ــ

(١) المرجع السابق ص ٥٦

مشكورا ــ بنشره ، بعد أن عهد الى العلامة المدقق **محمد حميد الله**(١) بتحقيقه والتعليق عليه ، حيث قدم له ببحث عن التاريخ عند المسلمين ، ونبذة عن حياة ابن اسحق .

من هو ابن اسحق : يقول محمد حميد الله فى مقدمته : « هو محمد ابن اسحق بن يسار بن خيار .. قال ابن سعد (الطبقات ٧/٢ ص : ٦٢) أن **جده يسار من سبى عين التمر** . وروى الخطيب البغدادى (٢١٥/١) عن عبد الله بن جعفر بن درستوية عن يعقوب بن سفيان **ان ابن اسحق فارسى** .. ويمكن لنا أن نقول ان ابن اسحق كان يعرف الانجيل جيدا ، تعلمه من علماء عصره ، **لا من أجداده .. ونقل عن التوراة أيضا** مثلا قصة هابيل (تاريخ الطبرى) ١٤١/١ : كتاب (سفر) التكوين من التوراة (٩/٤ ــ ١٦) وعمر يوسف عليه السلام (تاريخ الطبرى ٤١٣/١ : كتاب التكوين ٢٢/٥٠) وسفينة نوح عليه السلام (الطبرى ١٨٩/١ ــ ٢١٢ : كتاب التكوين ١٤/٦) ..

ومما يطعن به عليه ما رواه الذهبى (تذكرة الحفاظ ١٦٤/١ ، وميزان الاعتدال ٢٢/٣) عن ابن عدى أن ابن اسحق كان يلعب بالديوك .

وأشنع من ذلك ما رواه ابن النديم بكلمة (يحكى) وما تلاه ياقوت عن الواقدى ، واللفظ لياقوت : كان محمد بن اسحق يجلس قريبا من النساء فى مؤخر المجلس **فيروى عنه انه كان يسامر ــ وعند ابن النديم : يغازل ــ النساء** . فرفع الى هشام وهو أمير المدينة . وكانت له شعرة حسنة . فرقق رأسه وضربه أسواطا ، ونهاه عن الجلوس هناك ..

---

(١) **محمد حميد الله** عالم موسوعى وباحث مدقق يتقن عددا من اللغات وله ترجمة فرنسية مشهورة لمعانى القرآن الكريم . وقد كان لى شرف التعرف اليه والاستماع الى محاضراته وقراءة بعض مؤلفاته وأبحاثه . وهو يعيش حاليا فى باريس وقد كرس حياته وماله لخدمة الدعوة الاسلامية بعيدا عن الأضواء .

ولما صنف مالك الموطأ ، قال ابن اسحق : ايتونى به فأنا بيطاره . فنقل ذلك الى مالك . فقال : **هذا دجال من الدجاجلة ، يروى عن اليهود** .. (وكان مالك) ينكر عليه تتبعه غزوات النبى ﷺ من أولاد اليهود الذين أسلموا وحفظوا قصة خيبر وقريظة والنضير وما أشبه ذلك من الغرائب عن أسلافهم . وكان ابن اسحق يتتبع هذا عنهم ، ليعلم ذلك من غير أن يحتج بهم ، وكان مالك لا يرى الرواية الا عن متقن ..

وقد حذف ابن هشام أيضا أشياء من كتاب ابن اسحق عندما هذبه ، وقال (سيرة ابن هشام ، ص ٤) : وتارك بعض ما ذكر ابن اسحق فى هذا الكتاب مما ليس لرسول الله ﷺ فيه ذكر .. وأشياء بعضها يشنع الحديث به ، وبعض يسوء بعض الناس ذكره ..

وأكبر طعن طعنه به المحدثون هو **ان ابن أسحق يدلس الأحاديث** .

فروى (الخطيب ص ٢٢٩ — ٢٣٠ ، وابن سيد الناس ص ١١ ، وابن حجر ص ٤٣) : ان أحمد بن حنبل ذكر محمد بن اسحق فقال : كان رجلا يشتهى الحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها فى كتبه ... سألت أحمد بن حنبل فقلت : يا أبا عبد الله ، اذا تفرد ابن اسحق بحديثه تقبله ؟ قال : لا والله . انى رأيته يحدث عن الجماعة بالحديث الواحد ، ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا »[1] .

*

رواية ابن اسحق : نعرض فيما يلى رواية ابن اسحق ، بعد أن نفسمها الى فقرات مسلسلة ، حتى تسهل المقارنة بينها وبين روايتين أخريين للطبرى سنعرضهما لاحقا بذات الكيفية . وبذلك يكون لدينا ثلاث روايات : الأولى لابن اسحق ، والثانية والثالثة للطبرى . ولسوف

---

(١) سيرة ابن اسحق : مقدمة محمد حميد الله .

يسبق الرقم المسلسل لكل فقرة ، رقم الرواية نفسها ، وبذلك تكون ــ مثلا ــ الفقرة : ٢ ــ ٧ ، هى الفقرة رقم ٧ فى الرواية رقم ٢ ، وهكذا .

الرواية الأولى (لابن اسحق) :

١ ــ ١ « مرض زيد بن حارثة ، فذهب اليه رسول الله ﷺ يعوده ، **وزينب ابنة جحش امرأته جالسة عند رأس زيد .**

١ ــ ٢ فقامت زينب لبعض شأنها ، فنظر اليها رسول الله ﷺ ثم طأطأ رأسه .

١ ــ ٣ فقال : **سبحان مقلب القلوب والأبصار .**

١ ــ ٤ فقال زيد : أطلقها لك ، يا رسول الله .

١ ــ ٥ فقال : **لا**

١ ــ ٦ فأنزل الله عز وجل : ﴿ **واذ تقول للذى أنعم الله عليه وانعمت عليه** ﴾ ... الى قوله : ﴿**وكان امر الله مفعولا**﴾ (الأحزاب : ٣٧)(١) .

*

● **من تاريخ الطبرى :**

عاش أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى الفترة (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) « شهد عصر المأمون ، وحضر خلافة المعتصم والواثق ، وشهد فتنة (القول) بخلق القرآن فى ذروتها ، وهى فتنة عانى من جرائها العلماء الاضطهاد .. وكان (ابن جرير) يجمع أخباره ويدونها فى زمن ضعف فيه الاسناد ، وكثر الوضاع ، اما تدليسا أو حبا للشهرة ، أو تكسبا للقمة العيش . وكان ابن جرير يستند فى تفسيره القرآن الكريم على مثل هذه الروايات »(٢) .

ان الاعتراف سيد الأدلة ... ما فى ذلك شك .

وها هو ابن جرير يقول فى مقدمة تاريخه كيف كان نهجه فى الجمع

---

(١) المرجع السابق : ص ٢٤٤
(٢) قصة زينب بنت جحش : ص ١٣

والتأليف : « **ليعلم الناظر فى كتابنا هذا ان اعتمادى فى كل ما احضرت ذكره فيه مما شرطت الى راسمه فيه ، انما هو ما رويت من** الأخبار التى أنا ذاكرها فيه ، والآثار التى أنا مسندها الى رواتها فيه ، دون ما أدرك بحجج العقول ، واستنبط بفكر النفوس ، الا اليسير القليل منه ، اذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ، وما هو كائن من أنباء الحادثين ، غير واصل الى من لم يشاهدهم ولم يدرك زمانهم ، **الا بأخبار المخبرين ونقل الناقلين** ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط بفكر النفوس . فما يكن من كتابى هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارؤه أو يستشنعه سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، **فليعلم انه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا . وأنا انما أدينا ذلك على نحو ما أدى الينا** »[1] .

ولقد عرف المستشرقون هذه العيوب فى الطبرى . يقول بيرى ، أستاذ التاريخ الحديث بجامعة كامبردج : « لم يكن الطبرى ذا ملكة تاريخية ، ولم يكن لديه أدنى فكرة عن نقد مصادره أو تمحيصها . لقد كان عمله مجرد ترصيص لروايات المؤلفين السابقين ، دون التوفيق بين تناقضاتها ، أو محاولة استنباط الحقيقة »[2] .

والآن نعرض من روايات الطبرى فى موضوع زواج النبى من زينب بنت جحش وهو ما اصطلحنا على تسميته ــ سلفا ــ باسم الرواية الثانية ، والرواية الثالثة ، باعتبار أن رواية ابن اسحق كانت هى الرواية الأولى .

*

(١) تاريخ الطبرى : الجزء الأول ــ ص ٧ ، ٨

(٢) G. Wells : The Jesus of the Early Christians, pp. 208 - 209.

الرواية الثانية (للطبرى) :

٢ ــ ١ « جاء رسول الله ﷺ الى بيت زيد بن حارثة وكان زيد انما يقال له : زيد بن محمد ، ربما فقده رسول الله ﷺ الساعة ، **فيقول أين زيد ؟ فجاء يطلب منزله فلم يجده .**

٢ ــ ٢ وقامت اليه زينب بنت جحش زوجته فضلا (أى تلبس ثوبا واحــدا) .

٢ ــ ٣ **فأعرض عنها رســول الله ﷺ** فقالت : ليس هو ههنـا يا رسول الله ، فادخل بأبى أنت وأمى ! **فابى رسول الله أن يدخل .**

٢ ــ ٤ وانما عجلت زينب أن تلبس **اذ قيل لهـا** : رســول الله ﷺ على **البـاب** ، فوثبت **عجلة** .

٢ ــ ٥ فأعجبت رسول الله ﷺ .

٢ ــ ٦ فولى وهو يهمهم بشىء لا يكاد يفهم .

الا أنه أعلن : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ ــ ٧ فجــاء زيد الى منزله ، فأخبرته امرأته أن رســول الله ﷺ أتى منزله ، فقــال زيــد : ألا قلت لــه : ادخــل ! فقالت : **قد عرضت عليه ذلك فأبى .**

قال : أفسمعتيه يقول شيئا ؟ فقالت : سمعته يقــول حين ولى : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

٢ ــ ٨ فخرج زيــد حتى أتى رســول الله ﷺ فقــال : يا رسول الله ، بلغنى أنك جئت منزلى . فهلا دخلت ! بأبى أنت وأمى يا رسول الله ! لعل زينب أعجبتك فأفارقها ؟

٢ ــ ٩ فقال رسول الله ﷺ : **امسك عليك زوجك .**

٢ ــ ١٠ فما استطاع زيد اليها سبيلا بعد ذلك اليوم •

٢ ــ ١١ فكان يأتى رسول الله ﷺ فيخبره ، فيقول له رسول الله ﷺ **امسك عليك زوجك** •

٢ ــ ١٢ ففارقها زيد واعتزلها ، فحلت »[1] •

*

الرواية الثالثة (للطبرى) :

٣ ــ ١ « كان النبى ﷺ قد زوج زيد بن حارثة زينب بنت جحش ، ابنة عمته فخرج رسول الله ﷺ يوما يريده •

٣ ــ ٢ وعلى الباب ستر من شعر ، **فرفعت الريح الستر فانكشف وهى فى حجرتها حاسرة** •

٣ ــ ٣ **فوقع اعجابها فى قلب** النبى ﷺ •

٣ ــ ٤ **فلما وقع ذلك ، كرهت الى الآخر** (أى كرهها زيد منذ ذلك اليوم) !

٣ ــ ٥ فجاء (زيد) فقال : يا رسول الله ، **انى** اريد أن أفارق صاحبتى •

٣ ــ ٦ فقال (رسول الله) : **مالك ؟ أرابك منها شىء ؟**

فقال : لا والله يا رسول الله • ما رابنى منها شىء ، ولا رأيت الا خيرا •

٣ ــ ٧ فقال له رسول الله ﷺ : **امسك عليك زوجك واتق الله** •

فذلك قول الله ، عز وجل : **﴿ واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴾** •

---

(١) تاريخ الطبرى : جـ ٢ ــ ص ٥٦٢ ، ٥٦٣

(قال الطبرى) : تخفى فى نفسك ان فارقها (زيد) تزوجتها »[1] .

*

● **نظرة على هذه الروايات الثلاث :**

١ ــ تتناقض الرواية الأولى (لابن اسحق) مع الروايتين : الثانية والثالثة (للطبرى) فى نقطة جوهرية ، هى المدخل الرئيسى لكل منها . فبينما تقول الأولى : ان زيدا كان مريضا بمنزله ، وزينب امرأته جالسة عند رأسه ، ورسول الله جالسا معهما يعوده (الفقرة ١ ــ ١) ، اذ تقول روايتا الطبرى : ان زيدا كان خارج منزله .

ان هذا يعنى ــ بداءة ــ اسقاط احدى المجموعتين بالكلية : فاما رواية ابن اسحق ، واما روايتى الطبرى . فزيد لا يمكن أن يكون فى منزله ، وخارج منزله فى وقت واحد ، الا اذا كان الرجل الخفى ، من رجال الأساطير ... !

٢ ــ حسب الرواية الأولى : كان زيد أول من سمع تسبيحة الرسول بأذنيه (الفقرة ١ ــ ٣) ، بينما نقلتها زينب الى زوجها بزعم أنها قد سمعتها (الفقرة ٢ ــ ٧) أما الرواية الثالثة فقد أسقطت التسبيحة تماما .

٣ ــ تحولت التسبيحة ــ فى الرواية الأولى ــ من قوله ﷺ : سبحان مقلب القلوب والأبصار الفقرة ١ ــ ٣) لتكون فى الرواية الثانية ــ بعد ١٥٠ سنة تفصل بين ابن اسحق وبين ابن جرير الطبرى ــ فى صيغة : سبحان الله العظيم . سبحان الله مصرف القلوب .

---

(١) المرجع السابق ص ٥٦٣

٤ ـ اختلفت روايتا الطبرى (الثانية والثالثة) معا فيما يتعلق بنقطة جوهرية وهى : كيف رأى رسول الله زينب فى بيتها أول مرة •

فعلى حسب الرواية الثانية ، وبضم الفقرتين (٢ ـ ٢) ، (٢ ـ ٤) وهو شىء يتطلبه وصف الأحداث ، نجد أن رسول الله وقف بباب زيد يسأل عنه ، وهناك من أخبره بعدم وجود زيد (الفقرة ٢ ـ ١) ، وحتى تلك اللحظة لم ير زينب ولم تره • لكن هناك من أخبرها بوجود رسول الله بالباب (الفقرة ٢ ـ ٤) فعجلت زينب أن تستكمل لبسها ، ومن ثم خرجت اليه فضلا •

بينما تقول الرواية الثالثة : أن رسول الله لما وقف بباب زيد ، رفعت الريح ستر الشعر ، فرآها حاسرة (الفقرة ٣ ـ ٢) •

٥ ـ وبناء على رؤية رسول الله لزينب : فضلا أو حاسرة ، زعمت الروايتان أنها أعجبته (الفقرتان ٢ ـ ٥) ، (٣ ـ ٣) • ولما كان هذا الاعجاب جاء تأسيسا على روايتين متناقضتين ، تعطى كل منهما صورة مختلفة عن الأخرى ، كان ذلك الاعجاب المزعوم قائما على غير أساس ، وصار بالتالى زعما باطلا •

لقد جهل القائلون بذلك الاعجاب المزعوم مجموعة من الحقائق منها : أن زينب ابنة عمة رسول الله ، وأنه يكبرها بنحو ٢٠ عاما ، ومن ثم فهو يعرف كل خصائصها الجسمانية والنفسية ، وأنه هو الذى خطبها الى زيد وأصر على اتمام الزواج رغم معارضتها هى وأخيها•

ولما كانت حياتها الزوجية مع زيد قد استمرت نحو ١٣ عاما على كره منها ، ودون انجاب لذرية تخفف من ذلك الشقاء ، كان معنى هذا أن جمال زينب الذى دخلت به بيت زيد أول مرة قد ذبل سريعا وانحسر خلال تلك السنين الطوال • ومن ثم يستحيل القول بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى زينب بعد ذلك ـ فضلا أو حاسرة ـ قد فجئه جمالها فوقع اعجابها فى قلبه •

ان ذلك وهم نسجه خيال مريض ...

ففى تقديرى — بعد ما رأينا من تهالك تلك الروايات — **أن الريح لم تعبث بستر الشعر الذى قيل انه كان على باب حجرة زينب بنت جحش** (كما تدعى الرواية الثالثة) **فانكشفت ، وانما هو الخيال الجنسى الذى عبث بفكر أولئك الرواة ...**

٦ — واذا كان ذلك الاعجاب المزعوم قد جاء استنتاجا من تسبيحة رسول الله (الفقرتان ١ — ٣) ، (٢ — ٦) ، فذلك هو الجهل بعينه ، وهو حكم طائش فقد العلم والروية .

لقد كان استخدام رسول الله لفظ : **« مقلب القلوب »** لازمة من لوازمه . فعن شهر بن حوشب قال : قلت لأم سلمة رضى الله عنها : يا أم المؤمنين ، ما أكثر دعاء رسول الله ﷺ اذا كان عندك ؟ قالت : كان أكثر دعائه : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك »[1] .

ولقد علم القرآن المسلمين أن يسبحوا الله فى كل حين فقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا . وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾
(الأحزاب : ٤١ — ٤٢)

وعلمهم أن يسبحوا الله حين يتعرضون لمواقف تفرض عليهم سماع منكر من القول وزور ، أو رؤية ما لا ينبغى أن يرى من الحرمات . ففى حديث الافك — وكل أفك — يقول القرآن العظيم :

﴿ ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم ﴾ (النور : ١٦) .

فاذا كان رسول الله لا يشغل نفسه بتسبيح الله فى مختلف

(١) رواه الترمذى فى الدعوات باب : « يا مقلب القلوب ثبت قلبى » .

المواقف ، وبمختلف الصيغ ومنها لفظ « مقلب القلوب » الذى هو احدى لوازمه ، فمن غيره يفعل ذلك ؟!

واذا صح شيء من هذه الروايات المتناقضة ، وأن رسول الله قد سبح الله بعد رؤيته زينب : فضلا ، أو حاسرة ، أو حتى شبه عارية ، فما تأويل ذلك ؟

لا يعلم تأويله الا الله ، الذى ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ ، ويعلم تأويله رسول الله الذى أعلن تسبيحه ، وهو أعلم بنفسه من الناس . وحيث انه لم يؤثر عنه حديث يشرح خفايا هذا الموقف ، كان حريا بكل مسلم — لا ! بل بكل ذى عقل وضمير — أن يفسر تلك التسبيحة على ضوء تعاليم القرآن ، وخاصة الآية رقم ١٦ من سورة النور .

فتسبيحة رسول الله ﷺ تلك لا تعنى — اذن — سوى اعتذار عن رؤيه ما كان ينبغى الا يرى ...

اما اذا فسرها بعض المسلمين على أنها دلالة على أعجاب رسول الله ﷺ بزينب ، فهذا افتراء عليه ، وقول سفه بغير علم ، حسابه عند الله ، حتى لو كان مدعى ذلك : زيد بن حارثة ، ومن خلفه من المفسرين .

هى اذن سقطة من صديق ، وما أفظع سقطات الأصدقاء ...

لقد عقلها كاتب مسيحى متنور — هو الدكتور نظمى لوقا — بينما غابت عن مسلمين مخلصين . فهو يقول : ان محمدا « ليعلم علم اليقين — وهو الانسان ذو القلب الكبير — أن هوى القلب لا حيلة للمرء فيه ، ولا يأتمر بارادة أو يذعن لعقل . فهو لا يستطيع أن يلوم زينب لأن قلبها عصاها ، وأبى أن يهفو للفتى الذى يحبه هو حب الأبناء .

وعلى هذا التاويل أعقل انا قوله : سبحان مصرف القلوب !

اى سبحان الذى صرف قلب الشابة الحسناء عن الفتى الوسيم زيد ، فلم تستطع ان تسكن اليه بعد أن تزوجته طائعة مذعنة .

ذكر الرسول عندئذ ربه وحكمته ، فكيف بعدئذ يلومها على ما لا تملك من هوى قلبها ، وسبحان مصرف القلوب » ! [1] .

٧ ــ زعمت الروايتان الأولى والثانية أن زيدا عرض على رسول الله أن يطلق زينب بعد أن فهم من تسبيحته أنهـا ربما تكون قد أعجبته (الفقرتان ١ ــ ٤) ، (٢ ــ ٨) ، بينما أوردت الرواية الثالثة سـببا آخر مختلفا تماما ، وهو أن زيدا كره زينب منذ تلك اللحظة ، فذهب الى رسول الله يستأذنه فى فراق زوجته (الفقرة ٣ ــ ٤) .

٨ ــ أجمعت الروايات الثلاث على أن رسـول الله رفض عرض زيد بتطليق زينب ، مهما كانت دوافعه (الفقرات ١ ــ ٥) ، (٢ ــ ٩) ، (٣ ــ ٦) ، (٣ ــ ٧) . ورغم الحاح زيد فى تطليقها ، فقـد كان رسول الله مصرا على ابقائها فى عصمته .

*

هـذا ــ ولقـد نقل ابن هشـام عن ابن اسـحق ، وعن الطبرى نقل البيضاوى والزمخشرى وآخرون . ولقـد عرفنا ــ منذ قليـل ــ خلفية ابن اسحق والطبرى وكيف كانا يجمعان رواياتهما ويكتبونهـا ، ومن هنـا جاءت تلك الروايات المتهالكة ، والتى لا تصمد الواحـدة منها للدراسة والتمحيص .

على أن بعض المفسرين أسقطوا تلك الروايات من حسـابهم لمـا فيها من تخبط وضعف واضح . ومن هؤلاء ابن كثير الذى قال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وتخفى فى نفسـك ما الله مبـديه وتخشى النـاس والله احق أن تخشـاه** ﴾ : « ذكر ابن أبى حاتم ، وابن جرير ههنا آثارا عن بعض السلف رضى الله عنهم ، **احببنا ان نضرب عنها صفحا لعـدم صحتها فلا نوردها** .. لكن الله تعـالى أعلم نبيه ﷺ أنها (زينب بنت جحش) ستكون من أزواجه قبـل أن يتزوجها . فلمـا أتاه زيـد

(١) محمد فى حياته الخاصة : الدكتور نظمى لوقا ص ١٢٥ ــ ١٢٦

رضى الله عنه ليشكوها اليه قال : ﴿ **أمسك عليك زوجك واتق الله** ﴾ فقال : قد أخبرتك أنى مزوجيكها ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه . وهكذا روى عن السدى أنه قال نحو ذلك » .

وكذلك قال الخازن فى « **لباب التأويل فى معانى التنزيل** » « ان المراد بقوله تعالى ﴿ **وتخفى** ﴾ أن الذى أخفاه ، علمه بأنها ستكون زوجته ، وأنه عوتب على هذا الاخفاء . وانما أخفى ذلك استحياء أن يخبر زيدا أن التى تحتك وفى نكاحك ستكون زوجتى » .

* *

● **مواقف حرجة فى حياة الأنبياء :**

أنبياء الله بشر ولدوا جميعا من نساء جئن من ذرية آدم ، اصطفاهم الله ، فهم : ﴿ **عباد مكرمون . لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون** ﴾ . (الأنبياء : ٢٦ ، ٢٧) . وبين أمر الله والعمل فى خدمة رسالاته ، حمل المرسلون أثقالا ، وتعرضوا لضغوط عالية ومواقف حرجة ، وقاسوا محنا وآلاما ، وكانت حياتهم جهادا خالصا فى سبيل الله .

وترينا دراسة أحوال الأنبياء والمرسلين أن الأمور لم تجر دائما وفق مشيئتهم ، فلم يكن لهم « **من الأمر شيء** » **لأن** « **الأمر كله لله** » ومن هنا كان الصراع العنيف ، وكانت المعارك الطاحنة ، فى داخل تلك النفوس البشرية بغرائزها المعروفة ، والعالية بتساميها ، قبل أن تكون فى خارجها .

ويذكر **الكتاب المقدس** أن موسى اعتذر عن قبول الرسالة الالهية فى أول وحى تلقاه ، وتعرض بذلك لغضب الله ، الا أن رحمته الواسعة ـ سبحانه ـ تداركته :

« قال موسى للرب : استمع أيها السيد ! لست أنا صاحب كلام منذ أمس ولا أول أمس ولا من حين كلمت عبدك . بل أنا ثقيل الفم واللسان .

فقال له الرب : من صنع للانسان فما أو من يصنع أخرس أو أصم أو بصيرا أو أعمى ؟ أما هو أنا الرب ؟! فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به .

فقال : استمع أيها السيد ! أرسل بيد من ترسل !

فحمى غضب الرب على موسى ــ خروج ٤ : ١٠ ــ ١٤ » .

وحين كره بنو اسرائيل أكل المن والسلوى « وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما . قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجانا والقثاء والبطيخ و ...

فلما سمع موسى الشعب يبكون .. وحمى غضب الرب جدا ، ساء ذلك فى عينى موسى . فقال موسى للرب : **لماذا أسأت الى عبدك ، ولماذا لم أجد نعمة فى عينيك حتى أنك وضعت ثقل جميع هذا الشعب على . ألعلى حبلت بجميع هذا الشعب ، أو لعلى ولدته ، حتى تقول لى احمله فى حضنك كما يحمل المربى الرضيع .. لا أقدر أنا وحدى أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل على . فان كنت تفعل بى هكذا ، فاقتلنى قتلا ان وجدت نعمة فى عينيك . فلا أرى بليتى** ــ عدد ١١ : ٤ ــ ١٥ » .

لقد دفع الضيق والحرج موسى أن يطلب الموت لنفسه !

وفى قصة النبى صموئيل وشاول نجد صورة من عتاب الله لأنبيائه ، ذلك العتاب الذى يصل حد التوبيخ . ذلك أن صموئيل هو الذى مسح شاول ملكا على بنى اسرائيل فصار مسيحا حل عليه روح الله ، ونبيا . لكن شاول أخطأ باجتهاده مرة ، فكان كلام الرب الى صموئيل قائلا : **ندمت على أنى قد جعلت شاول ملكا ، لأنه رجع من ورائى ولم يقم كلامى** ــ صموئيل الأول ١٥ : ١٠ » .

فرفض الرب شاول ، وأعلم نبيه صموئيل بذلك ، فحزن حزنا

شديدا من أجل شاول واستمرت مشاعره طيبة نحوه • وكأن غضب الله على شاول لم يكن كافيا لأن يراعى صموئيل ذلك ، فيكبت عواطفه الطيبة نحو شاول ويجعل الاعتبار لأمر الله وحده • وهنا عاتب الله صموئيل عتابا شديدا ، « فقال الرب لصموئيل : حتى متى تنوح على شاول ، وأنا قد رفضته عن أن يملك على اسرائيل ؟! ــ صموئيل الأول ١٦ : ١ » •

وحين هرب الياس (ايليا) من وجه الملك الطاغية أخآب ، ذهب ليختبىء بأمر الله عند امرأة أرملة تعوله • « مرض ابن المرأة صاحبة البيت واشتد مرضه جدا حتى لم تبق فيه نسمة • فقالت لايليا : مالى ولك يا رجل الله ! هل جئت لتذكير اثمى واماتة ابنى ؟!

فقال لها : أعطينى ابنك •• وصرخ الى الرب وقال : أيها الرب الهى ! أأيضا الى الأرملة التى أنا نازل عندها قد أسأت بأماتتك ابنها فتمدد على الولد ثلاث مرات وصرخ الى الرب •• فسمع الرب لصوت ايليا ، فرجعت نفس الولد الى جوفه فعاش ــ الملوك الأول ١٧ : ١٧ ــ ٢٢ » •

ومنذ بدأ القرآن يتنزل على محمد رسول الله ، أعلمه ربه أن الأمر جد وعبء ثقيل ، فقال فى واحدة من أوائل السور نزولا : ﴿ **انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ (المزمل : ٥) •

وأعلمه أنه سيتعرض لضغوط شديدة ، ومواقف حرجة ، فقال سبحانه : ﴿ **كتاب أنزل اليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين** ﴾ (الأعراف : ٢) •

﴿**طسم • تلك آيات الكتاب المبين • لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين**﴾ (الشعراء : ١ ــ ٣)[1] •

---

(١) باخع نفسك : اى قاتلها غما •

﴿ فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك وضـائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك ، انما انت نذير ، والله على كل شيء وكيـل ﴾ (هود : ١٢) .

وهـا هي سـورة الأحزاب تبـدأ بمـا لم تبـدأ به سـورة أخرى من سور القرآن ، فتقول مخاطبة رسول الله : ﴿ يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين، ان الله كان عليما حكيما. واتبع ما يوحى اليك من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا ﴾ (الأحزاب : ١ ـ ٣)

فهى تحمـل أربع أوامر لرسـول الله ، أولهـا : ﴿ اتق الله ﴾ ولـم يوجـه مثـل هـذا القول اليـه فى أى سـورة أخرى من سـور القرآن .

ثم يعقب ذلك قول حاسم فى ابطال بعض أعراف الجاهليـة ومنها عادة الأبناء الأدعيـاء :

﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل ازواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل ادعياءكم ابناءكم ، ذلكم قولكم بافواهكم، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءكم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيمـا أخطاتم به ولكن ما تعمـدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيمـا ﴾ (الأحزاب : ٤ ـ ٥)

فمن الواضح أنه من أوائل مقاصـد هذه السورة ، ابطال دعوى التبنى الزائفة ، فاستفتحت بهذا الأمر الالهى ، ليكون تشريعا تخضـع له جميع الحالات .

وفى حيـاة الناس ، تكتسب قوانينهم الوضعية الثقة حين يبـدأ

التطبيق بأولى الأمر . وما كان غير رسـول الله ليفرض عليه البـدء بجعـل التشريع الالهى واقعـا ملموسـا . ولهـذا جـاءت الآيـة السابعة والثلاثون من نفس السورة لتعـالج واقعا يرتبط به ــ عليه الصلاة والسلام ــ وتقرر أن الله زوجه مطلقة دعيه زيد بن حارثة ، ليبطل بذلك احدى دعاوى الجاهلية .

﴿ فلما قضى زيد منهـا وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا ، وكان أمر الله مفعولا ﴾
(الأحزاب : ٣٧)

لقـد شـعر رسـول الله بحرج شـديد اذ قـد علم بأن زينب سـتكون احـدى زوجاته ، وقـدر ما سـيقوله المتربصون بالاسلام ونبيـه . وفى صراعه النفسى بين هـذا وذاك ، اضطر أن يقول لزيد كلما جاءه يستأذنه فى طلاق زينب : ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ فلعل « الله يحدث بعد ذلك أمرا » . فقضـاء الله نافذ لا محالة ، وكل ما يرجوه العبد أن يكون الانفاذ بأقل الخسائر .

من هنا كان رسول الله فى أشد حالات الحرج والضيق ، ولكنها لازمة من لوازم الأنبياء والمرسلين .

*

ولهذا جـاءت الآية التـالية لآية تزويج النبى بمطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، تدعو لكسر حاجز الحرج (الآية ٣٨) ، وتؤكد على ضرورة خشية الله وحده واسقاط أى اعتبار لخشية تقولات الآخرين (الآية ٣٩)، ثم التأكيد مرة أخرى على أن محمدا رسول الله ليس أبا لزيد بن حارثة ولا لغيره (الآية ٤٠) .

﴿ ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له ، سنة الله فى الذين خلوا من قبل ، وكان أمر الله قدرا مقدورا .

الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ، ولا يخشون أحـدا الا الله ، وكفى بالله حسيبا .

ما كان محمد ابا احد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شيء عليما ﴾ .

*

وأخيرا نقول : رحم الله زينب بنت جحش ، كانت كما شهدت لها غريمتها عائشة : « لم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب ، وأتقى لله ، وأصدق حديثا ، وأوصل للرحم ، وأعظم صدقة ، وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى يتصدق به ويتقرب به الى الله عز وجل »[١] .

ولقد كانت أول من مات من نساء النبى بعده ، فكانت أسرعهن لحاقا به .

* *

جويرية بنت الحارث : « بلغ رسول الله ﷺ أن بنى المصطلق يجمعون له ـ وقائدهم الحارث بن أبى ضرار .. فلما سمع رسول الله ﷺ خرج اليهم حتى لقيهم على ماء يقال له « المريسيع » ، من ناحية قديد الى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق »[٢] .

لقد قتل من بنى المصطلق عشرة ، وقتل من المسلمين رجل يقال له هشام بن صبابة . ولم يجد بنو المصطلق ، بعد قليل من التراشق بالنبال ، مفرا من التسليم تحت ضغط المسلمين السريع ، فوقعوا فى الأسر ، وكانت جويرية بنت الحارث قائد بنى المصطلق من بين السبايا .

« وقدم رسول الله ﷺ المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته . فلما كان بالعقيق ، نظر الى الابل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق . ثم أتى النبى ﷺ وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها . فقال رسول الله ﷺ : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق فى شعب كذا ، وكذا ؟

---

(١) نساء النبى ـ ص ١٦٩
(٢) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ١٩٧

فقال الحارث : أشهد أن لا اله الا الله ، وأنك محمد رسول الله • فوالله ما اطلع على ذلك الا الله •

فأسلم الحارث وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل الى البعيرين فجاء بهما ، فدفع الابل الى النبى صلى الله عليه وسلم ودفعت اليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن اسلامها ، فخطبها النبى ﷺ الى أبيها ، فزوجه اياها ، وأصدقها أربعمائة درهم »[1] •

فلما بلغ المسلمون الخبر ، أطلقوا من بأيديهم من أسرى بنى المصطلق باعتبارهم أصهار رسول الله ، فأعتق بزواج جويرية من رسول الله نحو أهل مائة بيت من بيوت بنى المصطلق •

وجدير بالذكر أن شريعة موسى تقول فى سبايا الحرب : « اذا خرجت لمحاربة أعدائك ، ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم سبيا • ورأيت فى السبى امرأة جميلة الصورة والتصقت بها واتخذتها لك زوجة ، فحين تدخلها الى بيتك ، تحلق رأسها ، وتقلم أظفارها ، وتنزع ثياب سبيها عنها ، وتقعد فى بيتك ، وتبكى أباها وأمها شهرا من الزمان ، ثم بعد ذلك تدخل عليها وتتزوج بها ، فتكون لك زوجة ـ تثنية ٢١ : ١٠ ـ ١٣ » •

ولقد كانت عائشة تقول عن جويرية : ما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها •

* *

صفية بنت حيى بن اخطب : كان لليهود الدور الحاسم فى تجميع القرشيين وغيرهم ، فى محاولة أخيرة لغزو المدينة والقضاء على محمد

---

(١) سيرة النبى : لابن هشام ـ المجلد الثالث ـ ص ٢٥٣

ﷺ ومن معه • وكان من زعمائهم : سلام بن أبي الحقيق النضرى ، **وحيى بن اخطب النضرى** •• فى نفر من بنى النضير ، ونفر من بنى وائل وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ — خرجوا حتى قدموا على قريش مكة فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وقالوا : انا سنكون معكم عليه حتى نستأصله •

فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، انكم أهل الكتاب الأول ، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، **أفديننا خير أم دينه ؟**

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه •

فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : **﴿ الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا • أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ﴾** (النساء : ٥١ — ٥٢) •

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه من حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا لذلك واتعدوا له •

ثم خرج أولئك النفر من يهود حتى جاءوا غطفان ، فدعوهم الى حرب رسول الله ﷺ وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك •• فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب ، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن •

فلما سمع بهم رسول الله ﷺ ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة •

وخرج **حيى بن اخطب النضرى** حتى أتى كعب بن أسد القرظى •• وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه (بنى قريظة) وعاقدة على ذلك وعاهدة • • فقال حيى : ويحك يا كعب ! جئتك بعز الدنيا وبحر طام ، جئتك بقريش على قادتها

وسادتها . وبغطفان على قادتها وسادتها .. قد عاهدونى وعاقدونى على الا يبارحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه .

فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر .. ويحك يا حيى ! فدعنى وما أنا عليه فانى لم أر من محمد الا صدقا ووفاء ..

فلم يزل حيى بكعب .. حتى نقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله ﷺ »[1] .

وهكذا كان لحيى بن أخطب ـ سيد بنى النضير ـ الدور الحاسم فى حشد أعداء المسلمين فى محاولة للقضاء عليهم قضاء مبرما .

لكن هذا التجمع العدوانى الذى عرف باسم الأحزاب هزمه الله شر هزيمة فيما عرف باسم غزوة الأحزاب ، فرجعوا عن المدينة خائبين يجللهم الخزى والبوار .

لقد أظهرت غزوة الخندق أنه لا أمان مع اليهود ، فهم ناقضو العهود . فلما كان النصف الأول من العام السابع الهجرى ، خرج رسول الله الى خيبر بحصونها المنيعة . وكان حصار وكان قتال انتهى بأن طلبوا الصلح على أن تحقن دماؤهم ، وقد قبل رسول الله ﷺ ذلك ، ولقد كانت صفية بنت حيى بن أخطب من بين سبايا هذه الغزوة ، فجاء « دحية فقال (لرسول الله ﷺ) : أعطنى جارية من السبى .

قال : اذهب فخذ جارية . فأخذ صفية بنت حيى .

فقيل : يا رسول الله ، انها سيدة قريظة والنضير ، ما تصلح الا لك .

فقال له النبى ﷺ : خذ جارية من السبى غيرها »[2] .

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ١٧٦ ـ ١٧٩
(٢) نهاية الأرب ـ ص ١٨٧

وهكذا تزوج رسول الله ﷺ صفية ، ولم ينجب منها ذرية ، وكانت قبله قد تزوجت مرتين .

* *

أم حبيبة بنت أبى سفيان : تزوج رسول الله ﷺ « أم حبيبة بنت أبى سفيان . وكانت قبله عند عبد الله بن جحش بن رئاب .. كان تزوجها وهى بكر ، وكان له منها حبيبة ابنة عبد الله ، فمات عنها بأرض الحبشة . وقد تنصر (هناك) بعد اسلامه . وكانت مهاجرة معه بأرض الحبشة » .

فلما علم رسول الله ﷺ بذلك أرسل « عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، فزوجه أم حبيبة ابنة أبى سفيان ، وساق عنه أربع مائة دينار »(١) . وقد تم الزواج بالحبشة بحضور المسلمين وفيهم جعفر بن أبى طالب ، وخالد بن سعيد بن أمية كبير المهاجرين من قومها بنى أمية .

لقد بقيت أم حبيبة ـ بعد هذا العقد على بعد ـ سنوات فى الحبشة ولكن بعد أن ردت اليها كرامتها ، واستوثقت أن خروجها مهاجرة فى سبيل الله ، ما كان الله ليضيعه ، فجاءها خير عوض بتزويجها من رسول الله . فلم يكن أحد يعانى مثل ما عانت أم حبيبة : بين زوج فى المهجر معها ما لبث أن تخلى عن دينه وأهله ثم هلك ، وأب فى الوطن ـ مكة ـ لا يزال على كفره ، بل انه ليتزعم الكافرين فى حربهم ضد الاسلام . لكن الله سلم ، بعد أن حملت اسم رسوله زوجا لها .

وبعد سنوات بعث رسول الله عمرو بن أمية الضمرى الى النجاشى ، ليعود بمن بقى من المهاجرين ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم الى المدينة يوم فتح خيبر ، وكانت أم حبيبة مع العائدين . وحين أبصر رسول الله ـ فى عودته المظفرة من خيبر ـ

---

(١) سيرة ابن اسحق ـ ص ٢٤١ ـ ٢٤٢

ابن عمه جعفر بن أبى طالب عائدا على رأس المهاجرين ، قبله بين عينيه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر ! بفتح خيبر أم بقدوم جعفر !

ولقد احتفلت المدينة بدخول أم حبيبة بنت أبى سفيان بيت النبى ، وأولم خالها عثمان بن عفان وليمة تتناسب وما حل بالمسلمين فى تلك الأيام من أفراح .

وما كان رسول الله ليخلد الى شيء يسير من الراحة والسكن فى بيت النساء ، فالأحداث سريعة ومتلاحقة ، وهاهى قريش قد نقضت **صلح الحديبية** . ولما كانوا يتوقعون أن يأخذ الرسول زمام المبادرة فيباغتهم فى حملة تأديبية ، بعد أن صار المسلمون قوة لا يستهان بها ، فقد أرسلوا زعيمهم أبا سفيان فى محاولة لتجديد الهدنة . وما يهمنا فى هذا المقام هو ما كان بين أبى سفيان وبين ابنته أم حبيبة التى غابت عنه سنوات مهاجرة من أجل عقيدتها .

« خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله ﷺ المدينة فدخل على ابنته أم حبيبة .. فلما جلس على فراش رسول الله ﷺ طوته عنه . فقال يا بنية : ما أدرى ! أرغبت بى عن هذا الفراش ، أم رغبت به عنى ؟!

قالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله ﷺ .

قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر » ! [1] .

❋

وهكذا ، كانت هجرة أم حبيبة فى سبيل الله ، وكان زواج الرسول منها فى سبيل الله .

❋ ❋

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ـ ص ٢٣١

مارية القبطية : بعث رسول الله رسلا الى هرقل امبراطور الروم ، وكسرى ملك فارس ، والمقوقس عظيم القبط بمصر ، وغيرهم ، يدعوهم الى الاسلام .

وقد كان رد المقوقس يحمل فى ثناياه التصديق بنبى منتظر مع حرص شديد على سلطانه بابقاء الحال على ما هو عليه . فقال فى كتابه الى رسول الله : « أما بعد .. فقد قرأت كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو اليه . وقد علمت أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام ..

وقد أكرمت رسولك ، وبعثت لك بجاريتين لهما مكان من القبط عظيم ، وبكسوة ، ومطية لتركبها . والسلام عليك »[1] .

وكانت الجاريتان هما : **مارية** التى تسرى بها النبى ، وسيرين التى أعطاها لحسان بن ثابت .

وبعد نحو عامين حملت مارية من رسول الله ، ولما اكتمل حملها ولدت له ابنا ، فرح به كثيرا ، وسماه ابراهيم تيمنا بجده الأكبر ابراهيم أبى الأنبياء .

لكن الفرحة لم تدم طويلا ، فما هو الا عام وبعض عام ، حتى توفاه الله ، وحزن لذلك الرسول والمسلمون ، حزن الصابرين المحتسبين . ولقد حدث يوم وفاة ابراهيم ودفنه فى قبره أن انكسفت الشمس ، فقال بعضهم : انها انكسفت لموت ابراهيم .

وما أن بلغ هذا القول رسول الله حتى التفت الى أصحابه يقول : **« ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، لا تخسفان لموت أحد ولا لحياته »** .

لقد كان رسول الله يومئذ فى أشد حالات الحزن ، لكنه لم يستطع السكوت على غير ما علمه الله من حقائق الدنيا

---

(١) نساء النبى ــ ص ٢١٥

والآخرة ، فانتزع نفسه من أحزانها ليرد المسلمين الى الصواب ، ويخرجهم من تخرصات الظنون والأوهام •

* *

ميمونة بنت الحارث : خرج رسول الله فى العام السادس الهجرى ومن معه من المسلمين قاصدين بيت الله الحرام بمكة لأداء العمرة • لكن قريش صدتهم عن ذلك • ولما كان الرسول لا يريد الحرب ، فقد أجرى معهم مفاوضات شاقة انتهت بتوقيع صلح الحديبية الذى كان فى شروطه أن يرجع هو وأصحابه عن مكة عامهم هذا على أن يعودوا اليها فى العام القادم فيدخلوها ويقيموا بها ثلاثة أيام ، ومعهم من السلاح السيوف فى قربها ، ولا سلاح غيرها •

فلما كان العام التالى جاء رسول الله وأصحابه معتمرين ، فجلت قريش عن مكة ، وفق صلح الحديبية ، وصعدت التلال المجاورة ، تطل على البيت الحرام ، وترقب الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه •

ولقد كان المنظر أخاذا ، فها هو محمد وصحبه الذين خرجوا منها مهاجرين خلسة ، وفرارا بدينهم منذ سبع سنوات ، يعودون اليها اليوم أشداء ، أقوياء العزيمة كما عبر عن ذلك قوة رجع تكبيرهم وتلبيتهم نداء ربهم•وهناك لم تملك واحدة من أكرم نساء العرب ضبط مشاعرها وهى تطل على ذلك المشهد المهيب ، حتى وهبت نفسها للنبى • تلك كانت ميمونة بنت الحارث ، شقيقة أم الفضل زوج العباس عم رسول الله •

وما كان رسول الله ليرد من جادت بنفسها ، فقبل الزواج منها • ولقد رأى بثاقب بصره أن هذه قد تكون فرصة طيبة تتآلف فيها القلوب ، وتخفف قريش من عدائها لأبنائها الذين أسلموا ولم يجدوا مفرا من الهجرة الى المدينة حفاظا على ايمانهم بالله الواحد الأحد ، فاقترح عليهم رسول الله أن يدخل

بميمونة بينهم ، فقال لمبعوثى قريش اليـه : « ما عليكم لو تركتمونى فأغرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه » ؟

لكن المبعوثين أجابا فى غلظة وجفاء : « لا حاجة بنا الى طعامك ، فاخرج عنـا » • فلم يتردد رسـول الله فى النزول على رأيهما تنفيذا لعهـده مـع قريش الذى يقضى بألا تزيد مـدة الاقـامة فى مكـة عن ثلاثة أيام ، فخرجوا من مكة عائدين الى المدينة •

* *

● **نسـاء النبى :**

هـؤلاء كن نسـاء النبى اللاتى دخـل بهن : كان لـه من اثنتين منهـن ذريـة همـا : خديجـة ، ومارية ، وتوفى منهن فى حيـاته اثنتان هما : خديجة ، وزينب بنت خزيمة التى لم تمكث معه سوى شهور قلائل • ولم تكن منهن بكرا سوى عائشة ، وأما الباقيات فكن ثيبات ، وخاصة من الأرامل المهاجرات •

ويلاحظ أنه فى أغلب حالات زواجه ، لم تكن المبادأة من جانبه • ففى حالة خديجة ، جاء الاقتراح من صديقتها نفيسة بنت منيـة ، فكان رده : **ما بيدى ما أتزوج به** • وهنا تشجعت خديجة فأرسلت اليه تدعـوه أن يتزوجهـا • ولمـا ماتت خديجـة ، وترمـل رسـول الله زمنـا ، عرضت عليـه **خولة بنت حكيم** أن يتزوج ، ليخرج من أحزانه على خديجة وتنتظم أمور بيته ، ثم اقترحت عليه اسم عائشة بنت أبى بكر، فلما أجابهـا قائلا : **لكنها ما تزال صـغيرة** ، اقترحت عليـه أن يتزوج **سودة بنت زمعة** ، أرملة من المهاجرات ، فقبل •

ولقد كان زواجه من **حفصة بنت عمر** ، حفظا لمـاء وجه أبيها الذى شـعر بالمهانة حين عرضها على أبى بكر فاعتذر بصمته ، ثم عرضـها على عثمان فرد بالرفض ، ثم هى أرملة شهيد قرشى •

ولم يكن بد من زواجه من **زينب بنت جحش** ، مطلقة متبناه زيد ابن حارثة ، انصياعا لأمر الله •

ولم تكن المبادأة من جانبه حين تسرى بمارية ، فلقد أرسل اليه المقوقس عظيم القبط جاريتين ، اكتفى بواحدة هى مارية ، وأعطى الأخرى لحسان بن ثابت . وفى ظروف كتلك ، جرى العرف أن يضم الجاريتين الى نسائه .

وما كان له من دافع فى زواجه **بميمونة بنت الحارث** ، فهى شقيقة امرأة عمه العباس ، وهى التى وهبت نفسها له .

أما المبادأة من جانب رسول الله ﷺ فكانت فى حالات أخرى هى :

زينب بنت خزيمة (أم المساكين) التى كانت أرملة شهيد ، **وأم سلمة** أرملة شهيد قرشى هو ابن عمته ، **وأم حبيبة بنت أبى سفيان** ، **تزوجها** على البعد ، وهى فى الحبشة ، ليقيل عثرتها ، ولم يدخل بها الا بعد سنوات . ثم كان زواجه من **جويرية بنت الحارث** ، **وصفية بنت حيى ابن اخطب** وقعتا أسيرات ، وكانت كل منهما : ابنة سيد قومه . ولقد كان من تعاليمه صلى الله عليه وسلم التى التزم بها طوال حياته هى قوله : ((**اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**))(١) .

ولقد بدأ رسول الله تعدد الزوجات بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول وانتهى بميمونة قرب نهاية العام الهجرى السابع ، وكان أمر الله اليه : ﴿ **لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شيء رقيبا** ﴾ (الأحزاب : ٥٢) . ولقد توقف الرسول عن عن التزوج بعد ذلك ، وكان جملة من جمع بينهن تسع زوجات وسرية ، أى عشر نساء .

والآن ، نقول : ماذا لو أضاف رسول الله الى نسائه ــ مثلا ــ تسع زوجات أخريات ... لقد كان مثل هذا القدر

---

(١) رواه ابن ماجه .

من التعدد سنة الأنبياء السابقين ، أهل الوحى والحديث مع الله ، وان هذا ما علمناه من أنباء ابراهيم وجدعون وداود وسليمان ...

*

هـذا — ويقول **الدكتور نظمى لوقا** فى تقرير عام عن زوجات النبى : « هؤلاء زوجاته اللواتى بنى بهن ، وجمع بينهن . لم تكن واحدة منهن هدف اشتهاء كما يزعمون . وما من واحدة منهن الا كان زواجه بها أدخل فى باب الرحمة واقالة العثار والمواساة الكريمة ، أو لكسب مودة القبائل وتأليف قلوبها بالمصاهرة وهى بعد حديثة عهد بالدين الجديد .

هى ضريبة واجب اذن أو ضريبة مكانة وزعامة . وأخال لو كان له اخوة لزوجهم على ذلك المنوال ليحملوا عنه بعض تلك الأعباء ..

وما كان من الهين على رسول قائد جيش وحاكم دولة محاربة ان يزيد أعباءه بما يكون فى بيت كثير النساء من خلافات على صغائر الأمور ... ولكنه الواجب : واجب الدعوة أو واجب النخوة .. وشتان ذلك وما يتشدقون به من أمارة النزوة و ...

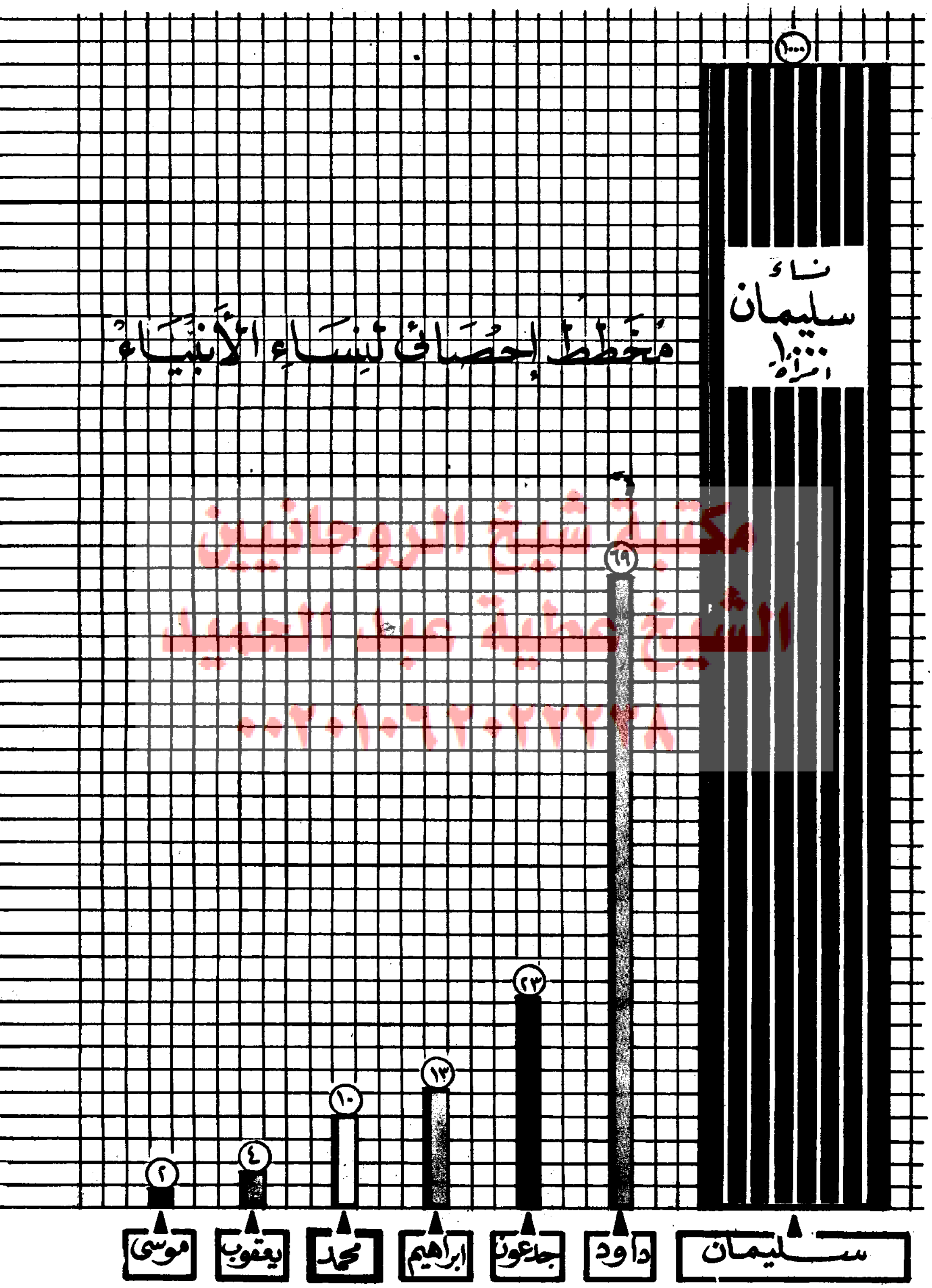
واجب باهظ التكاليف من أعصابه وذهنه ، واجب أقدم البعض على استغلاله استغلالا منكرا ، فرأينا من يعضلها أن تجد زوجا ، لا ترعى الحشمة وتذهب الرسول تعرض عليه نفسها ، متطاولة الى شرف أمومة المؤمنين ، وهى غير أهل لذلك الشرف بمحتد أو فضل أو سابقة جهاد . ويسكت محرجا لا يريد أن يجرح كرامة تلك المجترئة ، عسى أن تنصرف عنه . وهو يعلم أن قبوله الزواج من مثلها سيفتح عليه بابا لا قبل له به . ولولا أن أحد أصحابه جعل نفسه فداء للرسول فى ذلك الزواج بالهبة ، لأوذى فى حيائه باحدى خطتين : اما التورط فى القبول ، أو المجاهرة بالرفض الصريح ...

وأنقذه القرآن بعد ذلك من مثل هذا التورط الفادح ، فحرم

المخطط النسبى لتعدد نساء الأنبياء



تتناسب مساحة القطاع مع عدد نساء النبى المناظر له


مخطط إحصائي لنساء الأنبياء
نساء سليمان ١٠٠٠ امرأة
١٠٠٠
٦٩
٢٣
١٣
١٠
٤
٢
سليمان
داود
جدعون
ابراهيم
محمد
يعقوب
موسى

شكل رقم (١)

عليه بصريح النص فى سورة الأحزاب (الآية ٥٢) أن يتزوج النساء من بعد أو أن يبدل بهن أزواجا أخريات »[1] .

ويقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وامرأة مؤمنة ان وهبت نفسها للنبى** ... ﴾ (الأحزاب : ٥٠) : « أن رسول الله ﷺ جاءته امرأة فقالت : يا رسول الله ، انى قد وهبت نفسى لك . فقامت قياما طويلا .

فقام رجل ، فقال : يا رسول الله ، زوجنيها ان لم يكن لك بها حاجة .

فقال رسول الله ﷺ : هل عندك شىء تصدقها اياه ؟

فقال : ما عندى الا ازارى هذا . فقال رسول الله ﷺ : ان أعطيتها ازارك ، جلست لا ازار لك ، فالتمس شيئا . فقال : لا أجد شيئا . فقال : التمس ولو خاتما من حديد . فالتمس فلم يجد شيئا .

فقال له النبى ﷺ : هل معك من القرآن شىء ؟ قال : نعم ، سورة كذا ، وسورة كذا ـ السور يسميها ـ فقال له النبى ﷺ : زوجتكها بما معك من القرآن » .

*

وان نظرة على **المخطط الاحصائى لنساء الأنبياء ـ شكل (١)** ـ لكفيلة ببيان ما كان من أمر تعدد نساء الأنبياء ، وتسهيل المقارنة بينهم فى هذا الجانب من حياتهم ، والذى دأب كثير على الخوض فيه بغير علم ، أو طمسا للحقائق بغرض التزييف .. فمن هذا الشكل يتبين أن عدد النساء لكل هؤلاء الأنبياء كالآتى : **سليمان** ١٠٠٠ امرأة ، داود ٦٩ امرأة ، جدعون ٢٣ امرأة ، ابراهيم ١٣ امرأة ، محمد ١٠ نساء ، يعقوب ٤ نساء ، موسى امرأتان .

*

---

(١) محمد فى حياته الخاصة ص ١١٠ ـ ١١١

ولننظر بتمعن أيضـا **المخطط الزمنى(١) لتعدد نساء داود ومحمد ـ** شكل(٢)ـ آخذين فى الاعتبار مجموعة من العوامل الهامة ، يأتى فى مقدمتها : أن محمدا صاحب رسالة الهية عالمية وشريعة جديدة وجب أن توضع موضع التنفيذ ، وهـو شيء لا عهـد للعرب بمثـله من قبـل . وفى هـذا يقـول القرآن تبكيتا لأولئك الجاحدين : **« أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون . بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتـدون . وكذلك ما أرسـلنا من قبـلك فى قرية من نذير الا قـال مترفوها انا وجـدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتـدون . قال أو لو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا انا بما أرسـلتم به كافرون »** (الزخرف : ٢١ ـ ٢٤) .

هذا ، بينما كان كل هم داود أن يثبت مملكته الصغيرة لتعمـل وفق شريعة موسى التى يعرفها بنو اسرائيل جيدا .

بعد ذلك تأتى عوامل : السـن وفترة الشباب وطور الشيخوخة ، ومرحلة الحروب المتتابعة ، ثم احتكاك القوة الاسلامية الناشئة بقوتى عصر النبوة العظميين وهما الروم والفرس .

على أن مقارنة بيانات المخطط تعطينا الآتى :

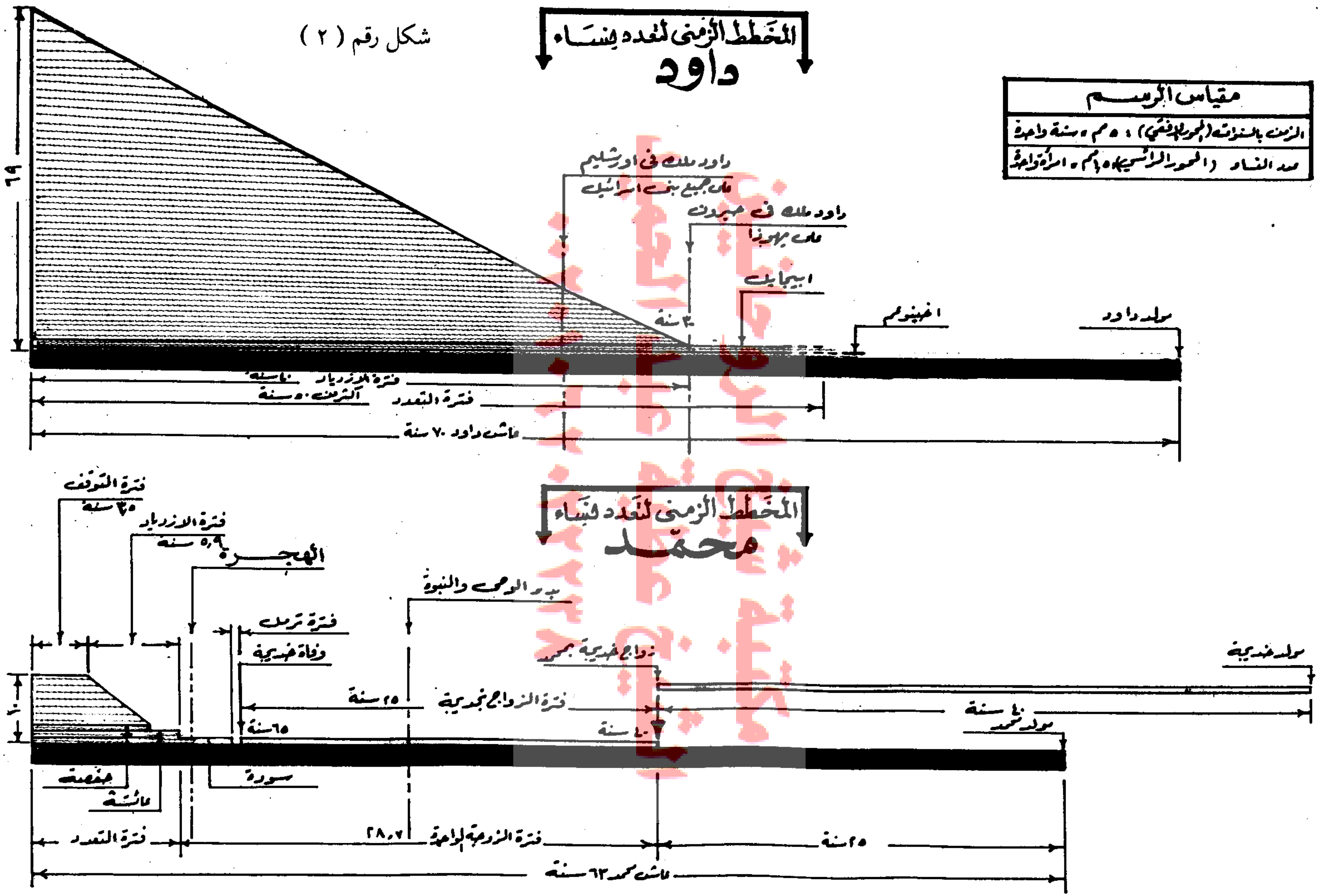
ـ عدد داود نسـاءه مبكرا فى حياته واسـتمر لمدة تزيد على ٥٠ سنة ، بينما عـدد محمد نسـاءه لمدة تقل عن ٩٫٥ من السنوات .

ـ ملك داود وعمره ٣٠ سـنة ، ومنذ ذلك الحين وبحكم عوامل الملكية والحروب والسبى ازدادت نسـاؤه . وقـد اسـتمرت فترة

---

(١) مقياس الرسم المذكور فى المخطط يمثل النسب قبل عمليـة تصغير الشكل الى أبعاده الحالية .

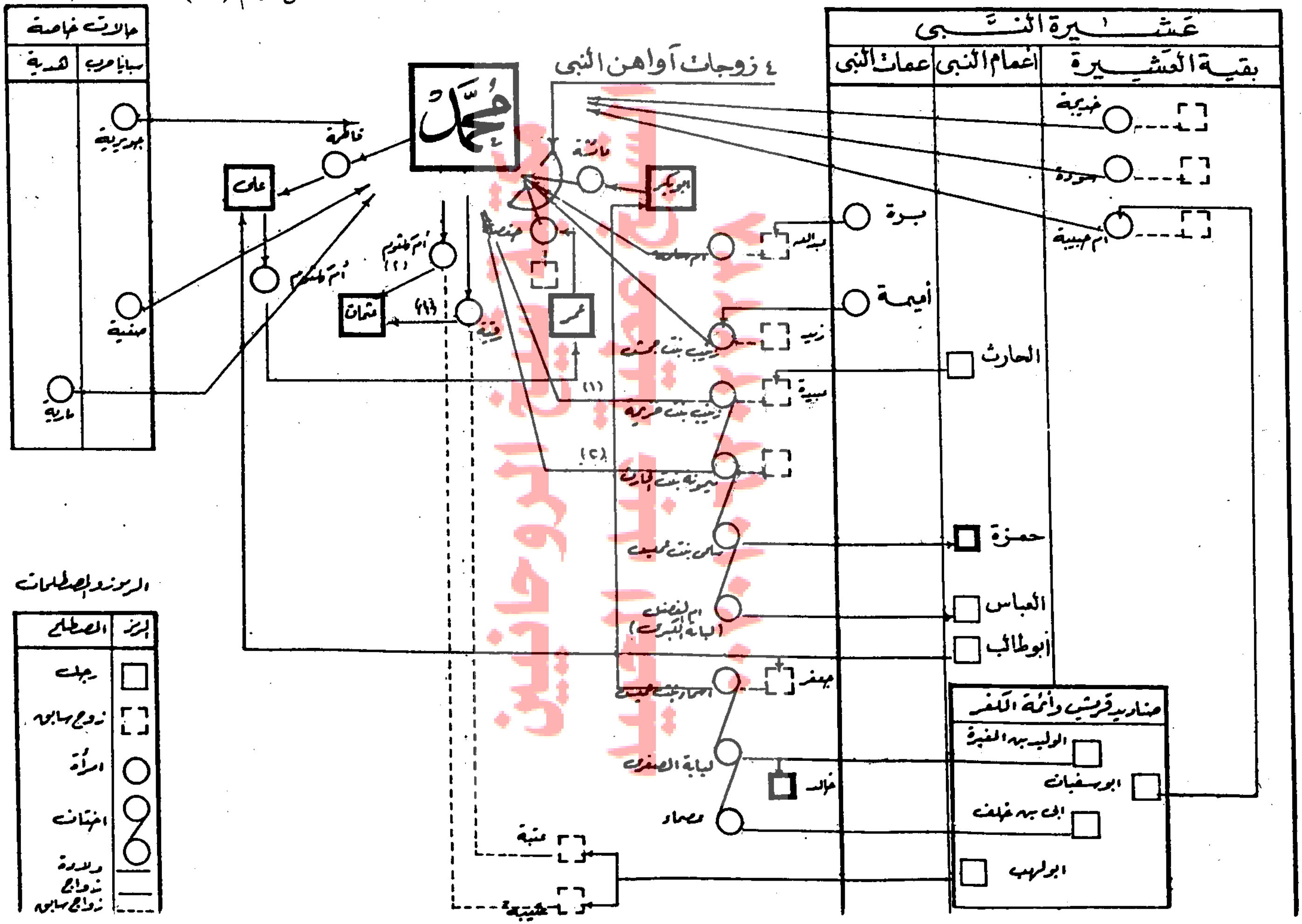
شكل رقم (٢)



المخطط الزمني لتعدد نساء
داود
مقياس الرسم
الزمن بالسنوات (المحور الأفقي) ٠٫٥ مم = سنة واحدة
عدد النساء (المحور الرأسي) ٠٫٥ مم = امرأة واحدة
داود ملك فى اورشليم على جميع بنى اسرائيل
داود ملك فى حبرون على يهوذا
ابيجايل
اخينوعم
مولد داود
٣٠ سنة
٦٩
فترة الازدياد ١٠ سنة
فترة التعدد
الترمت ٥٠ سنة
عاش داود ٧٠ سنة
المخطط الزمني لتعدد نساء
محمد
فترة التوقف
٣٠ سنة
فترة الازدياد
٥٫٩ سنة
الهجرة
بدء الوحي والنبوة
فترة ترمل
وفاة خديجة
زواج خديجة بمحمد
مولد خديجة
٢٥ سنة
فترة الزواج بخديجة
٦٥ سنة
٤٠ سنة
مولد محمد
حفصة
عائشة
سودة
فترة التعدد
٢٨٫٧
فترة الزوجة الواحدة
٢٥ سنة
عاش محمد ٦٣ سنة

شبكة العلاقات الزوجية والعائلية

شكل رقم (٣)



الازدياد حتى آخر سنى عمر داود ــ بأبيشج الشونمية ــ فبلغت ٤٠ سنة ، بينما بدأ محمد فترة الازدياد بعائشة قرب نهاية العام الهجرى الأول ، وانتهى بيمونة بنت الحارث فى عمرة القضاء قرب نهاية العام الهجرى السابع ، فبلغت فترة الازدياد أقل من ٦ سنوات •

ــ توقف محمد بعد ذلك عن الزواج حتى نهاية حياته ، وكانت فترة التوقف هذه نحو ٣٫٥ من السنوات ، بينما لا يعرف لدواد فترة توقف حيث استمر الازدياد حتى نهاية حياته •

ــ أمضى محمد أكثر من ٢٨ سنة من حياته صاحب زوجة واحدة ، فقضى ٢٥ سنة مع خديجة ، أعقبتها فترة ترمل ، ثم نحو ٣ سنوات مع سودة الى أن جاءت عائشة •

ــ توفيت خديجة وعمرها ٦٥ سنة ، وكان عمر محمد صلى الله عليه وسلم ٥٠ عاما ، فقضى معها كل شبابه الى أن دخل شيخوخته •

*

هذا ، وترينا شبكة العلاقات الزوجية والعائلية ــ شكل (٣) ــ الصلات التى قامت بين رسول الله وأصحابه ، الأحياء منهم والشهداء ، وهم الذين كان لهم الدور البارز فى نشر الاسلام •

فهذه الصلات الزوجية ربطت أسماء لها بريقها الاسلامى مثل : أبى بكر وعمر وعثمان وعلى ، وهؤلاء جاهدوا أعظم الجهاد فى سبيل الاسلام بأموالهم وأنفسهم ، ثم كانوا فيما بعد الخلفاء الراشدين الذين أعلنوا « لا اله الا الله » للناس من المحيط الأطلسى غربا الى حدود الصين شرقا •

فلقد تزوج النبى ﷺ عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر •

وتزوج على فاطمة بنت محمد ﷺ •

ثم هناك سبع نســاء أخوات هن زينب بنت خزيمة ، وميمونة بنت الحارث ، وسلمى بنت عميس ، وأم الفضــل (لبــابة الكبرى بنت الحارث) ، وأســماء بنت عميس ، ولبــابة الصغرى بنت الحارث ، ثم عصماء بنت الحارث • وهؤلاء النســوة أمهن جميعا هى هنــد بنت عوف بن زهير ، ولدتهن من آباء مختلفين ، ثم كانت بهن صــهرا الى ســادة قريش وكبرائها •

ولقــد تزوج النبى منهن أختين : الأولى ، زينب بنت خزيمــة (أم المســاكين) التى بقيت معــه بضــعة شــهور ، ثم توفاها الله • وكانت أرمــلة لعبيــدة بن الحــارث شــهيد بدر ، وابن الحــارث عم النبى •

وأما الثانية ، فكانت ميمونة بنت الحارث ، أرملة فى الســادسة والعشرين من عمرها ، وهبت نفسها للنبى ، وكانت آخر زوجاته •

ولقد كانت أختهما الثالثة سلمى بنت عميس زوجــة لحمزة عم النبى ، بطل غزوة بدر الكبرى ، وأســد الله يوم أحــد ، ثم شــهيد أحــد •

وكانت أختهما الرابعة أم الفضل زوجة للعباس عم النبى •

وكانت أختهما الخامســة أســماء بنت عميس زوجــة لجعفر بن أبى طالب ، ابن عم النبى ، وشــهيد غزوة مؤتــة • وقــد تزوجهــا أبو بكر فيما بعــد •

وكانت أختهما الســادسة لبابة الصغرى زوجة للوليد بن المغيرة الذى كان من أئمة الكفر ، والمحاربين للاســلام • وقد أنجبا خالد بن الوليد ، سيف الله المســلول الذى لم يهزم فى معركة قط ســواء فى جاهليته ، أو بعــد اســلامه ، وكان بطل الفتوحات الاسلامية فى عهد الخلفاء الراشــدين •

ثم كانت أختهما السابعة عصماء زوجة لأبى بن خلف ، واحدا من أئمة الكفر الذين آذوا النبى صلى الله عليه وسلم كثيرا ، واستمر يحاربه حتى قتل فى أعقاب أحـد .

ولقد تزوج النبى صلى الله عليه وسلم أم سلمة ، أرملة عبد الله ابن عبد الأسد صاحب الهجرتين ، وقد شهد بدرا وأحدا وكان ابن برة عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

كذلك تزوج النبى صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ابنة أميمة عمة النبى صلى الله عليه وسلم .

وكان أبو لهب عم النبى صلى الله عليه وسلم قد زوج ابنه عتبة من رقية بنت النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أن أخاه عتيبة تزوج أختها أم كلثوم . فلما قام النبى صلى الله عليـه وسلم يدعـو النـاس الى الاسلام ، حاربه عمه أبو لهب حربا شرسـة دفاعا عن أصنامه ودين آبائه ، وأمر ابنيه بمفارقة ابنتى النبى صلى الله عليه وسلم .

فتزوج عثمان رقيـة بمكة ، وهاجرت معه الى الحبشة ، ثم عادا حث توفيت فى شـهر رمضـان ، على رأس تسـعة عشر شـهرا من الهجرة .

بعد ذلك تزوج عثمان أختها أم كلثوم ، ودخـل بها فى جمـادى الآخرة من السنة الثالثـة من الهجرة ، وعاشت معه الى أن توفيت فى شعبان من السـنة التاسعة من الهجرة .

وتزوج عمر بن الخطـاب أم كلثوم بنت على بن أبى طالب ...

وهكذا نجـد أن الصلات الزوجية والعائلية بين النبى صلى الله عليه وسلم وكل من أصحابه وأعدائه ، كانت تمثل شبكة كبيرة متداخلة ، ذات أثر خطير فى النضال من أجل الدعوة الى الاسلام .

* *

خصوصية التشريع

ان خصوصية التشريع مبدأ مقرر فى التشريعات الدينيــة ، كمـا تؤكده الدراســة المقارنة لهذه التشريعات • وما يعنينا فى هذا المقام هو اعطاء بعض الأمثلة التى تؤكد هذا المبدأ •

● **من شريعة موسى :**

« قال الرب لموسى : كلم **الكهنة** بنى هارون وقل لهم :

١ ـ لا يتنجس أحـد منكم لميت فى قومه ، الا لأقربائه الأقرب اليـه : أمه وأبيه وابنته وأخته • وأخته العذراء القريبة اليه التى لم تصر لرجل ، لأجلها يتنجس • كزوج لا يتنجس بأهله لتدنيسه ••

٢ ـ امرأة زانية ، أو مدنسة لا يأخذوا ، ولا يأخـذوا امرأة مطلقة من زوجها ، لأنه مقدس لالهه ••

٣ ـ واذا تدنست ابنـة كاهـن بالزنا فقـد دنست أباهـا • **بالنار تحرق** •

٤ ـ والكاهن الأعظم بين اخوته ، الذى صب على رأسـه دهن المسحة •• لا يأتى الى نفس ميتة **ولا يتنجس لأبيه أو أمه** ••

٥ ـ **هذا يأخذ عذراء** ، أما الأرملة والمطلقة والمدنسة والزانية ، فمن هؤلاء لا يأخذ ، بل يتخـذ عـذراء من قومـه امرأة ـ سـفر اللاويين ٢١ : ١ ـ ١٥ » •

تقرر شريعة موسى أن « **من مس ميتة انسان ما يكون نجسا سبعة أيام** •• كل من مس ميتا ميتة انسان قد مات ، ولم يتطهر ، ينجس مسكن الرب • **فتقطع تلك النفس من اسرائيل** ••

هذه هى الشريعة • اذا مات انسـان فى خيمـة ، **فكل من دخل الخيمة وكل من كان فى الخيمة يكون نجسا سبعة أيام** •

وكل اناء مفتوح ليس عليه سداد بعصابة فانه نجس (!)

وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف ، أو ميتا ، أو عظم انسان ، أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام ـ سفر العدد ١٩ : ١١ ـ ١٦ » •

فشريعة موسى صارمة فى أشـياء كثيرة ، ومنها اعتبار من مس انسانا ميتا يكون نجسـا ، عليه التطهير والا فعقوبته الموت قتلا •

فمن الفقرات السابقة نجد أنه :

اذا مس الاسرائيلى العادى ـ من غير الكهنة ـ ميتا ، فانه يتطهر ولا شيء عليـه بعد ذلك • أما الكاهن فغير مسموح له بمس الميت الا لأقربائه الأقرب (الفقرة رقم ١) •

وأما الكاهن الأعظم ـ أو رئيس الكهنة ـ فمحرم عليـه مس ميت ولو كان أباه أو أمه (الفقرة رقم ٤) •

واذا كانت الفقرة رقم (٢) لم تورد الأرملة من بين أصناف النساء اللاتى يحرم على الكاهن الزواج بهن ، ومن ثم فيسمح له أن يتزوج الأرملة ، فان الفقرة رقم (٤) قد حرمت على الكاهن الأعظم أن يفعل ذلك ، وقصرت زواجه على العذراء فقط •

كذلك تجعل شريعة موسى القتل عقوبة للزنا (سـفر اللاويين ـ الاصحاح ٢٠) ، وتشتد العقوبة لتصـير احراقا بالنار : « اذا اتخذ رجل امرأة وأمها ، فذلك رذيلة • بالنار يحرقونه واياهما ، لكى لا يكون رذيلة بينكم ـ سـفر اللاوين ٢٠ : ١٤ » •

أما فى حالة زنا **ابنة الكاهن** فعقوبتها مشـددة ، وهى الاحراق بالنار ، وليس القتل (الفقرة رقم ٣) •

مما سـبق يتبين أنه رغم أن القضية أو الجريمة واحدة ، الا أن التشريع أو العقوبة تختلف بالنسبة للأفراد المتميزين •

**

● فى المسيحية :

منذ بدأ المسيح دعوته فى بنى اسرائيل وهو حريص على تأكيد التزامه بناموس موسى وتعاليم النبيين من بعده • فلقد أعلن ذلك فى مستهلها ، فى موعظة الجبل (متى ٥ : ١٧ ـ ١٩) ، كما ألزم تابعيه والمؤمنين به فى آخر لقاء جماهيرى له ، بتنفيذ كل ما يقوله الكتبة والفريسيون باعتبارهم القائمين على أمر شريعة موسى (متى ٢٣ : ١ ـ ٣) •

وبعد سنوات من رحيل المسيح ، **ظهر بولس اليهودى فجأة بين التلاميذ** . ولما جاء الى أورشليم « حاول أن يلتصق بالتلاميذ • وكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ • فأخذه **برنابا** وأحضره الى الرسل ـ أعمال الرسل ٩ : ٢٦ ـ ٢٧ » •

ثم استطاع أن يجعل نفسه رسول المسيحية الأكبر ومشرعها ، فأفتى بآرائه الشخصية فى الكثير من القضايا التى لا تزال تثير جدلا حتى الآن • وقد اعترف بذلك صراحة فى رسائله ، كما اعترف **بأنه يظن ان عنده روح الله** ـ فقال :

« أما الباقون **فأقول لهم أنا ، لا الرب** : ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترضى أن تسكن معه فلا يتركها ••

أما العذارى **فليس عندى أمر من الرب** فيهن ، **ولكنى أعطى رأيا** ـ (١) كورنثوس ٧ : ١٢ ، ٢٥ » •

« لست أقول هذا على سبيل الأمر بل باجتهاد آخرين ••• **أعطى رأيا فى هذا أيضا** ، لأن هذا ينفعكم ـ(٢) كورنثوس ٨:٨،١٠» •

« **وأظن أنى أنا أيضا عندى روح الله** ـ (١) كورنثوس ٧ : ٤ » •

ثم كان من تشريع بولس أن أحل لنفسه كل الأشياء ، فقال :
« **كل الأشياء تحل لى** ، لكن ليس كل الأشياء توافق •
كل الأشياء تحل لى ، لكن لا يتسلط على شىء ••

كل الأشياء تحل لى ، لكن ليس كل الأشـياء توافق •

كل الأشياء تحل لى ، ولكن ليـس كل الأشـياء تبنى ـ (١) كورنثوس ٦ : ١٢ ، ١٠ : ٢٣ » • •

ان شريعة موسى ، بل وكل الشرائع ، تعلم متبعيها أن هناك : حلالا وحراما ، وهناك طاهرا ونجسا ، وعلى كل مؤمن بها أن يعرف هـذا وذاك : « للتمييز بين المقدس والمحلل ، وبين النجس والطاهر • ولتعليم بنى اسرائيل جميع الفرائض التى كلمهم الرب بها ، بيد موسى ـ سفر اللاويين ١٠ : ١٠ ـ ١١» •

ولقد كان من نتاج قول بولس فى تحليـل كل الأشـياء له ، أن اندفع أهـل كورنثوس فى طريق الزنا الفاحش وارتكاب الموبقات • وفى هـذا يقول المفسرون ، على استحياء ، تعليقـا على تشريع بولس فى تحليـل كل شىء له : « **ربما كان هذا القول من أقوال بولس أخـذه بعض اهل قورنتس فتوسعوا فى تفسـيره ، حتى وصلوا الى حـد الاباحيـة** »(١) •

على أن ما يعنينا الآن ، هو تأكيـد مبدأ خصـوصية التشريع فى المسيحية • فلقد أحل بولس كل الأشياء لنفسـه ، وان بقى بعضـها محرما على غيره •

* *

● **فى الاسـلام :**

١ ـ حذر الله نبيه من الركون الى فتنة الكفار ، فقد يعرضون عليـه عروضا فيها مكر ومداهنة ، كاقتراح حل وسـط ـ بزعمهم ـ بين الشرك والتوحيد ، وأشباه ذلك من أحابيل الشيطان التى لا تنتهى • فقـد « اعترض رسـول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة الأسـود بن المطلب بن أسـد بن عبد العزى ، والوليد بن المغيرة ،

---

(١) العهد الجديد ـ منشورات دار المشرق ـ بيروت .

وأمية بن خلف ، والعاص بن وائل السهمى ، وكانوا ذوى أسنان فى قومهم ، فقالوا : يا محمد ، هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، فنشترك نحن وأنت فى الأمر . فان كان الذى تعبد خيرا مما نعبد ، كنا قد أخذنا بحظنا منه . وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد ، كنت قد أخذت بحظك منه . فأنزل الله تعالى فيهم :

﴿ قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما أعبد . لكم دينكم ولى دين ﴾ (سورة الكافرون)(١) .

ولقد عرف الله نبيه حقيقة أمرهم ، فقال : **﴿ فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾** (القلم : ٨ – ٩) .

وكان أمر الله اليه صريحا أن يبلغ الرسالة ويجابه المشركين دون تردد ، فقال سبحانه :

﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ (المائدة : ٦٧) .

﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ (الحجر : ٩٤) .

فاذا فتن المشركون الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ، كان عذابه مضاعفا :

﴿ اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٥) .

الحق أن هذه الآيات لجديرة بالتدبر من جانب المكذبين ، فوجودها فى القرآن بهذه الصيغة ، آية حق وصدق : القرآن حق ، والرسول صلى الله عليه وسلم صادق .

ان الفتنة والاختبار قاعدة عامة يتعرض لها كل الناس ، وعلى

---

(١) تهذيب سيرة ابن هشام – ص ٧٨

رأسهم الأنبياء : يفتنون فى أنفسهم ويفتنــون فى عالمهم المحيط بهم من كل جانب •

وها هو المســيح قد تعرض للفتنــة من الشيطان ، لكنه استعصم بما حفظه من التوراة ، وبما علمه الله ، فمرت التجربة بسلام •

« **أصعد يسوع الى البرية ليجرب من ابليس** • فبعــد ما صــام أربعين نهارا وأربعين ليــلة ، جــاع أخيرا • فتقــدم اليــه المجــرب وقال له : ان كنت ابن الله فقل أن تصير هــذه الحجارة خبزا • فأجاب وقال : **مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل كلمــة تخرج من فم الله** •

(وهذا المكتوب جاء فى سفر التثنية ٨ : ٣) •

ثم أخذه ابليس الى المدينة المقدسة وأوقفه على جنــاح الهيكل ، وقال له : **ان كنت ابن الله فاطرح نفســك الى أسفل • لأنه مكتوب انه يوصى ملائكته بك** ، فعــلى أيديهم يحملونك لكى تصــدم بحجر رجلك •

قال له يسوع : **مكتوب أيضا ، لا تجرب الرب الهك** •

(والمكتوب الذى أشار اليه ابليس جاء فى المزمور ٩١ : ١١ ــ ١٢. أما المكتوب الذى أشار اليه المسيح فقد جاء فى سفر التثنية ٦ : ١٦) •

ثم أخذه أيضا ابليس الى جبل عال جدا ، وأراه جميع ممالك العالم ومجدها • وقال له : أعطيك هذه جميعها ان خررت وسجدت لى •

حينئذ قال له يسوع : اذهب يا شيطان • **لأنه مكتوب : للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد** •

(وهذا المكتوب جاء فى سفر التثنية ٦ : ١٣ ، ١٠ : ٢٠ ــ سفر يشوع ٢٤ : ١٤ ــ وسفر صموئيل الأول ٧ : ٣) •

« ثم تركه ابليس ــ انجيل متى ٤ : ١ ــ ١١ » •

« ولما أكمل ابليس كل تجربة ، **فارقه الى حين** ـ انجيل لوقا ٤ : ١٣ » •

٢ ـ أنذر الله زوجات النبى صلى الله عليه وسلم بمضاعفة العذاب عقابا لما قد يقع منهن من خطايا كبرى وفواحش ، فهن لسن مثل باقى النساء من هذا الجانب • انهن زوجات نبى يأتيه وحى الله وصاحب رسالة كبرى للناس أجمعين ، فليعرفن موقعهن جيدا ، وليترفعن عن كل صغار يتدنى اليه غيرهن من النساء ، فقال سبحانه :

﴿ يا نساء النبى من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ، وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ (الأحزاب : ٣٠) •

واقتضى عدل الله ورحمته أن يكون ثوابهن مضاعفا حين يستقمن على أمر الله وشرعه ، فقال سبحانه :

﴿ ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما ﴾ (الأحزاب : ٣١) •

٣ ـ حرم الله على نبيه التزوج بغير من كن معه ، وقد توقف صلى الله عليه وسلم عن أخذ زوجات أخريات منذ نزول هذا الأمر الالهى حتى نهاية حياته ، ولمدة أكثر من ثلاث سنوات ، فقال سبحانه :

﴿ لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج ولو اعجبك حسنهن الا ما ملكت يمينك ، وكان الله على كل شىء رقيبا ﴾ (الأحزاب : ٥٢)

٤ ـ نزلت بعد ذلك آية تحديد الزوجات بما لا يتعدى أربعا ، مع تفضيل الاكتفاء بزوجة واحدة مخافة عدم العدل بينهن :

﴿ وان خفتم الا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم الا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت ايمانكم ، ذلك ادنى الا تعولوا ﴾ (النساء : ٣) •

« وقد كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع نسوة ، فعرض عليهن المفارقة مع المتاع لمعاشهن ، فلم تقبل أيتهن أن تدع المفخرة أن تكون أم المؤمنين ، فأبقاهن كلهن برخصة من الله حبالة نكاحة بشرط ألا يطأ الا الأربع منهن ، فقبلن الشرط »[1] وقد كان ذلك اكراما لهن ، قرت به أعينهن ، وذلك استقامة مع قول الله سبحانه الى نبيه :

﴿ ترجى من تشاء منهن وتؤى اليك من تشاء ، ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ، ذلك ادنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن ، والله يعلم ما فى قلوبكم ، وكان الله عليما حليما ﴾
(الأحزاب : ٥١)

ويقول **القرطبى** فى تفسير هذه الآية : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد هم بطلاق بعض نسائه ، فقلن له : اقسم لنا ما شئت . فكان ممن آوى عائشة ، وحفصة ، وأم سلمة ، وزينب ، فكان قسمتهن من نفسه وماله سواء بينهن . وكان ممن أرجى : سودة ، وجويرية ، وأم حبيبة ، وميمونة ، وصفية » .

هذا — ولما كانت شريعة موسى تحرم على الكاهن — كما رأينا — أن يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولما كان داود نبيا حل عليه « روح الرب » منذ مسحه صموئيل ، وكان يقول فى وحيه : « روح الرب تكلم بى ، وكلمته على لسانى » ، فهو اذن أكبر من كاهن ، بل انه الذى يعين الكاهن الأكبر أو يعفيه ، ومن ثم تفرض عليه شريعة موسى ألا يأخذ « زانية أو مدنسة » . ولما كان ابنه أبشالوم قد زنى بسرارى أبيه العشر اللاتى أبقاهن أبوه لحفظ البيت ابان ثورة ابنه ضده ، فقد وجب على داود أن يفارقهن فورا ويقطع صلته بهن ، وفقا لشريعة موسى .

لكن ما فعله داود هو أن أبقاهن فى بيته « وكان يعولهن ولكن

---

(1) سيرة ابن هشام ص ٢٤٩ (تعليق المحقق محمد حميد الله) .

لم يدخل اليهن » ، وذلك اكراما لهن حتى لا يتعرضن لمهانات أخرى ، أو يقعن تحت رجل آخر بعد أن كن تحت داود مسيح الرب .

*

ان خصوصية التشريع ــ اذن ــ تفتح بصيرة الناس لتفهم ما كان من أمر النبى صلى الله عليه وسلم ونسائه ، فتسمو بتفكيرهم بعيدا عن التدنى وسوء الظن ، وتنقذهم بذلك من عقاب الهى دونه عقاب مريم وهارون حين عابا على موسى تعدد زوجاته باتخاذه امرأة كوشية .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أبقى النبى صلى الله عليه وسلم نساءه فى بيته دون تسريح ، اكراما لهن ، وقد رفعت أقدارهن بعد أن صرن « أمهات المؤمنين » ، ومن ثم حرم الله الزواج بهن من بعده ، فقال سبحانه : ﴿ **النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجه أمهاتهم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين الا أن تفعلوا الى أوليائكم معروفا ، كان ذلك فى الكتاب مسطورا** ﴾ (الأحزاب : ٦)

﴿ **وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا ، أن ذلكم كان عند الله عظيما** ﴾ (الأحزاب : ٥٣) .

وبمقتضى خصوصية التشريع ، فرض على النبى صلى الله عليه وسلم قيام الليل الا قليلا ، وذلك منذ أوائل نزول الوحى بالقرآن ، وقبل أن تفرض الصلاة على أمته ، فكان أمر الله اليه : ﴿ **يا أيها المزمل . قم الليل الا قليلا . نصفه أو انقص منه قليلا . أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا . انا سنلقى عليك قولا ثقيلا** ﴾ (المزمل : ١ ــ ٥) .

وكذلك فرض على النبى صلى الله عليه وسلم التهجد بالليل ، فيقوم للصلاة بعد نوم : ﴿ **ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا** ﴾ (الاسراء : ٧٩) .

وذكر ابن كثير فى معنى قوله تعالى : ﴿ **نافلة لك** ﴾ :

« أنك مخصوص بوجوب ذلك وحدك ، فجعلوا قيام الليل واجبا فى حقه دون الأمة » •

وبمقتضى خصوصية التشريع ، كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم صوم الوصال ، أى يصل يوما بيوم آخر أو أكثر دون أن يفطر ، لكنه نهى المسلمين عن ذلك • يقول ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : ﴿ **وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثم أتموا الصيام الى الليل** ﴾ (البقرة : ١٨٧) :

« عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **لا تواصلوا** • **قالوا** : يا رسول الله ، انك تواصل • قال : « فانى لست مثلكم ، انى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى » •

وعن عائشة رضى الله عنها ، قالت : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال رحمة لهم ، فقالوا : انك تواصل • قال : « انى لست كهيئتكم ، انى يطعمنى ربى ويسقينى » •

فقد ثبت النهى عنه من غير وجه ، وثبت أنه من خصائص النبى صلى الله عليه وسلم » •

وبمقتضى خصوصية التشريع ، أن النبى صلى الله عليه وسلم لا يورث ، وذلك خلافا لما عليه حال بقية المسلمين الذين حدد الله لكل منهم نصيبا مفروضا • فقد قال أبو بكر : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : انا لا نورث ، ما تركناه صدقة » •

وعن أبى هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تقسم ورثتى دينارا ولا درهما • ما تركت بعد نفقة نسائى ومؤنة عاملى فانه صدقة »(١) •

*

(١) نهاية الأرب ص ٣٩٦

مما سبق يتبين أن ابقاء النبى صلى الله عليه وسلم على زوجاته دون مفارقة لمن زدن عن أربع ، انما يتفق وخصوصية التشريع ، ويقدم أفضل مواءمة بين تشريع القصر على أربع نساء آواهن اليه هن : عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب بنت جحش ، وبين الابقاء على الأخريات بمقتضى خصوصية التشريع المعمول بها فى الشرائع السابقة ، والتى يلاحظ **أنها جاءت فى الاسلام لتلقى على النبى صلى الله عليه وسلم أعباء واجهادات شتى ، فكانت بحساب الدنيويات مغرما ، لا مغنما ، وكانت مشقات ومسئوليات .**

* *

● هؤلاء المراؤون ...

لقد رأينا أن تعدد زوجات محمد صلى الله عليه وسلم ليس بدعا فى سلوك الأنبياء ورجال الوحى الالهى . ولم تكن واحدة منهن دافع نزوة طارئة ، أو شهوة جامحة كتلك التى أصابت داود حين رأى بثشبع عارية وهى تستحم ، ففقد السيطرة على نفسه تماما (كما ورد فى كتابهم المقدس) . ولقد كانت عنده الفرصة كاملة أن يضبط نفسه خلال الفترة الزمنية التى استغرقتها عملية ارسال رجاله لاحضارها اليه ، بعد أن تنتهى من غسلها ، وترتدى ملابسها ، وتهبط من سطح منزلها ... الخ . ان أقل من تلك الفترة كاف لاعادة التوازن النفسى الى رجال أقل من داود كثيرا فى مقام القربية من الله ، رجال يقول فيهم القرآن الكريم :

« اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون »
(الأعراف : ٢٠١)

ولقد أجمعت الروايات المتناقضة التى تحدثت عن قصة زواج النبى صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش ، على أنه أصر على أن يبقيها زيد فى عصمته ولا يطلقها . فماذا يريد الخائضون فى هذا الحديث من النبى صلى الله عليه وسلم أن يفعل أكثر من هذا ! ولكن ما الحيلة فى القلوب المريضة ! انها قلوب ليس لها من شفاء الا يوم الحسرة ...

ان تاريخ الأنبياء حافل بتلك المواقف وأشباهها • فمن قبل كان يحيى معتزلاً الناس ، عازفا عن الدنيا ، شديدا على نفسه ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل • ولما كان المسيح يخالط الناس ويتناول من صنوف الطعام والشراب ما يشبع شهواته ، فلم يعجب ذلك بنى اسرائيل أيضا • فقد قال لتلاميذه « **شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم .. ثم تناول كأسا (من الخمر) وشكر** وقال خذوا هذه واقتسموها بينكم ـ لوقا ٢٢ : ١٤ ـ ١٦ » ، وفى هذا يقول الانجيل على لسان المسيح : « جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب ، فيقولون به شيطان • جاء ابن الانسان (المسيح) يأكل ويشرب ، فيقولون هو ذا انسان أكول وشريب خمر ـ متى ١١ : ١٨ ـ ١٩» •

ويقول **جون فنتون** فى تعليقه على هذه الفقرة : « لقد دعا كل من يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) والمسيح الى التوبة ، لكن اليهود لم يستجيبوا لهما • فاليهود يشبهون أولادا سيئى المزاج مثيرين للخصام ، لا يعجبهم شيء • لقد عاش يوحنا بينهم ناسكا متقشفا فقالوا به شيطان ، ولما لم يكن المسيح متقشفا فقد قالوا انه ماجن ملحد »[1] •

*

وكما أنه : **لا حياء فى العلم** ، حيث يتعلم الدارسون تكوين الأعضاء الجنسية وتشريحها ووظائفها ، كذلك : **لا حياء فى الدين** ، حيث توجد تعاليم وآداب : يجب على المؤمن اتباعها حين يمارس الجنس ممارسة شرعية ، فتتحقق بذلك الاستفادة الكاملة من حكمة خلق « **الزوجين : الذكر والأنثى** » ، ويرتقى الانسان بغريزته هذه حين يمارسها تحت ضوابط وقيم ، فلا يغفل خلال لحظاتها عن أداء ما عليه من واجبات • لا حرج ـ اذن ـ أن نذكر تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم فى هذا الجانب الخطير من حياة البشر ، والذى تكون ثمرته

---

(١) J. Fenton : Saint Matthew, p. 180.

مولد انسـان ••• الانسان أعظم اختراع ، الذى كرمه الله بالخلافة ، وسخر له كل ما فى الكون ، اذ يقول **الحق** فى قرآنه : ﴿ **وسـخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منـه ، ان فى ذلك لآيات لقـوم يتفكرون** ﴾ (الجاثية : ١٣) •

يقول **أبو حامد الغزالى** فيما استخلصه من تعاليم النبى صلى الله عليه وسلم فى **آداب الجماع** : « يستحب أن يبدأ باسم الله تعـالى ، ويقرأ : **قل هو الله أحد** ـ أولا ، ويكبر (يقـول : الله أكبر) ويهلل (يقول : لا اله الا الله) ، ويقول : بسم الله العلى العظيم ، اللهم اجعلها ذرية طيبة ان كنت قدرت أن تخرج ذلك من صلبى ••

واذا قربت من الانزال ، فقل فى نفسك ولا تحرك شفتيك : الحمد لله ﴿ **الذى خلق من المـاء بشرا فجعله نسبا وصهرا ، وكان ربك قديرا** ﴾ (الفرقان : ٥٤)

وليغط نفســه وأهله بثوب • كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغطى رأســه ويغض صوته •• وفى الخبر (حديث ابن ماجه) : (اذا جامع أحدكم أهله ، فلا يتجردان تجرد العيرين) أى الحمارين • ثم اذا قضى وطره فليتمهل على أهله حتى تقضى هى أيضا نهمتها •• ثم القعود عنها ايذاء لها •• فانها ربما تستحى »(١) •

والعدل بين النســاء واجب مفروض ، فقـد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان له امرأتان فمال الى احداهما دون الأخرى ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل »(٢) •

❋

ان الغذاء ضرورة للابقاء على حيـاة الانســان ، لكن ممارسـة الجنس ضرورة للابقاء على نوع الانســان واستمرار بقائه على وجـه

---

(١) احياء علوم الدين ـ الجزء الرابع ص ٧٣٣
(٢) المرجع الســابق ص ٧٣٠

الأرض . ومن هنا كانت ممارسة الجنس وفق شريعة الله ـ بالزواج ـ بناء حياة ، وضرورة جسد ، وسكن نفس ، ومن ثم كانت نعمة تفضل الله بها على عباده ، فأعطى كل زوج زوجه المقابل . فحين استسلم داود لشهوته أمام تلك المرأة العارية وزنى بها ثم تآمر على زوجها فقتله بمكيدة في الحرب (حسب رواية كتابهم المقدس) جاءه التبكيت من النبي ناثان يذكره بما أعطاه الله من أنعم ، فيقول له « هكذا قال الرب له اسرائيل : أنا مسحتك ملكا على اسرائيل (**نعمة أولى**) ... وأنقذتك من يد شاول (**نعمة ثانية**) .. وأعطيتك بيت سيدك (**نعمة ثالثة**) ... **ونساء سيدك في حضنك** (**نعمة رابعة**) ...

لماذا احتقرت كلام الرب لتعمل الشر في عينيه ، قد قتلت أوريا الحثي بالسيف ، وأخذت امرأته لك امرأة ... ـ صموئيل الثاني ١٢ : ٧ ـ ٩ » .

ان ممارسة الجنس شرعا ـ بالزواج أو التسري ـ هي بمقتضى نصوص **الكتاب المقدس** نعمة تستوجب شكر الله . فما بال أقوام من المنافقين ، همزة لمزة ، جعلوا من تعدد نساء محمد صلى الله عليه وسلم أحاديثهم الصاخبة ، ومزاميرهم البالية ، ينعقون بها صباح مساء ، عبر القرون ! آن لهم أن يرجعوا الى **الكتاب** يقرأون فيه تبكيت المسيح لهم ولأمثالهم :

« لا تدينوا لكي لا تدانوا . لأنكم بالدينونة التي بها تدينون ، تدانون . وبالكيل الذي به تكيلون ، يكال لكم .

ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك ، وأما الخشبة التي في عينك فلا تفطن لها . أم كيف تقول لأخيك : دعني أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة في عينك .

يا مرائي ! أخرج أولا الخشبة من عينك ـ متى ٧ : ١ ـ ٥ » .

* * *

الباب الثانى

تعدد الزوجات

- تعدد الزوجات فى اليهودية .
- تعدد الزوجات فى المسيحية .
- حقيقـــة المقـــال .
- الواقع بين النظرية والتطبيق .
- تعدد الزوجات فى الاسلام .

تعــدد الزوجات فى اليهودية

ان تعــدد الزوجات جائز شرعا فى اليهودية ، ولم يرد فى أســفار العهد القديم تحديد لعدد النســاء اللاتى يسمح بالجمع بينهن . فهذه الأســفار تذكر تعــدد الزوجات كأمر مفروغ منه ، لكنها تنظم الأمور التى تترتب عليه : « اذا كان **لرجــل امرأتان** : احــداهما محبــوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهــة . فان كان الابن البكر للمكروهة ، فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له أن يقــدم ابن المحبــوبة بكرا على ابن المكروهــة البكر . بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجــد عنــده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية ــ تثنية ٢١ : ١٥ ــ ١٧ » .

ولقــد عــدد الأنبياء زوجاتهم قبــل التوراة ، كما فعل ابراهيم ويعقوب . كما عدد الأنبياء بعد التوراة ، كما فعل موسى وجــدعون وداود وسليمان ، وقد بينا ذلك سلفا بتفصيل ، وكما فعل غيرهم ، مثل ألقانة أبو صموئيل النبى ، الذى كان « له امرأتان : اسم الواحدة حنة (أم صموئيل) ، واسم الأخرى فننة ــ صموئيل الأول ١ : ٢ » .

وبمقتضى تعدد الزوجات نما الشعب الاسرائيلى وتكاثر ، ولقــد عرفنا فيما ســبق بعضا من أخبار قضاته الذين أقامهم الله لقيادته بعد يشوع وقبل تأسيس المملكة . فقد كان لجدعون ٧٠ ولدا ، ولابصان ٣٠ ابنا و ٣٠ ابنة ، ولعبدون ٤٠ ابنا و ٣٠ حفيدا « يركبون على سبعين جحشا ! ــ قضاة ١٢ : ١٤ » .

وكذلك يائير الجلعادى الذى « قضى لاسرائيل اثنتين وعشرين سنة . وكان له ثلاثون ولــدا يركبــون على ثلاثين جحشــا ! ــ قضاة ١٠ : ٣ ــ ٤ » .

ان **الكتاب المقدس** يبدأ فى صــفحاته الأولى بالحــديث عن خلق

العالم ، ثم خلق الانســان الأول آدم وزوجه ، ثم يحدد للبشر مهمتهم فى الحياة بتحقيق واجبين :

الأول : التناسل بكثرة لمــلء الأرض .

الثانى : التسلط على الأرض وما فيها .

وفى هذا يقول : « خلق الله الانســان .. ذكرا وأنثى خلقهم . وباركهم الله وقال لهم : **اثمروا ، واكثروا ، واملأوا الأرض ، واخضعوها** وتسلطوا على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ــ تكوين ١ : ٢٧ ــ ٢٨ » .

ومن هذا المنطلق ، وعملا على تكاثر الشعب الاسرائيلى صــاغ علماء بنى اسرائيل هذه المهمة فى قوانين ملزمة ، مثلما جاء فى كتــاب : **الأحكام العبرية**(١) .

يقول الكتاب الســابع ــ فى النكاح ــ المــادة ٣٩٣ :

« النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الانسانى فرض على كل يهودى . ومن تأخر عن أداء هذا الفرض وعاش عزبا بدون زواج **كان سببا فى غضب الله على بنى اسرائيل** » .

*

ان التناسل لا يتم الا بالزواج ، وليس بالخصى واعتزال النساء. كذلك التكــاثر لا يتم الا بالحض على الزواج واباحــة تعــدد الزوجات .

والتناسل والتكاثر كانا منذ البدء مشيئة الله وأمره للناس جميعا .

* * *

(١) تأليف المسيودى بغلى من علماء اللغــات القــديمة ــ نقله الى العربية محمد حافظ صبرى ، وقد علق عليه وجعل عنوانه : المقابلات والمناظرات .

تعـدد الزوجات فى المسيحية

أعلن المسيح فى مستهل دعوته الاطار العـام لتعاليمـه ، فقـال مخاطبا الجموع التى تبعته ووقفت تستمع اليه من بنى اسرائيل :

« **لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمـل** . فانى الحق أقول لكم : الى أن تزول السـماء والأرض ، لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل .

فمن نقض احـدى هذه الوصايا الصغرى وعلم النـاس هكذا ، يدعى أصغر فى ملكوت السـموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات ـ متى ٥ : ١٧ ـ ١٩ » .

وفى نهاية دعوته ، دعا المسيح تابعيه وكل بنى اسرائيل أن يتمسكوا بكل ما يأمرهم به الحفـاظ على شريعـة موسى من كتبـة وفريسيين . وفى هذا يقول الانجيل :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبـة والفريسيون **فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظـوه وافعلوه** . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ـ متى ٢٣ : ١ ـ ٣ » .

وبين بداية دعوة المسيح ونهايتها ، نجده فى كل حين مرتبطا تماما بناموس موسى ، حريصا عليـه ، داعيا الى الاستمساك به ، بدءا من **الوصايا** حتى أدق تفاصيل الشريعة اليهودية .

لقد تقدم اليه واحد قائلا : « أيها المعلم الصالح ، أى صـلاح أعمل لتكون لى الحياة الأبدية ؟

فقال له : لمـاذا تدعونى صالحا ! ليس أحـد صالحا الا واحد ، وهـو الله .

ولكن ان أردت أن تدخل الحياة ، فاحفظ الوصايا .

قال له : أية الوصايا ؟

فقال يسوع : لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . أكرم أباك وأمك ، وأحب قريبك كنفسك ــ متى ١٩ : ١٦ ــ ١٩ » .

وحين شفا أبرصا قال له : « اذهب أر نفسك للكاهن ، وقدم عن تطهيرك ما أمر به موسى شهادة لهم ــ مرقس ١ : ٤٤ » .

« وقال له واحد من الجمع : يا معلم ، قل لأخى أن يقاسمنى الميراث .

فقال له : يا انسان ، من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ! ــ لوقا ١٢ : ١٣ ــ ١٤ » .

من هذا ــ وغيره ــ يتبين أن المسيح لم يأت بشريعة جديدة ، وانما جاء ليحافظ على شريعة موسى وتعاليم النبيين من بعده ، ويدعو بنى اسرائيل الى السمو الأخلاقى والتخفيف من الماديات . فاذا كانت شريعة موسى تسمح بالقصاص ، وهذا حق وعدل ، فالأفضل منه ولا شك العفو والتسامح ... وهكذا .

*

لكنا نجد فى الأناجيل تشريعات تنسب للمسيح ، تناقض تشريعات موسى وتهدمها من أساسها .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، ويجعله حقا مقصورا على الزوج ، دون الزوجة . وفى هذا يقول :

« اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه لأنه وجد فيها عيب شيء ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته** ، ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر .

فان أبغضها الرجل الأخير ، **وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها**

واطلقها من بيتـه أو اذا مات الرجل الأخير الذى اتخذها له زوجـة ، لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجـة ـ تثنية ٢٤ : ١ ـ ٤ » .

فهذا انجيل مرقس ينسب للمسيح تعليما يقول فيه للفريسيين الذين حاولوا استدراجه والايقاع به :

« من طلق امرأته وتزوج بأخـرى يزنى عليها . وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزنى ـ ١٠ : ١١ ـ ١٢ » .

ولقد ورد هذا القول فى انجيل متى بصيغة مغايرة مع التكرار فى موضعين مختلفين : الأول ، فى موعظـة الجبـل ، فى ٥ : ٣١ ـ ٣٢ ، والثانى فى موضع الاستدراج من الفريسيين ، فى ١٩ : ٩

فهنا نجد الطلاق مسموحا به فى حالة واحدة ، هى حالة ارتكاب الزوجة ـ **وليس الزوج** ـ جريمة الزنا ، فقال فى الاصحاح رقم ٥ :
« ان من طلق امرأته **الا لعلة الزنا** ـ يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانى يزنى » .

ثم جـاء هـذا القول بصـيغة مغايرة فى الاصـحاح رقم ١٩ ، حيث سكت عن أن طلاق الرجل امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى ، واستبدل ذلك بالحديث عن الزوج الذى يطلق امرأته ويتزوج بأخرى ، فقال :

« ان من طلق امرأته **الا بسبب الزنا** وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بمطلقة يزنى » .

وقد اتفق لوقا (١٦ : ١٨) مع مرقس ومتى فى أشياء ، وخالفهما فى أشياء ... فهو قد اتفق مع مرقس فى أن : « كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى » .
واتفق مع متى فى أن « كل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى » ، خلافا لمرقس الذى لم يذكر شـيئا من هذا .

واتفق مع مرقس ، وخالفا كلاهما متى فى أنهما لم يجعلا حالة الزوجة الزانية استثناء يعطى لزوجها الحق فى الطلاق ، فلقد أبطلا الطلاق تماما .

❋

لقد اختلفت الأناجيل معا ، وأكثر من هذا ذلك الخلاف الحادث بين التراجم القديمة والتراجم الحديثة فى اللغات المختلفة .

ان الدراسة التفصيلية لهذا الموضوع تتطلب عمل جداول ، توضع فيها مختلف النصوص الواردة فى أناجيل مرقس ومتى ولوقا ، فى صورها المختلفة ، وفى تراجمها القديمة والحديثة ، ثم تقارن معا ، آخذين فى الاعتبار أقوال علماء المسيحية فيها ، وأن التراجم الحديثة جاءت لتصحح التراجم القديمة ، وترتقى بقراءاتها الى النص الأصلى المفقود الذى يحاول العلماء دائما بدراساتهم الوصول اليه .

وحتى نجنب القراء كثيرا من التفاصيل التى قد يرى البعض أنها لا تعنيه كثيرا ، لذا نكتفى باعطاء ملخص لأحاديث الطلاق التى وردت فى الأناجيل ، والعلاقة غير المباشرة لهذا الطلاق بموضوعنا الرئيسى وهو : **تعدد الزوجات فى المسيحية** ، على أساس مقارنة النصوص فى ثلاث تراجم مختلفة للأناجيل صدرت فى اللغة الواحدة ، ثم مقارنتها معا فى ثلاث لغات هى : العربية ، والانجليزية ، والفرنسية .

● من انجيل مرقس :

ونبدأ الآن بقول مرقس : « تقدم الفريسيون وسألوه : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته ؟ ليجربوه . فأجاب وقال لهم : بماذا أوصاكم موسى ؟ فقالوا : موسى أذن أن يكتب كتاب طلاق ، فتطلق . فأجاب يسوع وقال لهم : من أجل قساوة قلوبكم كتب لكم هذه الوصية . ولكن من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذ ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان .

ثم في البيت سأله تلاميذه أيضا عن ذلك • فقال لهم :

من طلق امرأته وتزوج بأخرى يزني عليها • وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني ـ مرقس ١٠ : ٢ ـ ١٢ » •

يقول **دنيس نينهام** في تفسيره لانجيل مرقس : « ان الفهم الكامل لهذه الفقرة يقتضي موازنتها مع خلفية عادات الزواج اليهودي أيام المسيح • فحسب هذه العادات نجد :

(أ) كان الزنا يعني دائما اتصالا جنسيا بين امرأة متزوجة ورجل آخر خلاف زوجها • فالمرأة تزني على زوجها ، لكن الرجل لا يزني على زوجته ، انما هو يزني فقط على رجل آخر متزوج ••

(ب) حسب الشريعة اليهودية ، فان المرأة لا تستطيع تطليق زوجها.
أما القانون الروماني فانه يختلف عن ذلك ، كما رأينا (حيث يسمح للزوجة بتطليق زوجها) •

وعلى كل حال ، فهناك قراءة أخرى مشهود بصحتها تماما ، قال بموجبها يسوع : (ان تركت امرأة زوجها وتزوجت بآخر ، فقد زنت) •••

وقد رأى بيركت في هذا اشارة (من يسوع) الى هيروديا (التي ذكرها مرقس في ٦ : ١٧ وما بعدها) ، والتي كانت قد تركت زوجها لكي تعيش مع انتيباس (أخيه) »[1] •

*

● **من انجيل متى :**

أما متى ، فانه يقول في موعظة الجبل ، على لسان المسيح ، حسب ترجمة دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط (بروتستانت) :
« قيل من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق • وأما أنا فأقول لكم :

---

(١) D. Nineham : Saint Mark, p . 266.

ان من طلق امرأته ، الا لعلة الزنا ، يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى — ٥ : ٣١ — ٣٢ » .

ويقول متى ، حسب ترجمة منشورات دار المشرق (كاثوليك) :

« .. أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته الا فى حالة الفحشاء ، **عرضها للزنا** . ومن تزوج مطلقة ، **فقد زنى »** .

ويتفق هذا مع ترجمة لوى سيجو الفرنسية ، أما الترجمة الفرنسية المسكونية فانها تقول « .. **يدفعها للزنا** » بدلا من « عرضها للزنا » .

ويقول **جون فنتون** فى تفسيره لانجيل متى : « لم يذكر استثناء لهذا الأمر فى مرقس ١٠ : ١١ ، أو فى لوقا ١٦ : ١٨ ، وانما فى متى فقط (هنا ، وفى ١٩ : ٩) سمح بالاستثناء فى حالة الفحشاء . وليس من الواضح ما اذا كانت الفحشاء تعنى زنا قبل الزواج (واكتشف فيما بعد) أو زنا بعد الزواج (وهذا أكثر احتمالا) .

وبالنسبة لعبارة الاستثناء التى أوردها متى ، فلنلاحظ ما جاء فى ١٦ : ١٩ ، ١٨ : ١٨ (كل ما تربطونه فى الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه فى الأرض يكون محلولا فى السماء) ، عن سلطة الربط والحل المعطاة للرسل ، أى سلطة تكييف القوانين وعمل الاستثناءات . **ويبدو أن السماح بالطلاق فى حالات معينة ، يعتبر مثالا على استخدام الكنيسة الأولى لتلك السلطة** . ولنلاحظ ما جاء فى الرسالة الأولى لأهل كورنثوس ٧ : ١٢ وما بعدها ، حيث يعطى بولس آراءه فى مسائل الزواج ، كما أنه يفرق بصراحة ووضوح بين رأيه وبين أمر الرب (فهو يقول : وأما الباقون ، فأقول لهم ، **أنا لا الرب ،** ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها .. وأما العذارى ، فليس عندى أمر من الرب فيهن ، **ولكننى أعطى رأيا**) .

على أن التمييز فى فقرات متى هذه (٥ : ٣٢ ، ١٩ : ٩) بين الأمر الأصلى للرب ، وبين تشريع الكنيسة ، **قد غلفه الغموض**»(١) •

❋

كذلك ، يقول متى فى مماحكة الفريسيين حول موضوع الطلاق :

« وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له : هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟

فأجاب وقال لهم : أما قرأتم أن الذى خلق من البدء ، خلقهما ذكرا وأنثى • وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ، ويكون الاثنان جسدا واحدا • اذا ليسا بعد اثنين بل جسد واحد • فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان •

قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق ، فتطلق •

قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا

فهذه العبارة قد حذفت من التراجم

وأقول لكم : ان مطلق امرأته الا بسبب الزنا وتزوج بأخرى ، يزنى • والذى يتزوج بمطلقة يزنى •

قال له تلاميذه : ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج •

فقال لهم : **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** ، بل الذين أعطى لهم • لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم • ويوجد خصيان خصاهم الناس • ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات •

من استطاع أن يقبل فليقبل ـ متى ١٩ : ٣ ـ ١٢ » •

---

(١) J. Fenton : Saint Matthew, p. 90 .

أما بقية التراجم الأخرى ، فانها تسقط تعليم المسيح الذى يقول : « والذى يتزوج بمطلقة يزنى » . فهذه العبارة قد حذفت من التراجم العربية الحديثة مثل : ترجمة منشورات دار المشرق ، وترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية ببيروت ـ وحذفت من التراجم الفرنسية[1] : لوى سيجو ، والمسكونية ، وأورشليم . كذلك حذفت تلك العبارة من التراجم الانجليزية الحديثة[2] مثل : القياسية المراجعة ، والعهد الجديد الأصلى ، وانجليزية اليوم .

يقول جون فنتون فى تعليقه على هذه الفقرة (١٩ : ٣ ـ ١٢) من انجيل متى :

« لقد أعاد متى ترتيب الأحداث المذكورة فى مرقس ١٠ : ٢ وما بعدها . ففى مرقس ، نجد أن يسوع قد سأل الفريسيين عما أمر به موسى ، فأجابوه ، وعندئذ قال يسوع : ان ذلك أمر به بسبب قساوة قلوبهم ، ولم يكن كذلك منذ البدء .

لكن متى يعيد ترتيب هذا بحيث ترد الاشارة الى ما فى سفر التكوين (يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ...) قبل الاشارة الى ما فى سفر التثنية (عن السماح بالطلاق) ، وبذلك فان يسوع لا يسأل الفريسيين عما أمر به موسى (خلافا لما ذكره مرقس) .

كما أن متى أضاف : (لكل سبب) و (الا بسبب الزنا) ، كما حذف ما ذكره مرقس من أن الأقوال الأخيرة (ليسوع عن منع الطلاق) قد قيلت بصفة شخصية للتلاميذ (فى البيت) ، كما أنه حذف القول الذى توقع امكانية قيام المرأة بتطليق زوجها .

---

(١) LA BIBLE- tr. Louis Segond; TRADUCTION OECUMENIQUE de LA BIBLE; LA BIBLE de JERUSALEM

(٢) REVISED STANDARD VERSION; THE ORIGINAL NEW TESTAMENT; TODAY'S ENGLISH VERSION.

وبالنسبة للاستثناء الذى ذكره متى هنا : (الا بسبب الزنا) وذكره فى ٥ : ٣٢ ، **فان هذا الاستثناء لا يوجد فى أى موضع آخر فى أسفار العهد الجديد .**

ان معظم المفسرين متفقون على أن هذه الكلمات لم ينطق بها يسوع ، لكنها أضيفت فيما بعد بواسطة الكنيسة التى لها السلطة فى اصدار القوانين »(١) .

هذا ، ومن الملاحظ أنه بعد أن قال المسيح : « ان من طلق امرأته الا بسبب الزنا (أو الفحشاء) وتزوج بأخرى يزنى . والذى يتزوج بأخرى يزنى » قال له تلاميذه : « ان كان هكذا أمر الرجل مع المرأة ، فلا يوافق أن يتزوج » ، آنذاك « أدرك التلاميذ ـ حسب حاشية ترجمة منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ أن يسوع ألغى الطلاق الغاء تاما » .

كما يلاحظ أيضا ، أن المسيح عقب على تعليق تلاميذه الذى يستصعبون فيه تعليم المسيح حول الطلاق والزواج ، فكان رده : « **ليس الجميع يقبلون هذا الكلام** » .

ثم بعد أن ذكر أمر الخصيان ـ وما يعنيه من حض على قتل الرغبة الجنسية ليس بالصبر والمقاومة فقط ، وانما باتلاف أعضاء الجهاز التناسلى وتعطيلها ـ فقد أردف قائلا: « **من استطاع أن يقبل فليقبل** » .

ليس الأمر ـ اذن ـ على صورة الزام ، ولكنه مجرد استحسان ينفذ حسب الطاقة والاستطاعة . ان هذا ما ينطق به الانجيل ...

*

● **من انجيل لوقا :**

« كان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله وهم محبون للمال فاستهزأوا به . فقال لهم : أنتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ...

---

(١) المرجع السابق ص ٣١١

زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس . كل من يطلق امرأته ويتزوج بأخرى يزنى . وكل من يتزوج بمطلقة من رجل يزنى ـ ١٦ : ١٤ ـ ١٨ » .

يقول جورج كيرد في تفسيره لانجيل لوقا : « ان الكلمة التى ترجمت (نقطة) تعنى حقيقة خطا دقيقا أو ذيلا زخرفيا فى أعلى حرف الكتاب أو أدناه . وحين يقال انه لا يمكن الغاء الذيل الزخرفى لحروف الناموس ، فان هذا يعنى أن كل الناموس ، كلمة كلمة ، وحرفا حرفا ، بكل دقائقه وزخارفه العبرية ، تبقى سارية المفعول الى الأبد . ان هذا يمكن أن يقوله أى حبر ، لكنا لا نستطيع تصوره على شفتى يسوع ، وخاصة فى ضوء الواقع ، اذ أن العبارة التالية لهذا القول تتضمن تغييرا فى ناموس موسى خاصا بالطلاق .. ان ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١ ـ ١٢ ، يساعدنا على ادراك أن يسوع لم يكن يشرع ، لكنه كان يشير الى المعايير الأخلاقية العليا التى تصبح فى مقدور أولئك الذين يعيشون بنعمة الملكوت وقدرته .

لقد قال يسوع ان موسى سمح بالطلاق بسبب قساوة قلوبكم : فحيثما تكون قساوة القلب تنحل الزيجات ، ويجب أن يحمى الطلاق المجتمع من شر أكبر .. ولكن ، هناك فقط فى الملكوت ، حيث يوجد الشفاء من قساوة القلب ، يصبح المثل الأعلى قابلا للتطبيق »(١) .

* *

---

(١) G. Caird : Saint Luke, pp. 189 - 190,

حقيقــة المقــال

ماذا قال المسيح ـ بالضبط ـ فى موضوع الزواج والطلاق ؟

ان هذا سؤال يتعلق بموضوع أكبر وهو : ماذا قال المسـيح ـ بالضبط ـ فى تعاليمه ومواعظه ؟

لقد اختلفت الأقوال التى تنسب للمسيح فى الموضوع الواحـد ، واختلفت الروايات التى تتحدث عن المسيح فى الحادث الواحد . وبين الحين والحين تظهر تراجم حديثة تعيب ما يعترى التراجم القديمـة من قصـور وما تمتلىء به من أخطاء . فالمشكلة الرئيسية المسـتعصية التى تواجه العلماء هى : **مشكلة النص** ، وهم يحاولون جاهدين الوصـول الى ((**النص الأصـلى**)) بدراسات مضنية ، وأساليب مختلفة . ولمـا كان قد سبق معالجة مشكلة النص فى دراسة سابقة[1] ، فيكتفى الآن بمسـه مسـا خفيفـا قبـل محـاولة الاجـابة على السـؤال الذى طرحناه أعلاه .

*

يقول **المدخل الى العهد الجـديد** ـ نقلا عن **الترجمـة الفرنسـية المسكونية** ـ فى موضوع **نص العهد الجديد** :

((**ان نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيـد نسـاخ صـلاحهم للعمـل متفاوت ، وما من واحد منهم معصـوم من مختلف الأخطـاء التى تحول دون أن تتصف أية نسخة كانت ، مهما بذل فيها من الجهد ، بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه .**

يضاف الى ذلك أن بعض النسـاخ حاولوا أحيانا ، عن حسن نية ،

---

(١) راجع كتاب المؤلف : اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس .

أن يصوبوا ما جاء فى مثالهم ، وبدا لهم أنه يحتوى أخطاء واضحة ، أو قلة دقة فى التعبير اللاهوتى • **وهكذا أدخلوا الى النص قراءات جديدة تكاد أن تكون كلها خطأ .**

ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل على مر القرون ، تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكان النص الذى وصل آخر الأمر الى عهد الطباعة مثقلا بمختلف ألوان التبديل ، ظهرت فى عدد كبير من القراءات •

كان الآباء ، لسوء طالعنا (نحن المسيحيين !) ، يستشهدون به فى أغلب الأحيان عن ظهر قلبهم ، **ومن غير أن يراعوا الدقة مراعاة كبيرة ، فلا يمكننا ، والحالة هذه ، الوثوق التام فى ما ينقلون الينا .**

المثال الأعلى الذى يهدف اليه علم نقد النصوص ، هو أن يمحص هـذه الوثائق المختلفة ، لكى يقيم نصا يكون أقرب ما يكون من الأصل الأول • **ولا يرجى فى حال من الأحوال الوصول الى الأصل نفسه ..**

هدف أصحاب النقد الباطنى أن يوضحوا بجلاء نوع التدخل **الذى** قام به الناسخ ، والأسباب التى دعته الى ذلك التدخل ، فيسهل بعد ذلك الارتقاء الى **الروايات القديمة التى تفرعت منها سائر الروايات المحرفة .**

وبوسعنا اليوم أن نعد نص العهد الجديد نصا مثبتا اثباتا حسنا ، **وما من داع الى اعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة » (١) !**

* *

يأتى بعد ذلك عاملان رئيسيان ، تبين الأناجيل بوضوح ، **أن لهما** أعظم الأثر فى ما نسب للمسيح من مواعظ وتعاليم ، وهما : دائرة

---

(١) العهد الجديد ـ منشورات دار المشرق ـ الطبعة العاشرة .

التبشير بالانجيل ، وتوقع نهاية العالم سريعا . وفيما يلى نبذة عن كل منهما .

● **دائرة التبشير بالانجيل :**

١ ــ قبل أن تحمل مريم العذراء بابنها المسيح ، كانت بشارة الملاك اليها تبين أن رسالة المسيح تختص بالشعب الاسرائيلى فقط ، اذ قال لها :

« ستحبلين وتلدين ابنا .. يعطيه الرب الاله كرسي داود أبيه . **ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية** ــ لوقا ١ : ٣١ ــ ٣٣ » ومن المعلوم أن المسيح لم يملك على بيت اسرائيل يوما واحدا ، لأن مملكته لا تعنى سوى رسالته وسلطانه الروحى . فقد قال بوضوح : « **مملكتى ليست من هذا العالم** ــ يوحنا ١٨ : ٣٦ » .

« وأما يسوع ، فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، **انصرف أيضا الى الجبل وحده** ــ يوحنا ٦ : ١٥ » .

٢ ــ ولقد حدد المسيح لنفسه ولتلاميذه ، مجال عمله ودائرة التبشير التى ينبغى التجول فيها ، فبين بكل وضوح أن رسالته تختص بالشعب الاسرائيلى فقط ، فقال قولته الشهيرة : « **لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة** ــ متى ١٥ : ٢٤ » .

وكان ذلك هو أمره المؤكد الى تلاميذه : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : **الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا ، بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة** ــ متى ١٠ : ٥ ــ ٦ » ومن الملاحظ أن المسيح قد أخرج السامريين من دائرة عمله ، رغم أنهم يؤمنون بموسى والتوراة ، كما سبق أن أخرج الأمميين الذين لا يؤمنون بموسى والتوراة .

٣ ــ واذا ما انقضت هذه الحياة ، ثم جاء يوم القيامة ، فان دينونة المسيح وتلاميذه تنحصر فى أسباط اسرائيل الاثنى عشر . فلقد

سـألـه بطرس : « ها نحن قد تركنا كل شيء وتبعناك ، فماذا يكون لنـا ؟ فقال لهم يسوع : الحق أقول لكم أنكم أنتم الذين تبعتمونى فى التجديد ، متى جلس ابن الانسـان على كرسى مجده ، تجلسون أنتم أيضا على اثنى عشر كرسـيا تدينون أسـباط اسرائيل الاثنى عشر ــ متى ١٩ : ٢٧ ــ ٢٨ » ورغم هذا الوضوح فى تحديد دائرة التبشـير المسيحى الحقيقى ، فاننا نجـد انجيـل مرقس ينسب للمسـيح قوله لتلاميذه ، كتعليم أخير : « اذهبوا الى العالم أجمع واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها ــ مرقس ١٦ : ١٥ » ونسب اليه مثل ذلك فى خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) ، وكذلك انجيل لوقا (٢٤ : ٤٧) .

ان حقيقة هذه الأقوال التى تتحدث عن تبشير العالم بالانجيـل تتضح حين نعلم الآتى :

ان خاتمة انجيل مرقس التى تتكلم عن ظهور المسيح ــ الأعداد من ٩ الى ٢٠ ، والتى تشتمل على العدد ١٥ الذى يتكلم عن تبشـير العالم بالانجيل ــ ليست من عمل مرقس كاتب ذلك الانجيل ، ولكنهـا اضـافات أدخلت اليه حوالى عام ١٨٠ م ، أى بعد أن سـطر مرقس انجيله بنحو ١٢٠ عاما .

يقول نينهام فى تفسيره لانجيل مرقس : « انه على الرغم من أن هذه الأعداد (٩ ــ ٢٠) تظهر فى أغلب النسخ الموجودة لدينـا من انجيـل مرقس (مثـل نسـخة الملك جيمس وغيرهـا) الا أن **الترجمة القياسية المراجعة** مصيبة تماما فى اعتبارها غير شرعية ، منزلة اياها من النص الى الهامش .. ان هذه الفقرة لا يمكن تحديد تاريخها بالضبط ، ويمكن القول بأنها أصبحت تقبل كجزء من انجيـل مرقس حوالى عام ١٨٠ م »[١] .

وبالنسبة لمـا جاء فى خاتمة انجيل متى (٢٨ : ١٩) من حديث عن التبشير بالانجيل بين جميع الأمم ، فان العلماء يشكون فيها لأسباب

---

(١) D. Nineham : Saint Mark . pp. 449 - 450,

يذكر منها **ادولف هرنك** : « لم يرد الا فى الأطوار المتأخرة من التعاليم المسيحية ، ما يتكلم عن المسيح وهو يلقى مواعظ ويعطى تعليمات بعد أن أقيم من الأموات ، وأن بولس لا يعلم شيئا عن هذا .

وأن صيغة التثليث هذه (التى تقول : عمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ــ وهى الشطر الثانى من العدد ١٩) غريب ذكرها على لسان المسيح ، ولم يكن لها نفوذ فى عصر الرسل ، وهو الشىء الذى كانت تبقى جديرة به لو أنها صدرت عن المسيح شخصيا »[1] .

وبالنسبة لما جاء فى خاتمة انجيل لوقا عن تبشير جميع الأمم ، فان القارىء يستطيع الحكم على مصداقية الفقرة التى تشتمل على ذلك بمجرد قراءتها ، فهى تنسب للمسيح قوله : « كان ينبغى أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات فى **اليوم الثالث** . وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا **لجميع الأمم** مبتدئا من أورشليم ــ ٢٤ : ٤٦ ــ ٤٧ » .

ومن المعلوم ــ حسب روايات الأناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، أن المصلوب علق على الصليب يوم **الجمعة** ، ووجدت المقبرة خالية **فجر الأحد** . وبالحساب البسيط يتبين أنه لم يدفن « فى قلب الأرض **ثلاثة** أيام وثلاث ليال » ، حسب النبوءة التى أوردها متى فى ١٢ : ٤٠ ، وانما كانت مدة الدفن ــ حسب قول الأناجيل : يوم واحد ، وليلتان ، على أحسن الفروض . وبذلك تكون مصداقية الحديث عن تبشير جميع الأمم بالانجيل ، مساوية تماما لمصداقية الحديث عن القيامة فى اليوم الثالث ، وهو شىء لا يتفق وأبسط الحسابات .

بهذا يتبين من دراسة الأناجيل أن رسالة المسيح خاصة « بخراف بيت اسرائيل الضالة » ولا غير .

*

(١) A. Harnack : HISTORY OF DOGMA, Vol. I, p. 79

وحين نتتبع النشاط التبشيرى لتلاميذ المسيح ، بعد رفعه ، نجده منحصرا فى اليهود . ان هذا ما ينطق به سفر أعمال الرسل قبل دخول بولس مجتمع التلاميذ . ومن أمثلة ذلك :

« أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس ، فاجتازوا الى فينيقية وقبرس وأنطاكية ، وهم لا يكلمون أحدا بالكلمة الا اليهود فقط ــ أعمال الرسل ١١ : ١٩ » .

« فهذان (برنابا وبولس) سافرا فى البحر الى قبرس . ولما صارا فى سلاميس ناديا بكلمة الله فى مجامع اليهود ــ أعمال الرسل ١٣ : ٤ ــ ٥ » .

« أتيا (بولس وسيلا) الى تسالونيكى حيث كان مجمع اليهود ، فدخل بولس اليهم حسب عادته ، وكان يحاجهم ثلاث سبوت من الكتب ــ أعمال الرسل ١٧ : ١٠ ــ ١٢ » .

ولما يئس بولس من التبشير بين اليهود خراف بيت اسرائيل الضالة ــ فقد فضل أن ينتقل للتبشير بين الأمم الأخرى ، بدافع من نفسه . فقد كان « يشهد لليهود بالمسيح يسوع ، واذ كانوا يقاومون ويجدفون ، نفض ثيابه وقال لهم : دمكم على رؤوسكم . أنا برىء . من الآن أذهب الى الأمم ــ أعمال الرسل ١٨ : ٥ ــ ٦ » .

وبهذا يتبين أيضا أن تلاميذ المسيح مارسوا التبشير بين اليهود فقط ، حتى جاء بولس الذى خرج بالمسيحية الى العالم ، مخالفا قول المسيح : « ما جئت الا لخراف بيت اسرائيل الضالة » .

ويترتب على ما سبق أن تعاليم المسيح ومواعظه ، وحتى تشريعاته ــ ان صح هذا التعبير ــ لا بد أن توجه الى الاسرائيليين ، ووفق مفاهيم أسرائيلية ، ولا علاقة لها بالرومان ، حكام فلسطين آنذاك ، أو القانون الرومانى .

* *

● **توقع نهاية العالم سريعا :**

لقد اعتقد المسيحيون الأوائل أن نهاية العالم وشيكة الحدوث ، وأن كثيرا من الذين عاصروا المسيح سوف يشهدون تلك النهاية المفزعة ، حيث « **تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير** . فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات الى أقصائها ــ متى ٢٤ : ٢٩ ــ ٣١ » .

لقد كان لهذه الأفكار أثرها الخطير فيما خلفه المسيحيون الأوائل من كتابات . وفى هذه تقول **دائرة المعارف البريطانية** :

« ان امتداد الكنيسة المسيحية فى أوروبا خلال القرن الأول ، يبدو فى نظرنا كأنه بداية عهد جديد فى التاريخ . لكن هذه الحركة كان ينظر اليها من زاوية أخرى بالنسبة للذين شاركوا فى امتدادها (من المسيحيين الأوائل) ، **فقد كانت فى نظرهم نهاية بدلا من أن تكون بداية . لقد اعتقدوا أن نهاية الزمان قد غشيتهم ، وان اكتمالها وشيك وسوف لا يتأخر كثيرا** .

ان مؤلفات عصر الرسل والحواريين التى كتب أغلبها تحت تأثير هذا الاعتقاد ، لم يقصد مؤلفوها أن تكون مرجعا دائما لكنيسة تبقى عبر العصور لتكافح على وجه الأرض . لقد كتبت هذه المؤلفات تباعا لتوافق احتياجات الجيل الذى توقع أن يعيش نهاية التاريخ ، وبداية افتتاح رسمى لملكوت الله »(١) .

ويقول **جون فنتون** فى تفسيره لانجيل متى : « لقد اعتقد متى أن العالم المعاصر (للمسيح) ، والذى يمتلىء بالخطيئة والمرض والموت ،

---

(١) ENCYCLOPAEDIA BRITANNICA , 1960, Vol. 2, p. 514.

سوف يأتى الى نهايته سريعا . وأن يسوع سوف يأتى بمجد ، وأن كل انسان سيكون اما من المباركين أو من الملعونين (٢٥ : ٣١) .

ولقد اعتقد متى أن هذا سوف يحدث سريعا قبل أن يكون رسل المسيح قد أكملوا التبشير فى كل مدن اسرائيل (١٠ : ٢٣) ، وقبل أن يكون بعض معاصرى يسوع قد ماتوا (١٦ : ٢٨) ، وقبل أن يفنى ذلك الجيل الذى عاصر المسيح (٢٤ : ٣٤) .

ومن الواضح أن هذا كله لم يحدث كما توقعه متى .

ورغم أن انجيل متى هو أحد كتب العهد الجديد الذى ذكر بوضوح حدوث النهاية السريعة للعالم ، فاننا فى الواقع نجد أن أغلب كتاب العهد الجديد قد عبروا عن هذه العقيدة .

وفى اعتقاد كثير من العلماء ، أن يسوع نفسه كان يتطلع الى عودته سريعا الى الأرض بعد وفاته ، فى مجد وبهاء))(١) .

ولقد كان لفكرة نهاية العالم سريعا والمجىء الثانى للمسيح ، أثرها فى كتابات المسيحيين الأوائل ، **فبرزت الدعوة الى التسامح المثالى ، والبعد عن متطلبات الحياة ، والدعوة الى ابطال الزواج وتكريس الرهبنة .**

ويتفق العلماء على « أن العهد الجديد يعتبر مجموعة من الكتب سطرها أشخاص ، ولو أنهم اختلفوا كثيرا فى أشياء أخرى ، فقد اتفقوا فى أنهم يعيشون فى عالم يتجه سريعا الى نهايته .

فهو عالم قد ينجب فيه الرجال والنساء أطفالا ، لكن أحدا منهم لم يتطلع الى جيل تال .

ان السبب الرئيسى فى انعدام التفكير فى الغد ، هو أن ذلك الغد

---

(١) J. Fenton : Suint Matthew, pp. 21 - 22.

ســوف لا يأتى . وبناء عليه كان الحض على عدم الزواج ، واهمال تربية الأولاد ، وفقــدان روح الجمـــاعة ، وعــــدم الاهتمام بأمور الدنيا . ان كل هذا واضح فى العهد الجديد .

ومع الاعتراف الكامل بحقيقة أن يسوع وتلاميذه كانوا يتوقعــون النهاية الوشيكة للعالم ، فان الدراسة المتأنية للمعتقدات اليهودية التى شاعت فى الفترة من عهد المكابيين (١٦٨ ق.م) حتى مطلع القرن الأول الميلادى ، تبين أن هذه الفكرة لم تكن خرافة تختص بالمسيحيين وحدهم ، لكنــه التوقــع العــام للشــعب اليهــودى (وهــو كما سطر لوقا : ان ملكوت الله عتيد ان يظهر فى الحال ــ ١٩ : ١١) .

ان هذا الاعتقاد قد دفعهم للحرب مع روما عام ٦٦ م ، وهى الحرب التى انتهت بانقراض ولاية اليهودية وتدمير أورشليم عام ٧٠ م »[1] .

لقد سيطرت هذه الخرافة على تفكير معــاصرى القــرن الأول الميلادى ، حتى ان بولس ــ الذى سطر وحده أكثر من ربع صفحات العهد الجديد ــ كان يتوقع أن يبقى حيــا الى أن يعــود المسيــح ، فيلاقيه مع الآخرين فى الهواء ! ، فهو يقول : « اننا نقول لكم هذا بكلمة الرب : اننا نحن الأحيــاء الباقين الى مجىء الرب ، لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفســـــه بهتــاف بصــــوت رئيس ملائكتــه وبوق الله ، سوف ينزل من السماء ، والأموات فى المســيح ســيــــقومون أولا . ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب ، لملاقاة الرب فى الهواء ــ (١) تسالونيكى ٤ : ١٥ ــ ١٧ » .

وكان ذلك معتقد يوحنا الذى سطر رسائله بعد بولس ، وقال فيها : « أيها الأولاد : هى الساعة الأخيرة ــ (١) يوحنا ٢ : ١٨ » .

لقد كانت رسائل بولس هى أقدم كتابات مسيحية ، وبالتالى فانها

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ــ جـ ٢ ص ٥٢٣

أثرت فى الأناجيل والكتب المسيحية الأخرى ، سواء تلك التى قبلتها الكنيسة فيما بعد باعتبارها قانونية ملزمة للمسيحيين ، أو تلك التى بقيت خارج القانون . ولقد كانت فكرة نهاية العالم سريعا والمجىء الثانى للمسيح ، من المعتقدات التى سيطرت على بولس تماما ، وتحت تأثيرها كتب تعاليمه وآراءه فى الزواج والبتولية وغير ذلك .

يقول **رولاند بينتون** فى كتابه **الجنس والحب والزواج** : « لقد كان بولس أول من أشار باعاقة الزواج . **وكان السبب فى ذلك حسب رايه ، هو توقع عودة الرب سريعا عندما يتوقف الزواج .** وقد اتخذ وجهة نظر محافظة ، تحت هذه الظروف ، فيما يتعلق بكافة العلاقات الاجتماعية ((١) كورنثوس ٧ : حسن للرجل أن لا يمس امرأة . ولكن بسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها .. **الوقت منذ الآن مقصر** ، لكى يكون الذين لهم نساء كأن ليس لهم نساء .. والذين يستعملون هذا العالم كأنهم لا يستعملونه . لأن هيئة هذا العالم تزول) . فكل وضع اجتماعى جسدى ، بالنسبة له ، سيان ، ويبقى كما هو حتى تأتى النهاية الوشيكة . ليبق ، اذن ، كل على حاله ، سواء أكان : عبدا أو حرا ، متزوجا أو غير متزوج ..

على أن بولس سمح بالزيجات للمرة الثانية ، على أنها تنازل فقط (المرأة مرتبطة بالناموس ما دام رجلها حيا . ولكن ان مات رجلها فهى حرة لكى تتزوج بمن تريد فى الرب فقط . ولكنها أكثر غبطة ان لبثت هكذا بحسب رأيى . وأظن أنى أنا أيضا عند روح الله — (١) كورنثوس ٧ : ٣٩ — ٤٠) .

أما **سفر الرؤيا** فقد ذهب أبعد من هذا ، وأوحى بفكرة غير مسيحية من أساسها . فهناك ترنيمة تمدح ١٤٤٠٠٠ من الرجال الذين لم تنجسهم النساء ، هم جماعة مختارة يتبعون الحمل حيثما يذهب (**هؤلاء هم الذين لم يتنجسوا مع النساء لأنهم اطهار** — رؤيا ١٤ : ٤) .

وفى العهد الجديد ، نجد أن المرأة خاضعة للرجل ، لأنها خلقت بعده ((١) كورنثوس ١١ : ٨ ـ ٩) ، أو لأنها كانت مسئولة عن سقوطه (... آدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت فى التعدى ... (١) تيموثاوس ٢ : ١٥ ـ ١٨) ولقد كانت زينة النساء موضع ذم (لا تكن زينتكم الزينة الخارجية من ضفر الشعر والتحلى بالذهب ولبس الثياب ، بل زينة الروح ... (١) بطرس ٣ : ٣) .

أما حض بولس على عدم اقامة زيجات جديدة بسبب المجىء الوشيك للرب ، فقد فقد صلته بذلك المجىء ، حيث ان الرب لم يجىء ، وبدىء بعد ذلك فى ارجاء الموعد المتوقع لذلك المجىء بالتدريج .. وما دام الأمر كذلك ، فقد تم استبعاد فكرة عدم تشجيع الزواج التى قامت على أساس أن الوقت مقصر »[1] .

* * *

والآن ، وعلى ضوء ما قدمناه من وجود المشكلة الخاصة بنصوص العهد الجديد ، وأن تعاليم المسيح لم تصدر الا بمفاهيم اسرائيلية ولا علاقة لها بالقانون الرومانى ، وأن مؤلفى أسفار العهد الجديد وقعوا تحت تأثير عقيدة تزعم انتهاء العالم سريعا مع عودة المسيح ثانية ، وهى عقيدة اعتبرتها دائرة المعارف البريطانية خرافة بعد أن كذبها الواقع ، فانا نعود الآن لمحاولة الاجابة على السؤال الذى تصدر هذا الفصل ، وهو : ماذا قال المسيح ـ بالضبط ـ فى موضوع الزواج والطلاق ؟

نبدأ معالجة هذا الموضوع بمراجعة التراجم الحديثة وما أدخلته من تعديلات على التراجم القديمة ، فنلاحظ الآتى :

١ ـ تم اسقاط الشطر الثانى من متى ١٩ : ٥ ، الذى يقول :

---

(1) Ro'and Bainton : Sex, Love and Marriage, pp. 24 — 27 .

« والذى يتزوج بمطلقة يزنى » ، وبذلك يسقط هذا القول أيضا من متى ٥ : ٣٢ ، ومن لوقا ١٦ : ١٨

٢ ــ انفرد مرقس بقوله فى ١٠ : ١٢ « **ان طلقت امرأة زوجها** وتزوجت بآخر تزنى » . وهذا القول لا مكان له فى بيئة اسرائيلية كالتى عاش فيها المسيح وتلاميذه ، حيث يسود الناموس والمفاهيم الاسرائيلية التى تربى الشعب اليهودى عليها عقائديا واجتماعيا ، وتقوم أساسا على أن الطلاق حق من حقوق الزوج ، وليس من حقوق الزوجة ، وأن تعدد الزوجات مشروع ، يمارسه الرجال وفق شريعة موسى .

والصحيح فى قول مرقس هذا ، هو تلك القراءة التى شهد بصحتها العلماء ، وتقول : « **ان تركت امرأة زوجها وتزوجت بآخر** تزنى (أو : **فقد زنت**) » .

وهذا حق واضح ، وموقف اتخذه المسيح تعضيدا ليوحنا المعمدان الذى ندد بهروب هيروديا من زوجها ، وذهابها للعيش مع هيرودس أخى زوجها . فقد تزامن نشاط يوحنا والمسيح فترة من الوقت ، قبل أن يلقى يوحنا فى السجن :

« بعد هذا جاء يسوع وتلاميذه الى أرض اليهودية ومكث معهم هناك ، **وكان يعمد . وكان يوحنا أيضا يعمد** فى عين نون بقرب ساليم ، لأنه كان هناك مياه كثيرة ، **وكانوا يأتون ويعتمدون . لأنه لم يكن يوحنا قد ألقى فى السجن** ــ يوحنا ٣ : ٢٢ ــ ٢٤ » .

٣ ــ تعدل الشطر الأول من قول متى فى ٥ : ٣١ ، والذى نسبه للمسيح فى موعظة الجبل ، ليكون حسب التراجم الحديثة : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا » . وهذا واضح أيضا اذ أن المطلقة غير مرغوب فى زواجها ، حسب التقاليد الاسرائيلية ، لدرجة أن شريعة موسى تضعها جنبا الى جنب مع المدنسة والزانية اللاتى يحظر على الكاهن أن يتزوج منهن (لاوين ٢١ : ٧) .

ولهذا فان المطلقة قد تبقى بلا زواج ، فتتعرض بذلك للسقوط في الزنا .

وعندما يتعرض الانسان لشيء ما ، فليس بالضرورة أن يحدث له ذلك الشيء ، فهو قد يحدث أو لا يحدث . ان هذا مشهود في حياة الناس اليومية .

وبالنسبة للاستثناء الذى ذكره متى بقوله : « الا في حالة الفحشاء (أو : الزنا) » فقد شك فيه العلماء باعتباره ليس من أقوال المسيح ، ولكنه اضافة من عمل آباء الكنيسة فيما بعد . **هؤلاء الآباء الذين أخذوا سلطة التحريم والتحليل** باسم المسيح ، بينما يشهد التاريخ على ما كان عليه حالهم خلال **المجامع** التى عقدوها عبر القرون ، والتى غالبا ما تذكر في المناظرات الدينية بين مختلف الفرقاء . فقد حدث في الحوار الذى جرى في مدينة ليبزج بألمانيا عام ١٥١٩ بين **مارتن لوثر** والدكتور آك حول سلطة البابا . فقد « حاول أن يستخدم أقوال الآباء في اقناع لوثر ، وشدد آك على أن الذى لا يعترف بسلطان بابا روما ، لا يعتبر عضوا في كنيسة يسوع المسيح . وعندما سأله لوثر : ماذا تقول ــ اذن ــ في الذين قدموا حياتهم وعاشوا الايمان المسيحى بكل تقوى وقداسة ؟ ... واستطرد أيضا يقول : ما رأيك في موقف بولس الذى وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟

وواصل دفاعه بالقول : **وما رأيك في المجامع ، فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقى ، ومن هو المحروم الحقيقى » ؟**(1)

وللعلماء الحق في شكهم في ذلك الاستثناء الذى وضعه متى لسبب

---

(١) مارتن لوثر ــ الدكتور القس حنا جرجس ص ٩٢

بسيط ، وهو أن المرأة المتزوجة التى تزنى ، عقوبتها القتل حسب ناموس موسى : « اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل ، **يقتل الاثنان** ، الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة . فتنزع الشر من اسرئيل ــ تثنية ٢٢ : ٢٢ » فلا مكان هنا للحديث عن الطلاق ، حيث كان الاسرائيليون أيام المسيح واعين لذلك ، كما تؤكده رواية المرأة الزانية التى ذكرها يوحنا (فى ٨ : ٣ ــ ١١) ، اذ جاء بها الكتبة والفريسيون الى المسيح ليقيم عليها الحد .

٤ ــ ما ذكره متى فى موعظة الجبل ، سواء فى صيغتها القديمة ، أو صيغتها المعدلة التى تقول : « من طلق امرأته ، الا فى حالة الفحشاء ، عرضها (أو : يدفعها) للزنا ــ ٥ : ٣١ » ، لا علاقة لها من قريب أو بعيد بتعدد الزوجات . فكل ما يدعو اليه هذا التعليم ــ حتى لو أضفنا اليه العبارة التالية له ، والتى تقول : من تزوج مطلقة فقد زنى ــ هو الحض على عدم الطلاق والتنديد به ، اذ يمكن الزواج بغير المطلقة والبعد بذلك عن مخالفة هذا التعليم .

٥ ــ ما ذكره مرقس فى ١٠ : ١١ من أن : « من طلق امرأته وتزوج غيرها زنى عليها » يعتبر نصا مقيدا يربط الزواج اللاحق بطلاق سابق ، ومن هنا فانه ينهى عن ذلك .

ولا يعتبر هذا نهيا عن تعدد الزوجات ، لأن هذا الذى طلق الزوجة الأولى ، وتزوج غيرها ، الزوجة الثانية ، لا يزال يعيش مع زوجة واحدة ، فهو لم يعدد زوجاته . فمثله كمثل من ماتت زوجته ، فتزوج غيرها . وهذا يؤكد بوضوح أن هدف هذا التعليم ــ ان صح قوله بهذه الصيغة ــ هو التنديد بالطلاق .

وماذا يحدث لو تزوج رجل بامرأتين ، أو أكثر ، فى وقت واحد ، ولأول مرة فى حياته ، دون أن يمارس طلاقا سابقا ؟

لا يوجد نص واحد صريح يمنع مثل هذا .

بل انا لنجد فى الأمثال التى ضربها المسيح ــ من واقع الحياة ــ

وأصدر أحكامه فيها صراحة أو ضمنا ، ما يؤيد عدم تعريضه بتعدد الزوجات ، وذلك في مثل العذارى :

« يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل صار صراخ : هو ذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات : أعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفى لنا ولكن ، بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن .

وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه الى العرس وأغلق الباب .

أخيرا جاءت العذارى أيضا قائلات : يا سيد افتح لنا . فأجاب وقال : الحق أقول لكن : انى ما أعرفكن . فاسهروا اذن لأنكن لا تعرفن اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان — متى ٢٥ : ١ — ١٣ » .

فهذا المثل يقر بتعدد الزوجات الذى سمح به ناموس موسى ، ومارسه الآباء والأنبياء ، ومارسه الشعب الاسرائيلى ، كما مارس الطلاق أيام المسيح ، لكنه يندد فقط بتقاعس العذارى الجاهلات وعدم استعدادهن ليوم الزفاف .

وقبل هذا المثل مباشرة ، ضرب المسيح مثلا آخر هو مثل الوكيل الأمين ، حيث يقول : « من هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله .

ولكن ان قال ذلك العبد الردىء فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه • فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل ويشرب مع السكارى • يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين•هناك يكون البكاء وصرير الأسنان ــ متى٢٤ : ٤٥ ــ ٥١»•

فالعلاقات بين السيد وعبيده فى هذا المثل مشروعة ومعروفة، ولكن سلوك السيد مع عبيده يتحدد وفق سلوكهم • وهنا حدث المديح لذلك العبد النشط المطيع ، كما حدث التنديد بذلك العبد الردىء •

كذلك فان العلاقات بين العريس وعرائسه العشر مشروعة ومعروفة ، ولكن سلوك العريس مع عذاراه يتحدد وفق سلوكهن • وهنا حدث المديح للعذارى المستعدات ، كما حدث التنديد بالعذارى الغافلات • **وكان هذا المثل اقرارا بتعدد الزوجات .**

٦ ــ حين أعطى المسيح تعاليمه التى ذكرتها الأناجيل عن الطلاق والزواج ، كان هناك فى الشعب الاسرائيلى رجال للواحد منهم زوجات عديدات •

فما الحكم بالنسبة لهذا الوضع ، اذا كان الواحد منهم لم يطلق أيا من نسائه ، ولم يضف اليهن زوجة جديدة ؟

الذى لا شك فيه ، أن مثل هذا الوضع العادى لا يخضع لأى نص من جميع النصوص التى أوردها متى ومرقس ولوقا ، وتحت أى صيغة من الصيغ ، سواء أكانت حسب التراجم القديمة أو الحديثة • ومن ثم يبقى كل رجل منهم على حاله ، يعيش فى مشروعية مع زوجاته وسراريه العديدات •

ان هذا يؤكد ، مرة أخرى ، مشروعية تعدد الزوجات .

٧ ــ لقد رأينا سلفا أن ناموس موسى حدد أنواع النساء اللاتى يمكن للكهنة الزواج منهن • فقد « قال الرب لموسى : كلم الكهنة

بنى هرون وقل لهم .. امرأة زانية ، أو مدنسة لا يأخذوا ، ولا يأخذوا امرأة مطلقة من زوجها ــ لاويين ٢١ : ١ ، ٧ » .

وهذا يعنى بداهة أن الكاهن يستطيع الزواج بامرأة من النوعين الآتيين : **عذراء** ، أو **أرملة** .

أما بالنسبة للكاهن الأعظم ، فليس أمامه الا نوع واحد فقط ، « فهذا يأخذ **امرأة عذراء** ــ لاويين ٢١ : ١٣ » .

ومعنى ذلك بداهة : أنه يحرم على الكاهن الأعظم الزواج من بقية أنواع النساء وهن : الأرملة ، والمطلقة ، والمدنسة ، والزانية . وهذا ما قرره النص فى لاويين ٢١ : ١٤

قياسا على ذلك نقرأ تعاليم بولس فيما يتعلق بزواج الأساقفة والشمامسة . فهو يقول : « يجب أن يكون الأسقف بلا لوم **بعل امرأة واحدة** ، صاحيا ، عاقلا ، محتشما .. غير مدمن خمر ..

ليكن الشمامسة كل بعل امرأة واحدة (١) ــ (١) تيموثاوس ٣ : ٢ ، ١٢ » .

ان هذه الصيغة ، تعنى بداهة ، أن الاقتصار على امرأة واحدة **انما** هو متعلق بطبقة الأكليروس . أما الآخرون وبقية الشعب ، فلا **يخضعون لنظام الزوجة الواحدة ، وبالتالى فان لهم نظاما آخر يسمح بتعدد النساء ، سواء كن زوجات أو سرارى .**

٨ ــ حين تكلم متى عن مماحكة الفريسيين مع المسيح حول

---

(١) — « the husband of one wife » (R. S . Y .)

— « remain married to one wife (The Original New Testnment)

— « moris d'une seule femme » (T. O. B.)

— « maris d'une seule femme » (La Bible de Jerusalem)

موضوع الطلاق ، وقوله لهم : « من طلق امرأته الا لفاحشة (أو : لعلة الزنا) وتزوج غيرها فقد زنى ــ ١٩ : ٩ » ، استصعب التلاميذ هذا الأمر : فقال لهم : **« ليس الجميع يقبلون هذا الكلام »** .

وبعد أن ذكر أمر الحضيان ، قال **«من استطاع أن يقبل فليقبل»** .

فاذا كان هذا تشريعا أو تعليما قصده المسيح ، هل يتركه على هذه الصورة التى تعترف بتفاوت استطاعة الناس قبوله ، أم يضعه فى صورة ملزمة ؟!

ان ما عقب به المسيح قائلا : « من استطاع أن يقبل فليقبل » يعنى بداهة ترك التنفيذ بتعاليمه تلك حسب استطاعة الناس . فتعاليمه هذه المتعلقة بالطلاق والزواج ، استحسان وليست التزاما .

٩ ــ يذكر مرقس أنه فى مباحكة الفريسيين مع المسيح حول موضوع الطلاق ، أنه استشهد فى رده عليهم بما جاء فى سفر التكوين ٢ : ٢٤ عن خلق الانسان ذكرا وأنثى منذ البدء ، فقال : « من بدء الخليقة ذكرا وأنثى خلقهما الله . من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه **ويلتصق بامرأته** . ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذن ليسا بعد اثنين ، بل جسد واحد . **فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان** ــ ١٠ : ٦ ــ ٩ » .

وهنا تجدر الاشارة الى الآتى :

(١) تعدلت فى التراجم العربية الحديثة للكاثوليك ــ الصادرة عن دار المشرق ــ : عبارة : « ويلتصق بامرأته » ، لتكون : **« ويلزم امرأته »** .

(٢) لم يستخدم كاتب انجيل مرقس الأصلى هذه العبارة : « ويلتصق بامرأته » أو « ويلزم امرأته » التى جاءت فى ١٠ : ٧ ، ولكنها أضيفت فيما بعد . ولذلك حذفتها التراجم الحديثة ــ مثل ترجمة

منشورات المطبعة الكاثوليكية ـ فأصبحت تقرأ هكذا : « لذلك يترك الرجل أباه وأمه » ، فقط .

وأهمية ذلك هو بيان ما تتعرض له النصوص من حذف ، أو اضافة ، أو كليهما ، عبر التاريخ .

(٣) تعنى كلمة « جسد واحد » ، كما يقول جون فنتون ، أن الزوج والزوجة « صارت علاقتهما محكمة على نحو ما يكون بين أعضاء الأسرة الواحدة ، أو كالعلاقة بين أوصال الجسم الواحد »[1] ، كالذراعين والرجلين وما شابه ذلك .

فهما انسانان ، لكل شخصيته المستقلة ، ونفسه وما جبلت عليه ، ولكن العلاقة الزوجية ربطتهما كأعضاء فى الجسد الواحد . ولقد طور يوحنا هذا الفكر حتى انه قال : « **ليكون الجميع واحدا** ـ ١٧ : ٢١ »

ولقد جرى القول أحيانا بأن فكرة الجسد الواحد هذه توحى بأن يكون للرجل امرأة واحدة ، وهذا ينفيه ما قاله يوحنا عندما جعل الجميع واحدا ، وكان يعنى بذلك تلاميذ المسيح والمؤمنين به .

وينفيه كذلك ما اصطلح الناس على فهمه عبر العصور ، وفى مختلف الثقافات ، من التعبير بالوحدة عن جمع من الناس ، أيا كان عددهم ، عندما يربطهم فكر واحد ، أو يعبرون عن مشاعر واحدة . يقول دنيس نينهام : « ان هناك ما يدعو الى التفكير فى أن ما جاء فى سفر التكوين ١ : ٢٧ (ذكرا وأنثى خلقهم) كان يجرى الاستشهاد به لتدعيم نظام الزوجة الواحدة ، ضد نظام تعدد الزوجات ، **لكن يبدو أن يسوع استخرج منه معنى جديدا ، فرأى انه يمنع الطلاق .**

---

(1) J. Fenton : Saint Matthew , p. 309.

لقد كان برهانه الجدلى ، بلا شك ، يقوم على أنه اذا كان الزواج يجعل الرجل وزوجته جسدا واحدا ، فان هذا يعنى بوضوح ، خلق علاقة بينهما تكون فى واقعيتها وعدم تفككها مثل رابطة الدم التى تربط الرجل بأقاربه . (انظر ما جاء فى سفر التكوين ٢٩ : ١٤) »[1] .

وهذا الذى أشير اليه يذكر قول لابان الى ابن أخته يعقوب : « انما أنت عظمى ولحمى » .

(٤) من الواضح أن استخدام المسيح لما ورد فى سفر التكوين من أن الزوجين صارا جسدا واحدا ، انما كان تدعيما للحض على منع الطلاق ، بدليل أنه عقب على ذلك بقوله : « فالذى جمعه الله ، لا يفرقه انسان » .

ان الحديث عن الرجل والمرأة كجسد واحد ، ليس اذن حديثا عن نظام الزوجة الواحدة ، ولكنه حديث عن استمرارية العلاقة بينهما ، ومن ثم فهو حديث يتعلق بالطلاق ، وليس بتعدد الزوجات .

١٠ ــ لقد جاء المسيح معلما وواعظا ورحمة من الله ، فاذا كان فى تعاليمه الأساسية تحريما للطلاق وتعدد الزوجات ، هل كان يغفل هذا الجانب الخطير فى حياة الناس من ذكره أو الاشارة اليه فى انجيل يوحنا ؟!

لقد خلا هذا الانجيل تماما من كل ما يتعلق بهذا الموضوع .

١١ ــ أجمع علماء المسيحية على أن ما ينسب للمسيح من منع الطلاق يعتبر نقضا صريحا وواضحا للناموس ، وذلك خلافا لما سبق أن أعلنه فى مثل قوله : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ... » أو قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » .

---

(١) D. Nineham : Saint Mark, p. 265.

وفى هذا تقول **الترجمة الفرنسية المسكونية** فى تعليقها على ما جاء فى لوقا ١٦ : ١٨ : « **ان هذا التحريم للطلاق التقليدى يعتبر واحدا من أكثر تعاليم المسيح نقضا صريحا لناموس موسى** » .

*

● **الخلاصـــة :**

بعد هـذا الذى رأيناه ، وما حدث لنصوص الطلاق والزواج المذكورة فى الأناجيل بتراجمها المختلفة ، نجد أنه لا يمكن التأكد من حقيقة مقال المسيح فى موضوع الطلاق والزواج .

هل قال المسيح ، مثلا :

« من طلق امرأته ، الا لعلة الزنا (أو : الا فى حالة الفحشاء) :

ــ جعلها زانية (الكتاب المقدس للكاثوليك) ، أو

ــ عرضها للزنا (المطبعة الكاثوليكية) ، أو

ــ يدفعها للزنا (الفرنسية المسكونية) .

ان الفرق بين هذه الصيغ الثلاث واضح وكبير .

نحن ــ اذن ــ أمام احتمالات ...

لكن هناك قاعدة فقهيـة عامة ، تعارف عليها النـاس فى مختلف العصور والبيئات ، قاعدة تقول :

ان ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

لقد عرفنـا ما قالته **الكنيسة** فى العهـد الجـديد وأسـفاره :

« **ما من داع لاعادة النظر فيه الا اذا عثر على وثائق جديدة** » .

فهذه النصوص التى بين أيدينا ، نصوص احتماليـة ومؤقتـة ، معرضـة للتغيير والتبديل على ضوء ما يستجد من بحوث ودراسات .

ولقد سـبق أن دخـل التصحيح والتعـديل على فقرات تتعلق بموضوع أخطر بكثير من موضوع الطلاق والزواج ، ألا وهو موضوع

العقيدة . فلقد أسقطت التراجم الحديثة تلك الفقرة التى وجدت فى الرسالة الأولى ليوحنا ، وجعلت الثلاثة واحدا ، اذ كانت تقول :

« (٦) والروح هو الذى يشهد لأن الروح هو الحق .

(٧) فان الذين يشهدون فى السماء هم ثلاثة : الآب ، والكلمة ، والروح القدس ، وهؤلاء الثلاثة هم واحد ـ ٥ : ٦ ـ ٧ » .

لقد اختفت فقرة التثليث هذه (العدد ٧) من التراجم الحديثة ، واختفى بذلك النص الوحيد فى أسفار العهد الجديد الذى قال : « وهؤلاء الثلاثة هم واحد » ، فكان بذلك البرهان الوحيد لعقيدة التثليث طوال القرون الماضية .

وقياسا على ذلك ، فمن المتوقع أن تتعرض نصوص الطلاق والزواج التى أوردتها الأناجيل لتعديلات تجعلها تستقر على صيغ أكثر اتفاقا وأكثر تحديدا ووضوحا .

والى أن يحدث ذلك ، والعلم عند الله ، فلنا أن نقرر أصولا ومفاهيم عامة ، تستقى من المحتوى الكلى لأسفار الكتاب المقدس ، نجملها فيما يلى :

(١) ان **المسيح** الذى ألزم نفسه بالحفاظ على ناموس موسى ، لا يمكن أن ينقض ذلك الناموس بتحريم الطلاق وتعدد الزوجات .

(٢) وأنه اذا كان **مسيح الأناجيل قد** اعتقد أن نهاية العالم وشيكة ، وأنها سوف تحدث مصحوبة بعودته الى الأرض خلال الجيل الذى عاصره واستمع الى مواعظه ، أو خلال القرن الأول الميلادى على أكثر تقدير ، فانه :

ـ قد يحض الناس على نبذ الطلاق ، فلا داعى لفسخ وحدة أسرية طالما كانت نهاية الحياة وشيكة . فهو لا يحرم الطلاق ، حفاظا على شريعة موسى ، لكنه يكره الناس فيه .

ـ كذلك فانه قد يحض الناس على عدم الاكثـار من الزواج ، وقـد يحببهم فى البتوليـة ، طالمـا كان الوقت مقصرا ، والعـالم فى سـاعته الأخيرة . لكنه لا يحرم الزواج ولا تعدد الزوجات ، حفاظا على شريعة موسى .

ان مراجعـة ما تذكره الاصحاحـات الأولى من **الكتاب المقدس** عن قصة الخلق وتاريخ الانسانية والأحداث الهامة ، تبين حسبما تذكره **دائرة المعارف البريطانية** ، الآتى :

«تقـدر النسـخة العبرية للفترة من بدء الخلق حتى الطوفـان ١٦٥٦ عاما ، بينما يبلغ تقديرها فى النسخة السامرية ١٣٠٧ عاما ، وفى النسخة الاغريقية ٢٢٦٢ عاما .

كذلك تقدر النسخة العبرية للفترة من الطوفان حتى دعوة ابراهيم ٣٦٥ عاما ، بينما هى فى النسخة السامرية ١٠١٥ عاما ، وفى النسـخة الاغريقية ١١٤٥ عاما .

ان هذه الأرقام ترجع الى أصـول بابلية ، ولكنها عديمة القيمة التاريخية . وحتى لو أخذنا بوجهة النظر التى تقـدر عام ١٤٩١ ق.م . تاريخا لخروج الاسرائيليين من مصر ـ رغم أنه تاريخ مبكر أكثر من المحتمل ـ فان تاريخ بدء الخليقة يرجـع الى عام ٤١٥٧ ق.م حسب النسخة العبرية (والى عام ٥٣٢٨ ق.م. حسب النسخة الاغريقية)»[1] .

واذا أخـذنا التقدير المرتفع لتـاريخ بدء الخليقـة ليكون عام ٥٣٢٨ ق.م ، حسب روايات النسخة الاغريقية ، فان هذا يعنى أنه ، ونحن الآن فى عام ١٩٨٩ م ، قـد انقضى نحو ثلث عمر البشرية ولم يعد المسـيح الى الأرض وفق نبوءاته التى حددها بجيل ، لا تتعدى مدته نحو ٤٠ عاما .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ـ الجزء الثالث ص ٥١٠

لقــد أثبت الواقع ــ **والواقع دائما خير برهان ــ أن** الموقف يحتاج الى مراجعة شاملة للنصوص ، واعادة النظر فيما اســتسلم له الناس من تقاليد متوارثة ، ارتقوا بها الى مستوى الشريعة المقدسة • **لقد** فرض **الكتاب المقدس** الأخــذ بحقيقة الواقع ، واعتبــاره معيــارا صحيحا للحكم على صدق النبوات ، فقال :

« ان قلت فى قلبك ، كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب • **فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر ، فهو الكلام الذى لم يتكلم بــه الرب ، بل بطغيان تكلم بــه النبى ، فلا تخف منه ــ** تثنية ١٨ : ٢١ ــ ٢٢ » •

* * *

الواقع بين النظرية والتطبيق

ما أسهل بناء القصور فى الهواء ...

فاذا ما استيقظ الوعى وواجه الواقع ، أدرك الحقيقة ، وأن الأمر لم يكن سوى أضغاث أحلام ...

هكذا الحال فى شتى مجالات الحياة ، ومن ضمنها مجال التشريع وسن القوانين التى تنظم حياة الناس .

فبعض التشريعات تصدر وكأنها تختص بمخلوقات غير بنى آدم ، وما جبلوا عليه من ضعف فطرى ، وما أودع فيهم — وفق حكمة الخالق جل وعلا — من غرائز لا يستطيعون تجاهلها ، فتفشل مثل تلك التشريعات عند التطبيق ، وتدفع الناس الى التمرد عليها وانكارها عمليا .

وهناك تشريعات أخرى تراعى مختلف العوامل المؤثرة فى سلوك البشر ، وتوازن بين ما جبل عليه الناس ، وما هو مستهدف من الارتقاء بهم فكرا وسلوكا ، فتنجح عند التطبيق ، وتحقق الأهداف المرجوة منها .

ويزداد الأمر خطورة عندما تكون التشريعات دينية : ففى الحالة الأولى ، يكون ثمن التمرد عليها باهظا ، اذ تكون العقوبة شديدة فى الآخرة . وأما فى الحالة الثانية ، فانها تضمن بتوازنها ، الخير للناس فى الدنيا والآخرة .

ونريد الآن أن ننظر فى بعض التشريعات والتعاليم المسيحية على ضوء الواقع ، لنرى مقدار المواءمة بين النظرية والتطبيق .

* *

اولا ــ تحريم الطلاق وتعدد الزوجات فى المسيحية

لا يحتاج الأمر فى موضــوع الطلاق الى كثير بيان • فالأمر واضح تماما ، حيث تمرد الغرب المسيحى على ذلك التشريع الدينى الذى حرم الطلاق ، واستبدله بتشريع مدنى أباح له الطلاق •

● **الطلاق فى فرنســا :**

« كان الطلاق فى فرنســـا محرما فى عصر الاقطاع ، وفى القــانون القديم حتى اعلان الثورة (عام ١٧٨٩) • وجل ما كان يمكن التماسه هو طلب الفرقة (الهجر) اذا تعذر اتفاق الزوجين ومعاشرتهما ••

الا أن مفهوم الطلاق قد تغير تماما بعد ثورة عام ١٧٨٩ وأجيز الطلاق بقانون ٢٠ أيلول (سبتمبر) ســنة ١٧٩٢ ، وقــد جــاء فى الأسباب الموجبة لهذا القانون : ان الرغبة فى الطلاق تنبعث عن الحرية الشخصية ، وان ارتباط الزوجين مع عدم انحلال رابطة الزوجية معناه فقــدان الحرية •• فالطــلاق يمكن حصــوله فى هــذا القــانون ، تارة بمعرفة القضاء لأسباب مختلفة (الزنا ، سوء المعاملة ، العقــوبة ، الجنــون ، الغيــاب الطويل) ، واخرى برضا الزوجين المتبادل بتقديم تصريح لموظف الأحوال الشخصية باعلان الطلاق ، أو عند عــدم اتفاق الزوجين بسبب مغايرة الطباع والأخلاق •

وقد الغى هذا القانون الفرقة (الهجر) لأنه اعتبره تدبيرا ناقصــا لا يوجد ما يبرر بقاءه •

وبقى الحال على هذا المنوال الى عام ١٨٠٤ الذى وضــع فيــه القانون المدنى الفرنسى ، فقبل فكرة الطلاق ولكنه قيــده بالمواد ٢٢٩ وما بعــدها • وأصبح الطلاق لا يمكن ايقاعه الا عن طريق القضــاء ، ولأسباب معينة واقعة تحت الحصر وهى : الزنا ، صــدور العقوبة ، ســوء المعــاملة ، الاهــانة الجســيمة • واعيــد الفراق الجســـدى ليتيح للأشخاص المتدينين طلبه بدلا من انحلال الزواج كليا •

وفى عام ١٨١٤ ، بعد عودة الملكية الى فرنسا ، ورد فى دستور هذا العام أن مذهب الدولة هو الكاثوليكى ، فحرم قانون سنة ١٨١٦ الطلاق وأجاز الفراق مراعيا مبادىء الكنيسة • وبقى الأمر كذلك حتى عام ١٨٨٤ ، حيث بدت نزعة شعبية فى اجازة الطلاق ، فجاء قانون ٢٧ تموز (يوليو) سنة ١٨٨٤ الذى أكمل بقانون ١٨٨٦ فأعاد الطلاق لفرنسا • وهذا القانونان اللذان عدلا المواد ٢٢٩ وما يليها من القانون الفرنسى لا تزال أحكامهما مرعية الى اليوم مع ملاحظة التعديل الذى حصل فى ١٢ نيسان (ابريل) سنة ١٩٤٥ الذى ساوى بين الزوجين فى طلب الطلاق •

فأسباب الطلاق اليوم بالقانون الفرنسى محصورة بما يلى :

١ ـ زنا احد الزوجين على الاطلاق •

٢ ـ الحكم على أحدهما بعقوبة شائنة •

٣ ـ سوء معاملة احد الزوجين للآخر أو تعذيبه أو اهانته اهانة جسيمة اذا كان من شأنها الاخلال بالواجبات الزوجية وصيرورة البقاء فى الحياة الزوجية صعبا »[1] •

*

● **الطلاق فى سويسرا :**

« يستطيع كل من الزوجين فى سويسرا أن يطلب الطلاق **فى حالة الزنا •• ولأحد الزوجين طلب الطلاق اذا وقع عليه اعتداء من الآخر ، أو تعذيب ، أو اهانة جسيمة •**

ويجوز طلب الطلاق :

١ ـ اذا حكم على احد الزوجين بعقوبة شائنة ، أو سلك سلوكا مخلا بالشرف من شأنه جعل الحياة الزوجية غير ممكنة بالنسبة لطالب الطلاق •

٢ ـ فى حالة هجر الزوج زوجته عن نية سيئة مدة سنتين ، وفى حالة عدم تقديم مسكن شرعى لها بلا سبب مشروع •

---

(١) الطلاق فى الاسلام : مولانا محمد على ص ١٩ ـ ٢١

٣ ـ اذا اصاب احدهما مرض عقلى جعل الحياة الزوجية متعذرة على شرط استمرار المرض مدة ثلاثة أعوام مع ثبوت تعذر شفائه طبيا »[١] .

*

● الطلاق فى المانيا :

« أجاز القانون الألمانى الطلاق لأسباب معينة :

١ ـ الحكم على احد الزوجين بالزنا . ولا يقع الطلاق اذا رضى أحد الفريقين بالزنا ..

٢ ـ اعتداء احد الزوجين على حياة الآخر .

٣ ـ هجر احد الزوجين الآخر عن سوء قصد . ويتحقق سوء القصد :

(أ) اذا حكم على الزوج بالمسكن الشرعى ، ولم ينفذ هذا الحكم مدة سنة كاملة رغم رضوخ الزوجة له .

(ب) اذا هجر الزوج زوجته عاما كاملا ولم يعاشرها .

(جـ) اذا أخل أحد الزوجين بالواجبات الزوجية أو سلك سلوكا شائنا بحيث تتعذر الحياة المشتركة .

ويعتبر استعمال العنف نحو أحد الزوجين اخلالا بالواجبات الزوجية .

٤ ـ اصابة أحد الزوجين بمرض عقلى واستمرار هذا المرض مدة ثلاثة أعوام ، ووصول المرض لدرجة جعلت الرابطة المعنوية بين الزوجين معدومة مع فقد كل أمل فى الشفاء »[٢] .

*

---

(١) المرجع السابق ص ٢١ ـ ٢٢
(٢) المرجع السابق ص ٢٢ ـ ٢٣

● **الطلاق فى انجلترا :**

« بعد صدور هذا القانون (عام ١٨٥٧) يمكن تلخيص أسباب الطلاق فى انجلترا بالرجوع اليه والى اجتهاد المحاكم كما يلى :

١ ـ **زنا الزوجة** : يجوز للزوج أن يستحصل على حكم بالطلاق اذا ارتكبت زوجته فعل الزنا أثناء الزوجية •

٢ ـ حق الزوجة بالطلاق : يحق للزوجة أن تطلب حل عقدة الزواج اذا ثبت للمحكمة أن زوجها ارتكب أثناء قيام الزوجية :

(أ) فعل الزنا مع أحد محارمه •
(ب) زواجه بأخرى •
(جـ) اغتصابه الاناث •
(د) ارتكابه اللواطة •
(هـ) اقدامه على فعل الزنا جبرا ، وبدونه يجوز طلب الهجر •
(و) ارتكابه الزنا مع الهجر بلا سبب مشروع مدة سنتين فأكثر •
(ز) تمنعه عن تنفيذ حكم القاضى بالمعاشرة الزوجية •
(ح) اقدامه على الزنا بعد الحكم بوجوب العودة الى المعاشرة الزوجية •
(ط) اساءته معاملة زوجته واستحصال الزوجة على حكم بالهجر بسبب ذلك ، واقدام الزوج على الخيانة الزوجية من جديد »(١) •

*

من الواضح ـ اذن ـ أن السماح بالطلاق فى حالة واحدة ، هى الزنا ، حسبما قرره انجيل متى وحده دون سائر الأناجيل التى حرمته ، قد أوقع المسيحيين فى عنت شديد ، وساقهم سوقا الى الخروج عليه ، ودعاهم الى اصدار تشريعات أخرى تعالج مختلف

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣ ـ ٢٤

الحالات التى تجعل استمرار الحياة الزوجية فرضا مستحيلا ، ومن ثم تسمح بالطلاق فى تلك الحالات المختلفة ، ولا تقصره على حالة الزنا .

لقد صار الطلاق شرعة فرضتها ظروف الحياة على المجتمعات المسيحية ، يعمل بموجبها عند الاقتضاء ، تماما مثل فريضة حلف اليمين . فالعالم المسيحى يمارس الحلف على الانجيل كل يوم : بدءا من رؤساء الدول ، وأصحاب المناصب الكبرى ، حتى جميع الشهود فى المحاكم ... الخ . ان هذا اجراء ارتضاه البشر جميعا كاحدى الوسائل الممكنة لتحقيق الاستيثاق ، وتذكير الضمير الانسانى بمسئولياته .

المسيحى يحلف بالانجيل الذى يقول على لسان المسيح : « سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تحنث ، بل أوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا البتة - متى ٥ : ٣٣ - ٣٤ » .

أى تناقض أوجع من هذا ..

يحلف المسيحى ، كل يوم ، بالانجيل الذى يقول له : لا تحلف ... ان هذا وحده يكفى للحكم على مدى ملاءمة بعض ما جاء فى الانجيل من تعاليم ، خاصا بتنظيم حياة البشر على هذه الأرض ...

* *

وأما تقييد الزواج ومنع تعدد الزوجات ، فقد حدث التمرد خلسة فى القرون الماضية ، واجتاح مختلف الطبقات حتى وصل فى القرون الوسطى الى أعلى الرؤوس فى طبقة الكهنوت .

● **اعترافات :**

يقول الدكتور **لويس عوض** فى كتابه : **ثورة الفكر** « كانت الفضائح فى روما ، مركز البابوية ، تزكم الأنوف . الأصل فى العقيدة الكاثوليكية أن رجال الدين لا يتزوجون ، وأن الرهبان ومنهم الكرادلة والبابوات ، ينذرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون باب الدير : نذر العفة ، ونذر الفقر ، ونذر الطاعة . وها نحن نرى **البابا اسكندر السادس**

(١٤٣١ ـ ١٥٠٣) جهارا نهارا ، له ثلاثة أولاد غير شرعيين هم : سيزار بورجيا درق اوربينو (١٤٧٥ ـ ١٥٠٧) ، ولوكريس بورجيا (١٤٨٠ ـ ١٥١٩) ، ودون كانديا .

وها نحن نرى البابوات يبيعون صكوك الغفران ، وها نحن نرى البابوات يرهبون مخالفيهم بقرارات الحرمان ، وها نحن نرى رجال الدين من رأس الكنيسة الى أصغر كاهن يكنزون المال ويقتنون الضياع .

لقد ساءت سمعة الكنيسة فى عصر سافونا رولا (١٤٥٢ ـ ١٤٩٨)

حتى غدا الناس يتندرون بقولهم عن قسيس : ان سمعته الطيبة تتنافى مع انتسابه للكنيسة . وكان اسم رجال الدين مرادفا للطفيلية والكسل ، وكانت العامة تقلد أصوات أجراس الأديرة قائلة : داندو ! داندو ! ، أى : هات ! هات ! ...

وكانت خلافة البابا اينوتشنتو الثامن (الذى اعتلى الكرسى البابوى من ١٤٨٤ الى ١٤٩٢) فاقعة الفساد ، كولاية خلفه زير النساء البابا اسكندر السادس . فقد اشتهر اينوتشنتو الثامن بأنه كان رجل المحسوبية وخراب الذمة ، كما أنه كان أول بابا يعترف علنا بأبنائه غير الشرعيين ، وكان دأبه توسيع أملاك أسرته .

وقد جرت كل هذه الرذائل مجرى التقاليد فى البلاط البابوى ، حتى ان تغير أسماء البابوات لم يعد يعنى شيئا ، فكلهم سواسية فى شهوة السلطان والتملك والاقبال على الملذات »(١) .

* *

ويعطى رولاند بينتون لمحة سريعة عما وصل اليه الحال ، وما اقترح

---

(١) ثورة الفكر : الدكتور لويس عوض ص ١٣٣ ـ ١٣٤ ، ١٤٠ ـ ١٤١ .

لعلاجه من مسكنات ، فيقول : « يمكن للمرء أن يدرك الى أى حد كان **لوثر** يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التى وصمها بأنها تهرب من المسئولية الاجتماعية . ولقد كان دفاعه عن الزواج فى مستهل هجومه على تبتل رجال الاكليروس والرهبان شديدا . وكان السبب فى ذلك أن الممارسات التى قاومها كانت فظيعة . **فلقد كانت ممارسة رجال الاكليروس للتسرى مشاهدة فى كل مكان ، باعتباره شرعا مقبولا ، كما كان يتغاضى عن الشذوذ الجنسى ، دون أدنى مبالاة .**

لقد اجتاحت هذه الرذيلة الكنيسة فى القرون الوسطى ..

وفى صراع لوثر ضد هذا الفساد ، فانه أكد على سماح بولس بالزواج كعلاج فقد كان يقول **ان نبضة الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة الا القليل .** قد يتجافى بعض الناس عن الشهوة الجنسية ، أما أن يكونوا أعضاء فان هذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس ، ولا يقدر على ذلك الا الذين منحوا القوة . **من أجل ذلك ، قد يكون الرجل المتزوج أكثر عفة من الراهب ، كما أن فرض العصمة على الذين** لم يمنحوا نعمة العفة ، **انما هو بمثابة الحكم عليهم بجهنم ، أو بتذوق عذاب المطهر .** فلا يحق للبابا بعد اليوم أن يمنع ذكرا وأنثى من التزاوج الا اذا كان يحق له منع الطعام والشراب . **بل ان الزواج بامرأتين قد يسمح به أيضا ، كعلاج لاقتراف الاثم ، أى كبديل عن الاتصال الجنسى غير المشروع »(١) .**

* *

رأينا ما أدت اليه تشريعات كبت الجنس وتجاهله ، وكيف أسفر الواقع عن تمرد قوى على تلك التشريعات ، بل وممارسة الشذوذ الجنسى بين طبقة الكهنوت ، الذين يفترض فيهم أن يكونوا مثالا يحتذى . وفى مواجهة للواقع ، بدأ التفكير جديا فى الدعوة الى الزواج

---

(١) R. Bainton : Sex , Love and Marriage, pp. 83 - 85

بدلا من تلك الدعاوى البالية التى كانت تنفر منه ، بل وأكثر من ذلك رؤى فى اباحة زواج الرجل بامرأتين حلا مشروعا ، كعلاج لمنع السقوط فى الزنا • ويعنى هذا بداهة الاعتراف بنظام تعدد الزوجات كصمام أمان ، يستخدم عند اللزوم للحفاظ على بنية المجتمع سليمة ومتماسكة ، فتكون العلاقات الجنسية بين الرجل والمرأة فى النور ، تحت السمع والبصر ، بدلا من تلك العلاقات السرية الآثمة التى تختلط فيها الأنساب ، وتضيع بسببها الحقوق والكرامات •

* *

● **دعوات للاصلاح :**

حين نلقى نظرة على أنماط التفكير الاصلاحى لعلاج المشاكل التى تعانى منها المجتمعات المسيحية بسبب تحريم الطلاق وتعدد الزوجات ، نجدها تشير جميعا ، بطريق مباشر أو غير مباشر ، الى أن الحل يكمن نظام تعدد الزوجات • ونكتفى هنا بعرض مثالين من هذا التفكير •

*

المثال الأول ـ السماح للرجل بتعدد النساء ، تكون الأولى هى الزوجة والأخريات سرارى :

منذ نحو مائة عام ، كتب عالم اللغات القديمة **دى بغلى** فى كتابه : **الأحكام العبرية** ، دراسة مقارنة عن تشريعات الزواج والطلاق فى اليهودية والمسيحية والاسلام ، وما عليه الحال من أعراف وتقاليد تحكم هذه الأمور فى بعض شعوب الأرض وقبائلها •

وقد تحدث عن نظام الزوجة الواحدة ، وشريعة تعدد الزوجات ، وقارن بينهما مستخدما تعبير البلاد المتمدنة ، ويقصد به البلاد التى يسكنها العنصر الأوربى فقط ، كما استخدم **تعبير : البلاد غير المتمدنة** ، ليعنى بقية بلاد العالم ! وكان مما كتبه : « أما فى البلاد المتمدنة ، المحرم فيها تعدد الزوجات ، **فان الأسباب الداعية الى تعدد الزوجات موجودة** ولكن طرق الحصول على قضاء الشهوة عند

الضرورة الداعيـــة اليهــا ، تختلف عن طرق البـــلاد غير المتمـــدنة فى الاسم والصفة . فيتخذ بعض الرجال الأخدان سرا وعلانية اذ يقضون شهوتهم مع المومســـات والعاهرات . وهما طريقتـــان مفضـــلتان عن تعدد الزوجات عند الناس (!) ، الا أن فيهمـــا الضرر على النســـاء والأولاد ، فلا يستحسنان من هذه الوجهة .

ان تعدد الزوجات مباح فى أغلب بلاد المعمــورة ما عدا أوروبا ، ولكن لا تظن أن تحريمه فى أوروبا قديم جدا ، فقد كان مباحا حتى عهد النصرانية . وأعظم دليـــل عليــه ، زواج الملك شـــارلمـان بأكثر من واحدة . وما كان يفعله القسس مدة انتشار تعدد الزوجات فى أوروبا ، انهم كانوا يأمرون الناس المتزوجين بأكثر من واحدة ، أن يختاروا لهم من بينهن واحدة يطلق عليها اسم زوجة ، وعلى غيرها اسم خدن .

ونحن وان كنـــا نسلم بأن أحسن زواج يشرع هو الزواج بامرأة واحـــدة ، وأن أحســـن نظام عائلى لا يتـــأتى الا اذا اقتصر الزوج على زوجة واحدة ،ولكننا لا نرى فى تعدد الزوجات ما رآه فيه غيرنا من الفظاعة والمغايرة للطبيعة ، وما يصفه بعض بسطاء العقول ، بل نحن على خلافهم نجد فيـــه كثيرا من الفوائد الحسية والمعنوية ، ونراه اقرب الى الطبيعة البشرية خصوصا طبيعة الرجال ..

وأقل ما فى تعدد الزوجات من الفوائد الحسية تحسين النســـل . وأما كون النسل يتحسن بهذه الواسطة فظاهر مشاهد فى الحيوانات جميعا ، لأن الناس يختارون القوى من الذكور للتلقيح ، ولا يختارون الضعيف ردىء البذرة .

وان أحسن شكل لاباحة تعدد الزوجات هو قصر الزوجيـــة على امرأة واحدة تكون الزوجة الحقيقية للرجل ، مع اباحة اتخاذ الأخـــدان

والسرارى ، فبذلك تجتمع مزايا التزوج بامرأة واحدة ، ومزايا تعدد الزوجات .

لقد قلنا ان أحسن شكل ، وأكمل نظام للزواج هو اقتصار الرجل على نكاح امرأة واحدة ، الا أن الجارى فى العالم يخالف هذه السنة الشريفة ، فلا تجد بلدا يخلو من زيجات مغايرة لأحكام هذا الزواج حتى المحرم فيها تعدد الزوجات تحريما قطعيا (مثل المجتمعات المسيحية) ، وذلك لأسباب جمة تضطر الرجل أو المرأة الى مخالفة شرع الزواج وحدوده ، منها : ميل الذكر بفطرته الى تعدد الزوجات ، ومنها : موانع بدنية تطرأ على المرأة فتحرم الرجل من الاجتماع بها وتمنعه عنها مددا بعضها قصيرة ، وبعضها طويلة كالحيض والنفاس واشتغالها بالرضاع . ومنها : غياب الرجال فى الخدمة العسكرية واضطرارهم الى ترك نسائهم أثناءها لصعوبة الجمع بين معيشة الزوجية والخدمة العسكرية ..

كل هذه الأسباب كانت نتيجتها اختلال سنة الزواج الصحيح الكامل ، وتنويع صور اجتماع الرجل بالمرأة ..

ان الاقتصار على زوجة واحدة لم يأت بالغرض المقصود منه حيث لم يمح أنواع الزيجات الأخرى . وغاية ما فى الأمر ان الناس ينظرون الى تلك الأنواع بعين غير العين التى ينظرون بها الى الزواج ، وأن النساء المتخذات للاستفراش بهذه الأنواع صرن مغبونات بشريعة النكاح ، لأن مضار التسرى واتخاذ الخدن والاستفراش غير المشروع عائدة عليهن وحدهن ، كما أن عقاب الزنا والسفاح لا يصيب فى الغالب غير النساء ..

ولقد نسخ هذا التسرى الرومانى بحكم النصرانية ، ولكن الأوربيين لا يزالون يتخذون الأخدان ولم يتبعوا شرعهم الدينى فى تحريم تعدد الزوجات .. ولا يعاقبون على التسرى واتخاذ الأخدان ، ويغضون الطرف عنه ولو أنه غير جائز شرعا))(١) .

*

---

(١) المقابلات والمناظرات ص ٣٣٨ ـ ٣٥١

المثال الثانى ـ اعادة النظر فى موقف المسيحية من تعدد الزوجات :

ألقى **هوارد رووت** محاضرة فى **كليـة اللاهوات بكامبردج**، عام ١٩٦٢ ، كان موضوعها : **مشاكل الجنس الأخلاقية** وكان مما جاء فيها : « يجادل الناس فى مسائل الجنس على المكشوف ، ويقتربون منها بوجهات نظر متضاربة . ونجد فى الأمور الجنسية أن التأصيل الأخلاقى الجامد هو عدو للفهم الأخلاقى . **انها لحقيقة محزنة وغير قابلة للانكار ، أن الكنيسة غالبا ما فشلت فى ادراك ذلك ، وقد خدعت بصيرتها الأخلاقية بغية التمتع باحترام مظهرى . وأحيانا ما كانت تعالج المشاكل الجنسية كما لو كان حسمها يتم بالقواعد المكتوبة .**

ان هذه عبارات جافة وصريحة ، ولن نربح سوى القليل اذا فكرنا بعمق فى الأسباب التى أوصلتنا الى حالتنا الحاضرة ، على الرغم من أن فهم تلك الأسباب قد يعمق بصيرتنا بحق ..

لقد استمسكت المسيحية منذ نشأتها الأولى ، بأن التحقيق المثالى لمطالب طبيعتنا الجنسية ، يكمن فى نظام الزواج بامرأة واحدة . وكثيرا ما افترض أن المبدأ الرئيسى فى المسيحية ، هو بكل بساطة ، جعل كل ممارسة جنسية خارج الزواج بامرأة واحدة تعتبر خطأ ، وكل ممارسة جنسية فى نطاق ذلك الزواج تعتبر صحيحة . ان الأمور لا تسير هكذا ..

فعندما نتحدث عن مثالية الزواج بامرأة واحدة ، ونوحى بأن ذلك هو الوضع الذى يتم فيه اشباع مطالب طبيعتنا الجنسية بطريقة كاملة وصحيحة ، فاننا نكون فقط قد بدأنا وصف مشاكل الجنس الأخلاقية ..

وهناك اعتبار آخر ، يجب أن يؤخذ فى الحسبان على الرغم من أننا نستطيع الاقتراب منه فقط بالتأمل الحذر . ان الانسان فى العالم الذى نعرفه ، حيث البلاد المسيحية بخلفيتها الاغريقية واليهودية ،

لا يستطيع تجاهل مثالية الزواج بامرأة واحدة .. لكنى لا أرى سببا يدعو المسيحيين ، أو غيرهم ، الى التطرف فى التأكيد على ان هذا النظام المثالى هو نوع من المطلق الأبدى ، مثل طبيعة الله ، ونجد ، فى واقع الأمر ، شواهد فى العهد الجديد تحذرنا من هذا الافتراض .

لقد جاء أعداء المسيح ليجربوه حول هذا الموضوع ، فقال لهم : فى الملكوت لا يزوجون ولا يتزوجون . انى لا أدعى فهم ما يتضمنه هذا القول ، لكنه يوحى ، على الأقل ، بأن الزواج قد شرع للبشر (فى هذه الدنيا) وفقا لاحتياجاتهم وقدراتهم ، فى أزمنة وأماكن معينة .

وقد قال المسيح أيضا ، فى موضع آخر ، ان شريعة موسى فيما يتعلق بالطلاق قد أعطيت لهم بسبب قساوة قلوب الرجال . وهنا أرجو ألا يساء فهمى عندما أقول ، بوجه خاص ، ان مثالية الزواج قد أعطيت لنا بسبب قساوة قلوبنا ، أى بسبب حاجتنا الى النظام والتوجيه اللذان يوفرهما لنا . وبصرف النظر عن كلمات المسيح هذه ، نجد أن القديس بولس اعتبر الزواج ، لأسباب مختلفة ، خيرا لا شك فيه ، اذ : التزوج أصلح من التحرق . أما اعتباره البتولة أفضل من الزواج فهذا واضح لا جدال فيه .

ان هذين الايحاءين اللذين نجدهما فى العهد الجديد كافيان لجعلنا نتأنى قبل أن نعلن أن التزوج بامرأة واحدة هو المثالى الوحيد الممكن ، وفيه الحل لمشاكل الجنس الأخلاقية .

لقد كان هناك كثير من البحوث المخلصة ، فى السنوات الأخيرة ، عن المطالب الاجتماعية التى يجب أن تفرضها الديانة المسيحية ، مثلا ، على مجتمع يمارس تعدد الزوجات . هل هو مستحيل على رجل متعدد الزوجات أن يصير مسيحيا ؟ وهل الدين المسيحى يستلزم أن يطلق الرجال زوجاتهم المعولات ، ومن ثم يحكمون عليهن عمليا بالفقر والعوز ؟ وهل نظام تعدد الزوجات ، يعتبر فى كل الأحوال ، استخداما سيئا للجنس ؟

ليس من السهل الاجابة على هذه الأسئلة ، الا أن الحاحها علينا واهميتها الواقعية ، تجعل انه من الأمور الجوهرية بالنسبة لنا أن نبقى مفتوحى الفكر ، وأن نتذكر أن الزواج ، مثل السبت ، قد جعل للانسان ، ولم يجعل الانسان للسبت(١) .

ومن ناحية أخرى ، نجد أنه من الأهمية بمكان أن نلاحظ التغيرات التى حدثت فى الجماعة الدينية العظيمة ، حيث تعدد الزوجات أمر عادى : أقصد بذلك الاسلام .

أعتقد انه من الحق أن نقول ان ممارسة التزوج بامرأة واحدة أخذ فى الازدياد ، وأن بعض المفكرين المسلمين يشجعون على ذلك بالاشارة الي ما جاء فى تعاليم محمد **فبينما يسمح القرآن بتعدد الزوجات ، مثلما يفعل العهد القديم ، فان النبى قال ان على الرجل ألا يتزوج بأكثر ممن يستطيع أن يسوى بينهن فى المعاملة والاعزاز .** وبما أن القليل من الرجال هم الذين يستطيعون معاملة أكثر من زوجة واحدة بنفس مشاعر الحب ، فقد كان النبى فى الحقيقة ، لا يشجع على تعدد الزوجات . ان هذا هو السبيل الذى تحركت فيه البصيرة الأخلاقية لأحد الأديان من جيل لآخر ..

ان كل شيء فى ميراثنا الثقافى ، والذى تتحمل المسيحية مسئوليته الى حد بعيد ، يجعل من الصعب علينا أن نكون موضوعيين وصادقين فى

---

(١) عاب اليهود على المسيح فعل تلاميذه حين لم يحفظوا الراحة يوم السبت ، اذ « ابتدأ تلاميذه يقطفون السنابل وهم سائرون . فقال له الفريسيون : انظر ، لماذا يفعلون فى السبت ما لا يحل ؟ فقال لهم : أما قرأتم قط ما فعله داود حين احتاج وجاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله .. وأكل خبز التقدمة الذى لا يحل أكله الا للكهنة ، واعطى الذين كانوا معه أيضا : ثم قال لهم : **السبت انما جعل لأجل الانسان ، لا الانسان لأجل السبت ـ مرقس ٢ : ٢٣ ـ ٢٧** » .

مناقشتنا لهذه المشاكل . فالمسيحيون غالبا ما يتسرعون فى الاعتقاد بأن أى اقتراب من الجنس يشكك فى التعاليم المسيحية التقليدية ، لا بد وأن يكون خاطئا ، ومن ثم فلا حاجة للبحث فيه بمثل تلك العناية والاهتمام اللتان تحظى بهما على الفور مسائل جدلية ، مثلا ، تتعلق بالعقيدة »(١) .

*

أما بعد ...

لقد كانت تلك صيحة ضاع صداها سريعا فى أعقاب صوت ذلك الانفجار الرهيب الذى عرف فى الغرب ، آنذاك ، باسم الثورة الجنسية .

* *

(١) H. Root : GOD , SEX & WAR, pp. 33 - 55.

ثانيا — التعاليم الأخلاقية فى الأناجيـل

فى دراسة مقارنة عن هذا الموضوع الذى يعتبر ثانى الموضوعات أهمية بعد العقيدة فى أى دين من الأديان ، يقول : ج. ويلز(1) — بجامعة لندن — فى كتـابه : « **يسوع المسيحيين الأوائل** » ،ما نقتبس بعضا منه ، واضعين اياه بين علامات الاقتباس .

« لقد جرى التوكيد أحيانا على أنه مهما كان ضعف الدليـل على معجزات يسوع ، فانه يقف شـامخا باعتباره معلما أخلاقيا ملهما ، ونابغة فى مجال السـلوك الأخلاقى ، مما يؤكد كونه شخصية تاريخية .

وفى واقع الأمر ، ان جميع التعاليم الأخلاقية المقبولة فى الأناجيـل يمكن اكتشافها فيما سجله الكتبة الوثنيون السالفون ،كما سلم بذلك الأسقف ثرول وول(2) . ويقتبس فارير(3) تعليم عدم الأنانية من سنيكا ، والحب الأخوى لكل الجنس البشرى من كل من سنيكا وشيشرون والمحبة من هذين الاثنين وغيرهما ، والعفو ، والتسامح والرفق من كتاب وثنيين كثيرين .

وما كان يعتبره المصرى القديم واجبا عليه تجاه جاره ، نجده فى قائمة من الأمور المرعية تعرف باسم : (الاعتراف السلبى) وقد اقتبسه بدج من بردية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

ويعتقد أن تلك القائمة كانت ترتلها كل نفس رحلت الى العـالم الأخر ، عند محاسبتها » . ومن أمثلة ما تحتويه تلك القائمة :

« ١ — لم ارتكب اثما ...　　　　٤ — لم أسرق .

---

(١) G. Wells : The Jesus of The Early Christians, PP. 55 - 72.

(٢) Trirlwall, Bishop C. (historian of Greece) : Letters, leterary and theological, London, 1881 - PP. 37 - 38.

(٣) Farrer, J. A. : Paganism and Christianty, London, 1891, Chapter IX.

٥ ــ لم أقتل رجلا أو امرأة .

٦ ــ لم أخسر المكيال .

٧ ــ لم أمكر بأحد ...

١١ ــ لم أتفوه بكلام ردىء ...

١٤ ــ لم يشتعل قلبى غيظا ...

١٩ ــ لم أغتب أى انسان ..

٢١ ــ لم أرتكب زنا أو لواطا .

٢٢ ــ لم أدنس نفسى .

٢٣ ــ لم أضطجع مع زوجة انسان .

٢٤ ــ لم أجعل أى انسان فى خوف ...

٢٦ ــ لم أجعل نفسى أصم عند سماع كلمات الحق والعدل .

٢٧ ــ لم أجعل أى شخص آخر يبكى .

٢٨ ــ لم أتفوه بسباب أو تجديف (ضد المقدسات) ...

٣٥ ــ لم ألوث المـاء الجارى .

٣٦ ــ لم أكن متفاخرا فى كلامى ...

٣٨ ــ لم أتصرف بغطرسة .

٣٩ ــ لم أعرف المحاباة .

٤٠ ــ لم أزد فى ثروتى الا بالوسائل المشروعة ... » .

هذا ــ ويستطرد ويلز قائلا :

« يعزو المفسرون المسيحيون الى يسوع تعاليم أخلاقية غير موجودة فى الأناجيل وعندما نقرأ الأناجيل بقصد اكتشاف معيار الصـلاح الذى يدافعون عنه ، نجدها تحتوى على تعاليم أخلاقية أقل عموما مما هو مفترض » .

*

● من انجيل مرقس :

« فى واقع الأمر ، لا نجد شيئا فى انجيـل مرقس ، انه يسـجل معجزة تلو الأخرى ليقنعنا أن يسوع كان هو المسيا ، لكنه غير مهتم

بما كان يعظ به • وهو يكرر التلميح الى تعاليم (الانجيل) و (يسوع) دون أن يخبرنا بمكوناتها (١ : ١٥ ، ٢١ ، ٣٩ ، ٣ : ١٤) ••• الخ •

ويخلو هذا الانجيل من موعظة الجبل • كما أن التعاليم التى فى الاصحاح الرابع ليست أخلاقية ، لكنها تتكون من أمثال ملكوت الله •

وتأتى أول اشارة عن تعليم أخلاقى فى الاصحاح السابع حيث يدين يسوع : (الفسق والسرقة والقتل والزنا والطمع والخبث والمكر والعهر والعين الشريرة والتجديف والكبر والجهل) •

وقد دعا فى الاصحاح الثامن الى انكار النفس ، كما ينصحنا فى الاصحاح التاسع بقطع أيدينا وأرجلنا وقلع أعيننا اذا كانت هذه الأعضاء ستعثرنا ، لأنه خير (أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان وتطرح فى جهنم النار) وفى الاصحاح التالى (العاشر) يحرم يسوع الطلاق ، ويعيد اختصار الوصايا المعتادة : (لا تقتل ، لا تزن ، لا تسرق ، لا تشهد بالزور ، لا تسلب ، أكرم أباك وأمك) •

ويقتبس الاصحاح الثانى عشر وصايا العهد القديم : (تحب الرب الهك ••• تحب قريبك كنفسك) • ويضيف يسوع الى هذه من عنده (ما جاء فى الاصحاح العاشر) : (اذهب بع كل ما لك وأعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء) » •

● **من انجيل لوقا :**

« يسجل لوقا أحاديث أكثر (ليسوع) ، ولكن يصعب فى الغالب اكتشاف أى مبدأ أخلاقى فيها • فمثلا يبدأ يسوع ـ فى الاصحاح السادس ـ موعظة الجبل بتطويب المساكين والجياع والباكين والمكروهين ، ثم هو يلعن الأغنياء والشباعى والضاحكين وأصحاب الشهرة • ولا يدرك أى مبدأ أخلاقى حتى العدد ٢٧ : (أحبوا أعداءكم •• لا تدينوا) •

وهو يستمر فى التشديد على التبادلية (المعاملة بالمثل) والرحمة وأخيرا فانه يمدح الايمان (٧ : ٥٠) ، ويشهد على انكار النفس ، بل انه يحض تلاميذه على الاستشهاد (٩ : ٢٣ — ٢٤) .

كما يخبرهم بأن (الأصغر فيكم جميعا هو يكون عظيما) (٩ : ٤٨) وعندما يقولون انهم وجدوا انسانا يخرج الشياطين باسمه ومنعوه لأنه (ليس يتبع معنا) ، يأمرهم يسوع ألا يمنعوه **(لأن من ليس علينا فهو معنا) وبالمناسبة ، فان هذا نقيض لما فى انجيل متى ١٢ : ٣٠ حيث يعطى يسوع تعليما مخالفا : (من ليس معى فهو على ، ومن لا يجمع معى فهو يفرق) .**

بعد ذلك يبدأ رحلته الى أورشليم . ويستقبل بجفاء فى قرية للسامريين ويسأله تلميذاه الساخطان (يعقوب ويوحنا) : (أتريد أن تقول أن تنزل نار من السماء فتفنيهم ؟ — لكن يسوع — التفت ونهرهما) .

وحسب (الترجمة المعتمدة) (الملك جيمس) نجده قد أردف قائلا :(لأن ابن الانسان لم يأت ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص) . **ونظرا لأن هذه الكلمات غير موجودة فى المخطوطات الأربع الأقدم ، فقد شطبتها (الترجمة المراجعة) .**

ان هذا يبين لنا الطريقة التى كانت توضع بها مختلف أساليب التعبير على لسان يسوع ليتفوه بها خلال تاريخ انشاء الوثائق (المسيحية) » .

● من انجيل متى :

« اذا صرفنا النظر عن التناقضات ، واتقينا ببساطة تلك التعاليم ذات الصبغة الأخلاقية الواضحة ، فاننا نستطيع تصنيفها كالآتى :

من الاصحاح الخامس :

١ ــ كن وديعا ومتواضعا •

٢ ــ كن رحيما •

٣ ــ كن نقيــا •

٤ ــ أطلع الشريعة اليهودية •

٥ ــ تجنب الغضب •

٦ ــ كن غافرا ومسترضيا •

٧ ــ تجنب التفكير فى الزنا •

٨ ــ لا تطلق زوجتك الا لعلة الزنا •

٩ ــ لا تحلف •

١٠ ــ لا تقاوم الشر •

١١ ــ كن محســنا •

١٢ ــ أحب عدوك •

ومن الاصحاح الســادس :

١٣ ــ لا تكن متفاخرا فى عمل الخير •

ومن الاصحاح السابع :

١٤ ــ لا تدين •

١٥ ــ لا تعط القدس للكلاب •

١٦ ــ افعل بالآخرين ما تريد أن يفعلوه بك •

١٧ ــ لا تقل كلاما تافها •

ومن الاصحاح التاسع عشر :

١٨ ــ كن مستعدا لترك كل شيء وكل شخص من أجل يسوع » •

*

وفى استعراض لهذا القانون الأخلاقى ، يقول ويلز :

« ان رقم ٩ يبدو أنه يريد أن يقول : (قل الصــدق دائما) •• واذا أغفلنا مؤقتا أرقام ٤ ، ٨ ، ١٥ ، ١٨ فاننا نستطيع استخلاص مبادىء يســوع الأخلاقية فى التشديد على : التواضع ، والرحمة ، والنقاء ، وتجنب الغضب ، والمغفرة ، والصدق ، وعدم مقاومة الشر ، والاحسان

والتبـــادلية (المعاملة بالمثـــل) ٠ان التركيز هنا على الوداعة ، وهى الفضيلة الملحوظة بين الشـــعوب المقهورة فى الامبراطورية الرومانيـــة ـ الذين جاء منهم المسيحيون الأوائل ـ حيث كان ضغط الفقر هائلا لدرجة ان الحيـــاة لم تكد تستحق العيش » ٠

*

● من انجيل يوحنـــا :

« يوجد اختلاف صارخ بين تعاليم الأناجيـــل المتشـــابهة (متى ومرقس ولوقا) وتلك التى فى انجيل يوحنا ٠ فالأولى تهتم أساسا بكيفية دخـــول ملكوت الله ، أما فى يوحنـــا فان الموضـــوع الرئيسى هـــو يسوع نفســـه ، شخصه ومجده ٠ فقد أخبرنا مثلا أنه : (قبل أن يكون ابراهيم أنا كائن) ، (أنا هو القيامة والحياة) ٠

ففى هذا الانجيل يعطى يسوع ما أسماه شميدل تكرارا مستمرا لقضايا غيبية تتعلق بشخصه ، ولا توجد به أمثال على الاطلاق ، وقد جاء ذكر ملكوت السموات مرتين ٠

لقد اعتقد شـــميدل ـ وقد لقيت وجهة نظرة قبولا واســـعا ـ أن الخلافات بين التعبيرات الصوفية فى الانجيل الرابع وبين الخطب والأحاديث فى الأناجيل المتشابهة عظيمة لدرجة أنها لا يمكن أن تكون قد صـــدرت عن شخص واحد » ٠

* *

● كيف راعى المسيح قانونه الأخلاقى :

ويقول ويلز : « ان ما يصدمنا هو أن الأناجيل تظهر لنا يسوع نفسه غير قادر على تنفيذ أغلب تلك القواعد الأخلاقية الثمانية عشر ٠٠

ان ســـلوكه ازاء القاعـــدتين ٤ ، ٥ يصـــيبنا بصـــدمة كبيرة ٠ اذا كان تجنب الغضب ضروريا جدا ، فلماذا « نظر حوله اليهم بغضب ـ

مرقس ٣ : ٥ » ؟ ! وبالنسبة لرقم ١ ، فالبرغم من أنه يقول فى فقرة واحدة انه وديع ومتواضع الفؤاد ، فانه يصرح فى الاصحاح التالى مباشرة بأنه « أعظم من سليمان ــ متى ١١ : ٢٩ ، ١٢ : ٤٢ » .

وهو يخبر تلاميذه أن يذهبوا الى مدن اسرائيل ليعلنوا أن ملكوت السموات وشيك ، وأن أى مدينة لا تؤمن بهم ، فحسب قوله ، سيكون عقابها مرعبا يوم الدينونة ، وسيكون حظها أشد سوءا من تلك المدن سيئة السمعة (متى ١٠ : ٥ ــ ١٥) ان عدم الايمان بدعاواه النبوية صار جريمة لا تغتفر . وكذلك نجد فى مرقس ١٦ : ١٦ أن يسوع الذى أقيم من الأموات يعلن أن كل من اعتمد وقبل تعاليمه يخلص ، بينما (من لم يؤمن يدن) . **ان مثل هذه المواقف يصعب وصفها بالتسامح .**

كذلك ، نجد أن يسوع ، بينما هو يحرم الذم من ناحية (من قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ــ متى ٥ : ٢٢) اذا به ينغمس فيه من ناحية أخرى (أيها الجهال والعميان ــ متى ٢٣ : ١٧) ، (يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك ــ لوقا ١٢ : ٢٠) .

ان كل انسان يعلم أنه علمنا أن نحب جيراننا ، بل وحتى أعداءنا (رقم ١٢) ، ومع ذلك فانه يحقر الكتبة والفريسيين ، داعيا اياهم : مرائين وحيات وأفاعى (متى ٢٣ : ٢٩ ، ٣٣) .

وبجانب اخفاق يسوع فى الحفاظ على المعيار الأخلاقى فانه لا يؤيد دائما أى معيار متسق .

فبالرغم من أن علينا أن نحب أعداءنا ، فقد أخبر التلاميذ : (ان أخطأ اليك أخوك .. ولم يسمع لك .. فليكن عندك كالوثنى والعشار ــ متى ١٨ : ١٧) . **فمن الواضح أن هناك صنفين لا يحبان (هما : الوثنيون والعشارون) ..**

وان تعليم يسوع فيما يختص بمن يكون له الخلاص ، مليئة بالتناقضات . ففى متى ١١ : ٢٨ يصور لنا كمن يقول للشعب (تعالوا الى يا جميع المتعبين .. وأنا أريحكم) .

ولكن فى مرقس ٤ : ١٢ يقول انه يتعمد أن يكون غامضا للشعب لكى لا يفهموه ، وبالتالى لا تكون لهم فرصة للتوبة والخلاص . فهو يقول لتلاميذه : (قد أعطى لكم أن تعرفوا سر ملكوت الله . وأما الذين هم من خارج فبالأمثال يكون لهم كل شيء . لكى يبصروا مبصرين ولا ينظروا ، ويسمعوا سامعين ولا يفهموا ، لئلا يرجعوا فتغفر لهم خطاياهم) .

ماذا نقول فى اله يتعمد أن يكون غامضا لكى لا يخلص أولئك الذين يسمعوه ؟! ..

كذلك يوجد عدد من الفقرات التى تعد بالخلاص ليس لقلة مختارة من أفراد الطائفة الجديدة لكن أيضا لأولئك الذين يقيمون الشريعة اليهودية . ويتوافق مع هذا ما يعلن أحيانا من أن الناموس يعتبر مطلقا وخالدا . وهكذا نجد يسوع يقول فى لوقا ١٦ : ١٦ – ١٧ ان : (زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس) ..

ويقول يسوع فى متى ٥ : ٧ : (لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل) .

ان تعبير (**الناموس والأنبياء**) يدل على المكون الدينى الكلى للعهد القديم ، لأن (الناموس) كان الاسم اليهودى الشائع لأسفاره الخمسة الأولى ، و (الأنبياء) تعنى الأسفار من يشوع الى الملوك الثانى ، ومن أشعيا الى ملاخى .

وهكذا ، فان يسوع يقول ان أقل الوصايا أهمية ، وأصغر حرف من الناموس متماثلان فى كونهما خالدين ..

ولكن يسوع ، بعد هذا التسليم الجلى بسلطان الناموس ، فانه يقدم على ادخال تغييرات كبيرة عليه .

ان ناموس موسى يسمح بالطلاق ، لكن يسوع يحرمه الا لعلة الزنا . ويسمح الناموس بالحلف لكنه يحرمه ..

ان واحدة من أكثر التناقضات حدة فى الوثائق (المسيحية) هو ما نجده بين الفقرات التى تدخر الخلاص لليهود ، وتلك التى تستبعدهم منه لصالح السامريين والأمميين .

فنجد متى ، فى بضع فقرات ، يتبنى وجهة نظر ضـد اليهود ، فهو يقول مثلا فى ٨ : ١٠ ــ ١٢ ان كثيرين ، وليس اليهود ، سـيكون لهم الخلاص ، وان ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة أخرى (٢١ : ٤٣) ..

وفى واقع الأمر ، فان متى يجعل يسوع يتبنى عادة وجهـة نظر تقتصر على الانحياز لليهود . فهو يبرر رفضه أول مرة شفاء ابنة المرأة الكنعانية ــ كما فى ١٥ : ٢٤ ــ بقوله : (لم أرسـل الا الى خراف بيت اسرائيل الضـالة) . وعندما يرسـل تلاميذه الاثنى عشر لتحذير الشعب من أن ملكوت السموات قريب فانه يعطيهم تعليمات بألا يبلغوا بشارتهم الى الأمميين أو السامريين ، ولكن فقط لليهود (١٠ : ٥) .

ان هذه التعليمات المنحازة لليهود قـد حـذفها كل من مرقس ولوقا . وبينما يتعهد متى بأن يكون لليهود فرصـة أخـرى للتوبة ، وأما السامريين فلا ، فان لوقا يجعـل يسـوع يقول مثل السـامرى الطيب ، حيث يوضع السامريون فى أفضل صـورة ، واليهود فى أدنى صورة . ان هذا المثل قد ضرب من أجل غرض واضح وهـو بيـان :

(من هو قريبى) ، ومن ثم نعلم من المقصـــود عندما تؤمر بمحبة جارنا كمحبتنا لأنفســنا (١٠ : ٢٧ ــ ٢٩) •

اذا كانت الوصية المعادية للسامريين هى ما تفوه به يسوع ، فان المثال المدافع عن السامريين ليس من قوله • واذا كان أحد هذه الأقوال قد وضــع زيفا على لســان يسوع ، فعندئذ قد تأكد بوضوح كيف يمكن أن يحدث أى شىء بمنتهى السهولة » •

* *

ونضيف الآن الى التعاليم الأخلاقية التى نسبها كتبة الأناجيل الى المسيح ، ثم أظهروه للناس وقد تحلل منها لصعوبتها ، ما هو شائع بين الناس مثل قوله : « من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ــ متى ٥ : ٣٩ » •

ففى رواية يوحنــا عن استجواب ذلك الذى قبضوا عليه أمام رئيس الكهنة يقول : « ســأل رئيس الكهنة يســوع عن تلاميذه وعن تعليمه أجابه يســوع : أنا كلمت العــالم علانية • أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما • وفى الخفاء لم أتكلم بشىء • لمــاذا تســألنى أنا ؟ اســأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم • هو ذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا •

ولمــا قال هــذا **لطم يسوع** واحد من الخدام كان واقفا قائلا : أهكذا تجاوب رئيس الكهنة ؟!

اجابه يسوع : ان كنت قد تكلمت رديا فاشهد على الردى وان حسنا **فلماذا تضربنى ؟!** ــ يوحنا ١٨ : ١٩ ــ ٢٣ » •

لقد احتج يسوع الأناجيل على ضربه على خده ، ولم يدر الخد الآخر لتلقى مزيد من اللطمات •

وهكذا تتهاوى القصور الأخلاقية التى بنيت فى الهواء • فالدعوة الى

محبة الأعداء قد نقضها موقفه من الكتبة والفريسيين ، بل ومن العشارين والوثنيين .

وتقبل المزيد من اللطمات قد انهار أمام لطمة واحدة . وهكذا فعل كتبة الأناجيل بالمسيح وتعاليمه الشيء الكثير ..

******

● تعاليم المسيح الأخلاقية وتعاليم السابقين :

يقول ويلز : « ان التعاليم الأخلاقية للمسيح التى ذكرها متى فى موعظة الجبل (٥ : ١) قد جعلها لوقا مختصرة فى موعظة سهل (٦ : ١٧) . وهما وان كانت تعبيراتهما تتماثل أحيانا فانها تختلف فى أحيان أخرى .

فحسب رواية لوقا ، يقول المسيح : (طوباكم أيها المساكين .. طوباكم أيها الجياع الآن — ٦ : ٢٠ — ٢١) بينما يقول المسيح فى رواية متى : (طوبى للمساكين بالروح .. طوبى للجياع والعطاش الى البر — ٥ : ٣ — ٦) .

كذلك يقول لوقا : « ويل لكم أيها الأغنياء ، لأنكم قد نلتم عزاءكم — ٥ : ٢٤ » وهذه غير موجودة فى رواية متى .

وعلى كل حال فان كل فقرات هذه التعاليم قد وجدت لها نظائر فى الآداب اليهودية ، المتقدمة والمتأخرة ومستقلة تماما عن أى تقاليد مسيحية (انظر المتماثلات التى استخرجها روبرتسون) (١) ، وان الكتابات التى تنتظم مثل هذه الحكم الأخلاقية لأغراض الوعظ والتعليم ، كانت موجودة فى الطائفة اليهودية قبل نشأة المسيحية

---

(١) J. Robertson : Christianity and Mythology, pp. 404 ff.

مباشرة . ويمكن تبيان هاتين النقطتين من : (**كتاب أسرار اخنوخ**) .. **وهو كتاب غير مسيحى ، وأقدم من أى انجيل من الأناجيل ..**

ان بعض فقراته متماثلة بشكل مدهش لأجزاء من موعظة الجبل ، فهناك مثلا : **طوبى لمن يقيم السلام**) (كتاب أخنوخ ٥٢ : ٢ ، انجيل متى ٥ : ٩) .

وكذلك : « **سوف لا أحلف .. لا بالسماء ولا بالأرض ولا باى مخلوق آخر مما صنعه الله .. اذا لم يكن فى الناس صدق ، دعهم يحلفون بكلمة : نعم ، نعم أو لا ، لا** » (أخنوخ ٤٩ : ١ ، متى ٥ : ٣٤ ــ ٣٧) .

ونجد فى الاصحاح الثانى والأربعين (من كتاب أخنوخ) التطويبات الآتية التى تشبه ما فى الانجيل من حيث أن عددها تسعة ، وأن أغلبها توليفة من المزامير والأنبياء وآداب يهودية أخرى :

طوبى لمن يخشى اسم الرب ، ويخدم دائما أمام وجهه ويقدم عطاياه بخوف وباستمرار فى حياته ، ويعيش كل حياته بارا ثم يموت .

طوبى لمن يحكم بالعدل ، لا من أجل مكافأة بل من اجل البر ، غير منتظر اى شىء فى المقابل ..

طوبى لمن فيه الصدق ..

طوبى لمن تسرى المحبة على شفتيه ، ويمتلىء قلبه بالشفقة .

ان كل هذه الأدلة تبين أن الأسلوب الوعظى لموعظة الجبل لم يكن فقط مما قبل المسيحية ، بل ان نظم الحكم الأخلاقية معا ، والمنتخبة من التقاليد اليهودية السابقة ، لم يكن مجهولا بأية حال من الأحوال عند بداية العصر المسيحى »[1] .

* * *

(١) G . Wells. The Jesus of The Early Christians, pp. 69 - 71.

تعـدد الزوجات فى الاسـلام

عرف تعدد الزوجات قبل الاسلام ، سواء فى البيئة العربية أو فى غيرها من البيئات والمجتمعات •

وعرف فى الديانات السابقة ، فقد عرف فى شريعة موسى ، ومارسه الآباء والأنبياء السـابقون •

وعرف فى صـدر المسيحية ، ثم مورس عمليا ، سرا أو جهرا عبر القرون ، فكان لبعض المسيحيين أكثر من امرأة ، تحت أى مسمى من المسميات • ولقد كان العرب قبل الاسلام يمارسون التعدد دون رابط أو تنظيم ، فلما جاء الاسـلام حدده ، بما لا يتعدى أربع زوجـات ، مع ضرورة مراعاة العدل • وفى هـذا يقـول القرآن العظيم فى مطلع سورة النساء ، التى استفتحت بطلب التقوى ، ثم تذكير الناس جميعـا باخوتهم فى الانسـانية ، بحكم أنهم جاءوا فى هذه الحياة نتيجة التزاوج بين الرجل الأول آدم ، والمرأة الأولى ، التى خلقت منه : ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحـدة وخلق منهـا زوجهـا وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا •**

وآتوا اليتامى أموالهم ، ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ، ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم ، انه كان حوبا كبيرا •

وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتـامى فانكحوا ما طاب لكم من النسـاء مثنى وثـلاث وربـاع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحـدة أو مـا ملكت ايمانكم ، ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ (النساء : ١ ـ ٣) •

فعلى المسلم الذى تزوج بواحدة ، ثم أراد أن يعدد بالزواج من ثانية ، مثلا ، أن يقف أمام آيات الله هـذه ، ثم يراجع ضميره أمام هذا

السؤال : هل هو مزمع أن يعدل بينهما جهد طاقته ؟ فان وثق فى نفسه ، أقدم على الزواج ، وان خشى عدم العدل ، فكلام الله مبين :

﴿ فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ﴾ . أى ، كما قال ابن كثير : « ان خفتم من تعداد النساء أن لا تعدلوا بينهن — كما قال تعالى : **﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ﴾** — فمن خاف من ذلك ، فليقتصر على واحدة ، أو على الجوارى السرارى » .

ولقد بين القرآن فى الآية رقم ١٢٩ من نفس السورة ، استحالة العدل المطلق بين النساء ، فقال : **﴿ ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ﴾** .

ان القاضى فى كل زمان ومكان ، يفترض فيه أن يتوخى العدل ، ورغم ما يبذله الواحد منهم ، مخلصا فى سبيل ذلك ، فقد يجانبه العدل . والعالم كله يعترف بهذا الواقع ، بدليل أنه يجعل المحاكم درجات أو مراحل ، حيث تقوم المرحلة الثانية ، فى أغلب الأحيان ، بتصحيح أحكام المرحلة الأولى ، وهكذا .

والأمر فى العلاقات الزوجية صعب ، ذلك أن الزوج يستطيع العدل بين زوجاته فى أمور المعيشة ، لكن شيئا واحدا لا يملكه ، أو بتعبير أدق ، لا يملك استمراريته ، ألا وهو الميل القلبى . من هنا استحال العدل ، وصرف النظر عن تحقيق نسبة ١٠٠٪ ، ويكتفى بما دون ذلك ، بشرط ألا يتردى الى الحضيض ، وذلك بأن يميل عن واحدة منهن كل الميل ، فينحاز الى الأخرى كل الانحياز .

وفى هذا ذكر ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : **﴿ فلا تميلوا كل الميل ﴾** : أى فاذا ملتم الى واحدة منهن ، فلا تبالغوا فى الميل بالكلية **﴿ فتذروها كالمعلقة ﴾** أى فتبقى هذه الأخرى معلقة .. لا ذات زوج ، ولا مطلقة » .

ومن هنا نستطيع أن نفهم لماذا استفتحت سورة النساء بأمر الناس بتقوى الله ، والتحذير من ظلم النساء ، ومراعاة العدل ، فجاء فيها هذا القول الكريم :

﴿ واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، ان الله كان عليكم رقيبا ﴾..

﴿ فان خفتم الا تعدلوا فواحدة ﴾ ..

﴿ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم ، فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة ، وان تصلحوا وتتقوا فان الله كان غفورا رحيما ﴾ .

*

هذا ، وبعد أن نزلت آيات قصر الزوجات على أربع فأقل ، قام المسلمون الذين عددوا زوجاتهم بتسريح من زدن عن أربع • فهذا غيلان ابن سلمة الثقفى كان قد أسلم وتحته عشر نسوة ، فقال النبى ﷺ « **اختر منهن أربعا** » ونفس الشيء حدث مع عميرة الأسدى ، فقد قال : أسلمت وعندى ثمان نسوة ، فذكرت للنبى ﷺ ، فقال : « **اختر منهن أربعا** » .

بعد ذلك ، وبمراجعة واقع البشرية وتجاربها الأسرية ، يتبين لنا أن تعدد الزوجات حسبما جاء فى الاسلام ، انما هو رحمة من الله ، تؤخذ بحقها ، وخاصة عندما يتعرض الناس ، أمما وأفرادا ، لحالات لا تستقيم فيها حياتهم الا بهذه الرخصة •

فعلى مستوى الأمم والجماعات : لا يوجد أدنى ضمان بجعل عدد النساء مساويا لعدد الرجال ، بحيث يكون لكل أنثى ذكر يتزوجها • فالناس جميعا لا يملكون من هذا الأمر شيئا ، اذ أن الأمر كله لله :

﴿ لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء

اناثا ويهب لمن يشـاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما ، انه عليم قدير ﴾ (الشورى : ٤٩ ـ ٥٠) .

واذا حدث تساو فى فترة ما بين عدد كل من الذكور والاناث ، فلا يوجد أدنى ضمان لاستمرارية ذلك التساوى المؤقت ، بفعل عوامل كثيرة منها : الموت الطبيعى ، والأوبئة والكوارث المختلفة ، ثم هنـاك الحروب التى درجت عليها البشرية منذ نشأتها ، وكان أكثر ضـحاياها حتى عصرنا الحاضر ، من الرجال دون النساء .

ولقد تنبأ أشعياء بما سيكون عليـه الحال فى المستقبل حين تحصد الحرب الرجال ، وتترك الأيتام والأرامل من النسـاء بلا عائل . فيكون الحل الوحيـد الذى يرتضينه عن طيب خاطر ، هو تعـدد الزوجات ، ولو بواقع سبع نسـاء لكل رجل . وفى هذا يقول :

« رجالك يسقطون بالسيف ، وأبطالك فى الحرب . فتئن وتنوح أبوابها وهى فارغة تجلس على الأرض .

فتمسك سبع نساء برجل واحد فى ذلك اليوم ، قائلات : نأكل خبزنا ونلبـس ثيـابنا . ليـدع فقط اسـمك علينـا . انزع عـارنا ـ أشعياء ٣ : ٢٥ ـ ٢٦ ، ٤ : ١ » .

واذا تحقق ذلك التوازن الافتراضى لفترة ما ، فلا يوجـد أدنى ضمان لامكانية تزاوج أى ذكر بأى أنثى ، أو العكس . فهناك عشرات العـوامل النفسـية والمـادية التى تتحكم فى اقامة عـلاقة أسرية بين الزوجين : الذكر والأنثى ...

وأما على مستوى الأفراد : فلا يوجد أدنى ضمان بعـدم حدوث عقم ، أو مرض طويل أو مستعصى الشـفاء ، أو غير ذلك ممـا يعوق تحقيق مطالب الانسان المرجوة من الزواج .

من أجل ذلك ، وغيره كثير ، رحم الله البشر ، فسمح لهم بالطلاق ،

وان اعتبره عملا بغيضا • فقد قال رسول الله : ما أحل الله شيئا أبغض اليه من الطلاق »[1] •

ان هناك حالات صارخة ، لا علاقة لها بزنا الزوجة ، تتطلب وفق أبسط معايير الانسانية والرحمة وما يقال صباح مساء عن المحبة ، أن يحدث الطلاق • ويعالج برتراند رسل مثل هذه الحالات فيقول : « لقد كانت تعاليم الكنيسة ، وما زالت الى الآن ، أن العزوبة أفضل ، أما أولئك الذين يجدون ذلك مستحيلا فيسمح لهم بالزواج ، فلقد قال القديس بولس : التزوج أصلح من التحرق • ولقد فعلت الكنيسة ما فى استطاعتها لضمان أن الشكل الوحيد للعلاقة الجنسية التى سمحت بها تتضمن قدرا قليلا من المتعة وجزءا كبيرا من الألم ، وذلك بجعل الزواج رباطا غير قابل للحل •• لنأخذ ، على سبيل المثال ، مسألة الوقاية من مرض الزهرى ، اذ المعروف أنه باتخاذ الاحتياطات مقدما ، فان خطر العدوى بهذا المرض تتضاءل شدته • ومع هذا ، فان المسيحيين يعارضون نشر معرفة هذه الحقيقة ، حيث انهم يعتقدون أنه من الخير معاقبة الخاطئين • فهم يعتقدون بأن فى ذلك كل الخير ، لدرجة أنهم راغبون فى أن يمتد العقاب الى زوجات الخاطئين وأطفالهم • ويوجد الآن فى عالمنا المعاصر آلاف مؤلفة من الأطفال الذين يعانون من الزهرى منذ ولادتهم ، والذين كان فى الامكان ألا يولدوا ، لولا رغبة المسيحيين فى أن يروا الخاطئين يعاقبون • انى لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لتعاليم تؤدى الى هذه القسوة الشيطانية ، أن تعتبر ذات تأثير طيب على الأخلاقيات »[2] •

ومن أجل استمرارية الحياة ، سمح لهم بتعدد الزوجات وفق ضوابط مادية وأخلاقية •

---

(١) رواه أبو داود •

(٢) Bertdand Russll : Way I am not a Christian, pp. 20-21.

أما اذا أساء المسلمون استخدام هاتين الرخصتين ، فالذنب عليهم ، والعيب فيهم ، ومثلهم حينئذ ، كمثل مريض وصف له الطبيب دواء يتعاطاه بقدر ، فأسرف فيه ، فهلك . فتلك سنن الأشياء التى أكدتها خبرات الحياة .

« فلن تجد لسنة الله تبديلا ، ولن تجد لسنة الله تحويلا »
(فاطر : ٤٣)

* *

الباب الثالث

مكانة المرأة

- مكانة المرأة فى اليهودية .
- مكانة المرأة فى المسيحية .
- المرأة فى مسيحية المسيح .
- المرأة فى مسيحية بولس .
- المرأة فى ظل الكنيســة .
- مكانة المرأة فى الاســلام .

● **المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :**

تقول قصة الخلق فى **الكتاب المقدس** : «أخذ الرب الاله **آدم** ووضعه فى جنة عدن ليعملها ويحفظها . وأوصى الرب الاله آدم قائلا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما **شجرة معرفة الخير والشر** فلا تأكل منها . لأنك يوم تأكل منها **موتا تموت** .

وقال الرب الاله : ليس جيدا أن يكون آدم وحده . **فأصنع له معينا نظيره** ..

أوقع الرب الاله سباتا على آدم فنام . فأخذ واحدا من أضلاعه وملأ مكانها لحما . وبنى **الرب الاله الضلع التى أخذها من آدم امرأة واحضرها الى آدم** .

فقال آدم : هذه الآن عظم من عظامى ولحم من لحمى . **هذه** تدعى **امرأة لأنها** من امرء أخذت .. وكان كلاهما عريانين آدم وامرأته وهما لا يخجلان .

وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟!

فقالت المرأة للحية : من ثمر الجنة نأكل . وأما ثمر الشجرة التى فى وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه **لئلا تموتا** .

فقالت الحية للمرأة **لن تموتا** . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه ، تنفتح أعينكما **وتكونان كالله عارفين الخير والشر** ..

فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل . فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان ..

وسمعا صوت الاله ماشيا فى الجنة عند هبوب ريح النهار . فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الاله فى وسط شجر الجنة . فنادى

الرب الاله آدم وقال له : أين أنت ؟ . فقال : سمعت صوتك فى الجنة فخشيت لأنى عريان فاختبأت . فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التى أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

فقال آدم : المرأة التى جعلتها معى هى أعطتنى من الشجرة فاكلت .

فقال الرب الاله للمرأة : ما هذا الذى فعلت ؟!

فقالت المرأة : الحية غرتنى فأكلت .

فقال الرب الاله للحيـــة : لأنك فعلت هـــذا ، ملعونة انت من جميع البهائم .. على بطنك تسعين وترابا تأكلين كل أيام حياتك ..

وقال للمرأة : تكثيرا أكثر اتعـاب حبلك . بالوجـع تلدين أولادا . والى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امراتك .. ملعونة الارض بسببك . بالتعب تاكل منها كل أيام حياتك .. بعرق وجهـك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود ..

وقال الرب الاله : هو ذا الانســان قد صار كواحـد منا عارفا الخير والشر . والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ــ تكوين ٢ : ١٥ ــ ٢٥ ، ٣ : ١ ــ ٢٤ » .

ان قصة الخلق ، على هذه الصورة ، تثير كثيرا من التساؤلات ...

ونورد هنا بعض الأقوال التى جاءت تعليقا على قصة خلق السموات والأرض والانسان فى أسـفار الشريعـة الخمســة نقلا عن الترجمـة الفرنسية المسكونية . فالعلماء يعتقدون أن تأليف هذا السفر استغرق عدة أجيال ، وأن مؤلفيه قد اقتبسوا من روايات وتقاليد كثيرة كانت متداولة فى منطقة الشرق الأدنى القديم . فهم يقولون فى المدخل الى سفر التكوين : « لا بد من التذكر بأن سفر التكوين لم يؤلف دفعة واحدة ، بل جاء نتيجة عمل أدبى استمر عدة أجيال ..

لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية ، أن يستقوا معلوماتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقية الكنعانية . فالاكتشافات الأثرية منذ نحو قرن تدل على وجود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من سفر التكوين وبين بعض النصوص الغنائية والحكمية الخاصة بسومر وبابل وطيبة وآوغاريت .. لكن علم الآثار يدل أيضا على **أن المؤلفين الذين أعادوا النظر فى الفصول الأولى من سفر التكوين وأضفوا عليها اللمسات الأخيرة** لم يكونوا مجرد مقلدين عميان ، بل أحسنوا اعادة معالجة المصادر المتوفرة بين أيديهم ..

بديهى أن المقارنة بين نص الكتاب المقدس والروايات المتعلقة ببداية العالم أو بأبطال العصور القديمة لا تخلو من الفائدة فى نظر قارىء الكتاب المقدس . فهناك كثير من الشواهد عن الماضى الأدبى فى الشرق الأدنى القديم ، نذكر منها الرواية البابلية عن خلق العالم عن يد الاله مزدوك ومغامرات جلجامش البطل ..

وضعت روايات **الآباء فى زمن يبعد كثيرا عن الأحداث العائدة اليها**)) .

*

ثم يقول العلماء تعليقا على بعض فقرات خلق آدم وحواء وطردهما من الجنة :

ــ يبدو أن مصدر رواية خلق المرأة (٢ : ١٨ ــ ٢٤) **هو** تقليد مستقل . فكلمة **انسان فى الآية ١٦ تدل على** الرجل والمرأة ، كما هو الحال فى ٣ : ٢٤ ، ٣ : ١ ــ ٣ الذى يتبع ٢ : ١٧ **يقتضى أن** تكون الوصية (بعدم الأكل من الشجرة) **قد فرضت على** الرجل والمرأة ..

ــ يقع الحكم على المذنبين الأولين (آدم وحواء) فى نشـــاطاتهما الأساســـية ••

ــ فالمرأة لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه (٢ : ١٨ ــ ٢٤) ، بل تمسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد ••

ــ تصدر شجرة الحياة عن تقليـــد مواز لتقليد شـــجرة المعرفة (بالخير والشر) •

ــ الانسان قابل للموت بطبيعته (راجع الآية ١٩ : **بعرق وجهك تأكل** خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها • لأنك تراب والى تراب تعود) لكنه يطمح الى الخلود الذى سيحصل عليه فى آخر الأمر »•

*

من الواضح الآن ، أن ما ذكره علماء الكتاب المقدس خاصا بسفر التكوين وما جاء فيه من روايات خلق السموات والأرض والانســـان وخطيئته الأولى ، قد وضع مصداقية هذه الروايات موضع تساؤل • وليس هذا هو بيت القصيد ، اذ أن هناك كثيرا من الروايات الأخرى لها نفس القدر من المصداقية ، لكن خطورة ما جاء فى رواية الخطيئة الأولى وطرد الانسان بسببها من الجنة ، أنه استمر حتى اليوم **يلهب** الفكر الاسرائيلى لمدة تزيد عن اثنين وثلاثين قرنا ، ثم الفكر المسيحى لمدة تقرب من عشرين قرنا ، بمفاهيم عن المرأة ، تبين الآن أن مصداقيتها موضع تساؤل •

فالمرأة ، وفق ما ســـبق بيانه ، هى المسئولة عن الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من شقاء للبشرية • **فالمرأة شيطان الرجل •••**

ولهـــذا جـــاء عقابها مضاعفا : فمتاعب حبلهـــا كثيرة ، وولادتها بالوجع •••

وهنا يلح سؤال : ان اناث الحيوانات تحمل وتلد بمتاعب وأوجاع كثيرة ، فهل يحدث لها ذلك بسبب خطيئة ارتكبتها جداتها فى الأزل ؟! •••

ان عقاب المرأة لم يقتصر على آلام الحمل والولادة ، ولا على

متاعب الحياة الأخرى التى تشترك فيها مع الرجل ، بل تعداه الى تسلط الرجل عليها ، فهو سيدها ، وفق نص **الكتاب المقدس** ، وهى « لا تكون شريكة الرجل ، ولا تساويه ، بل تمسى فتنة الرجل ، وهو يستعبدها لتلد له الأولاد » ، وفق نص **علماء الكتاب المقدس** .

**

● **زوجة العبد وأولادها ملك لسيده :**

« اذا اشتريت عبدا عبرانيا ، فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا .. ان أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، **فالمرأة وأولادها يكونون لسيده ، وهو يخرج وحده** .

ولكن ان قال العبد : أحب سيدى وامرأتى وأولادى ، لا أخرج حرا ، يقدمه سيده الى الله .. ويثقب سيده أذنه **بالمثقب ، فيخدمه الى الأبد** ـ خروج ٢١ : ٢ ـ ٦ » .

*

● **المرأة تباع وتشترى :**

« **اذا باع رجل ابنته أمة** ، لا تخرج كما يخرج العبيد ـ خروج ٢١ : ٧ » .

« قال بوعز للشيوخ ولجميع الشعب : أتتم شهود اليوم **قد اشتريت** كل ما لأليمالك .... وكذا **راعوث الموآبية** ، امرأة محلون **قد اشتريتها لى امرأة** ـ راعوث ٤ : ٩ ـ ١٠ » .

وراعوث هذه جدة داود .

*

● **نجاسة ولادة الأنثى ضعف نجاسة ولادة الذكر :**

اذا حبلت امرأة وولدت **ذكرا ، تكون نجسة سبعة أيام** .. ثم **تقيم ثلاثة وثلاثين يوما** فى دم تطهيرها .

وان ولدت أنثى ، تكون نجسة أسبوعين .. ثم تقيم ستة وستين يوما فى دم تطهيرها ــ لاويين ١٢ : ١ ــ ٥ » .

*

● **الميراث للذكور فقط :**

« اذا كان لرجل امرأتان : احداهما محبوبة والأخرى مكروهة ، فولدتا له **بنين** ، المحبوبة والمكروهة . فان كان **الابن البكر** للمكروهة ، فيوم يقسم **لبنيه** ما كان له ، لا يحل له أن يقدم **ابن** المحبوبة بكرا على **ابن** المكروهة البكر . بل يعرف **ابن** المكروهة بكرا **ليعطيه نصيب اثنين** من كل ما يوجد عنده لأنه هو أول قدرته ، **له حق البكورية** ــ تثنية ٢١ : ١٥ ــ ١٧ » .

● **ولا ترث الاناث الا عند فقد الذكور :**

«تقدمت بنات صلفحاد .....ووقفن أمام موسى..... قائلات : **أبونا** مات فى البرية .. **ولم يكن له بنون** . لماذا يحذف اسم أبينا من بين عشيرته **لأنه ليس له ابن ؟!** أعطنا ملكا بين اخوة أبينا . فقدم **موسى** دعواهن أمام الرب .

فكلم الرب موسى قائلا : بحق تكلمت بنات صلفحاد ، **فتعطيهن ملك نصيب بين اخوة أبيهن ، وتنقل نصيب أبيهن اليهن .**

وتكلم بنى اسرائيل قائلا : أيما رجل مات **وليس له ابن** ، **تنقلون ملكه الى ابنته** . وان لم يكن له ابنة ، تعطون ملكه لاخوته . وان لم يكن له اخوة ، تعطون ملكه **لاخوة أبيه** . وان لم يكن لأبيه اخوة ، **تعطوا** ملكه **لنسيبه** الأقرب اليه من عشيرته فيرثه .

فصارت لبنى اسرائيل فريضة قضاء ، كما أمر الرب موسى ــ عدد ٢٧ : ١ ــ ١١ » وهكذا يتحول الميراث الى الذكور فقط ، اذا لم يوجد للميت ابنة ترثه .

*

● **عقوبات خاصة بالنساء فقط :**

قطع اليد : « اذا تخاصم رجلان بعضهما بعضا ، رجل وأخوه ، وتقدمت امرأة أحدهما لكى تخلص رجلها من يد ضاربه ومدت يدها وأمسكت بعورته ، **فاقطع يدها ولا تشفق عينك** – تثنية ٢٥ : ١١ – ١٢ » .

الاحراق بالنار : « اذا تدنست ابنة كاهن بالزنا ، فقد دنست أباها . **بالنار تحرق** – لاويين ٢١ : ٩ » .

**

ومن هذا المنطلق الفكرى الخاص بمسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، وجلبها المتاعب للجنس البشرى ، وضرورة تسلط الرجل عليها « واستعبادها لتلد له الأولاد » ، فقد ترجم هذا الفكر الى قوانين تحكم أحوال الأسرة ، مثلما جاء فى كتاب : **الأحكام العبرية** ، ونذكر منها :

● **فى الزواج والطلاق والانفاق :**

– المادة ٤٠٢ : « ما أسعد من رزقه الله ذكورا ، وما أسوأ حظ من لم يرزق بغير الاناث . نعم ، لا ينكر لزوم الاناث للتناسل ، الا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء . فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس الا أن النفس تميل الى رائحة العطر الزكية وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يقاس الجلد بالعطر » ؟!

– المادة ٤٠٧ : « اذا لم تدخل الزوجة على زوجها بمال على ذمة الزوجية ، فلا يكلف الزوج بأن ينفق عليها فى غير الحاجيات اللازمة التى لا بد منها . أما اذا دخلت عليه بمال ، فيجب عليه التوسع فى النفقة بقدر حاله » .

– المادة ٤١٣ : « سلطة الزوج على الزوجة فى أمر التربية

وتعليم أمور الدين والدنيا مطلقة لا حدود لها ، فعليه أن يستعملها فى محلها مع الحكمة والاعتدال » .

ـ المادة ٤١٤ : « متى خرجت الزوجة من بيت أهلها ودخلت بيت زوجها ، صار له عليها **حق الطاعة التامة والامتثال الكلى فى جميع ما يأمرها به** . فعليها ألا تخالفه فى شىء مما يطلبه منها ،**بل تمتثل له كما تمتثل الجارية لسيدها** » .

ـ المادة ٤١٨ : « مهما بلغت ثروة الزوجة ومهما كان مقدار المال الذى دخلت به للاعانة على حوائج الزوجية ، فانه يجب عليها القيام بالأعمال اللازمة لبيتها صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة ، لأن البطالة تؤدى الى فساد الأخلاق . **وليس لها مفارقة زوجها لأى سبب كان حتى لو أصيب بعجز أو صار مقعدا** ، واحتاج للسؤال لأجل النفقة عليها » .

ـ المادة ٤١٩ : « **جميع مال الزوجة ملك لزوجها** ، وليس لها سوى ما فرض لها من المهر فى عقد الزواج تطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق اذا وقعت الفرقة . فكل ما دخلت به من المال على ذمة **الزوجية ، وكل ما تلتقطه ، وكل ما تكسبه من سعى وعمل** ، وكل ما يهدى **اليها فى عرسها ، ملك حلال لزوجها** يتصرف فيه كيف شاء ، **بدون معارض ولا منازع** » .

ـ المادة ٤٢٦ : « اذا ماتت الزوجة ولم تعقب ذرية من الأولاد ، **فزوجها وارثها الشرعى** » .

ـ المادة ٤٢٨ : « الأسباب التى يحل معها الطلاق ، ثلاثة : الزنا ، والعقم ، وعيوب الخلقة وعيوب الخلق » .

ـ المادة ٤٢٩ : « يحل للرجل أن يطلق زوجته **اذا أشيع عنها الزنا ولو لم يثبت عليها الزنا فعلا** . كما يحل له طلاقها اذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت سيئة السلوك » .

ـ المـادة ٤٣٠ : « **يجب على من لم يرزق من زوجته بذرية بعـد معاشرتها عشر سنوات ، أن يفارقها ويتزوج غيرها** » .

ـ المـادة ٤٣٣ : « **ليس للمرأة أن تطلب الطـلاق مهما كانت عيوب زوجها حتى ولو ثبت عليه الزنـا** » .

ـ المـادة ٤٣٤ : « **متى نوى الزوج الطلاق حرمت عليه معاشرة زوجته** . فبمجرد عزمه على مفارقتها وجب عليه الاسراع الى طلاقها » .

❋

● **فى الميراث :**

ـ المـادة ٣١٣ : « **اذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن أخيه ،** وان لم يكن له ابن ابن فالميراث للبنت . وان لم يكن له بنت فالميراث **لأولاد البنت ، واذا لم يكن له حفـدة فلأولاد أولادهم الذكور .** واذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور فالميراث لبنات الحفدة » .

ـ المـادة ٣١٥ : « اذا لم يعقب الميت ذرية ولا نسـلا من ذكر أو أنثى ، أولادا أو حفـدة ، أو من نسـلهم ذكورا أو اناثا ، فميراثه لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت **أبوه وله كل التركة** ، واذا لم يكن له أب ، فجده ثم أصوله من أبيه » .

❋ ❋

أما بعـد ...

ان نصوص « **الكتاب** » و « **الأحكام** » تنطق بحقيقة مكانة المرأة فى اليهودية ، ولا حاجة بنا الى تعليق ...

❋ ❋ ❋

مكانـة المرأة فى المسـيحية

● **تمهيـد :**

يقول **مايكل** هارت فى كتـابه : **المـائة : أعظم النـاس أثرا فى التاريخ** ، عند الكلام عن المسيح : أن « **المسيحية لم يؤسسها شخص واحد** ، **وانما أقامها اثنان : المسيح والقديس بولس** • ولذلك يجب أن يتقاسم شرف انشائها هذان الرجلان •

فالمسيح قد أرسى المبادىء الأخلاقية للمسـيحية ، وكذلك نظرتها الروحية وكل ما يتعلق بالسلوك الانسانى • أما مبادىء **اللاهوت فهى** من صنع القديس بولس • فالمسيح هو صاحب الرسـالة الروحيـة ، **ولكن القديس بولس أضاف اليها عبادة المسيح** • كما أن القديس بولس هو الذى ألف جانبـا كبيرا من **العهد الجديد** ، وكان المبشر الأول للمسيحية فى القرن الأول للميلاد ••

ولهذه **الأسباب ، فان عـددا من الباحثين يرون أن مؤسس هـذه الديانة المسيحية هو القديس بولس وليس السيد المسيح ••**

وليس من المنطق فى شىء أن يكون السيد المسيح نفسه مسئولا عن الذى أضافته الكنيسة أو رجالها الى الديانة المسـيحية • فكثير ممـا أضافوه يتنافى مع تعاليم المسيح نفسه ••

واذا كانت العلوم تطورت فى العالم الغربى المسيحى ، **فليس من** المنطق أن يقال ان المسيحية هى المسئولة عن نهضة العلوم فى العشرين قرنا المـاضية • فلم نجـد فى شروح رجال الدين المسيحى من يقول ان المسيحية تدعو الى التأمل فى الكون أو الدعوة الى التفكير العلمى • ومن المؤكد أن تحول الامبراطورية الرومانية الى المسيحية ، قد صاحبه

فى نفس الوقت انحطاط رهيب المستوى للتكنولوجيا والاهتمام بالعلم .. ولم يكن ليسوع أى دور سياسى فى حياته ، ولا كان للمسيحية أثر سياسى .. والحقيقة أن (مبادئه) لم تلق رواجا واسعا بين الناس ، ولا حتى هى مقبولة عند الناس .. فأكثر المسيحيين يرون أن الدعوة لأن : نحب أعداءنا ، اسراف فى المثالية لا يمكن تطبيقه الا فى عالم خيالى . ونحن عادة لا نطبق هذا المبدأ ، ولا نتوقع من الآخرين أن يفعلوا ذلك ، ولا حتى ننصح أطفالنا أن يمشوا على هداه ، وكذلك معظم تعاليم السيد المسيح ظلت محيرة » .

ويقول **مايكل هارت** عن بولس : ان « القديس بولس لم يتزوج ، بل لم يقرب امرأة . **وكان له رأى فى المرأة والجنس والزواج ، وهذا الرأى قد ترك أثرا عميقا فى الفكر الأوربى** . يقول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه خير لهم أن يبقوا مثلى ..

ويقول فى رسالته الى تيموثاوس : ان على المرأة أن تتعلم فى سكون وخضوع ، ولا أسمح لها بأن تتسلط على الرجل . فآدم قد خلقه الله قبل حواء .

والقديس بولس انما يردد أفكارا شائعة فى زمانه . **ولكن السيد المسيح لم يكن يبشر بشىء من هذا الذى قاله بولس الرسول ..**

وبولس الرسول هذا هو المسئول الأول عن تحويل الديانة المسيحية من مجرد طائفة يهودية الى ديانة كبرى . **وهو المسئول الأول عن تأليه المسيح . بل ان بعض فلاسفة المسيحية يرون أنه هو الذى أقام المسيحية ، وليس المسيح** » .

*

بين مسيحية بولس ومسيحية المسيح

لقد كان ما قدمناه عرضا اجماليا ، فحواه أن هناك مسيحيتان مختلفتان هما : **مسيحية المسيح** ، **ومسيحية بولس** . فلننظر الآن فى محتوى كل منهما فيما يتعلق بعدد محدود من المعتقدات الأساسية التى كان لها أعمق الأثر فى السلوك المسيحى عبر القرون ، وخاصة فيما يتعلق بالمرأة .

١ ـ الخطيئة الأصلية :

اعتقد بولس أن حواء هى التى أخطأت أولا ، ثم أغوت آدم فانقاد وراءها وأخطأ ثانيا ((١) تيموثاوس ٢ : ١٢ ـ ١٤) ، وبناء على هذه الفرضية وضع بولس نظريته فى **الخطيئة الأصلية** ، أو ما يقال له خطيئة آدم المتوارثة . فهو يقول : « بانسان واحد دخلت الخطيئة الى العالم وبالخطية الموت . وهكذا اجتاز الموت الى جميع الناس ، اذ **أخطأ الجميع** ـ رومية ٥ : ١٢ » .

وفى هذا يقول وليم باركلى : « **لقد كان كل الناس ، حسب تفكير بولس ، متورطين فى خطيئة آدم** . فهذا هو لب الاصحاح الخامس من رسالته الى أهل رومية .. ان هذا القول بالنسبة لنا يعتبر جدلا غريبا ، لكنه يتفق مع تفكير اليهودى الذى كان يعتقد تماما بفكرة التضامن »[1] .

ويقول تشارلز دود : **كيف جاءت الخطيئة الى الطبيعة البشرية هذا سؤال لا يعطى عنه بولس اجابة كافية** .

---

(١) W . Barclay : The Mind of St. Paul, p. 138 .

فهو تارة يرجع ذلك الى خطيئة تاريخية ارتكبها جد الانسانية فى غابر الزمان .. لكنا نجد بولس فى بعض الفقرات ، يقترح مصادر أخرى لخطيئة البشر . فقد كانت خلفية عالمه المعاصر تعتقد بوجود حكام العالم ، من الأرواح الجوهرية (القوى الخفية) التى لها بعض العلاقات الخاصة بالعالم المادى ..

واذا كان القول بتناقل البشر خطيئة آدم يمثل تعليما يهوديا ، فان القول بنظرية الأرواح الجوهرية يأتى بالأحرى من الأفكار الاغريقية . ولو أن أيا منها لا يقنعنا بشىء »[١] .

ويمضى بولس الى أبعد من ذلك ، **اذ يجعل الخطيئة سببا للموت الطبيعى** . يقول **باركلى** : « لقد رأى بولس **أن الخطية لم تحدث موتا روحيا وأخلاقيا فحسب ، بل احدثت كذلك الموت الجسدى** . لقد جاء الموت الى العالم مع مجىء الخطية (اجتاز الموت الى جميع الناس ــ رومية ٥ : ١٢) ، وأن الخطية قادت الى الموت (ملكت الخطية فى الموت ــ ٥ : ٢١) ، وأن أجرة الخطية هى الموت ــ ٦ : ٢٣) . أى أنه عن طريق الخطية وبسببها ، دخل الموت الى العالم . فالخطية تهدم الحياة الروحية والأخلاقية والجسدية »[٢] .

*

ان قول بولس بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى ، ينقضه تماما الآتى :

١ ــ تقول قصة الخلق الأول ، ان الجنة التى وضع فيها آدم ، كان بها شجرتان هما : شجرة الحياة ، وشجرة معرفة الخير والشر : « وغرس الرب الاله جنة عدن شرقا . ووضع هناك آدم الذى جبله . وأنبت الرب الاله من الأرض كل شجرة شهية للنظر وجيدة للأكل .

(١) C. Dodd : The Meaning of Paul for Today, pp. 62 - 63.

(٢) W. Barclay : The Mind of St. Paul, p. 142.

وشجرة الحياة فى وسط الجنة ، وشجرة معرفة الخير والشر ـ تكوين ٢ : ٨ ـ ٩ »

وكان أمر الله الى آدم : « من جميع شجر الجنة تأكل أكلا . وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها » .

وبعد أن عصى آدم وزوجه وأكلا من شجرة معرفة الخير والشر ، « قال الرب الاله : هوذا الانسان قد صار كواحد منا ، عارفا الخير والشر .

والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد . فأخرجه الرب الاله من جنة عدن ليعمل الأرض التى أخذ منها ـ تكوين ٣ : ٢٢ » .

ان هذا النص واضح فى أن الانسان الأول ، رغم ارتكابه الخطيئة الأولى ، قد كان من الممكن أن يحيا الى الأبد ، أى لا يذوق الموت أبدا ، وذلك بأن يأكل من شجرة الحياة . ولما كان الرب قد أخضعه أصلا لسلطان الموت ، مثلما أخضع الكائنات الحية الأخرى التى خلقت قبله لسلطان الموت ـ من نبات وحيوان وطيور ، فى البر والبحر والجو ، فقد طرده من الجنة حتى لا يأكل من شجرة الحياة ويحيا الى الأبد . فلا علاقة ، اذن ، بين الخطيئة والموت الجسدى أو الموت الطبيعى .

٢ ـ تقول كتب الشريعة الخمسة فى بيان معنى قول الرب : والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا الى الأبد » أن : « الانسان قابل للموت بطبيعته (راجع الآية ١٩) » .

والآية المشار اليها هى التى تقول : « بعرق وجهك تأكل خبزا حتى تعود الى الأرض التى أخذت منها . لأنك تراب والى تراب تعود » . فالموت الطبيعى قضاء على الانسان ، سواء أخطأ أو لم يخطىء . ذلك هو الناموس العام ، واذا كانت هناك حالات خاصة ، فانها

لا تعتبر مقياسا يحكم كل الناس ، فخبرات الحياة تقطع بوجود مثل هذه الحالات فى شتى المجالات •

فالكتاب المقدس يتحـدث عن أبزار من ذرية آدم وحواء ولدوا قبل المسيح بآلاف السنين ورضى الله عنهم ونقلهم الى الأبدية دون أن يذوقوا الموت :

« سار أخنوخ (ادريس) مع الله ، **ولم يوجـد لأن الله أخـذه** ــ تكوين ٥ : ٢٤ » •

وتحدث عنه كاتب الرسالة الى العبرانيين ، فقال :

« **بالايمان نقل أخنوخ لكى لا يرى الموت ،** ولم يوجـد لأن الله **نقله ، اذ قبل نقله** شهد له **بأنه قد أرضى الله** ــ عبرانيين ١١ : ٥ » •

٣ ــ يقول الكتاب المقدس ان هناك من خلق الله من أخطأ ، لكن الله لم يقض عليه بالموت ، لأن طبيعته ألا يموت ، انما عذبه الى الأبد • **وهؤلاء** الذين أخطأوا ، أسماهم الكتاب المقدس ، **ملائكة** ، وقال فيهم بطرس : « **الله لم يشفق على ملائكة قـد أخطأوا ، بل فى سلاسل الظـلام طرحهم** فى جهنم ، **وسلمهم** محروسين **للقضاء** ــ (٢) بطرس ٢ : ٤ » •

وقال فيهم يهوذا ، أخو المسيح الذى ذكره متى فى ١٣ : ٥٥ ، ان « **الملائكة الذين لم يحفظوا رياستهم ، بل تركوا مسكنهم ، حفظهم الى دينونة اليوم العظيم بقيود** أبدية **تحت الظلام** ــ يهوذا : ٦ » •

فهؤلاء رغم أنهم أخطأوا ، الا أنهم لم يموتوا موتا يناسب طبيعتهم غير المـادية ، مثل تحلل طاقتهم وفنائها ، لأنهم ملائكة ، يقول فى مثلهم الانجيل : « **لا يسـتطيعون أن يموتوا أيضـا ، لأنهم مثـل الملائكـة** ــ لوقـا ٢٠ : ٣٦ » •

وجدير بالذكر أن خطيئة هؤلاء الملائكة ، الذين دعاهم الكتاب المقدس أبناء الله ، كانت ــ كما تقول حاشية العهد الجديد للكاثوليك ــ أنهم : « استسلموا للفجور (سفر التكوين ٦ : ١ ــ ٢) » •

وهذه الفقرة ، هى التى تتحدث عن غواية النساء الجميلات (بنات

الناس) لأبناء الله (الملائكة) ، وتولد عن ذلك الزنا جيل من الجبابرة ، فهى تقول : « وحدث لما ابتدأ الناس يكثرون على الأرض وولد لهم بنات ، أن أبناء الله رأوا بنات الناس انهن حسنات . فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا .. بعد ذلك أيضا اذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا . هؤلاء هم الجبابرة » .

وتقول كتب الشريعة الخمسة تعليقا على هذه الفقرة ، ان « اليهودية اللاحقة ، وجميع المؤلفين المسيحيين الأولين تقريبا ، رأوا فى (بنو الله) ـ أبناء الله ـ هؤلاء ملائكة مذنبين » .

فمما سبق ، وغيره كثير ، يتبين أنه لا صحة على الاطلاق للقول بأن الخطيئة قادت الى الموت الجسدى .

*

لقد جاءت هذه التعاليم فى مسيحية بولس ، أما مسيحية المسيح ، فقد خلت من كل حديث عن خطيئة آدم الأولى وتعدى حواء ، والزعم بأنها خطيئة متوارثة علقت بالذرية دونما فكاك .

لقد تكلم المسيح فى موعظة الجبل ، وفى غيرها ، عن : الذنوب ، والمذنبين ، وغفران الزلات (متى ٦ : ١٢ ـ ١٥) .

وحدد المسيح الخطايا والنجاسات التى تلوث الانسان بأنها : « أفكار شريرة ، قتل ، زنا ، فسق ، سرقه ، شهادة زور ، تجديف . هذه هى التى تنجس الانسان ـ متى ١٥ : ١٩ ـ ٢٠ » .

ومن الناس ، فى كل زمان ومكان ، وفى أيام المسيح ، من اشتهر بارتكاب هذه الخطايا ، ومن ثم عرفوا بالخطاة أو المذنبين . ولقد عاب الفريسيون على المسيح مخالطته أولئك الخطاة ، فقالوا لتلاميذه : « لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟!

فلما سمع يسوع قال لهم : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، **بل المرضى** .. لأنى لـم آت لأدعـو أبرارا ، **بل خطـاة الى التوبـة** ـ متى ٩ : ١١ ـ ١٣ » .

لقد كان هؤلاء الخطاة جزءا من بنى آدم ، درجوا على ارتكاب المحرمات المعروفة لدى البشر ، وكان الأبرار . جزءا آخر من بنى آدم حفظوا أنفسهم من تلك الخطايا ، فنجوا . **ولا علاقـة لهؤلاء وهؤلاء بخطيئة آدم ، اذ لو كانت متوارثة حقـا ، حسب نظرية بولس ، لكان الجميع خطـاة فى نظر المسـيح . وهـذا ما لا يسـتطيع أى مكابر أن يزعمه .**

هذا ، وتقول الراهبة **كارن ارمسترونج** : « من الواضح أن معتقد الخطيئة الأصلية شىء جوهرى فى المسيحية حسبما نفهمها الآن ، ومع **ذلك** فانه لم يظهر فى شكله النهائى قبل القرن الرابع . **ان المسيح لم يتكلم أبدا فى الأناجيل ، ولو مرة واحدة ، عن خطيئة آدم ، أو عن تأثيرات الخطيئة الأصلية فى كل واحد منا . ولعله قد يروعه هذا المعتقد ، حسبما تعلمناه** . لقد كان المسيح ، بالطبع ، يهوديا ، ورغم أن سفر التكوين كتاب يهودى ، فلا يوجد مثل هذا المعتقد ــ معتقد الخطيئة الأصلية ـ فى اليهودية . **انه اختراع مسيحى بكل معنى الكلمة** ..

ان الخطيئة فى اليهودية شىء مختلف عنها فى المسيحية ، فهى فى اليهودية ليست تدميرا كليـا . فبالرغم من أن الله يعاقب اليهود ، فى العهد القديم ، عندما يخطئون ، فانه سوف يعفو عنهم دائما . فلا يوجد على الاطلاق أى فكرة تقول بأن كل الناس يرثون خطيئة متأصلة فى طبيعتهم ، تحكم عليهم بالخلود أبدا فى عذاب جهنم الا اذا أرسل الله مخلصا لهم . فمن المؤكد أنه فى أيام المسيح ، كان بعض اليهود ينتظرون مسيا ، لكن لم يوجد أى يهودى ينتظر المسـيا (الذى يرفع خطايا العـالم) .

لهذا ، فان معتقد الخطيئة الأصلية ، انما هو من اختراع المسيحية ، ولقد كان له أعمق الأثر فى الفكر الغربى . فهو يعلمنا أن طبيعتنا شر وميئوس منها ، وقد جعل الدين ، بالنسبة لكثير من الناس ، عملا لا أمل فيه: فهو معركة الشعور بالاثم مع نفس تظهر أنها ترفض الخلاص ، ورعب من جهنم ، وأخيرا — فانه بسبب الطريقة التى صنع بها هذا المعتقد — فهو خوف من الجنس وكراهية للنساء .

لقد كان القديس بولس هو الذى ورثنا معتقد الخطيئة الأصلية فى المسيحية »(١) .

* *

٢ — الالتزام بالناموس :

أكد المسيح على ضرورة الالتزام بالناموس فى كل حين ، كما رأينا سلفا ، فى مثل قوله : « زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس — لوقا ١٦ : ١٧ »

ولما كان الناموس يقول : « اذكر يوم السبت لتقدسه . ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك . وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك . لا تصنع عملا ما — خروج ٢٠ : ٨ — ١٠ » .

فقد حرص المسيح على احترام هذه الوصية حتى نهاية العالم ومجىء يوم الدينونة ، فقال : « صلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت — متى ٢٤ : ٢٠ » .

لم يعرف المسيح ، اذن ، يوم الأحد ، لكنه عرف يوم السبت ودعا الى تقديسه ...

---

(١) K. Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN, pp. 26 - 29.

أما بولس فقد أبطل الناموس ، وهاجمه بعنف • فكانت تعاليمه نقيضا لتعاليم المسيح • فهو يقول :

« **قد تبطلتم عن المسيح أيها الذين تتبررون بالناموس ، سقطتم من النعمة** ــ غلاطية ٥ : ٤ » •

« **نعلم ان الانسان لا يتبرر بالناموس ، بل بايمان يسوع المسيح •• لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما** ــ غلاطية ٢ : ١٦ » •

« جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة ••

« **قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح** لكى تتبرر بالايمان • ولكن بعد ما جاء الايمان **لسنا بعد تحت مؤدب** غلاطية ٣ : ١٠ ــ ٢٥ » •

* *

٣ ــ **كيفية الخلاص** :

تقول مسيحية بولس ان مصالحة الانسان مع الله اقتضت قتل المسيح على الصليب : « ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه ــ رومية ٥ : ١٠ » •

« **اني لم أعزم أن أعرف شيئا بينكم الا يسوع المسيح واياه مصلوبا** ــ (١) كورنثوس ٢ : ٢ » •

وانتهى المطاف ببولس أن جعل المسيح لعنة !

« المسيح افتدانا من لعنة الناموس ، **اذ صار لعنة لأجلنا** • لأنه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة ــ غلاطية ٣ : ١٣ » •

لكن مسيحية المسيح ترفض الذبيحة البولسية ، وتؤكد أن الله يريد الرحمة ، لا الذبيحة ، ولو كانت ذبيحة حيوان من عجول وتيوس ، فمال هؤلاء القوم يريدونها ذبيحة انسان كان يرفض أن يموت ؟!

لقد قال المسيح لأولئك المتحجرين من الفريسيين ، أصحاب الطقوس والذبائح : « اذهبوا وتعلموا ما هو : **انى أريد رحمة لا ذبيحة ـ** متى ٩ : ١٣ » .

وقال ثانية : « لو علمتم ما هو : **انى أريد رحمة لا ذبيحة ـ** متى ١٢ : ٧ » .

وهذا الذى قاله المسيح ، هو ما تعلمه من أسفار العهد القديم ، اذ تقول : « بذبيحة وتقدمة لم تسر .. **محرقة وذبيحة خطية لم تطلب** مزمور ٤٠ : ٦ » .

« نجنى من الدماء يا الله .. **لأنك لا تسر بذبيحة** ، والا فكنت أقدمها . بمحرقة لا ترضى . **ذبائح الله هى روح منكسرة** ـ مزمور ٥١ : ١٤ ـ ١٧ » .

« ذبيحة الأشرار مكرهة الرب ، وصلاة **المستقيمين** مرضاته ـ أمثال ١٥ : ٨ » .

ان الأناجيل تشهد على أن فكرة قتل المسيح ـ التى روج لها بولس ـ كانت غريبة تماما على تفكير المسيح ، فقد استنكرها تماما وفزع منها حين أحس بالخطر يتهدده . ونعرض بعضا من هذه المشاهد :

فى جدال حاد بين المسيح واليهود ، قال لهم : « **لماذا تطلبون أن تقتلونى .. وأنا انسان قد حدثكم بالحق الذى سمعه من الله . هذا لم يعمله ابراهيم** ـ يوحنا ٧ : ١٩ ، ٨ : ٤٠ » .

وفى نهاية الفترة التى سبقت عملية القبض على ذلك الذى صلبوه ، قال المسيح فى صلاته لله : « **وهذه هى الحياة الأبدية : أن يعرفوك أنت الاله الحقيقى وحدك ، ويسوع المسيح الذى أرسلته .. العمل الذى أعطيتنى لأعمل قد أكملته** ـ يوحنا ١٧ : ٣ ـ ٤ » .

لقد اكتملت رسالة المسيح تماما قبل حادث الصلب ، فمن ذا الذى يفتى بما يخالف شهادة المسيح ؟!

وينطق كل مشهد من مشاهد المعاناة فى الحديقة ، أن المسيح

كان يرفض فكرة قتله رفضا تاما . فلقد أصابته حالة من الفزع والانهيار كلما تصور أن تلك ستكون نهايته :

« ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم : نفسى حزينة جدا حتى الموت .... وكان يصلى لكى تعبر عنه الساعة ان أمكن . وقال يا أبا الآب : كل شيء مستطاع لك . فأجز عنى هذه الكأس .. وصلى ثالثة قائلا ذلك الكلام بعينه ..

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ــ مرقس ١٤ : ٣٣ ــ ٣٦ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ ــ ٤٤ » .

وأخيرا ، فان ذلك الذى قبضوا عليه وصلبوه ، كان يرجوهم ، حتى آخر لحظة ، أن يطلقوه ولا يقتلونه :

« اجتمعت مشيخة الشعب ورؤساء الكهنة والكتبة وأصعدوه الى مجمعهم قائلين : ان كنت أنت المسيح فقل لنا .

فقال لهم : ان قلت لكم لا تصدقون . وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى ــ لوقا ٢٢ : ٦٦ ــ ٦٨ » .

من ذا الذى يجرؤ ــ اذن ــ على القول بأن المسيح جاء ليبذل نفسه طواعية ، فداء لخطايا البشر ؟!

*

نحن الآن أمام مسيحيتان : مسيحية المسيح التى تستقى أساسا من الأناجيل ، ومسيحية بولس التى سطرها فى رسائله ، ولا عجب فى ذلك . فتلك حقيقة مرة يعترف بها علماء المسيحية حين يقولون : « ان العهد الجديد كتاب غير متجانس ، ذلك أنه شتات مجمع . فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله الى آخره ، لكنه فى الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة »(١) .

فعلينا الآن أن ننظر مكانة المرأة فى كل من هاتين المسيحيتين .

* *

(١) F. Grant : THE GOSPELS, p. 15.

● مواقف المسيح مع المرأة :

كان المسيح رحيما بالمرضى ، فشـفى بأمر الله كثيرا من الأمراض والعاهات ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء • فشفى من النسـاء حماة بطرس (متى ٨ : ١٤ ــ ١٥) ، « وامرأة نازفة دم منـذ اثنتى عشرة سنة •• قالت فى نفسها : ان مسست ثوبه فقط شفيت • فالتفت يسوع وأبصرها فقال : **ثقى يا ابنة • ايمانك قد شفاك • فشفيت المرأة من تلك الساعة ــ** متى ٩ : ٢٠ ــ ٢٢ » •

« وكان يسـير فى مدينـة وقرية يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر وبعض النسـاء كن قد شفين من أرواح شريرة وأمراض • مريم المجدلية التى خرج منها سبعة شياطين • ويونا امرأة خوزى وكيل هيرودس • وسـوسنة وأخـر كثيرات ، كن يخدمنه من أموالهن ــ لوقا ٧ : ١ ــ ٣ » •

وكما شفى النساء ، فقد شفى الرجال : « وفيما هو خارج من أريحا مع تلاميذه •• كان بارتيماوس الأعمى •• جالسا على الطريق •• فلما سـمع أنه يسـوع الناصرى ، ابتدأ يصرخ ويقول : **يا يسوع ابن داود ارحمنى ••**

فقال يسوع : اذهب • ايمانك قد شفاك • فللوقت أبصر وتبـع يسوع فى الطريق ــ مرقس ١٠ : ٤٦ ــ ٥٢ » • « وكان يسوع يطوف المدن كلهـا والقرى ويعلم فى مجامعها ويكرز ببشـارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب • ولمـا رأى الجموع تحنن عليهم ، اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها ــ متى ٩ : ٣٦ ــ ٣٩ »•

وفى كل هذا ، وغيره من الآيات التى صنعها المسيح ، كان يعلمهم أنه شـخصيا ليس له فضـل فى ذلك ، انما الفضـل كله لله • فكثيرا ما قال لهم « **أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئا ـ** يوحنا ٥ : ٣٠ » •

وكان ذلك هو ما علم به بطرس ، رئيس التلاميذ ، فقال على الملأ : « أيها الرجال الاسرائيليون ، اسمعوا هذه الأقوال : يسوع الناصرى **رجل** قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات وعجائب وآيات ، **صنعها الله بيده** فى وسطكم كما أنتم أيضا تعلمون ــ أعمال الرسل ٢ : ٢٢ » .

*

واذا كان المفترض أن يحب المسيح أصدقاءه وأعداءه على السواء ، وفق تعاليمه التى قال فيها : « أحبوا أعداءكم » ، فقد كان هناك بعضا من تابعيه ، ممن ميزه الانجيل بحب خاص ، يستوى فى ذلك الرجال والنساء . فقد « **كان يسوع يحب مرثا وأختها (مريم) ولعازر** ــ يوحنا ١١ : ٥ » .

وفى العشاء الأخير ، « كان متكئا فى حضن يسوع واحد من تلاميذه ، **كان يسوع يحبه** يوحنا ١٣ : ٢٣ » .

*

على أن هناك موقفين للمسيح مع النساء لهما طابع شاذ ....

١ ــ مع المرأة الكنعانية :

« خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحى صور وصيداء . واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم ، صرخت اليه قائلة : ارحمنى يا سيد يابن داود . ابنتى مجنونة .

فلم يجبها بكلمة .

فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين : اصرفها لأنها تصيح وراءنا .

فأجاب وقال : لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة .

فأتت وسجدت له قائلة : يا سيد ، أعنى !

فأجاب وقال : ليس حسنا أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب .

فقالت : نعم ، يا سيد • والكلاب أيضا تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها •

حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة ، عظيم ايمانك • ليكن لك كما تريدين • فشفيت ابنتها من تلك الساعة — متى ١٥ : ٢١ — ٢٨ » •

من الواضح أن المسيح لم يكن يريد الاستجابة لتلك المرأة البائسة الملهوفة ، والتى كانت تكتوى بنيران الحسرة والألم على فلذة كبدها المجنونة ، اذ أنه « لم يجبها بكلمة » •

ولما أزعجت التلاميذ بصراخها ، طلبوا منه أن يصرفها ، فعلمهم أنه لا شأن له بغير بنى اسرائيل ، فهو لم يرسل الا اليهم ، ورحمته قاصرة عليهم •

ولما كانت المرأة مطحونة تحت ضغط الحاجة الملحة ، فقد كانت مستعدة أن تفعل أى شى بحكم غريزة الأمومة ، فأذلت نفسها حتى النهاية ، حيث « سجدت له » تستصرخه العون !

لكن رد المسيح فاجأها ، اذ جعلها من زمرة الكلاب • ومن ثم كل من ليس اسرائيلى ، فهو من الكلاب •••

فأراقت المسكينة آخر نقطة من ماء الكرامة الانسانية ، وأقرت بأنها من الكلاب المحتاجة لفتات مائدة أسيادها !

وهنا ، وهنا فقط ، استجاب لها المسيح ، فشفيت الابنة بقوة ايمان الأم !

*

٢ — مع أمه :

« كان عرس فى قانا الجليل ، وكانت أم يسوع هناك • ودعى أيضا يسوع وتلاميذه الى العرس • ولما فرغت الخمر ، قالت أم يسوع له : ليس لهم خمر •

فقال لها يسوع : ما لى ولك يا امرأة ! ــ يوحنا ٢ : ١ ــ ٤ »

ان كل أسرائيلى يعلم الوصية التى تتصدر الوصايا العشر التى تلقاها موسى ، والتى تقول : « أكرم أباك وأمك لكى تطول أيامك على الأرض ــ خروج ٢٠ : ١٢ » .

وفى صراعه مع الكتبة والفريسيين حول اختراعهم لتقاليد أبطلوا بها وصايا الله ، طمعا فى كسب مادى رخيص ، قال لهم : « لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟! **فان الله أوصى قائلا : أكرم أباك وأمك . ومن يشتم أبا أو أما فليمت موتا !** وأما أنتم فتقولون : من قال لأبيه أو أمه قربان هو الذى تنتفع به منى . فلا يكرم أباه أو أمه .

فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم . يا مراؤون ، حسنا تنبأ عنكم النبى أشعياء قائلا : باطلا يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس ــ متى ١٥ : ٣ ــ ٩ » .

هل يعقل ، بعد كل هذا ، أن يكون هذا هو موقف المسيح من أمه ؟!

*

كذلك ، « فيما هو يكلم الجموع ، اذا **أمه واخوته** قد وقفوا خارجا طالبين أن يكلموه . فقال له واحد : هوذا **أمك واخوتك** واقفون خارجا طالبين أن يكلموك .

فأجاب وقال للقائل له : من هى أمى ، ومن هم اخوتى ؟!

ثم مد يده نحو تلاميذه وقال : ها أمى واخوتى ــ متى ١٢ : ٤٦ ــ ٤٩ » وأما حسب رواية لوقا ، فانه « **أجاب وقال لهم : أمى واخوتى هم الذين يسمعون كلمة الله ويعملون بها** ــ ٨ : ٢١ » .

ومرة اخرى ، نبرىء المسيح عن مثل هذه المواقف ...

* *

● **تعاليم المسيح حـول المرأة :**

جاءت أغلب هذه التعاليم فيما ذكره متى فى موعظة الجبـل ، اذ يقول على لسان المسيح : قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تزن • وأما أنا فأقول لكم : ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه فان كانت عينك اليمنى تعثرك ، فاقلعها وألقها عنك • لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ، ولا يلقى جسدك كله فى جهنم ••

وقيل : من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق • وأما أنا فأقول لكم : ان من طلق امرأته الا لعلة الزنا يجعلها تزنى • ومن تزوج مطلقة فانه يزنى ــ متى ٥ : ٢٧ ــ ٣٢ » •

لقد أثبت الواقع استحالة الاستغناء عن الطلاق ، بدليل أن الدول المسيحية سنت قوانين تبيح الطلاق ، فهـل من مصلحة المرأة المطلقـة ألا تتزوج مطلقا ؟!

هذا ، ولمـا كانت المرأة تعنى ، بالدرجة الأولى ، تكوين الأسرة ، ومن ثم بناء المجتمع الانسانى ، كان من اللازم اعطاء لمحة عن الأسرة فى المسيحية •

*

● **تعاليم المسـيح والأسرة :**

يقول ويلز [١] : « على الرغم من المـألوف لدى علماء الأخلاق اليوم من أن تعاليمه (المسيح) قد عززت الحيـاة السعيدة للأسرة ، فانه يصعب التوفيق بين وجهة النظر هذه والنصوص التى تشجع الناس على تحطيم اسرهم لأسباب دينية : (ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته وأخواته حتى نفسـه أيضـا ، فلا يقدر أن يكون لى تلميذا ــ لوقا ١٤ : ٢٦) •

---

(١) G We ls, The Jesus of The Early Christians, p, 57

ويصدمنا بنفس القدر انتقاص الانجيل من شان الحياة الزوجية :

(قال له تلاميذه : ان كان هكـــذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج • فقال لهم : ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أعطى لهم• لأنه يوجــد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس • ويوجد خصـيان خصـوا أنفسـهم لأجـل ملكوت السموات • ومن استطاع أن يقبل فليقبل ــ متى ١٩ : ١٠ ــ ١٢) » •

**

المرأة فى مسيحية بولس

● **مواقف بولس مع المرأة :**

كان يوصى النساء اللاتى خدمنه ، ويدعو الجميع ، رجالا ونساء ، أن يسلموا بعضهم على بعض بقبلات مقدسة . فقد كانت تلك خواتيم رسائله : « أوصى اليكم بأختنا فيبى التى هى خادمة الكنيسة التى فى كنخريا كى تقبلوها فى الرب كما يحق للقديسين وتقدموا لها فى أى شيء احتاجته منكم . لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولى أنا ايضا .. سلموا على مريم التى تعبت لأجلنا كثيرا

سلموا على تريفينا وتريفوسا التاعبتين فى الرب .

سلموا على برسيس المحبوبة التى تعبت كثيرا فى الرب ..

سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ـ رومية ١٦ : ١ـ١٦ ».

« سلموا بعضكم على بعض بقبلة مقدسة ـ (١) كورنثوس ١٦ : ٢٠ ، (٢) كورنثوس ١٣ : ١٢ » .

*

تعاليم بولس حول المرأة

● **المرأة مسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى :**

اعتنق بولس فكرة مسئولية المرأة عن الخطيئة البشرية الأولى ، فهى التى أغويت ، وليس آدم ، وهى التى تعدت حد الله فوقعت فى الخطيئة وصارت معتدية . فهو يقول : « لست آذن للمرأة أن تعلم ، ولا تتسلط على الرجل ، بل تكون فى سكوت .

لأن آدم جبل أولا ، ثم حواء . وآدم لم يغو ، لكن المرأة اغويت فحصلت فى التعدى ـ (١) تيموثاوس ٢ : ١٢ ـ ١٤ » .

● **المراة دون الرجل :**

« أريد أن تعلموا أن : رأس كل رجل هو المسيح .

واما راس المراة فهو الرجل .

ورأس المسيح هو الله ..

كل امرأة تصلى أو تتنبأ ورأسها غير مغطى فتشين رأسها لأنها والمحلوقة شيء واحد بعينه . **اذ المرأة ان كانت لا تتغطى فليقص شعرها .**

الرجل ليس من المرأة ، **بل المراة من الرجل ..**

الرجل لم يخلق من أجل المرأة ، **بل المراة من أجل الرجل** ـ (١) كورنثوس ١١ : ٣ ـ ٩ » .

« **لتصمت نساؤكم فى الكنائس ، لأنه ليس مأذونا لهن أن يتكلمن بل يخضعن** ، كما يقول الناموس أيضا .

ولكن ان كن يردن أن يتعلمن شيئا ، **فليسألن رجالهن فى البيت ، لأنه قبيح بالنساء أن تتكلم فى كنيسة** ـ (١) كورنثوس ١٤ : ٣٤ـ٣٥» .

« أيها النساء : **اخضعن لرجالكن ، كما للرب** . لأن الرجل هو **رأس المرأة** ، كما أن المسيح أيضا رأس الكنيسة ..

كما تخضع الكنيسة للمسيح ، كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء ـ أفسس ٥ : ٢٣ ـ ٢٤ » .

*

● **تعاليم بولس والأسرة :**

دعا بولس الجميع ـ رجالا ونساء ، الى عدم الزواج ، ولا يلجأ اليه الا عند الخوف من الوقوع فى الزنا ، فقال :

« **حسن للرجل أن لا يمس امرأة** . ولكن لسبب الزنا ليكن لكل واحد امرأته ، وليكن لكل واحدة رجلها ..

أريد أن يكون جميع الناس كما أنا (بلا زواج) ..

اقول لغير المتزوجين وللأرامل انه حسن لهم اذا لبثوا كمـا أنا . ولكن ان لم يضبطوا أنفسـهم فليتزوجوا . لأن التزوج أصلح من التحرق ....

أنت منفصل عن امرأة فلا تطلب امرأة ..

المتزوج فيهتم فى ما للعـالم كى يرضى امرأته ــ (١) كورنثوس ٧ : ١ ــ ٣٣ » .

ان تعاليما كهذه لكفيلة بهدم نظام الأسرة فى العالم كله ونتيجته الحتمية هى خراب العالم ...

انها تعاليم تخالف وصية الله الذى خلق الانسان ليعمر الكون ولذلك أمره أمرا بالزواج والتكاثر . لقد كانت هذه تعاليم الله منذ بدأ تكوين أول أسرة على وجـه الأرض : « خلق الله الانسـان على صورته .. ذكرا وأنثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم :

اثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض ــ تكوين ١ : ٢٧ ــ ٢٨ » . وبعد الطوفان كان أمر الله لنوح وبنيه بالتزاوج والتكاثر : « بارك الله نوحا وبنيه وقال لهم :

أثمروا ، وأكثروا ، واملأوا الأرض ــ تكوين ٩ : ١ » .

هذا ــ ولقد أوصى الناموس وأسفار الأنبيـاء باكرام الأرملة ، وجعلوها صنوا لليتيم الذى فقد أباه ، فقالوا :

« لا تسترهن ثوب الأرملة .. اذا حصـدت حصيدك فى حقلك ونسيت حزمه فى الحقل فلا ترجع لتأخذها . للغريب واليتيم والأرملة تكون ، لكى يباركك الرب الهك فى كل عمل يديك .

اذا خبطت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك . للغريب واليتيم والأرملة يكون .

اذا قطعت كرمك فلا تعلله وراءك • للغريب واليتيم **والأرملة** يكون •• **انا اوصيك ان تعمل هذا الأمر** ــ تثنية ٢٤ : ١٧ ــ ٢٢ » •

« أبو اليتامى ، **وقاضى الأرامل** ، **الله** ــ مزمور ٦٨ : ٥ » •

« تعلموا فعل الخير •• اقضوا لليتيم ، **حاموا عن الأرملة** ــ أشعياء ١ : ١٧ » •

ان ذلك كله معروف ، وصنيع ممتاز تعارفت عليه الشعوب ، سواء أوتيت كتابا من السماء ، أم عاشت على الفطرة • لكن بولس يفرق بين الأرملة العجوز التى تعدت الستين عاما والأرملة الشابة التى قد تتزوج ثانية ، على الرغم من أن مطالب الحياة لهذه الأخيرة أكثر من مطالب الأرملة العجوز • فهو يقول :

« لا تكتب امرأة فى سجل الأرامل ، **الا التى بلغت ستين سنة** ، ولم تتزوج غير مرة واحدة •• أما الأرامل الشابات فلا تقبلهن ، فانهن اذا أغناهن الترف عن المسيح ، رغبن فى الزواج ، واستوجبن القضاء ، لأنهن نقضن عهدهن الأول ــ (١) تيموثاوس ٥ : ٩ ــ ١٢ » •

وتقول ترجمة **العهد الجديد للكاثوليك** ، تعليقا على رأيه فى الأرامل الشابات :

« دعا بولس الأرامل فى (١) كورنثوس ٧ : ٨ ــ ٤٠ ، الى الامتناع عن الزواج ، ولكن الخبرة علمته بأنه الأفضل للأرامل الشابات أن يتزوجن » •

وهكذا سارت الأمور فى التحليل والتحريم عبر القرون •••

ان تحريم ما أحله الله ، والتضييق على الناس ، قد أدى الى الاندفاع فى طريق الهلاك والتردى فى الخبائث •

ولنقرأ اعترافات بولس نفسه ، فهى غنية عن كل تعليق :

« لست أفعل ما أريده ، بل ما ابغضه فاياه افعل .. انى اعلم ان ليس ساكن فى ، اى فى جسدى ، شيء صالح .. لأنى لست أفعل الصالح الذى أريده ، بل الشر الذى لست أريده فاياه أفعل ..

لكنى أرى ناموسا آخر فى أعضائى يحارب ناموس ذهنى ويسبينى الى ناموس الخطية الكائن فى اعضائى . ويحى أنا الانسان الشقى ! من ينقذنى من جسد هذا الموت ؟! رومية ٧ : ١٥ – ٢٤ » .

« أبناء المعصية الذين نحن أيضا جميعا تصرفنا بينهم فى شهوات جسدنا عاملين مشيئات الجسد والأفكار ، وكنا بالطبيعة أبناء الغضب كالباقين أيضا – أفسس ٢ : ١ – ٢ » .

* *

لم تقتصر سلطة التشريع فى المسيحية على المسيح ، فقد امتدت الى بولس ، ثم الى آباء الكنيسة . فهناك ما ذكره متى عن التفويض الذى أعطاه المسيح لبطرس قائلا : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولا فى السموات ــ ١٦ : ١٩ » .

ثم امتد هذا التفويض الى التلاميذ ، كما ذكر متى فى قول المسيح : « الحق أقول لكم : كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطا فى السماء ، وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولا فى السماء ــ ١٨ : ١٨ » .

وبعد رحيل المسيح وقيام التلاميذ ومن دخل فى زمرتهم بدعوة غير اليهود الى الايمان به ، تمسك اليهود الذين آمنوا به بضرورة ختان أولئك المؤمنين الجدد ، وذلك انطلاقا مما جاء فى الناموس الذى هو أساس الايمان للجميع ، وأسوة بما حدث للمسيح طفلا عندما ختنته أمه فى اليوم الثامن لميلاده حسب شريعة موسى (لوقا ٢ : ٢١) . فالختان عهد الله الأبدى لابراهيم ولنسله من بعده . فقد « قال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى . أنت ونسلك من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه : يختن منكم كل ذكر ، فتختنون فى لحم غرلتكم . فيكون علامة عهد بينى وبينكم .. فى **لحمكم عهدا ابديا** » أما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها . انه قد نكث عهدى ــ تكوين ١٧ : ٩ ــ ١٤ » .

وبهذا قرر الكتاب المقدس أن الختان معيار أساسى للتمييز بين أبناء ابراهيم فى العقيدة ، أهل الختان ، وبين غيرهم من الذين نكثوا عهد الله ، أهل الغرلة .

لقد أحدثت مشكلة الختان التى أثارها اليهود المؤمنون فى أنطاكية بلبلة بين المسيحيين الأوائل ، فرؤى ضرورة الرجوع الى الرسل والمشايخ فى أورشليم وعقد بذلك أول مجمع مسيحى عام ٥٠ ميلادية **انتهى فيه آباء الكنيسة الى نسخ الختان** . فأرسلوا وفدا الى أنطاكية يقول : « قد رأى الروح القدس ، ونحن ، أن لا نضع عليكم ثقلا أكثر من غير هذه الأشياء الواجبة . أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنا ، التى ان حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ـ أعمال الرسل ١٥ : ٢٨ ـ ٢٩ » .

فالعبارة التى تقول : « **قد رأى الروح القدس ، ونحن** » تبين بوضوح أن هناك ما يراه الروح القدس ، وهناك ما يراه آباء الكنيسة ، وقد اتفق الرأيان ـ هذه المرة ـ على نسخ الختان .

أما الخلاف بين الروح القدس وآباء الكنيسة فيسجله تاريخ المجامع المسيحية التى عقدت عبر القرون ، وادعى كل فريق أن الروح القدس كان معه ، ثم لعن الفريق الآخر وطرده من رحمة الله . وكانت هذه الحقيقة هى ما استشهد به مارتن لوثر فى حواره فى مدينة ليبزج ، بألمانيا ، عام ١٥١٩ ، حيث قال لخصمه ، رجل البابا : « ما رأيك فى موقف بولس الذى وبخ بطرس علانية ؟ هل كان بطرس معصوما من الخطأ ؟ ..

وما رايك فى المجامع : فقد حكم الواحد على الآخر وحرمه ، فمن هو الحارم الحقيقى ، ومن هو المحروم الحقيقى »(١) ؟!

*

آباء الكنيسة ، اذن ، هم الذين شكلوا المسيحية عبر القرون ، وبموجب ما تمتعوا به من نفوذ وسيطرة على المسيحيين ، افرادا وشعوبا ، كانت سلوكيات الأغلبية الساحقة من أولئك التابعين .

* *

---

(١) مارتن لوثر ـ ص ٩٢

لكى نستبين حقيقة وضــع المرأة فى ظل الكنيســة ، يكفينــا أن نعرض بعضا مما جاء فى كتاب :**إنجيل المرأة(١)** ، الذى يعتبر دراســة وثائقية مدعمة بالأســانيد والشواهد والنصوص عن هذا الموضــوع الحيوى والخطير ، قامت بها **كارن ارمسترونج** التى انتظمت فى ســلك الرهبنــة عــدة ســنوات ، ثم التحقت بالدراســات العليــا بجامعــة أوكســفورد .

*

● **لمــاذا سمى الكتاب « انجيل المرأة » :**

تطالعنا الصفحة الأولى من هــذا الكتاب ، والتى تحمل عنــوانه الرئيسى ، بعنــوان آخر فرعى يعبر عن مكنــون الكتــاب بقــوله : **ابتداع المسيحية لحرب الجنس فى الغرب** .

بعد ذلك تخبرنا الكاتبة ، فى مقدمة الكتــاب عن سبب تســميته هكذا ، فتقول : « لقد أسميت هذا الكتاب (**انجيل المرأة**) ، لأنه يحكى قصة الحياة التى عاشتها النساء من خلال انجيل يسوع المسيح . ان كلمة (انجيل) تعنى ، طبعا ، أخبارا سارة ، ولكن على الرغم من أن المسيحية فى فجر تاريخها قــد قدمت للمرأة رســالة ايجابية ، الا أنه يجب القول أنه منذ القرن الثانى ، **لم تكن المسيحية أخبارا سارة للنساء على الاطلاق . فلقد كانت مدمرة لهن الى أقصى حد** ، على الرغم من وجود عناصر فى أنماط التفكير والمشــاعر المســيحية التى كان يمكن استخدامها بأفضل مما كان »(٢) .

*

(١) K. Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN.

(٢) المرجــع الســابق ــ المقدمة . وأرجو التنبيــه الى أن النص المقتبس من هذا الكتاب سوف ينتهى بذكر رقم صفحته مباشرة ، دون الحاجة الى استخدام الهامش مرة أخرى .

● **الجنس هو المشكلة :**

لقـد كان هـذا هو عنـوان الفصـل الأول الذى استفتحت به **كارن ارمسترونج** كتابها ، قائلة فيه :

« لقد كان الجنس هـو مشـكلة النسـاء الرئيسـية فى العـالم الغربى •• ففى ثقافتنا ، والحق يقـال ، نجـد أن الشـعور بالاثم من الجنس ، والكبت الجنسى ، قد وضعا النسـاء فى موضع لا يطـاق • لقد نظرت جميع الثقافات الى النسـاء على أنهن مخلوقات أدنى منزلة : فهن من ممتلكات الرجال ، وليست لهن حقوق اسـتقلالية ، واعتبرن أضعف من الرجال ذهنيـا وروحيـا •• الا أنه فى الغرب ، كانت لدى النساء مشكلة صعبة جعلت الظلم المعتاد شـاقا بصورة استثنائية •

انهـا مشكلة لا يشاركهن فيها ، على سبيل المثال ، النساء اليهوديات أو المسلمات • فالعالم المسيحى فى أوروبا وأمريكا تخللته كراهية الجنس والخوف منه ، ونظرا لأن الرجال قد لقنوا اعتبار الجنس شرا ، **فانهم خافوا من النسـاء وكرهوهن** ، هؤلاء اللاتى أوقعن بهن فى تلك الأمور الجنسـية الخطرة • لقد شكلت المسـيحية المجتمع الغربى ، وكانت هى الوحيـدة بين الديانات الكبرى التى كرهت الجنس وخافت منه • وبناء على ذلك كانت الكراهيـة للنسـاء فى الغرب فقط ، باعتبارهن مخلوقات جنسـية ، بدلا من مجرد السـيادة عليهن لأنهن مملوكات أدنى ••

ان **القرآن** يعلم المسـلم ، أنه قبـل مباشرة الجنس ، فعليـه أن يشكر الله من أجل هذه النعمة الكبيرة • وهو يسمح للرجال بأن يكون للواحد منهم حتى أربع زوجات ، لكن عليه أن يحترم كل امرأة ويدللها • ولقد كان (ما علمه) محمد واضحا فى أنه اذا عجز الرجل عن العدل بين النساء جنسيا وعاطفيا ، فيجب عليه الاكتفاء بزوجة واحدة • ومن المؤكد أن محمدا لم يعتقد أن النساء كن مثيرات للاشمئزاز جنسيا • فعندما

كانت تنزل بزوجته دورتها الشهرية ، كان يتكىء فى حجرها ، ويأخذ حصيرة صلاته من يدها ، قائلا : ان طمثك ليس فى يدك ، وكان يشرب من نفس الكوب ، قائلا : ان طمثك ليس فى شفتيك ...

وفى حقيقة الأمر ، نجد أن النساء فى فجر الاسلام كن يتمتعن بقدر كبير من الحرية .. ولقد مارس الاسلام نظام الحريم بعد اتصاله بالمسيحية البيزنطية التى كانت تعامل نساءها بهذا النظام .. على أنه بمجرد ذكر الاسلام ، يتبادر الى الذهن ذلك العرف البدائى الخاص بختان البنات[1] . ومع ذلك ، فيجب ألا نكون شديدى التعصب فى بريطانيا حول هذا الموضوع ، لأن الأطباء البريطانيين مارسوا هذا العمل فى القرن التاسع عشر على الفتيات لمنع الاستمتاع الجنسى الزائد .. ولقد كان التبرير لهذه العملية فى انجلترا هو تلك الاسطورة التى سادت المجتمع الفكتورى وكانت تقول ان الجنس شر .. أما الاسلام فانه لا يقر هذا الدافع » (ص ١٠٢) .

*

● جذور المشكلة الجنسية :

« منذ القرن الثانى فصاعدا ، انتشرت هرطقات فى المسيحية تقول ان الجنس والجسد شر ، وباستمرارية تكرار ذلك فان الناس الذين اعتبروا أنفسهم مسيحيين فى كلا العالمين الكاثوليكى ثم البروتستانتى ، قد شجبوا العلاقات الجنسية وحظروها . ولقد كان اشمئزاز المسيحية من الجنس عميق الجذور ، وواسع الانتشار ، لدرجة أن الهرطقات كانت تحاول دائما ايجاد حلول أفضل للمشكلة الجنسية من تلك التى تقدمها المسيحية التقليدية . وكانت الكاثارية

---

(١) الختان فى الاسلام سنه وليس فرضا . وبالنسبة لختان البنات فهناك تعاليم النبى التى تقضى بالتخفيف وعدم الجور فى هذه العملية .

احـدى هذه الهرطقات التى أثبتت أنها من القـوة بحيث لم تجد معها أسـاليب المقاومة الهادئة ، اذ أنها انتشرت بسرعة فى جنوب فرنسـا ، مما اضطر الكنيسة آخر الأمر الى شن حرب صليبية ضدها ، وقتـل أتباعها بالسيف • ولقد كانت **الأنكراتية** ، التى ظهرت فى القرن الثانى ، هى أول الهرطقات المسيحية ضـد الجنس • وقـد أنتجت عددا من الكتب مثل : **أعمال توما** ، **وأعمال بولس** وكان كلاهما يعلم أن الجنس مخز ومحط ، وأن البتولية فقط هى التى تدخلنا ملكوت السموات ••

وفى واقع الأمر ، نجد أن تاريخ الغرب البروتستانتى ، قـد تميز بتلك التناوبات المتطرفة الخطرة ، ما بين فجور جنسى وكبت جنسى • وأن تلك التناوبات كانت تتطابق دائما مع هبوط الحميـة الجنسـية وصـعودها • انها ظاهرة يختص بها الغرب وحده ، والتى اسـتطاع مؤرخو الجنس أن يعزوها الى المسـيحية • فلقد خلقت المسيحية مناخا يستحيل فيـه اعتبار الجنس مجرد نشـاط • ان عليك كمسيحى اما أن تحبه بعنف أو تكرهـه بعنف ، فهـو اما نشـاط انسـانى مترع بالخطيئة وشـهوة جنسية مدمرة ، واما أنه ممارسـة جنسـية يجب أن توضـع فيها المتعة الجنسـية فى مرتبة تاليـة لانجاب الذرية • ان حظر منـع الحمل الذى لا تزال تدافع عنـه الكنيسـة الكاثوليكية ، انما ينبع من ذلك الرعب من المتعة الجنسـية ، والتى ترجع فكرته فى قدمها الى أوغسطين •

لقـد قادت هـذه الفكرة الكاثوليك ، فى بعض الأحيان ، الى تطرف يدعو الى السخرية ، مثلما حـدث لمفتى القرن السـابع عشر الكبير **سواريز** ، حين ذهب يتأمل بطريقة ملتوية حـالة (افتراضـية) **لرجل وقع فى ورطة ، اذ بينما كان يمارس الجنس مع مومس ، فاذا به فجأة يداهمه الندم على فعلته هذه : فهل ينسحب من العملية الجنسـية قبل اتمامها ، أم انه يستمر فيها ؟!**

انـه اذا انسحب ، فمن المحتمـل ان يصـير مذنبـا بارتكـاب خطيئـة اكبر من مجرد ارتكـاب الزنـا ، الا وهى منـع الحمـل » ! (ص ٤٢ — ٤٦) •

* *

فكر آباء الكنيسة وتعاليمهم فى الجنس والمرأة والزواج

● **الجســـد شر :**

كان القديس **امبروز** ، أسقف ميلانو فى القرن الرابع ، يعظ فى أمر الروح كنقيض للجســد الذى هو شر • « ولقد كانت تلك الفكرة مصدر الهام لتلميذه الكبير ، القديس **اوغسطين** ، الذى أصبح فيما بعد أسقفا لمدينة هبو فى شمال افريقيا ، وربما كان أكثر اللاهوتيين تأثيرا فى التاريخ المسيحى برمته بعد القديس بولس • فلقد كتب امبروز يقول : (فكر فى الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد ، ونبذت الانغماس فى الشهوات ومتع اللذات الجسدية ، وتخلصت من اهتمامهـا بهـذه الحياة الدنيوية) •

فبالنسبة لأمبروز كان الجسد مجرد خرقة باليــة ملطخة بالأقذار ، تطرح جانبا عندما يتحد الانســان بالله الروحانى بالكلية • لقـد كان أوغسطين يردد هــذه الفكرة باستمرار ، فكم صلى قائلا : (آه ! خذ منى هــذا الجسد ، وعندئذ أبارك الرب) !

وفى سير حياة كل القديسين المسيحيين الكبار ، نجد مثــل هــذا الارتياب فى الجــد • لقد اعتاد **فرانسيس الأسيزى** أن ينادى جسده قائلا : (أخى الحمار) ! ، كمــا لو كان الجســد مجرد بهيمة غبيــة شهوانية ، تستخدم لحمل الأثقال **وكثيرا ما كان القديسيون يتعهدون اجسادهم باعتداء يومى من اجل اماتتها بالتعذيب الذاتى بطرق تقشعر من هولها الأبدان »** (ص ٢١) •

* *

● **والجنس شر :**

« فى القرن الثالث عشر الميلادى ، قال الفيلسوف اللاهوتى القديس **توما الاكوينى** : الذى ساد الفكر الكاثوليكى حتى عهد قريب ، أن الجنس كان دائما شر .. وعلى أى حال ، فان هذا الموقف السلبى لم يكن محصورا فى الكاثوليك ، فلقد كان **لوثر وكالفين** متأثرين الى أقصى حد بآراء أوغسطين ، وحملا مواقفه السلبية تجاه الجنس والزواج الى قلب حركة الاصلاح الدينى مباشرة . لقد كره لوثر الجنس بشكل خاص ، على الرغم من أنه قد تزوج ومحا البتوليه فى حركته المسيحية . لقد كان يرى أن كل ما يستطيع الزواج عمله هو أن يقدم علاجا متواضعا لشهوة الانسان التى لا يمكن السيطرة عليها . فكم صرخ قائلا : (كم هو شىء مرعب وأحمق تلك الخطيئة ! ان الشهوة هى الشىء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ، ولو كان حتى بالزواج الذى رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا » (ص ٢٥) .

*

« انه لمن سوء الحظ أن أغلب آباء الكنيسة الغربيين ذوى التأثير القوى ، **كانوا مصابين بالعصاب** ، ورجالا عاطفيين بدرجة كبيرة . لقد كان ترتليان وجيروم وأوغسطين ، جميعهم من الذين تحولوا الى المسيحية خلال نوع عنيف ومتفجر من المعاناة والتجارب الدينية . فهم أناس سماهم **وليام جيمس** ، فى مؤلفه : **تنوع التجارب الدينية** ، بأنهم (ولدوا مرتين) . فهم (أنفس مريضة) لأن تحولهم كان مسبوقا ، فى أحوال كثيرة ، بصراع رهيب مع أنفسهم ، واطلالة عابسة على الحياة . أما النفس التى ولدت (مرة واحدة) فهى خلافا لذلك ، لم تتحول الى المسيحية خلال تجربة صدمية ، لكنها كانت تقترب من الدين بطريقة تخلو من الاضطراب ، وتتقدم فى حياتها الدينية بهدوء ومنطقية ، دون حاجة الى اللجوء الى تجارب سيكولوجية دخيلة .

ويلاحظ ن . وليامز ، فى كتابه : فكرة السقوط والخطيئة الأصلية ، أن هؤلاء الناس الذين (ولدوا مرتين) كانوا يميلون لتبنى عقائد لاهوتية حرفية متزمتة ، تماما مثل ما فعل آباء الكنيسه الغربيين العاطفيين . ان هؤلاء الناس كانوا عاجزين عن الوصول الى اتفاق سلمى مع حياتهم الجنسية قبل تحولهم ، كما راينا فى حالة القديس جيروم . لقد أدرك أوغسطين[1] تحوله الى المسيحية فى لغة صراع جنسى ، فكان يصلى قبل تحوله قائلا : (يارب ! امنحنى العفة . لكن ليس بعد) ! ، فاهما ، بقدر ما كان يؤرقه ، أن المسيحية تعنى البتولية . فهو يرى تحوله بالكلية ، كقرار اتخذه ضد الجنس (الذى انغمس فيه سلفا) ففى لحظة التحول ، كان مقتنعا بأن المسيح قد خلصه تماما من شهوته الجنسية وحياته الأسرية .

---

(١) يقول الخورى يوحنا الحلو فى مقدمة ترجمته العربية لكتاب «اعترافات القديس أوغسطينوس» : «ولد أوغسطينوس فى تشرين الثانى (نوفمبر) سنة ٣٥٤ من أب وثنى وأم مسيحية ، وكان له زملاء فى الدراسة « جروه وراءهم فى طريق الشر والفساد فى سن مبكرة ، ولم يخالفهم رأيا ، وأبى أن يتخلف عنهم فى مداعبة الاثم والارتماء فى أحضانه . وعجز والداه عن تأمين سفره الى قرطاجا لمتابعة دروسه ، فانفتح أمامه باب اللهو واسعا ، ولهـا بأقدس المحرمات ، وتعرف الى امرأة ساكنها واستولدها طفلا سماه أديودات .. وطلب أوغسطينوس الحقيقة فى شهوات الجسد ، فأخفق ، بيد أنه لم يكفر بها ولا انقطع عنها .. واستهواه المانيون فمال الى خزعبلاتهم .. ثم انتقل الى روما ومنهـا الى ميلانو سنة ٣٨٤ .. وعلمت والدته بسفره فلحقت به وأخذت تلح عليه ليقطع علاقته الأثيمة بتلك التى ولدت له ابن الزنا المعروف . ولم يخيب أوغسطينوس هذه المرة رجاءها ، وأبعد أم ولده عنه الى افريقيا ، مستبقيا لديه ابنه أديودات . بيد أن هجر تلك المسكينة على هذا النحو لم يكن مشرفا له ولأمه ، اذ كان من الأفضل أن يتزوجها بموجب الشرع ، بيد أنهما ارتضيا ذلك الحل مسايرة لتقاليد المجتمع الرومانى البالية . ولدى قدومه الى ميلانو تعرف اوغسطينوس الى امبروسيوس أسقف المدينة واستمع الى مواعظة ، فأعجبته بلاغتها .. واقتنع بضرورة العماد ثم ما لبث أن عدل عنه حتى نهاية السنة الدراسية .. ثم أعاد النظر فى حياته كلها واعتمد فكان اهتداؤه الى الكثلكة حدثا صاعقا فى ميلانو » . وقد مات سنة ٤٣٠

لقد كان آباء الكنيسة الغربيين ، الذين كانوا الأكثر تأثيرا بسبب ألمعيتهم الذهنية وشخصيتهم القوية ، كانوا جميعا من النمط الدينى الذى نزع بهم الى النظريات اللاهوتية المتزمتة التى تعادى الجنس . لم تأت تسميتهم آباء من فراغ ، فمنهم تولدت المسيحية الغربية . لقد أصابتهم بعمق عدوى جو التقشف والزهد الذى شاع فى العصور القديمة المتأخرة ، وكانت أمزجتهم العاطفية بجانب سوء فهمهم لنقاط دقيقة معينة فى الكلمات الاغريقية التى جاءت فى رسائل القديس بولس (مثل كلمة ساركس : الجسد) ، يعنى كل هذا أنه لم يكن بمقدورهم تزويد الكنيسة الجديدة بالمبادىء الجنسية السليمة .

لقد كان اللاهوتيون الاغريق ، من أصحاب الولادة (مرة واحدة) مثل سيريل السكندرى ، يكشفون عن تفسيرات أبعد كثيرا عن اثارة الرعب من معتقد الخطيئة الأصلية ، وكانوا أقل كثيرا فى معاداتهم للجنس . فبالنسبة لآباء الكنيسة الغربيين مثل أوغسطين ، أصبح الجنس والخطيئة متداخلين معا بطريقة لا انفصام لها ، وذلك لأسباب شخصية تتعلق بالزمان والمكان ، دون أن يكون لها أى مسوغ أو برهان من العهد الجديد . ولقد كان أوغسطين هو الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية ، وكانت نظريات أوغسطين اللاهوتية هى التى سادت الكنيسة خلال العصور المظلمة حتى حل محله الفيلسوف اللاهوتى توما الاكوينى » (ص ٣٠) .

*

« لقد سلم أوغسطين الى الغرب تراث الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها . فهناك فى لب كل تشكيل للعقيدة ، توجد المرأة حواء ، سبب كل هذه التعاسة ، وكل هذا الثقل من الذنب والشر ، وكل هذا الانغماس البشرى فى الخطيئة . لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معا فى ثالوث غير مقدس . فبالنسبة لذكر متبتل مثل

أوغسطين ، لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة • وفى الغرب ، بقيت المرأة هى حواء الى الأبد ، هى اغراء الرجل الى قدره المشئوم • بل ان انجاب الأولاد الذى تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسى وينبوع القدرات التى تمتلكها ، نجده فى المسيحية قد غلفه الشر باعتباره الوسيلة التى تنتقل بها الخطيئة » (ص ٣٢ — ٣٣) •

*

ويقول القديس جيروم : « اذا امتنعنا عن الاتصال الجنسى ، فاننا نكرم زوجاتنا • أما اذا لم نمتنع : حسنا ! فما هو نقيض التكريم ! سوى الاهانة » ! (ص ٤٣) •

*

« ان المسيحية قد خلقت أتعس جو جنسى فى أوروبا وأمريكا بدرجة قد تصيب بالدهشة كلا من يسوع والقديس بولس • ومن الواضح كيف كان لهذا تأثيره على النساء • فبالنسبة لأوغسطين الذى كان يناضل من أجل البتولية ، كانت النساء تعنى مجرد اغراء يريد أن يوقعه فى شرك ، بعيدا عن الأمان والاماتة المقدسة لشهوته الجنسية • أما كون العصاب الجنسى للمسيحية قد أثر بعمق فى وضع النساء ، فهذا ما يرى بوضوح من حقيقة أن النساء اللاتى التحقن بالجماعات الهرطيقية المعادية للجنس ، وصرن بتولات ، قد تمتعن بمكانة واحترام كان من المستحيل أن يحظين بهما فى ظل المسيحية التقليدية » (ص ٥١) •

*

« لقد كانت المسيحية مشغولة طيلة مئات السنين بجعل النساء يخجلن من أمورهن الجنسية ، ولقد عرفت النساء جيدا ، كما قال أوغسطين ولوثر قبل عدة قرون ، أن تشريع الزواج كان مجرد دواء ضعيف المفعول لمعالجة شرور الجنس » (ص ٧٧) •

* *

● والمراة اقذار :

« لقد كان ينظر الى جسـد المراة باشمئزاز على نحو خاص ، كما كان مصدر ارباك لآباء الكنيسـة ان يسوع ولد من امراة .

فكم ضغطوا بشدة ، فى موعظة تلو موعظة وفى رسالة تلو رسالة ، على أن مريم بقيت عذراء ، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعـده أيضـا ..

لقد كتب **أودو الكلنى** ، فى القرن الثانى عشر : **« ان معانقة امراة تعنى معانقة كيس من الزبالة »** .

لقد كانت الأحشاء الخفية للمرأة ، والتى تتسم بالقـذارة ، مع رحمها الذى لا يشبع ، موضع استقذار وفحش بشكل خاص . وكان الآباء راغبين فى التأكيد على أن يسوع لم يكن له الا أقـل القليل من الاتصال بذلك الجسد البغيض » (ص ٢٣) .

*

« ولقد كتب أسقف فرنسى ، عاش فى القرن الثانى عشر ، ان كل النسـاء ، بلا اسـتثناء ، مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العـالم ..

وقـال الراهب البنديكتى برنار دى موريكس ، دون مواربـة ، فى اشعاره : انه لا توجد اية امراة طيبة على وجه الأرض .

وقال الراهب الانجليزى (اسكندر نكهام) ، انه نظرا لأن المرأة لا تشبع جنسيا ، فانها غالبا ما تصطاد بائسا حقيرا لينام معها فى فراشها ليشبع نهمها اذا كان زوجها غير موجود فى لحظة شبقها . ونتيجة لذلك ، كان على الأزواج أن يربوا أطفالا ليسوا من أصلابهم .

لقد ترسخت أسطورة عدم اشباع النساء جنسيا لدرجة أن روبرت بيرتون أشار اليها فى عام ١٦٢١ باعتبارها شكوى عالمية .

لقد انطبع فى وعى أوروبا الغربى ما أثاره جيروم وترتليان وأوغسطين وأتباعهم من كره للنساء وايقاع الرعب منهن فى النفوس » (ص ٧٠) .

*

● **اغتيـــال شخصية المرأة :**

لقد حرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها الى أقصى حـــد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزى والعـــار من طبيعتها وكيانها البشرى .

ولقد اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة لبث روح الاحباط فيها ، ولو كانت تتعلق بزى ترتديه .

فقد كتب *ترتليان* ، فى القرن الثالث ، رسالة تعالج زى المرأة ، صدرها الى : « أفضل المحبوبات أخواته فى الايمان ، ثم ما لبث أن انزلق فيها من المحبة والاحترام الى هجوم مذهل ، اذ يقول :

(اذا وجد ايمان على الأرض عظيم مثل ما نتوقع أن ننعم به فى السـماء ، فما كان لأى واحدة منكن ، أفضل أخواتى المحبوبات ، اللاتى منذ أن عرفت الواحدة منكن الرب ، وعلمت حقيقة منزلتها ، أن تشتهى زيا كثير البهجة ، ولا أقول زيا ملفتا للنظر .

لقد كان حريا بها أن تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالها ، نادمة على ما كان ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن ، مكفرا عما ورثته من حواء : العار ، واقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الأبدى للانسانية . (فلقد قال الرب للمرأة) : تكثيرا أكثر أتعاب حبلك . بالوجع تلدين أولادا . والى رجلك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك (تكوين ٣ : ٦) .

الستن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء ؟!

ان قضاء الله على جنسكن بالعقوبة موجود فى هذا العصر ، وبالتالى فان الشعور بالاثم يجب أن يكون موجودا أيضا .

أتتن المدخل الذى يلجه الشيطان : فأتتن باكورة من ذاق الشجرة المحرمة ، وأتتن أول من تمرد على القانون الالهى ، وأتتن تلك المرأة التى أقنعته (بالأكل من الشجرة) ، اذ لم يكن لدى الشيطان القدر الكافى من الجسارة لكى يهاجم (آدم) .

لقد دمرتن بمثل هذه السهولة ، الرجل ، صورة الله .

وبسبب استحقاقاتكن للعقوبة ــ التى هى الموت ــ كان على ابن الله أن يموت أيضا) .

ان هذا بالضبط هو نفس التعقيد من الأفكار ، معبرا عنها بألفاظ أقل وضوحا ، مثلما نجده فى رسالة بولس الأولى الى تيموثاوس ، والتى تتحدث عن مظهر النساء ، وحواء ، والولادة .

وبالنظر لأول وهلة ، يبدو عجيبا أن هذا الهجوم الضخم ــ الذى يعتبر كل امرأة مسئولة مسئولية كاملة عن تدمير الرجل ، وعن صلب المسيح ــ يبدأ وينتهى بخصوص شىء من الواضح أنه غير مهم الى هذا الحد ، ألا وهو ملابس النساء .

ان ما يلهب هجوم ترتليان القاسى هو مجرد خوف غير منطقى ألبتة ، فبالمضى قدما فى رسالته نجد أنها تنصب كلها على الجنس » (ص ٥٤ ــ ٥٥) .

*

وبالنسبة لجيروم ، نجد « أن ما يفعله هو الافراط فى النظرة الجنسية للمرأة بسبب كبته الجنسى . فهو محبط بعنف ، لدرجة أنه يخبر النساء أنهن لا يشبعن جنسيا . لقد نسى هنا (فى رسالته) أنه يكتب الى فتاة صغيرة طيبة (تخدم فى الكنيسة) ، وقد طلبت منه

النصيحة (عن الحياة المسيحية) ، فحثها أن تقفل على نفسها بعيدا عن العالم ، اذ بمجرد أن تسير هنا وهناك ، فلسوف تلهبها شـهوة الرجال .

لقد استغرق في الخيال الجامح لدرجة أنه قارنها في نهاية رسالته بامرأة مومس ، تماما كما بدأ ترتليان رسالته مخاطبا قارئاتها (أفضل محبوباتي) ومنهيها بأن كل واحدة منهن حواء .

المـرأة ، اذن ، هي الد أعـداء الرجـل ، فهي المومـس التي تغوي الرجـل الى هلاكه الأبدي ، لأنها حواء صـاحبة الغواية أبدا . وكما أن الخطيئة الأصلية ترتبط بالجنس ، فهكذا المرأة تماما ، هي حواء لأنها مثيرة جنسيا » (ص ٦٠) .

* *

● ونساء الأنبياء أيضا !

« بين الحين والحين نرى عداوة للقوى الجنسية للنسـاء وخوفا منها . ان أوغسطين يرى الخطر أيضا في النساء الفضليات اللاتي ذكرهن العهد القديم . وأحيانا يصـل الى استنتاجات تثير السـخرية . ففي محاولاته التوفيق بين الحياة الجنسية للآباء ، نجده يقدم لنـا ابراهيم واسحق بأن الواحد منهما كان يعاشر زوجته جنسيا ، بغية أداء الواجب واستجابة لأمر الله بتأسيس السلالة المختارة ، لكن ذلك كان مصحوبا بنفور شديد . لقد كانا يفضلان الامساك عن ممارسة الجنس .

ان ابراهيم ، الذي يبدو (من قراءاة سفر التكوين) أنه كان يتمتع بقوة جنسية هائلة ، لا بد وأن يقرأ كل هذا وهو منذهل تماما . .

ويستمر أوغسطين في استنتاجاته قائلا :ان اسحق كان أكثر حظا . فالكتاب المقدس يذكر أنه مارس الجنس مرة واحدة[1] ، وكان سعيد

---

(١) يقول سفر التكوين : « كان اسحق ابن أربعين سنة لمـا اتخذ لنفسه زوجة ، رفقة بنت بتوئيل الأرامي .. وصلى اسـحق الى الرب =

الحظ تماما اذ أنجب توأمين ، هما عيسو ويعقوب ، فلم يكن بحاجة لأن يمارسه مرة ثانية .

وعندما جاء الحديث عن يعقوب ، الذى كان له اثنا عشر ابنا ، وجد أوغسطين نفسه فى ورطة . فهو يقرر أن يعقوب كان يسره كثيرا أن يسير على نهج اسحق ، فيمارس الجنس مرة واحدة فى حياته . لكن زوجتيه ليئة وراحيل استمرتا فى مضايقته بسبب شهوتهما العارمة ونهمهما الجنسى(1) ، مما اضطر هذا الأب المقدس الى التخلى عن مثله العليا ، مع أن ليئة وراحيل كانتا من النساء الطيبات . فبالنسبة لأوغسطين، كما كان الحال بالنسبة لسابقيه مثل جيروم ، كل النساء ، مهما كن فاضلات ، فجميعهن أعداء الرجال . ولقد كتب الى صديق له قائلا : **(ما الفرق ؟! فمهما كانت : زوجا أو اما ، فهى لا تزال حواء المغرية الى الحد الذى يجعلنا نحترس من كل امرأة) !**

فلا يوجد مكان لهذا العدو فى عالم الذكور ، وفى حقيقة الأمر

= لأجل امرأته ، **لأنها كانت عاقرا** ، فاستجاب له الرب فحبلت رفقة .. فلما كملت أيامها لتلد اذا فى بطنها توأمان ـ ٢٥ : ٢١ ـ ٢٤ » .

ان قول الكتاب المقدس أن رفقة كانت عاقرا ، يعنى أن اسحق جامعها كثيرا دون أن يحدث حمل ، ومن هنا قيل انها كانت عاقرا . فالقول بأنه جامعها مرة واحدة ، هو مخالفة لما فى الكتاب المقدس ، واجتراء على الحق يدعو الى السخرية حقا .

(1) يقول سفر التكوين : « مضى رأوبين فى أيام حصاد الحنطة فوجد لفاحا (نباتا مخدرا) فى الحقل وجاء به الى ليئة أمه . فقالت راحيل لليئة (أختها) : أعطينى من لفاح ابنك . فقالت لها : اقليل انك اخذت رجلى ، فتأخذين لفاح ابنى أيضا . فقالت راحيل : **اذن يضطجع معك الليلة عوضا عن لفاح ابنك** . فلما أتى يعقوب من الحقل فى المساء ، خرجت ليئة لملاقاته ، **وقالت : الى تجىء لأنى استأجرتك بلفاح ابنى** . فاضجع معها تلك الليلة ـ ٣٠ : ١٤ ـ ١٦ » ومن العجيب فى الأمر أن يذكر أوغسطين من نساء يعقوب : ليئة وراحيل ، ويترك زلفة وبلهة ، ومن هؤلاء النسوة الأربع جاء بنو اسرائيل .

لا يوجد مكان للمرأة على الاطلاق فى خطة الله (لخلاص العالم) »
(ص ٦١) .

*

● **ثم كان التساؤل : لماذا خلق الله النساء ؟!**

« ان أوغسطين تبدو عليه الحيرة عندما يتساءل عما اذا كان هناك سبب ، على الاطلاق ، من أجله خلق الله النساء . فليس فى امكان المرأة أن تكون صديقا ورفيقا معينا للرجل ، ومع ذلك : **(اذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الافضل كثيرا ان يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معا كصديقين ، بدلا من رجل وامرأة)** .

لقد كانت العلة الوحيدة (حسب رأيه) التى من أجلها خلق (الله) النساء هو انجاب الأولاد . ولقد كان لوثر يشارك فى هذا الرأى ، فالوظيفة الوحيدة التى رآها للمرأة هى أن تنجب أولادا بقدر الامكان حتى يهتدى الكثير الى الانجيل . فلم يهتم لوثر بتأثير كثرة الولادة على النساء ، اذ كتب يقول : **(اذا تعبت النساء ، او حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم** . دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فلقد خلقن من أجل ذلك) » !
(ص ٦١ — ٦٢) .

*

● **ثم كان تساؤل أحمق : هل المرأة انسان ؟!**

« لقد شاركت البروتستانتية تماما فى كره النساء الذى ورثه الآباء الى الكنيسة الكاثوليكية . **فعندما ناقش اللوثريون فى وتنبرج مسألة ما اذا كانت النساء حقيقة من بنى الانسان** ، لم يكونوا يناقشون شيئا جديدا . فلقد كان اللاهوتيون متحيرين دائما حول مكانة النساء فى خطة الله (لخلاص البشر) .

ولقد كان توما الأكوينى متحيرا تماما ، مثله مثلما كان أوغسطين

من قبل ، فيما اذا كان هناك داع ، على الاطلاق ، أن يخلقها (الله) ، كما قرر أن طبيعة المرأة هى النزوة والهوى ، فكتب يقول :

(فيما يختص بطبيعة الفرد ، فان المرأة مخلوق معيب وجدير بالازدراء ، ذلك أن القوة الفعالة فى منى الذكر تنزع الى انتاج مماثلة كاملة فى الجنس الذكرى ، بينما تتولد المرأة عن عيب تلك القوة الفعالة ، أو حدوث توعك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى) .

ان القول بأن طبيعة الفرد فى النساء معيبة ، انما هى فكرة التقطها من آراء أرسطو فى علم الأحياء . **فالذكر هو الانموذج او المعيار ، وكل امرأة انما هى رجل معيب** » (ص ٦٢) .

*

« نحن معشر النساء لا نزال تحذر الواحدة منا الأخرى ، ومن المؤكد أن هذا يشكل واحدة من أتعس ما ورثناه من ماضينا المسيحى . ولا يدهشنا ، على أى حال ، أن بعض النساء لا يزال يتشكك فى البعض الآخر ، لأن ثقافتنا قد علمتنا أشياء كثيرة مفزعة فيما يتعلق بجنسنا .

ففى مجمع ماسون ، فى القرن السادس ، كان على الأساقفة أن يصوتوا على مسألة : ما اذا كان للنساء أرواح أم لا ؟! ولقد فاز اقتراح الموافقة بأغلبية صوت واحد .

واذا كانت هذه هى خلفية الكراهية للنساء ، فمن الذى يستطيع أن يوبخنا ، معشر النساء ، بسبب كراهية بعضنا البعض » (ص ٦٤) .

* *

● **تأثير عبادة مريم على النساء :**

فى عصر الحروب الصليبية ، « وفى هذا العالم الدينى العدوانى الذى اقتصر فقط على الذكور ، جاءت عبادة مريم العذراء . فلقد أقيمت

الكاتدرائيات ، فى كل أنحاء أوروبا ، تكريما لها ، وحلت محل القديس ميخائيل كبؤرة للعبادة والأساطير بين عامة الناس .. ان مريم تقف فى صف الفقراء والمنبوذين ، فهى تستطيع أن تدخل أناسا ، ممن سبق أن عينهم الله لجهنم ، الى ملكوت السموات ..

ومن المؤكد حقيقة ، على أى حال ، أنه لا الحب (المسيحى) النبيل ، ولا عبادة العذراء ، كان لهما أى أثر فى الوضع الفعلى للنساء داخل المجتمع . ومن المؤكد أن أيا منهما لم يوقف الدعاية الرسمية بكراهية النساء التى استمرت تطلقها الكنيسة . ان **القديس برنارد** الذى فعل كل ما استطاع لنشر عبادة العذراء فى الكنيسة ، كانت عداوته للنساء مريرة . **فعندما جاءت اخته لزيارته فى الدير الذى يقيم فيه ، فانه استشاط غضبا . لأنها كانت ترتدى لباسا جديدا . فقد كانت، كما قال ، مومس قذرة ، وكتلة من الروث .**

ان العبادة الجديدة (لمريم) لم تجد نفعا فى تهذيب أفكاره عن أجساد النساء ، فقد بقيت تماما كما هى فى تقاليد ترتليان » (ص ٧٤) .

**

● هل الزواج عقوبة للنساء ؟!

« انه لوثر الذى يجعل النساء منبوذات قسرا فى وحشة ، ومنفيات من عالم الرجال (فى زواج مسيحى) فبالنسبة للوثر ، وبعيدا عن تكريم النساء بالحض على الزواج كشىء اجبارى ، فانه يرى فى الزواج عقابا للمرأة . لقد كتب يقول :

(ان هذا العقاب ينبع أيضا من الخطيئة الأصلية ، وتتحمله المرأة مكرهة تماما كما تتحمل تلك الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها . ان السلطة تبقى فى يد الرجل ، وتجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله .

فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة ، ويشن الحرب ، ويدافع عن

ممتلكاته ، ويفلح الأرض ، ويبنى ، ويزرع .. الخ . **أما المرأة ، فعلى** العكس من ذلك ، **فهى مثل مسمار دق فى حائط** . هى تجلس فى المنزل .. يجب أن تبقى المرأة فى المنزل ، وترعى الحاجات المنزلية ، مثل انسان حرم القدرة على ادارة تلك الشئون التى تختص بالدولة . . **بهذه الطريقة تعاقب حواء**) .

لم يتغير شيء ! قد يكون لوثر تصارع عقائديا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر بالاختلاف الفكرى العقائدى . فلا تزال المرأة هى حواء ..

ان الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق فى حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها : فهى بائسة لا عون لها ، تساق ، ويدق على راسها .. لا يسعى وراءها من أجل اقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية ، فلا توجد أى حرارة متبادلة .. ولهذا خلا بدء تاريخ الزواج المسيحى من المحبة ، والمساواة ، وعيش الرجال والنساء معا فى وئام » (ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥)

* *

● **خلاص المرأة المسيحية يجعلها رجلا !** .

« على الرغم من أن الكنيسة فى الغرب قد لا تسمح لعذاراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان اللاهوتيون واضحين فى أن العذراء البتول قد أصبحت رجلا شرفيا . لقد كتب جيروم يقول :

(بما أن المرأة خلقت للولادة والأطفال ، فهى مختلفة عن الرجل كما يختلف الجسد عن الروح . ولكن عندما ترغب المرأة فى خدمة المسيح أكثر من العالم ، **فعندئذ سوف تكف عن أن تكون امراة ، وستسمى رجلا**) (تعليق جيروم على رسالة بولس الى أهل أفسس).

من المثير أن يقارن جيروم النساء بالجسد ، فلقد رأينا كيف اعتبر

جسده عدوا له ، يجب أن يعانى الجوع ويموت بوحشية ، حتى يمكن للروح أن تتحرر ..

واذا استطاعت المرأة أن تحرر نفسها من أمورها الجنسية ، فقد أصبحت مخلوقا روحانيا ومذكرا . **ان امبروز واضح تماما فى انه لكى تحصل المراة على الخلاص بالنجاة من الخطيئة ، فيجب عليها ان تصبح ذكرا** لقد كتب يقول :

(تلك التى لا تؤمن انما هى امرأة ، ويجب أن تصنف باسم جنسها (الأنثوى) ، بينما تلك التى تؤمن انما تتقدم نحو الرجولة الكاملة . وآنذاك تتخلى عن اسم جنسها (الأنثوى) ، وغوايات الشباب ، وثرثرة العجائز) .

فالبنسبة لأمبروز ، يعنى خلاص المرأة أن تطرح عنها أنوثتها ، وتصير انسانا كاملا بالغا سن الرشد ، أى تصير ذكرا » (ص ١٢٩) .

* *

نتائج هذا الفكر المسيحى الكنسى

● تعاليم كنسية بتقييد ممارسة الجنس بين الزوجين !

« بينما كانت المسيحية تنتشر ، انتشر معها ببطء أيضا كراهيتها للجنس والنساء . لقد كان الوعاظ جميعا ، بالطبع ، من الرجال ، وكانوا أيضا اما بتولا ، أو أجبروا رغما عنهم على البتولية ، وبذلك كانت نظرتهم للجنس معقدة . ولم تكن الرسالة الجنسية التى مست الناس العاديين (غير الأكليروس) أكثر كآبة وسلبية ، مما كان فى توجيهات الاعتراف التى حاولت الكنيسة من خلالها أن تسيطر على الحياة الجنسية للناس ، حتى أولئك المتزوجين .

وهكذا نجد أن **المكفرات** (وهى : ارشادات لرجال الدين حول الحكم فى مختلف خطايا المؤمنين) تبين أنه فى مطلع القرون الوسطى ،

كانت الكنيسة تحاول فرض امتناع كلي على ممارسة الجنس بين الزوجين. فلقد حظرت ممارسة الجنس أثناء : حمل المرأة ، والرضاعة .. كذلك حظرت ممارسة الجنس أثناء : الصوم الكبير ، وأيام الآحاد الأربعة السابقة للميلاد ، وأيام الآحاد والأربعاء والجمع ، وقبل تناول العشاء الرباني ..

ولقد كانت تعاليم **المكفرات** مهتمة بعدد مرات ارتكاب خطيئة العادة السرية ، وخاصة بين رجال الدين .

ان هذا يبين أن الناس كانوا يحاولون مراعاة هـذه القواعد . **وانهم اجبروا بذلك على ممارسة العادة السرية** ، نظرا لحظر أى متنفس جنسى آخر ..

كذلك كانت هناك مخاطر جسمانية أخرى ، فقـد كان سـوء التغذية والوجبات غير المناسبة ، شائعا فى أوروبا لفترات طويلة . ومن المعلوم جيدا أن هـذا يقلل الشهوة الجنسـية . كما أن الوجبة غير الصحية تعنى أن كثيرا من الناس كانوا يعانون من أمراض جلدية مروعة تشوه المنظر . ولقد عانت النساء كثيرا من الآلام المهبلية وآلام المبايض التى جعلت الجماع عملية مؤلمة ، بل ومستحيلة ، كمـا كانت الأمراض التناسلية شائعة **اضافة الى ذلك ، كانت رائحة النسـاء والرجال منتنة .** وحتى مع التسليم بأننا نتكلم عن مجتمع لا يهتم بالاستحمام ، كما نفعل الآن ، فقد اشتهرت النســاء الانجليزيات ، بين الأجنبيات ، بروائحهن المنتنة على وجه الخصوص . وكانت المداعبة قبل العملية الجنسية غير معروفة ، وخاصة بين القرويين ، فى انجلترا وفرنسا . وكان هناك أيضا الخطر الدائم من الحمـل ، فى عصر كان مولد الطفل محفوفا بمخاطر للمرأة ، وكثيرا ما انتهى بموت الطفل .

وهكذا كان انفجار الدعاية ضد الجنس ، والتى أشعلتها الكنيسة ، كأنها ضربت على وتر حساس عند كثير من الناس ، فرأوا أن الجنس ليس شيئا يحقق مطالب الحياة الزوجية أو يعززها » (ص ٣٥ ــ ٣٦) .

* *

● **فجـور قسيس !**

« منذ القرن الثانى عشر ، انتقلت الى جنوب أوروبا عدوى هرطقة **الكاثارية** ، التى كانت تعتقد أن الشر مطلق كما أن الخير مطلق ، وأن المـادة شر وفساد ، وكذلك أدين الجسد والجنس والزواج كأشـياء مادية مملوءة بالخطيئة • وقد اعتقد الكاثاريون أنه اذا لم يقدر الانسان أن يكون واحدا من البتوليين ، وهم الطبقة العليا ، فمن الأفضل أن يكون غير مقصور على امرأة واحدة بدلا من أن يتزوج ، لأن الزواج أضفى مباركة شرعية على شيء تأصل فيه الشر •

ولقد حدث فى قرية مونتايو الفرنسية ، التى انتقلت اليها بشدة عدوى الكاثارية ، أن تزوجت امرأة تدعى **فابريس** فى عائلة متهرطقة • ونظرا لأنها لم تعتنق فكر أولئك الهراطقة ، فقـد طردت خارج منزل زوجها ، حيث عاشت فى بؤس مقيم ، وكانت تكسب معيشتها من العمل فى احدى الحانات •

وعندما بلغت ابنتها **جرازيدا** واحدا وعشرين سنة ، استدعيت أمام محكمة التفتيش ، ليس فقط من أجـل الشـك فى انتمائها الى تلك الهرطقة ، بل أيضا لأنها كانت عشيقة قسيس الأبرشـية **بيير كليرج** ، الذى كان كاثاريا •• ولقد حفظت لنـا شهادة جرازيدا ، التى جاء فيها :

(منذ سبع سنوات أو نحو ذلك ، جاء بيير كليرج الى بيت أمى التى كانت خارج البيت تعمل فى الحصاد فى فصل الصيف • وقـد حرضنى على ممارسة الجنس معى فقبلت • كنت لا أزال عذراء ، عمرى أربعة عشر عاما ، على ما أظن ، أو خمسة عشر عاما ، فأخذنى الى مخزن الحبوب حيث يحفظ التبن ••

بعد ذلك كرر معاشرتى جنسيا حتى يناير التالى ، وكان ذلك أيضا فى بيت أمى • ولقد علمت امى بذلك ، لكنها تسامحت ، وكان أكثر ذلك يحدث فى النهـار •

وفى يناير ، زوجنى القسيس الى زوجى الراحل بيير ليزيير . واستمر بعد ذلك يعاشرنى جنسيا طيلة السنوات الأربع التى عاشــها زوجى . لقد علم زوجى بذلك ، لكنه لم يبد أى معارضــة . فعندما سألنى عن ممارستى الجنس مع القسيس ، أخبرته بالحقيقة ، فطلب منى أن أحرص على ألا يكون ذلك مع أى رجل آخر خلاف القسيس . على أننى وبيير (القسيس) لم نمارس الجنس أبدا أثناء تواجد زوجى بالبيت ، فلم يكن يحدث ذلك الا فى غيابه خارج البيت .

انى لم أكن أعلم أن (القسيس) بيير كليرج كان ابن عم لأمى فابريس .. ولو علمت ذلك ، ما تركته يمارس الجنس معى . ولأنى واياه كنــا نستمتع بذلك ، فلم أكن أعتقد أننى كنت أرتكب الخطيئة معــه » ! (ص ٣٨ ــ ٣٩) .

*

● اضطهاد المرأة دفعها الى الشك فى المسيحية :

كانت كريستين دى بيزان كاتبة عاشت فى القرن الخامس عشر ، وقد جمعت بين الثراء والثقافة العالية . ولقد أتعسها حال بنى جنســها من النساء فتبنت قضيتهن ، كما جاء فى مؤلفها : كتاب مدينة السيدات . « فهى تخبرنا أنه فى كل قراءاتها الواسعة ، لم تجد شيئا سوى كراهية النساء . ان كل السلطات (تنتهى الى قرار واحد هو : أن ســلوك النساء يجنح الى الرذيلة ويمتلىء بالمعايب) . وعندما راجعت كريستين حياتها الخاصة بكل دقة ، وحياة صديقاتها من النساء ، فانها لم تجــد تبريرا لذلك القرار .. وتولد عندها ، اثر ذلك ، مشكلة كره الذات ..

لقد كانت آراء أكويناس وأوغسطين وكثير غيرهم سببا فى اقتناع كريستين بأنها كانت شيئا بغيضا ومخلوقا غير طبيعى . وكانت تتساءل بحرارة : هل خلق الله مثل هذا الخلق المرعب ، ومثل هذا الشىء الأثيم الذى تمثلت فيــه المرأة ؟

لقـد أوصـلها ذلك ، حسبما تتذكر ، الى الكفران بصلاح الله ! فقد استحال عليها الاعتقاد فى أن الله الطيب الصالح قد صنع مخلوقا مثل المرأة .. وعلى الرغم من ادراكها الشخصى لبراءة النســاء ، فقد أصبحت مقتنعة بشدة أن النساء لا بد أن تكون شرا ، حسبما أخبرها بذلك مجتمعها وثقافتها ، فكتبت تقول :

(يا الهى ! كيف يحدث هذا ؟! لأنه ما لم أضل شاردة من ايمانى ، فيجب ألا أشك أبدا فى أن حكمتك اللانهائية وصلاحك الكامل المطلق ، لم يخلق أبدا أى شىء لم يكن خيرا ..

ومع ذلك ، أنظر الى هــذه الاتهامات التى حكم بها على النســاء وتقررت وفرغ منها ضدهم . انى لا أعلم كيف أفهم هذا التناقض !

فاذا كان الأمر كذلك ، أيها الرب الاله العادل ، انه فى الحقيقــه يسود الجنس الأنثوى مقت شديد ــ لأنك نفسك تقول ان شــهادة شاهدين أو ثلاثة يضفى عليها التصديق ــ فلماذا لا أشك فى أن هــذا هو الحقيقة ؟

واحسرتاه ، يا الهى ! لمــاذا لم تجعلنى أولد فى هذه الدنيا رجلا ، لتكون كل نزعاتى مكرسة لخدمتك على نحو أفضل ، وحتى لا أضــل فى أى شىء ، وأكون كامــلة مثــل الرجــل ، كمــا يقولون) ؟!
(ص ٨٣ ــ ٨٤) .

* *

● **مذابح مروعة للنســاء :**

دأب الفكر الكنسى المسيحى الغربى ، عبر قرون عديدة ، على اثارة جو متأجج بكراهية المرأة والخوف منها ، استمد جذوره الأولى ما تحكيه الصفحات الأولى من الكتاب المقدس عن الخطيئــة الأولى التى تضع مسئوليتها فى عنق حواء ، وتحملها بالتالى مسئولية كل المتاعب والآلام التى يعانيها الجنس البشرى على هذه الأرض . ثم جاءت فكرة الخطيئة المتوارثة التى غرسها بولس فى المسيحية على غير أساس ، كمــا

بينا سلفا وتعهدها آباء الكنيسة حتى كان أوغسطين الذى صاغ معتقد الخطيئة الأصلية فى صورته النهائية .

لقد كان هذا المعتقد ــ كما بينا سلفا أيضا ــ اختراعا من صنع المسيحية . ان خبرات الحياة تؤكد لنا كل يوم حقيقة ما قاله المسيح فى موعظة الجبل عن الذين يسيطرون على فكر الناس ومعتقداتهم طغيانا بغير علم ، فيجلبون لهم ــ ولتابعيهم ــ الشقاء فى الدنيا والآخرة . فلقد قال فيهم المسيح قولة حق ومعيار صدق : « **من ثمارهم تعرفونهم . هل يجنون من الشوك عنبا او من الحسك تينا . هكذا كل شجرة** جيدة تصنع أثمارا جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى فى النار . فاذن ، من ثمارهم تعرفوهم ــ متى ٧ : ١٦ ــ ٢٠ » .

وما كان لكل هذه المعتقدات التى ربطت الخطيئة والجنس والمرأة معا وما ترتب عليها من عداوات بثتها الكنيسة الا أن تؤتى ثمارها المرة . وبلغت المرارة أقصى لسعاتها فى القرنين السادس عشر والسابع عشر حين اتخذ الرعب من المرأة أبشع صوره المتوحشة فى تلك المذابح الدموية التى تعرضت لها النساء فى الغرب المسيحى .

*

تقول كارن ارمسترونج : « ان أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، وينفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتى الذى سيطر على المجتمع ..

ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين فى المجتمع أو ينزل بمن يناصبونه العداء حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التى كبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير

عنها سوى هذا الأسلوب العنيف واللاعقلانى . وكثيرا ما نسمى هذه الأعمال الجنونية : «تعقب المتشيطنات وقمعهن»(١) بسبب الجنون الشهير الذى تفجر فى أوروبا خلال القرنين السدس عشر والسابع عشر ، خاصا بتعقب نساء السحر الأسود والتنكيل بهن .. وعلاوة على ذلك ، فان تعقب المتشيطنات وقمعهن قد فعل ما هو أكثر من مجرد اعطاء اسم لظاهرة غربية مزعجة وعجيبة .

فلقد دمرت تلك الحملات ، الى أبعد حد ، العلاقة بين الجنسين فى مجتمعنا . لقد حشد تعقب المتشيطنات وقمعهن كل المخاوف الدفينة التى كانت تنمو تدريجيا فى الغرب المسيحى . **ففى نهاية القرن الخامس عشر ، كان واضحا تماما أن الكنيسة قد طبعت أوروبا برعب من الأمور الجنسية ، وكراهية للنساء ، تفجرت كلها فى الحملات المتفرقة لتعقب المتشيطنات وقمعهن .** **لقد** نما الذعر من ذلك أثناء القرن السادس عشر ، ووصل ذروته فى نهاية ذلك القرن ، واستمر حتى عام ١٦٨٠ عندما بدأت تلك النقمة فى

(١) تقول المعاجم ثنائية اللغة فى ترجمة الكلمة الانجليزية (Witch) : انها : ساحر (ة) . عراف (ة) . بينما تقول المعاجم الانجليزية أحادية اللغة (أوكسفورد) أن هذه الكلمة تعنى : **امرأة** قيل أنها تستخدم السحر وخاصة للأغراض الشريرة . أى انها امرأة تستخدم السحر الأسود . وهذا يبين ان الترجمة العربية الشائعة لتلك الكلمة الانجليزية ليست دقيقة ، فهى ذاتها تستخدم لترجمة كلمات انجليزية أخرى شبه مترادفة لها . والأفضل ان تكون ترجمة كلمة (Witch) هى : امرأة السحر الأسود ، أو : امرأة متشيطنة .

كذلك تقول المعاجم ثنائية اللغة فى ترجمة المصطلح الانجليزى : (Witch - hunt) ، انها : مطاردة الساحرات (وتعذيبهن) . بينما تقول المعاجم احادية اللغة ان هذا المصطلح يعنى : شن حملة صارمة لفضح المنشقين على المجتمع ، بزعم حمايته والعمل لمصلحته . فالأفضل أن تكون ترجمة هذا المصطلح حسب ظروف استحداثه تاريخيا هى : تعقب المتشيطنات (أو : نساء السحر الأسود) وقمعهن . ثم تكون ترجمته مجازا هى : تعقب المنشقين وقمعهم .

التبدد . ولقد كان للعالم الجديد فى أمريكا جنون تعقب المتشيطنات الخاص به ، كما حدث فى « سالم » عام ١٦٢٩ ، مسترجعا عصاب أوروبا على الجانب الآخر من الأطلسى .

لقد كان تعقب المتشيطنات وقمعهن ظاهرة دينية دبرتها الكنيسة ، ودعمتها معتقدات النـاس الأتقيـاء والمخـاوف التى حلت بالنسـاء المتعقبات ..

لقد كان تعقب المتشيطنات وقمعهن تتاجا محضا للحمية المسيحية ، فقد كان ظاهرة غربية خاصة .. ولقد عانت بعض أجزاء أوروبا من قسوته أكثر من أجزاء أخرى ، فكانت حمـلات القمع فى أسـبانيا وايطاليـا والبرتغال وهولندا محدودة ومتفرقة ، كما كانت ضئيلة فى انجلترا ، على الرغم من اعدام المئات من النسـاء لهوايتهن أعمال السحر والتنجيم ، وتلك ظاهرة مختلفة تماما عن ظاهرة تعقب المتشيطنات . أما فى استكلندا وفرنسا والولايات الألمـانية وسويسرا ، فقد كان جنون حملات القمع أسوأ ما يكون ، اذ يحدث أنه يتفجر بعنف فى منطقة ما ، ثم يتوقف فجأة ليندلع فى نفس المكان بعد سنوات .

وطوال حملات تعقب المتشيطنات وقمعهن ، كان يعتقد أن هنـاك شـيطانا يمـارس الجنس مع هؤلاء النسوة ، وكانت تعرف تلك الروح الشريرة باسم : الحضون . كما يعتقـد أن تلك النسـاء المتشيطنات يمكنهن الطيران فى الهواء ليلا لحضور الاحتفال بيوم لراحة الأسبوعى ، حيث يعبدن الشيطان ، وينغمسن فى شعائر وحشية ، ويمارسن طقوسا جنسية عربيدية . وكان يعتقد كذلك ، أن هؤلاء النساء يمتلكن قوى سحرية ، اذ كن فى تحالف مع الشيطان من أجل تدمير الجنس البشرى ، كما كانت لهن القـدرة على اثارة العواصف ، واتلاف المحاصـيل ، واحـداث العجـز الجنسى للآخرين ، واصـابتهم بالعقم والمـوت . **لقـد كان تعقب المتشيطنات بدعة مسيحية** ، وكان ينظر اليها على أنها

واحـدة من أخطر أنواع الهرطقات لأنها كانت تعطى للشيطان التكريم الذى كان يجب أن يعطى لله • ولهذا كان الواجب على كل المسيحيين الأتقياء تعقب هؤلاء النســاء المتشيطنات اللاتى تعادين الله والمجتمع • فتلك مؤامرة يجب فضحها ، كما يجب اجبار هؤلاء المتشيطنات على الاعتراف بجرمهن ، والكشف عن أسماء زميلاتهن ورفقــاء المؤامرة • فلهــذا كان تبرير التعذيب ممكنا ، وقــد مورس بوحشية ، حتى ان النساء اعترفن بأنهن متشيطنات حقا ، وقمن بوصف ممارستهن الجنس مع الشيطان ، وما كان يحدث فى حفل يوم الراحة الأسبوعى ، وذلك حسب التلقين الذى تضمنته أسئلة المحققين •

لم يكن فى الاعتقاد بوجود نساء متشيطنات أى فكر منطقى ، وقد ناقض كثيرا من المبادىء المسيحية بما فيها وصية المسيح بمحبة الأعداء • فما كان سوى اقتناعا عاطفيا ينبع من أعمال الكبت التى فرضتها المسيحية على أوروبا •• فطول قرون عديدة ، كان ينظر الى الجنس على أنه شر ، وأن النساء أعداء الرجل ، أما الآن فقد أصبح الجنس شيطانيا ، وأصبحت النساء هن العدو الرئيسى للمجتمع •

لقد اعتقد كثير من الناس بشدة فى وجود هؤلاء النساء المتشيطنات، وأن الواجب يفرض عليهم قتل الآلاف منهن • ومن الصعب الآن معرفة عدد النســاء اللائى قتلن خــلال الجنون الذى استمر مائتى عــام ، **وان كان بعض العلماء يؤكد انه قــد مات فى موجات تعقب المتشيطنات بقــدر ما مــات فى جميــع الحروب الأوروبيــة حتى عــام ١٩١٤ ، فنادرا ما تركت اية امراة على قيد الحيــاة فى بعض القرى السويسرية •** فمن المحال ، اذن ، تقدير أعداد القتلى من هؤلاء النساء بدقة واقعية ، لكن يبدو أن الأعداد كانت كبيرة بدرجة مفزعة •

لقــد كان معتقد شيطنة النســاء ، اذن ، خيــالا جامحا ضخما تراكم فى عقــول المسيحيين الغربيين ، معــبرا عن أعمــق مخاوفهم ، **كما كان مرضا عالميا نفخت فيه الحياة ديانة المحبة ••• !**

لقد تعلم المسيحيون أن النساء مخلوقات بغيضة ، وفاسقات جنسيا . ثم كانت المرأة المتشيطنة قمة ذلك الفسوق ، وكان الاعتقاد في ممارستها الجنس مع الشيطان حقيقة رهيبة مسلما بها » (ص٨٨ــ٩١).

*

● **خرافة وثنية :**

« ان الاعتقاد الوثني القديم بأعمال التشيطن هذه ، تسلم معموديته المسيحية في عام ١٤٨٤ عندما أصدر البابا انوسنت الثامن مرسوما بابويا مذهلا ، حيث يظهر منه أن قلقا جنسيا انتشر في ألمانيا بصورة وبائية . فقد صار الرجال عاجزين عن ممارسة الجنس ، كما عجزت زوجاتهم عن الحمل . وقد أرجع ذلك الى النساء المتشيطنات (اللاتي استسلمن للشيطان ليمارس الجنس معهن) ، واللاتي أثرن بقوة السحر في الجيران .

عندئذ كلف البابا اثنين من الآباء الدومينيكان هما : يعقوب شبرنجر ، وهينرش كريمر ، بتولى هذا الموضوع . وكانت نتيجة عملهما المشترك هو اصدار دليل عمل بعنوان : مطرقة المتشيطنات ، الذي كان كتيبا الغرض منه مساعدة المحققين في تحري أعمال المتشيطنات. ولقد حظي هذا الكتيب بمصادقة متأنية من جامعة كولونيا عام ١٤٨٧ ، ثم أصبح المصدر الرئيسي لديوان التفتيش حيث تكررت منه تسعة عشر طبعة .

ويحاول شبرنجر في هذا الكتيب أن يبرهن على أن النساء قابلات لاغواء الشيطان أكثر من الرجال لأنهن أصلا مخلوقات فاسدات . ثم هو يطور نظرية اكويناس التي تقول بأن النساء أساسا هن مخلوقات بشرية مشوهة . لقد كتب شبرنجر يقول :

« يجب ملاحظة أن هناك عيبا في تكوين المرأة الأولى .. وحيث انها من خلال هذا العيب تكون حيوانا مشوها ، فانها دائما تخادع .. وهذا ما تبينه

دراسة اصل كلمة : « انثى » وتاريخها (فى اللغات الأوربية) ، لأن كلمة (Femina) تتكون من شقين هما : (Fe - Minus) (فالكلمة تتضمن معنى النقص) ، نظرا لأنها ضعيفة أبدا لا تستطيع التمسك بالايمان والمحافظة عليه .

فهذا شيء يختص بصميم طبيعتها » (مطرقة المتشيطنات ــ ص ٤٤) .

كذلك كتب شبرنجر يقول : (**ان كل اعمال شيطنة المرأة انما تنبع من تحرقها الشهوانى الذى لا يشبع . فهنـاك (حسب الكتاب المقدس) ثلاثة لا تشبع ، وأربعة لا تقول كفى : ذلك هو فم الرحم (سفر الأمثال : الاصحاح ٣٠) .** وبناء على ذلك ، فان النساء مستعدات لمعاشرة أى شخص حتى ولو كان الشيطان) (مطرقة المتشيطنات ــ ص ٤ .

فكما أن الجنس قد نظر اليه دائما على أنه مرتبط بالخطيئة الى **أبعد** حد ، فقد صار الآن مرتبطا بقوة الشيطان .

ويستمر مطرقة المتشيطنات فى لقـاء مسئولية الشهوة الجنسية على النسـاء . **ان شبرنجر يشكر الله بحرارة على أن الرجال متحررون من تلك الشهوة الجنسية الملعونة !** ، وهم بالتالى متحررون من أعمال الشيطنة (فحيث انه (الرب) كان راضيا أن يحمل به (فى البطن) ويقاسى من أجلنا ، فقد أنعم على الرجال بهذا الامتياز) .

ان الانطباع المذهل من هذا القول ، هو أن الله لم يخلص النساء ، او لم يمت من أجلهن ، ولهذا اسلمهن الى الجنس ومن ثم الى الشيطان.

لقد كان هناك ميل دائم الى دفع النساء بعيدا عن خطة الله لخلاص العالم ، أما الآن فان النساء لم تثن فقط من الدخول فى تلك الخطة ، بل انهن وضعن موضع العدو ، حيث تحالفن مع الشيطان ، عـدو الله وعدو الانسان » (ص ٩٣ ــ ٩٥)

* *

● **مأساة جين هارفيير :**

« هناك قصة محزنة بطلتها جين هارفيير ، التى عرضت **قضيتها على برلمان باريس فى عام ١٥٧٨** • فعندما كانت طفلة ، **أحرقت امها** كامرأة متشيطنة ، وباعتبارها ابنة لهذا النوع من النساء **فقد تعرضت للجلد بأمر البرلمان** • لكن البلية لم تنته بعد ، فان وصمة عار أمها جعلتها غريبة تماما عن المجتمع • ولما كانت جين قد أجبرت باستمرار على التحرك من مسكن الى آخر ، وعلى تغيير اسمها ، لكى تهرب من لعنة التشيطن ، فقد وجدت نفسها أنها أصبحت فى آخر الأمر وحيدة تماما لدرجة أنها صارت تشعر بأنه لا يوجد من تتجه اليه سوى الشيطان •• لقد أصبحت جين مقتنعة أن أمها كرستها للشيطان •• واعترفت بأن شيطانا تعود أن يظهر لها على هيئة رجل طويل ، يرتدى ملابس سوداء ، متوشحا بسيف •• وأنه أصبح صديقها الوحيد ، وحبيبها الذى كانت تمارس الجنس معه الى أن بلغت الخمسين عاما عندما اتهمها جيرانها بالتشيطن ••

فعلى الرغم من ان جين اعترفت بان الروح الشريرة كانت تجامعها ليلا ، فلم يكن هذا كافيا فى نظر القضاة اذ لا بد ان تطبق عليها كافة سلسلة الاستجواب ، فعذبت الى ان اعترفت بانها كانت تطير فى الهواء ، وتشترك فى حفلات العربدة خلال يوم الراحة الاسبوعية ، وانها عبدت بعلزبول (رئيس الشياطين الذى زعم اليهود أن المسيح كان لا يخرج الشياطين الا بمساعدته ــ متى ١٢ : ٢٤) •

ان صنوف العذاب التى صبت على هؤلاء النساء البائسات قبل موتهن المحتوم ، لتبين بوضوح حجم الكراهية للنساء ، والتى كانت السبب فى نفث هذا الجنون • لقد كان ويير فى رعب مما رآه فى السجون ، وكان يلح على أن هؤلاء النساء المتهمات لم يكن هرطيقات ، وانما هن نساء بائسات جاهلات مريضات » (ص ١١٤) •

* *

خاتمــة : وتعليـــق

ان هذا الموضوع لا يحتاج الى تعليق ...

على أن **كارن ارمسترونج** قد كفتنا مئونة التعليق ، فلقد كان لها ملاحظات وتعليقات نكتفى بذكر شىء منهـا تحت موضـوعين فرعيين فيمـا يلى .

*

● المسيحية والمحبــة :

تقول كارن ارمسترونج : « لقد كانت فكرة المحبة واحدة من أهم المثل العليا فى المسيحية ، فقد قال يسوع ان العلامة المميزة لأتباعه تكون بقدر ما يحمله الواحد منهم من محبة للآخرين . ولقد مدح القديس بولس المحبة أكثر من كل مواهب الروح التى تثير العجب . فبدونها يكون الانسان طبلا أجوف ، أو نحاسا يطن ، أو صنجا يرن . ولقـد ألح القديس يوحنا على أنه عنـدما يحب المسيحى جاره فانه آنذاك فقط يستطيع أن يحب الله بصدق . بل ان يسوع قال ان محبة الأصـدقاء ليست كافية ، فيجب على المسيحى أن يحب أعداءه أيضا ، الا أن الحب ليس من المثل العليا التى تسهل ممارستها . على أنه يجب القول أنه مهما كانت نظرياتها اللاهوتية الرسمية التى تختص بالمحبة ، فقد بقيت المسيحية واضـحة فى كونها أقـل فى جانب المحبة عمـا هى فى جـانب الكراهيـة .

نحن (فى الغرب المســيحى) نســعد جــدا بوصم الاســلام بالعنف ، لكننـــا نتنـاسى من اجــل راحتنـــا ان تاريخنـــا المســـيحى كان قصـــة معتمـــة من الحـروب الصــليبية والاضطهادات . لقد اعتقد المسيحيون فى أوروبا ، طيلة قرنين من الزمان ، أن واجبهم الدينى يحتم عليهم ذبح المسلمين واليهود فى الحروب الصليبية .

فلقد كان ينظر الى قتل أعداء المسيح والبلاد المسيحية ، كعمل مقدس يستحق المكافأة والتقدير ، وسبيلا يمارس من خلاله الرجل العادى (من غير رجال الدين) المحبة الكاملة لله ، تماما كتلك التى يمارسها الراهب فى الحياة الدينية .

ثم كان على المسيحيين ، فيما بعد ، أن يشنوا حروبا صليبية ضد المسيحيين الآخرين ، ليس فقط ابان محاكم التفتيش ، ولكن أيضا بعد الاصلاح الدينى ، حيث قام الكاثوليك والبروتستانت بقتل بعضهم البعض . وحتى عندما لم توجد قضايا اضطهاد فعلى ، فقد كانت المسيحية قاسية جدا ، لا تبالى بطريقة متوحشة ، وتستغل بأسلوب منافق جماعات كثيرة من الناس . ومن المؤكد أن النساء لم تكن الوحيدات اللاتى قاسين على أيدى المسيحية ، ولكنهن ، فى الحقيقة ، كن من أوائل الأعداء الذين ابتدعتهم . ان هذه الكراهية للنساء انما تنبع من عملية اسقاط نفسى للمخاوف والشعور بعدم الأمان الذى استقر فى عقول المسيحيين وقلوبهم . ولقد ابتدعت المسيحية ، خلال تاريخها الطويل ، صورا مماثلة أخرى لأعداء ، كانت تنمو فى الأذهان بعمليات اسقاط نفسى .

وهكذا ، بدءا من القرن التاسع ، صار المسلم عدوا للمسيحيين ، وكانت صورته عند المسيحيين فى أوروبا لا تمت الى الحقيقة على الاطلاق ، لكنها تظهر خليطا من الخوف والاعجاب اللذان شعر بهما المسيحيون نحو الاسلام ، الى جانب قلق دفين من اجل المسيحية ذاتها . وهكذا ايضا ، فى الوقت الذى اجتاحت فيه اوروبا الحروب العدوانية ، وكان يستفحل فيها تدريجيا مفهوم العنف المقدس الذى تفجر اخيرا فى الحروب الصليبية ، كان الاسلام يعرض بصورة خاطئة تماما على انه الدين العنيف ، غير المتسامح ، الذى ذبح أصحاب العقائد الاخرى . ومرة اخرى ، عندما حطمت أوروبا مخاوفها الجنسية ، كان ينظر الى المسلم ايضا ، وبصورة خاطئة تماما ، على انه انسان اباحى بغيض .

ان هذا لم يكن مجرد مسالة جهل بالحقائق ، فحتى عندما استطاع الناس معرفة الحقائق عن الاسـلام ، فانهم استمروا فى ترديد الأحكام المسبقة القديمة عنـه ، والتى كانت احتياجا عاطفيا للغرب طيلة قرون .

ولقد عانى اليهود أيضاً بنفس الطريقة منـذ نهاية القرن الحادى عشر ..

ان النساء لم تكن مجرد طبقة مثل العبيد أو الفقراء الذين لم يقم المسيحيون بعمل أى شيء للتخفيف عنهم فحسب ، بل انهم فى الواقع زادوا من معاناتهن . لقد كان يقال للفقراء على الدوام أن يتوافقوا مع الكنيسة : فهذا لوثر يحرض الأمراء على قتل الفلاحين الثائرين ، ولكن على الفلاحين أن يكونوا ثائرين ! ان الفلاح لم يكن شريرا لمجرد كونه فلاحا ، مثلما كان اليهودى شريرا لكونه يهوديا ، ومثلما كانت المرأة شريرة لأنها حواء ..

وكيفما كان الحـال ، فان النسـاء لم تكن مجرد جماعة أسـاء المسيحيون معاملتها ، بل كانت النساء من أول أعـداء المسيحيين ، اذ ارتبطن بالشيطان من أجل تدمير الرجال » (ص ٦٨ ــ ٦٩) .

* *

● اثر الاسلام فى احترام الأم والزوجة المسيحية :

« ان الكنيسـة الكاثوليكية لم يكن لديهـا القـدر الكافى من الكفـاءة لكى تفرض آراءها فى الجنس بنفس القـوة التى مارسـتها البروتستانتية . ولعل هذا هو السبب أنه فى البلاد الكاثوليكية ، مثل ايطاليا ، يوجد تقـدير أكبر للجنس ، ويوجد تقدير أكبر ــ من بعض الأوجه ــ للنساء ، عما هو فى البلاد التى تعتبر تقليديا بروتستانتية ..

ان الأم الايطالية ، التى لها عميق الاحترام والنفوذ فى أسرتها ، انما تشـبه فى ذلك النسـاء غير المسيحيات فى عالم البحر الأبيض المتوسط

مثل الأمهات العربيات المسلمات ، أكثر الى حد كبير من شبهها لأخواتها المسيحيات فى انجلترا أو المانيا ، حيث لا تتمتع تلك الأمهات بنفس المكانة .. وفى اسبانيا ، التى تأثرت بقوة بالاحتلال الاسلامى ، فقد تأثرت بالمفاهيم الاسلامية الخاصة بالجنس والموقف من النساء ..

وعندما يعزل المسلم نساءه عن العالم ، فانما ذلك دليل على شدة احترامه لهن بما يجعله يربأ بهن عن مخالطة عالم الأسواق الخطر الدنىء .

وهناك شواهد على أن النساء الغربيات اللاتى استقر بهن المقام فى مملكة أورشليم ، ابان الحروب الصليبية فى القرون الوسطى ، قد اكتسبن احتراما من المؤكد أن اخواتهن فى أوروبا لم يتمتعن به فى القرن الثانى عشر الذى اشتهر بكراهية النساء ، وانهن قد اكتسبن هذا الاحترام من اتصالهن بالاسلام . وقد بدا الكثير من نساء الصليبيين فى ارتداء الحجاب ، بعد أن رأين المكانة والاحترام اللذان يوفرهما للنساء المسلمات ..

وعندما حجز المسلمون نساءهم ــ حسب التقاليد ــ فى نظام الحريم داخل بيوتهم ، فذلك بسبب تقديرهم لهن ، واعتبارهن خاصتهم ، بينما حجز المسيحيون نساءهم خارج حياتهم ، لأنهم كانوا يكرهونهن ، فصارت النساء منفيات الى عالم منعزل يتسم بالوحشة » (ص ٤٢ ، ٦٣) .

* *

أما بعد ...

هذا قليل اقتبسناه من كثير مما جاء فى الدراسة الحافلة التى قامت بها **كارن ارمسترونج** ، فكانت تأريخا وثائقيا للفكر المسيحى ، وتبيانا ملموسا لأوضاع المرأة فى المسيحية عبر القرون ، ضمنتها كتابها المتميز : **انجيل المرأة** ، الذى جاء فى ٣١٠ صفحة ، واعتمد على ١١٨ مرجعا .

ان كارن تملك امكانات البحث والدراسة عن حقيقة أوضاع المرأة فى اليهودية والمسيحية فقط وذلك بحكم نشأتها وبيئتها وانتمائها الفكرى والعقائدى ، ولتوافر جميع المصادر والمراجع التى تحتاجها • أما كتابتها عن الاسلام ، فهذا شيء فوق طاقتها نظرا لاعتبارات كثيرة من أهمها : ندرة المراجع الأمينة التى يعتمد عليها فى التزويد بالمعلومات الصحيحة ، بدلا من تلك الغلالات الحالكة التى دأب غلاة الاستعماريين وأغلب المستشرقين وأشياعهم على نسجها حول الاسلام ونبيه والمرأة المسلمة والحريم •••

وان كادت كارن أن تفلت أحيانا من شباك تلك الخيالات المريضة ، فتعترف بأفضلية بعض المفاهيم والممارسات الاسلامية ، فانها فى أشد الحاجة الى دراسة عن الاسلام تستقى بأمانة من مصادره الأصلية الصحيحة •

*

ليس هنا مجال الحديث عن المرأة فى الاسلام ، ولكن يكفى أن نورد حادثا واحدا وقع فى صدر الاسلام ، كان بطلاه : امرأة من عامة المسلمين ، وعمر بن الخطاب ، الخليفة الثانى ••• وعمر هو من هو : الحاكم العادل ، والفقيه الورع ، ومنظم الدولة الاسلامية الواسعة ومشيد أركانها •••

يقول ابن كثير : « ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ﷺ ثم قال : أيها الناس ! ما اكثاركم فى صداق النساء ؟! وقد كان رسول الله ﷺ وأصحابه ، والصدقات فيما بينهم أربعمائة درهم ، فما دون ذلك ؟! ولو كان الاكثار فى ذلك تقوى عند الله أو كرامة ، لم تسبقوهم اليها • فلأعرفن ما زاد رجل فى صداق امرأة على أربعمائة درهم •

ثم نزل • فاعترضته امرأة من قريش ، فقالت : يا أمير المؤمنين ! نهيت الناس أن يزيدوا فى مهر النساء على أربعمائة درهم ؟

قال : نعم • فقالت : أما سمعت ما أنزل الله فى القرآن ؟!
قال : وأى ذلك ؟
فقالت : أما سمعت الله يقول : ﴿ **وآتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا ، اتاخذونه بهتانا واثما مبينا** ﴾ ؟! (النساء : ٢٠) •

قال : اللهم غفرا ! كل الناس أفقه من عمر •
ثم رجع ، فركب المنبر فقال : أيها الناس ! انى كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء فى صدقاتهن على أربعمائة درهم ، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب » •

ان دلالات هذه القصة كثيرة ، وان الذين يهتمون بقضية النساء ، لهم أكثر الناس استشهادا بها ، بحكم ما تبينه من مواقف ، وما تثبته من أحكام •

*

لقد صنع الاسلام من المرأة المسلمة ـ ابنة حواء أيضا ، بل وابنة الصحراء ـ انسانا كامل الأهلية : له حق الحياة والحرية والتعبير والقبول والرفض والجدال ، حتى ولو كان مع رأس الدولة ، جدالا قائما على العلم والمنطق ومغلفا بالتى هى أحسن • والخليفة العادل لم يلبث أن ينصاع الى الحق الذى بينته له امرأة من عامة رعاياه ، فما كان منه الا أن اعتلى منبر المسجد مرة أخرى ليعلن أمام الناس خطأ رأيه الأول فى تحديد صداق النساء •

لقد كان هذا يحدث فى الوقت الذى « **كتب فيه البابا جريجورى الكبير** خطابا الى أحد الأساقفة ، بدأه بقوله :

وصلنا تقرير لا نستطيع ذكره دون أن يحمر الوجه خجلا : انك تشرح قواعد النحو والصرف لبعض الأصدقاء » •

وقد علق برتراند رسل على هذا الحادث ودلالاته الخطيرة بقوله :

« لقـــد اضطر الأسقف ، بحكم السلطة البابوية ، أن يكف عن القيام بهذا العمل الشرير ! ان اللســـان اللاتينى لم يســـترد الحيـــاة الا فى عصر النهضة »[1] .

*

ومهما يكن من شيء ، فان كارن ارمسترونج هى الأجدر بالكتابة عن أوضـــاع المرأة فى المسيحية ، لاعتبارات منها :

انها ابنة الكنيســـة ...

وانها ابنة الحضارة الغربية ...

فلطالما كان المســـيح يقول فى الانجيل : « اذهبوا وتعلموا ما هو . انى أريد رحمة لا ذبيحة ــ متى ٩ : ١٣ » وكان يردد بذلك مـــا قاله هوشع فى أسفار العهد القديم (هوشع ٦ : ٦) . ولقـــد ذهبت كارن وتعلمت ، ونقبت فى بطون الكتب ، وقامت بمسح شـــامل لوضع المرأة فى المسيحية خلال تســـعة عشر قرنا ، فجاء كتـــابها هـــذا قائمـــا على النصـــوص والأســـانيد ، ولم يأت عبثـــا أو خيـــالا جامحـــا كتلك المسخ الشيطانية التى تطلع علينا بين الحين والحين ، فتكتب فى أخطر الأمور ، مثل أمور الدين ، بأسلوب العبث والاسفاف الحقير ...

فلبئس ما كتبت تلك الحثالة من الكتاب ... ولبئس ما قرأت لها تلك القطعان من القراء ...

*

ان ما عرضته كارن أرمسترونج عن وضع المرأة فى ظل المسيحية فى الغرب ، يجعل الضمير الانســـانى ينتفض صارخا :

« يا حسرة على العباد » !

* *

---

(١) B. Russel : Why I am not a Chrisitian ? p. 19.

● **آدم هو المسئول عن الخطيئة البشرية الأولى :**

رأينا كيف جعل **الكتاب المقدس** المرأة هى المسئولة عن الخطيئة البشرية الأولى ، فقد ألقى آدم اللوم عليها ، فقال لربه : « المرأة التى جعلتها معى ، هى أعطتنى من الشجرة فأكلت » • واعترفت المرأة لربها أنها كانت البادئة بالمعصية بعد أن أغوتها الحية ، فقالت : « الحية غرتنى فأكلت » •

وهكذا حملت اليهودية المرأة مسئولية هذه الخطيئة البشرية الأولى ، وعلى خطاها سار بولس ، فوضع المسئولية فى رقبة المرأة ، ودافع عن الرجل الأول ـ آدم ـ واعتبره لم يتعد ، فقال : « آدم لم يغو ، لكن المرأة أغويت ، فحصلت فى التعدى » •

ولقد كان لهذه الأقاويل آثارها المدمرة على مكانة المرأة ومنزلتها فى اليهودية والمسيحية • ولما كان بولس هو المسئول ـ كما رأينا ـ عن اختراع فكرة الخطيئة الأصلية المتوارثة فى بنى آدم ، فقد ذاقت المرأة فى المسيحية ـ مسيحية بولس ـ الكثير والكثير عبر القرون •

وحين نأتى الى الاسلام نجده مخالفا تماما لما تقول به اليهودية والمسيحية من تحميل المرأة وزر الخطيئة الأولى وما ترتب عليها من شقاء • فالقرآن يحدد ـ بصريح العبارة ـ مسئولية آدم عن ذلك ، وان شاركته امرأته المعصية بالأكل من الشجرة المحرمة ، بعد أن استجاب آدم ثم امرأته لوسوسة الشيطان ، طمعا فى الخلد وملك لا يبلى :

﴿ ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما • واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى • فقلنا يا آدم ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى • ان لك الا تجوع

فيهـا ولا تعرى . وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى . فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هـل ادلك على شـجرة الخلد وملك لا يبلى . فأكلا منهـا فبدت لهما سوءاتهما وطفقـا يخصفان عليهما من ورق الجنـة ، وعصى آدم ربه فغوى » (طه : ١١٥ ـ ١٢١) .

لقد نسي آدم وعصى ، وتبعته امرأته فعصت معه ، ولهذا كان هو المسئول الأول ...

*

هذا ، ولقد جاءت قصة آدم وابليس والعداوة بينهما فى سـبع سـور من القرآن هى ، حسب ترتيب المصحف ، كالآتى : البقرة ـ الأعراف ـ الحجر ـ الاسراء ـ الكهف ـ طه ـ ص .

كما جاء ذكر الحديث عن معصية الأكل من الشجرة المحرمة فى ثلاث سور هى : البقرة ـ الأعراف ـ طه .

وبتدبر ما جاء فى القرآن العظيم ، وما جاء فى الكتاب المقـدس خاصـا بآدم وزوجه وابليس والمعصية البشرية الأولى ، نلاحظ الآتى :

١ ـ كان ابليس أول العصاة فى هذه القضية ، فلم يطع أمر الله بالسـجود لآدم ، فقـد : « أبى واستكبر وكان من الكافرين » (البقرة : ٣٤)

٢ ـ وكان ابليس ، وفق منطقه المعوج ، يتصور نفسـه أفضـل من آدم بحكم مصدر تخليقه ، فهو قد جاء من نار ، أى من شيء ذى طبيعة طاقية يعبر عنها ـ الآن ـ بالاهتزازة وطول الموجة ، وأما آدم فقد جاء من طين مر بمراحل منتنة ، أى من شيء ذى طبيعة مادية يعبر عنـه بالأبعاد والأثقال وشغل حيز من الفراغ .

ومن هذا المنطلق الجهول ، قـال : « انا خير منه خلقتنى من نار وخلقته من طين » (الأعراف : ١٢) .

﴿ لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حمأ مسنون ﴾ (الحجر : ٣٣)

﴿ أأسجد لمن خلقت طينا ﴾ ؟! (الاسراء : ٦١) .

ولقد حول العلم الحديث اليوم ، المادة الى طاقة ، ومن جزء ضئيل جدا من المادة تتحرر طاقة هائلة ، كما حدث على الأرض فى القنابل الذرية والتفاعلات النووية ، وكما يحدث فى الكون ، حيث تبقى الحياة على هذه الأرض — بأمر الله — وفق ما تستقبله من طاقات متنوعة من الشمس فى صورة ضوء وحرارة واشعاعات أخرى .

٣ — كان ابليس هذا من الجن الذين خلقوا قبل آدم وذريته :

﴿ ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون . والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ (الحجر ٢٦ ، ٢٧) .

﴿ واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه ﴾ (الكهف : ٥٠) .

فهو من طبيعة نارية ، والنار تشاهد بألوان متدرجة الحرارة ، ففيها الأحمر والأزرق والأبيض ..

ولهذا قال المسيح : « رأيت الشيطان ساقطا مثل البرق من السماء — لوقا ١٠ : ١٨ » .

٤ — سمى القرآن هذا المخلوق الجنى — الذى كان أول العصاة فى هذه القضية — باسمه ، وهو : ابليس ، كما جاء فى السور السبع ، كالآتى : البقرة : ٣٤ ، الأعراف : ١١ ، الحجر : ٣١ ، الاسراء : ٦١ ، الكهف : ٥٠ ، طه : ١١٦ ، ص : ٧٤

ولم ينعته بالشيطان ، الا بعد عصيانه وطرده من رحمة الله ، كما جاء فى : البقرة : ٣٦ ، الأعراف : ٢٠ ، الاسراء : ٦٤ ، طه : ١٢٠

فهو قد استشاط حقدا على آدم وتأججت نيرانه ، فكان بعض ما نفثه برهان عداوة أبدية بينه وبين آدم وذريته ، اذ قال لربه :

﴿ أرأيتك هـذا الذى كرمت على لئن أخرتن الى يوم القيامة لأحتنكن ذريته الا قليلا ﴾ (الاسراء : ٦٢) .

﴿ رب بما أغويتنى لأزينن لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين . الا عبادك منهم المخلصين ﴾ (الحجر : ٣٩ ، ٤٠) .

لقد استشاط ، وشاط أوكاد ، فصار الشيطان .

٥ ــ استخدم القرآن الفعل : وسوس ، وهو فعل رباعى يدل على تكرار الحدث لتكرار المقطع . فكانت معصية آدم ، ومن ورائه امرأته ، بعد محاولات متكررة من الشيطان ، بدأها بآدم :

﴿ فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ﴾ (طه : ١٢٠) .

ولعله وسوس الى امرأة آدم على انفراد ، لكن المؤكد أنه فى احدى محاولاته المتكررة وسوس لهما معا ، واستطاع أن يخدعهما وهما بعد بريئين طاهرين ، حين أقسم لهما بالله على صدق دعواه ، فنسى آدم تعاليم ربه ، وأكل هو وزوجه من الشجرة المحرمة :

﴿ فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين . وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين ﴾ (الأعراف : ٢٠ ، ٢١)

٦ ــ ومهما يكن من شىء ، فان الله برحمته الواسعة ، قبل توبة آدم وزوجه ، بعد أن اعترفا بالذنب ، وندما على المعصية ، وطلبا الغفران :

﴿ قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ (الأعراف : ٢٣) .

﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه ، انه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة : ٣٧)

وخلاصة القول فى هذه الخطيئة البشرية الأولى ، ما قاله القرآن فى آيتين اثنتين فقط :

﴿ وعصى آدم ربه فغوى . ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى ﴾ (طه : ١٢١ ، ١٢٢)

ليس فى الاسلام ، اذن ، قول بتوارث خطيئة لآدم يتناقلها الأحفاد عن الأجداد ، فما جاءت مثل تلك المزاعم الا فى مسيحية بولس ، والمسيح منها براء .

ان المسئولية ــ فى الاسلام ــ فردية ، وهو ما يتفق وعدل الله :

﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (المدثر : ٣٨) .

﴿ الا تزر وازرة وزر أخرى . وان ليس للانسان الا ما سعى . وأن سعيه سوف يرى . ثم يجزاه الجزاء الأوفى . وأن الى ربك المنتهى ﴾ (النجم : ٣٨ ــ ٤٢)

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، ان وعد الله حق ، فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ﴾ (لقمان : ٣٣) .

٧ ــ وأخيرا ، وليس آخرا ، ما هى حقيقة العدو الأول لآدم : هل هى الحية ، كما يقول الكتاب المقدس ، أم هو ابليس الشيطان ، كما يقول القرآن العظيم ؟ للاجابة على هذا السؤال الهام ، نستعرض ما بين أيدينا من نصوص ومعلومات ، ثم لننظر ماذا يكون المقال .

تصنف التراجم الحديثة ــ مثل الفرنسية المسكونية(١) ــ خلق

(١) كتب الشريعة الخمسة .

العالم حسب روايتين : الرواية الأولى ، وتنسب الى **المصدر الكهنوتى** ، وقد جاءت فى الاصحاح الأول من سفر التكوين ، ومطلع الاصحاح الثانى منه (أى أنها تشتمل على ١ : ١ ــ ٣٢ ، ٢ : ١ ــ ٤) .

أما الرواية الثانية ، فتنسب الى **المصدر اليهودى** ، وقد اشتملت على بقية الاصحاح الثانى ، ثم الاصحاح الثالث بالكامل (٢ : ٤ ــ ٢٥ ، ٣ : ١ ــ ٢٤) .

وقد جاء فى هاتين الروايتين :

ــ « عمل الله وحوش الأرض كأجناسها والبهائم كأجناسها وجميع دبابات الأرض كأجناسها ــ ١ : ٢٥ » .

ــ « هذه مبادىء السموات والأرض حين خلقت . يوم عمل الرب الاله الأرض والسموات كل شجر البرية لم يكن بعد فى الأرض وكل عشب البرية لم ينبت بعد لأن الرب الاله لم يكن قد أمطر على الأرض .. وجبل الرب الاله آدم ترابا من الأرض ونفخ فى أنفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية .

وغرس الرب الاله جنة فى عدن شرقا ، ووضع هناك آدم الذى جبله ــ ٢ : ٤ ــ ٨ » .

ــ « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التى عملها الرب الاله . فقالت للمرأة : أحقا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة ؟ فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل . وأما من ثمر الشجرة التى فى وسط فقال الله لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة : لن تموتا . بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر .

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل .. فأخذت من ثمرها وأكلت ، وأعطت رجلها أيضا معها فأكل ــ ٣ : ١ ــ ٦ » .

ــ وبالنسبة للعقوبة التى استحقتها الحيــة : « قال الرب الاله للحية : لأنك فعلت هذا ، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية • على بطنك تسـعين وترابا تأكلين كل أيام حيـاتك ــ ٣ : ١٤ » •

فمن كل ما سبق يتضح أن الحية التى أغرت حواء ودفعت بها وبزوجها آدم الى ارتكاب الخطيئة البشرية الأولى ، كانت هى الحيــة الزحافة المعروفة التى تدب على الأرض • هى حيــوان وليست مخلوقا شيطانيا ذا طبيعة طاقية كالجان وغيره •

فماذا يقول المفسرون ازاء هذا المــأزق ؟

تقول كتب **الشريعة الخمسة** : « تمثل الحية هنا كائنا يقــاوم الله ويعادي الانسان ، وهو العدو والشيطان فى نظر سفر الحكمة ثم فى العهد الجديد والتقليد المسيحى » •

ان هذا تعسف واضح ، فعندما يقال ان الحية هى الشيطان ، فان هذا اجتراء على الحق واستخفاف بالعقول ، أهون منه أن يقال : المــاء تراب ، وذلك لأنهما ينتميان الى طبيعة مادية واحدة ، تتكون من تراكب الذرات والجزيئات •

ولمعرفة مصدر هذه المشكلة ، لنتذكر ما تقوله كتب **الشريعة الخمسة** عن مصادر سفر التكوين : « لم يتردد مؤلفو الكتاب المقدس ، وهم يروون بداية العالم والبشرية أن يسـتقوا معلوماتهم بطريقــة مباشرة أو غير مباشرة من تقاليد الشرق الأدنى القديم ، ولا سيما من تقاليــد ما بين النهرين ومصر والمنطقة الفينيقيــة الكنعانيــة • فالاكتشــافات الأثرية منذ نحــو قرن تدل على وجــود كثير من الأمور المشتركة بين الصفحات الأولى من ســفر التكوين وبين بعض النصــوص الغنائيــة والحكمية والليترجيــة الخاصــة بسـومر وبابل وطيبــة وأوغاريت ، ولا عجب فى ذلك » (ص ٦٦) •

وتقول الترجمة الفرنسية المسكونية تعليقا على العبارة التى تقول : « وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية » ، ما يأتى :

« لقد كانت الحية تلعب دورا كبيرا فى الشرق القديم ، مثل قوة للاخصاب (فى كنعان) ، وكقوة سياسية (فى مصر) . وفى الملحمة البابلية المشهورة للبطل جلجامش ، فانها تسترق منه نبات الخلود . وبسبب دهائها فى الغواية ، فسيحصل الرجل والمرأة على معرفة تكشف لهما عن عورتيهما » .

وهكذا ، منذ البدء ، اختلطت الحقائق بالأساطير ...

لقد أعلن المسيح أن الذى بدأ القتال ضد البشرية منذ نشأتها كان هو الشيطان ، فقال محاجا اليهود :

« أنتم من أب هو ابليس(١) وشهوات أبيكم تريدون أن تعملوا . **ذاك كان قتالا للناس من البدء** ـ يوحنا ٨ : ٤٤ » .

فذاك الذى كان قتالا للناس من البدء ـ حسب قول المسيح ـ انما هو ابليس الذى صار يعرف ـ بعد تمرده وفسقه عن أمر الله وعداوته الشديدة لآدم وأهله ـ باسم الشيطان . واذا كانت بعض الحيات تهتز بسرعة كاهتزازة الجان ، ومثلها مثل عصا موسى التى ﴿ رآها تهتز كأنها جان ﴾(٢) واذا كان العرب قد دعوا بعض تلك الحيات باسم الشيطان ، فلا يمكن مساواة الحقيقة بالمجاز ، واعتبار الحية ، ذلك الحيوان الزاحف ، بأنها ابليس أو الشيطان ، ذلك المخلوق الجنى النارى .

ان ريتشارد الصليبى ـ ملك انجلترا ـ الذى جاء فى القرن الثانى

---

(١) المفروض أن يقال : « أنتم من أب هو الشيطان » ، وذلك مقارنا بالتراجم الانجليزية التى تستخدم كلمة Devil (A. V. and R. S. V.) والتراجم الفرنسية التى تستخدم كلمة : « Diable (T. O. B.) »

(٢) القصص : ٣١

عشر الميلادى ليسفك الدماء على أرض فلسطين ويقتل فى يوم واحد ٢٧٠٠ أسيرا بالاضافة الى زوجاتهم وأطفالهم فى مذبحة عكا الشهيرة[1] فى أغسطس سنة ١١٩١ ، كان انسانا يمشى على رجلين ، ولم يكن أسدا يمشى على أربع ، رغم شهرته الواسعة بأنه ريتشارد قلب الأسد ، بحيث لو طرح السؤال : من هو قلب الأسد ؟ لكانت الاجابة : ريتشارد ملك انجلترا ، فحين تتعلق الأمور بكلام الله ، لا بد من تحرى الحقيقة وتخليصها من الأباطيل والأوهام ، والفصل التام بين الحقيقة والمجاز .

والنتيجة التى لا مفر من التسليم بها هو أن قصة سقوط آدم وطرده وزوجه من الجنة ، فى حاجة ماسة الى اعادة كتابة تستبعد منها **الحية** ، وتضع بدلها **الشيطان** ،وتجرى عليها ما تتطلبه من تعديلات . ولا أقول لكى تتفق فى هذا مع القرآن ، فانى أعلم أن الأغلبية الساحقة من غير المسلمين تستكبر عن الحق وخاصة اذا جاء من عند غيرهم ، ولكن أقول : لكى تتفق مع قول المسيح .

وما هذا التعديل الذى لا مفر منه بأخطر من تعديلات أخرى أدخلت على نصوص الكتاب المقدس ، ويأتى فى مقدمتها حذف فقرة التثليث من رسالة يوحنا الأولى (٥ : ٧) .

وأما الذين يستمعون الى الحق ، فأقول لهم ان هذا الوضع الذى نحن بصدده ، انما هو تفسير ملموس لقول **الحق** فى القرآن العظيم ، مخاطبا نبيه :

﴿ وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ﴾ (المائدة : ٤٨) .

❊

(١) S . Runciman : A History of Crusades, Vol . 3,p.53.

النســـاء شـــقائق الرجـــال

ليس هذا كلامى ...

انه حديث سيدنا رسول الله ﷺ وتعاليمه للنـاس ، وهو حديث رواه أبو داوود ونصه : « انما النساء شقائق الرجال » .

وهو يكفى ، بالاضافة الى ما سـبق بيانه من مسئولية آدم عن الخطيئة البشرية الأولى ، ليكون ملخصـا لمكانة المرأة فى الاسـلام . ولكن ، لتأخذ الدراسـة مجراها ، وليستوثق الناس حقيقة الأمر بدراسة المزيد من التفاصيل .

لنبدأ ، اذن ، بحث القضية من مختلف جوانبها ، مبتدئين من الأصل والمنشأ ، ومتدرجين عبر مختلف مراحل حياة المرأة .

* *

● **المرأة أم الخليفة :**

يقول **الامام الأكبر محمود شلتوت** ــ شيخ الأزهر سـابقا ــ فى معرض حديثه عن **المرأة فى نظر الاسلام :** « ان القرآن الكريم حينمـا تحدث عن الأصـل الذى تفرع منـه الانسـان ، جعـل المرأة شريكة فيه للرجل ، ومن مجموعهما تعددت القبائل والشعوب ، واتسبت الأفراد بالبنوة لكل من الرجل والمرأة ، وبذلك كان الرجا أبا ، وكانت المرأة أما . واعتبر القرآن الكريم ذلك نعمة على الانسـان ، توجب عليـه الشكر ، وتوجب عليه تقوى الله ومراقبته ، وتوجب عليه النظرة المستقيمة الى أخيه الانسان الذى يشاركه فى معنى الانسـانية ، وفى نسـبته الى أصله الذى تكونا منه .

ومعنى هـذا أنه لا تفاضـل بينهما من جانب الانسـانية ، وأن التفاضـل انما يكون بما يكتسـبه الانسـان من الخـلال التى ترقى

بالانسانية الى المستوى الفاضل . ولعلنا نجد هذا فى مثل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ (النساء : ١) .

وفى مثل قوله تعالى : **﴿ يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾** (الحجرات : ١٣)

وقد كان من فروع الاشتراك فى تلك العنصرية الانسانية ، أن سمى الرجل والدا ، والمرأة والدة ، وجاءت التعاليم القرآنية بوضعهما معا موضع التكريم والاجلال . وما كانت الوصايا الكثيرة التى حثت على الاحسان (**بالوالدين**) الا أثرا لهذا الأصل الذى قرره القرآن فى أصل الانسان وتكوينه :

﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين احسانا ﴾ (النساء : ٣٦)

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ﴾ [1](الاسراء : ٢٣)

*

● **اكرام الأم أضعاف اكرام الأب :**

« والقرآن لا يقف فى هذا المقام عند حد التسوية بين (**الوالدين**) فى واجب الاحسان والاجلال ، بل يخطو خطوة ثانية فيرشد الى ما الوالدة من جهود مضنية فى تربية الأبناء ، **ليس شىء منها للوالد** ، وترى ذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿ ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين ﴾ (لقمان : ١٤) .

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ــ الامام الأكبر محمود شلتوت ــ ص ٢٢٠ ، ٢٢١

وفى قول الرسول — عليه السلام — جوابا عن سؤال رجل : **من أحق الناس بحسن صحابتى يارسول الله ؟**

قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : **أمك** . قال : ثم من ؟ قال : أبوك »[1] .

لقد أمر الاسلام بالاحسان الى الوالدين ، **حتى لو كانا كافرين** . ويقتضى الاحسان اليهما دوام الصلة ، والخدمة والعطاء ، والكلمة الطيبة ، والدعاء بالهداية لهما ان كانا ضالين ، وبالرحمة والمغفرة فيما وراء ذلك . فالقرآن العظيم يقول :

﴿ **وان جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ (لقمان : ١٥) .

ولقد اعتبر الإسلام السعى على الوالدين واكرامهما بمثابة الجهاد فى سبيل الله . فعن عبد الله بن عمر أن رجلا جاء الى النبى ﷺ يسأله بجاهد . فقال له النبى : « **أحى والداك** » قال : نعم . قال : **ففيهما جاهد** » (رواه البخارى) .

ولقد كان للأم النصيب الأوفى من التكريم والرعاية والاحسان .

ففى حديث جامع لسيدنا رسول الله قال فيه :« **ان الله حرم عليكم : عقوق الأمهات ، ومنع وهات ، ووأد البنات** . وكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » (رواه البخارى) .

وعن أسماء ابنة أبى بكر قالت : **قدمت على أمى وهى مشركة** فى عهد قريش ، اذ عاهدوا رسول الله ﷺ ومدتهم مع أبيها ، فاستفتت رسول الله ﷺ فقالت : « يا رسول الله ، **ان أمى قدمت على** وهى راغبة . أفأصلها ؟ قال : **نعم . صليها** » (رواه البخارى) .

---

(١) المرجع السابق — ٢٢١

وكان من تعاليم النبى ﷺ أن : **الجنـة تحت اقدام الأمهات**

روى أن رجلا جاء الى النبى ﷺ فسأله : « **هل لك من أم** » ؟

قال : نعم . فقال ﷺ : « **فالزمها ، فان الجنة تحت رجلها** » .

على أن دراستنا المقارنة هذه ، تتطلب وقفات بين الحين والحين لبيان ما بين اليهودية والمسيحية والاسلام من اتفاق فى أمور وخلاف فى أمور أخرى . ووقفتنا الآن للتذكير بتعاليم المسيح فى الانجيل :

« كان جموع كثيرة سائرين معه ، فالتفت وقال لهم : **ان كان أحد يأتى الى ولا يبغض أباه وأمه** وامرأته وأولاده واخوته وأخواته ، حتى نفسه أيضا ، **فلا يقدر أن يكون لى تلميذا** ـ لوقا ١٤ : ٢٥ ـ ٢٦ » !

*

● **الترحيب بالأنثى منذ ولادتها :**

يرحب القرآن الكريم بالأنثى منذ مولدها ويعتبرها هبة من الله تماثل هبة الذكر تماما ، بل انه ليجعلها فى الترتيب سابقة للذكر . فانجاب الاناث والذكور ، أو عدم الانجاب ، هى أمور بيد الله الخلاق العليم القدير .

« **لله ملك السموات والأرض ، يخلق ما يشاء ، يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور . أو يزوجهم ذكرانا واناثا ، ويجعل من يشاء عقيما، انه عليم قدير** » (الشورى : ٤٩ ، ٥٠) .

وكل هبة من الله ونعمة تتطلب الحمد والشكر . ولا يكون الشكر مجرد كلمات جوفاء تتردد ، بل انه يتمثل فى الحفاظ عليها ورعايتها وتنميتها وحسن استخدامها . فالزوجات والأبناء والحفدة ، كلها من نعم الله التى تستوجب الشكر :

« **والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات ، أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون** » (النحل : ٧٢)

*

ولقد سفه القرآن أعداء الأنثى ، فى كل زمان ومكان ، سواء أكانوا من عرب الصحراء ، أو ممن سكنوا القصور وعاشوا فى السهول الخضراء . أولئك الذين ساءهم انجاب الاناث ، وبلغ السفه أوجه حين كان الأب يئد ابنته ، فيدسها فى التراب حية حتى تموت . وفى هذا يقول :

﴿ واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم . يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ، الا ساء ما يحكمون ﴾ (النحل : ٥٨ ، ٥٩) .

ثم يوم القيامة يخزيهم الله ويعاقبهم لقتل بناتهم الصغيرات دون ذنب جنينه : **﴿ واذا الموءودة سئلت . بأى ذنب قتلت ﴾**

(التكوير ٨ ، ٩)

﴿ قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله ، قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (الأنعام : ١٤٠) .

* *

● **حق الأنثى فى التربية والتعليم :**

الاسلام دين العلم ، فكانت أول آية نزلت من كتاب الله : ((**اقرأ**)) ، وسمى كتاب الله : ((**قرآنا**)) .

والاسلام دين الخلق العظيم ، به مدح الله نبيه فقال :

﴿ وانك لعلى خلق عظيم ﴾ (القلم : ٤) .

وقال أسامة بن شريك : قلنا : يا رسول الله . ما خير ما أعطى الانسان ؟ فقال : ((**خلق حسن**)) (رواه ابن ماجه) .

وقال النبى ﷺ : ((**أثقل ما يوضع فى الميزان خلق حسن**)) (رواه أبو داود والترمذى)

ومنذ بدأ رسول الله يدعو الناس الى الاسلام ، تضمنت دعوته الحض على حسن التربية ، وطلب العلم ، للرجال والنساء على السواء ،

بل وللاماء والعبيد مع الحرائر والسادة سواء بسواء • واقترنت دعوته هذه بالتطبيق العملى أسوة بكل تعاليمه ووصاياه •

لقد علم رسول الله الناس أن تربية البنات تربية حسنة ليس لها من جزاء فى الآخرة الا الجنة ، والنجاة بذلك من النار •

فقد قالت عائشة رضى الله عنها : جاءتنى امرأة معها ابنتان تسألنى ، فلم تجد عندى غير تمرة واحدة فأعطيتها ، فقسمتها بين ابنتيها ، ثم قامت فخرجت • فدخل النبى ﷺ فحدثته ، فقال : **« من بلى من هذه البنات شيئا ، فأحسن اليهن ، كن له سترا من النار »** (رواه البخارى)

وعن أبى بردة عن النبى ﷺ قال : « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين : **الرجل تكون له الأمة ، فيعلمها فيحسن تعليمها ، ويؤدبها فيحسن أدبها ، ثم يعتقها ، فيتزوجها ، فله أجران** ومؤمن أهل الكتاب الذى كان مؤمنا، ثم آمن بالنبى ﷺ فله أجران • والعبد الذى يؤدى حق الله وينصح لسيده فله أجران » (رواه البخارى) •

وقال رسول الله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم •••• » **(أخرجه ابن ماجه)**

وكانت النساء يحتشدن لسماع النبى ﷺ والصلاة الجامعة معه ، من أجل التعلم •• ومن أجل التزاحم خصص النبى لهن بابا يسمى حتى الآن ، فى مسجد الرسول بالمدينة (باب النساء) •

ذكر **البلاذرى** فى **فتوح البلدان** نساء مسلمات تعلمن القراءة والكتابة ، يبلغ عدد المعروف منهن **نصف** عدد المعروف من الرجال الكتاب •

وروى أن الشفاء العدوية (من قبيلة بنى عدى رهط عمر بن الخطاب) طلب اليها النبى ﷺ أن تعلم زوجه ـ أم المؤمنين ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب ، تحسين الخط وتزيين الكتابة . وكانت أم المؤمنين عائشة بنت أبى بكر ، وأم المؤمنين أم سلمة ، رضى الله عنهما ، تقرآن ، وان لم تكتسبا مهارة الكتابة »[1] .

*

● **المراة اهل للمسئولية الكاملة :**

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ان الاسلام يقرر أيضا فى تربية الفطرة التى خلقت عليها المرأة ، وهى (**الانسانية ذات العقل والادراك والفهم**) أن المرأة ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل : مسئولة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها ، وعن جماعتها .

وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل . وأن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة . وطاعة الرجل لا تنفعها وهى طالحة منحرفة ، ومعصيته لا تضرها وهى صالحة مستقيمة .

﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ﴾ (النساء : ١٢٤) .

﴿ فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ، بعضكم من بعض ﴾ (آل عمران : ١٩٥) .

وليقف **المتأمل** عند هذا التعبير الالهى : **﴿ بعضكم من بعض ﴾** ، **ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضا من الرجل ، وكيف حد من طغيان الرجل فجعله بعضا من المرأة .**

وليس فى الامكان ما يؤدى به معنى **المساواة** أوضح من هذه

---

(١) المرأة فى التصور الاسلامى : عبد المتعال الجبرى ـ ص ٥٦

الكلمة التى تفيض بهـا طبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة دون تفاضل أو سلطان : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ (النساء : ٣٢)[1] •

وليس أدل على مساواة المرأة فى المسئولية كالرجل سواء بسواء ، من أن للنساء حق البيعة كالرجال ، وهذا يعنى أهليتهن الكاملة للوفاء بمقتضيات العهود والمواثيق ، والتى تعتبر من أخطر الأمور فى الاسلام•

﴿ يا أيها النبى اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك فى معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ، ان الله غفور رحيم ﴾ (الممتحنة : ١٢) •

● المرأة انسان :

من عبقرية اللغة العربية ، التى نزل بها القرآن ، أن كلمة انسان تطلق على الذكر والأنثى سواء بسواء • فلا يقال فى العربية ، انسانة ، انما انسان فقط • ومثل ذلك كلمة زوج : فالرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل •

وتلك هى اللغة العالية التى جاء بها القرآن ، فى مثل قوله :

﴿ وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ (البقرة : ٣٥) •

﴿ فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه ﴾ (الأنبياء : ٩٠)

وعلى هذا ، فان كل خطاب للانسان ، أو حديث عنه ، أو تكليف له فى القرآن ، انما يعنى لزاما الذكر والأنثى ، سواء بسواء •

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ــ ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

ولنقرأ على ضوء هذا قول الحق : ﴿ **الرحمن • علم القرآن • خلق الانسان • علمه البيان** ﴾ (الرحمن : ١ – ٤) •

فالرجل والمرأة من خلق الله ، والبيان خاصية يتميز بها الانسان : الذكر والانثى ، عن مخلوقات أخرى كثيرة •

﴿ **ووصينا الانسان بوالديه حسنا** ﴾ (العنكبوت : ٨) •

فالوصية للذكر والأنثى •

﴿ **وان ليس للانسان الا ما سعى • وأن سعيه سوف يرى • ثم يجزاه الجزاء الأوفى • وأن الى ربك المنتهى** ﴾ (النجم : ٣٩ – ٤٢) •

فالحساب واقع على الذكر والأنثى لا محالة •

﴿ **وكل انسان ألزمناه طائره فى عنقه ، ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا • اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ (الاسراء ١٣ ، ١٤)

فهذا واقع لا شك فيه ، يوم القيامة ، يتعرض له الذكر والانثى •

فالمرأة ، فى كتاب الله ، انسان كامل الأهلية •

*

● **مسئولية المرأة العامة :**

« واذا كانت المرأة مسئولة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها ، فهى فى نظر الاسلام أيضا مسئولة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة الى الخير ، والأمر بالمعروف ، والارشاد الى الفضائل ، والتحذير من الرذائل •

وقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين اخيها الرجل فى تلك المسئولية ، كما قرن بينها وبينه فى مسئولية الانحراف

عن واجب الايمان والاخلاص لله وللمسلمين :

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله ، أولئك سيرحمهم الله ، ان الله عزيز حكيم » (التوبة : ٧١) .

« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ، يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم ، نسوا الله فنسيهم ، ان المنافقين هم الفاسقون . وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها ، هى حسبهم ، ولعنهم الله ، ولهم عذاب مقيم » (التوبة : ٦٧ ، ٦٨)

ان مسئولية الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، هى أكبر مسئولية فى نظر الاسلام ، وقد سوى الاسلام فيها بصريح هذه الآيات بين الرجل والمرأة .

واذن ، فليس من الاسلام أن تكف المرأة عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، اعتمادا على ظن او وهم أنه شأن خاص بالرجال دون النساء .

وليس من الاسلام أن تلقى المرأة حظها من تلك المسئولية على الرجل وحده بحجة أنه أقدر منها عليه ، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب . فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لا تستقيم الا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فان تخاذلا أو تخاذل أحدهما ، انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم فليعلم ذلك نساؤنا ، وليفقهن حكم الله فيهن »(١) .

* *

● **حق المرأة فى عقد الزواج :**

لكى ندرك حقيقة عملية تحرير المرأة التى جاء بها الاسلام ،

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٢٤ ، ٢٢٥

والحقوق التى اكتسبتها فى حياة النبى ﷺ ، علينا أن نلم بشىء مما كان عليه الحال فى الجاهلية ، ثم ما أدخله الاسلام من تشريعات .

يقول المستشار **ابراهيم فوزى** : « كان وضع المرأة الحقوقى فى الجاهلية شبيها بوضع الرقيق ، فقد كانت محرومة من جميع الحقوق حتى من حق الحياة ، اذ كانت حياتها رهنا بمشيئة أبيها ، ان شاء منحها هذا الحق ، وان شاء وأدها وهى حية منذ ولادتها .

وكانت المرأة تبقى خاضعة للولاية مدى حياتها . فقبل زواجها تكون خاضعة لولاية أبيها أو لولاية من يليه من العصبات الذكور ، عندما يكون الأب متوفيا ، فاذا تزوجت انتقلت الى ولاية زوجها . وكان يحق لوليها أن يزوجها لمن يشاء ويقبض ثمنها وهو المهر ، فيتصرف به كما يشاء ويريد ، ان شاء أخذه كله ، وان شاء صرفه كله أو بعضه على تجهيزها .

وبالاستناد الى هذا الوضع .. فقد كان الزواج يشكل عقد معاوضة كعقد البيع ، المتعاقدان فيه هما الولى والزوج ، والمعقود عليه هو المرأة ، والبدل هو المهر الذى يدفعه الرجل الى الولى مقابل تملكها .

وكان يجوز فى الجاهلية المقايضة بين امرأتين ، تكون كل واحدة مهرا للثانية ، كأن يزوج رجل ابنته أو أخته الى رجل آخر ، على أن يزوجه هذا ابنته أو أخته ، وهو ما كانوا يسمونه بنكاح الشغار ..

فى وسط تلك العادات والأعراف المتعلقة بعقد الزواج ، جاءت الشريعة الاسلامية فرفعت المرأة من منزلة الرقيق الذى يباع ويشرى ، الى منزلة الانسان الحر ، فمنعت زواجها بدون ارادتها ، وألغت من عقد الزواج كل الأوصاف التى تجعل منه عقد معاوضة ..

فقد اشترطت الشريعة موافقة المرأة على زواجها ، وبدون موافقتها يكون العقد باطلا ، وأصبحت المرأة طرفا فى العقد بدلا من وليها .

روى البخارى عن امرأة (تدعى خنساء بنت خدام الأنصارية) زوجها أبوها من رجل بدون رضاها ، فأتت رسول الله ﷺ وشكت اليه أمرها ، فرد نكاحه .

وعن عبد الله بن عباس قال : جاءت فتاة بكر الى رسول الله فشكت له أن أباها زوجها من رجل وهى كارهة له ، فخيرها النبى ﷺ بين قبوله أو رفضه . (رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه).

وعن بريدة قال : جاءت فتاة الى رسول الله ﷺ ، فقالت : ان أبى زوجنى من ابن أخيه ليرفع بى خسيسته . فجعل النبى الأمر اليها . فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكنى أردت أن تعلم النساء أن ليس للآباء من هذا الأمر شيء . (رواه النسائى والترمذى وابن ماجه وأحمد) .

وعن السيدة عائشة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ، والبكر حتى تستأذن » فقالت عائشة : يا رسول الله ، البكر تستحى . قال : « رضاها صمتها » . (رواه البخارى) .

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ قال : « ليس للثيب مع الولى أمر » . (رواه النسائى وأبو داود) .

*

ولم تعتبر الشريعة الاسلامية المهر ثمنا للمرأة كما كان فى الجاهلية، وانما اعتبرته هبة من الرجل أو هدية ، وسمته (صداقا) كما نصت عليه الآية : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ (النساء : ٤)

يقول **الطبرى** فى تفسير هذه الآية : كان الرجل فى الجاهلية اذا زوج ابنته أخذ مهرها ، فنهاهم الله عن ذلك ، ونزلت الآية : ﴿ وآتوا النساء صدقاتهن نحلة ﴾ .

وقد حرمت الشريعة الاسلامية نكاح الشغار الذى يقوم على مقايضة امرأة بامرأة أخرى ، فقال النبى ﷺ : « لا شغار فى الاسلام » (رواه الستة) .

*

وكان الجاهليون يعتبرون المهر .. ثمن المرأة ، وكانوا يغالون فيه فيعتبرونه علامة شرف .. فجاءت الشريعة الاسلامية (وخففت من غلوائهم) ..

فقال النبى ﷺ لرجل لم يكن عنده شىء يدفعه مهرا لخطيبته : « التمس ولو خاتما من حديد » . (رواه البخارى ومسلم) .

وفى حديث آخر أن النبى ﷺ ، قال لرجل لم يجد مهرا لخطيبته : « ما معك من القرآن » ؟ قال : معى سورة كذا ، وكذا ...

قال : « أتقرؤهن عن ظهر قلب » ؟ ... قال : نعم .

قال : « اذهب ، فقد زوجتكها بما معك من القرآن » . (رواه البخارى ومسلم) .

وقد رويت أحاديث عديدة عن النبى ﷺ كان يحض فيها على المهر اليسير ، فقال : « خير الصداق أيسره » (رواه أحمد) ..

لقد أطلقت (الشريعة الاسلامية) على المهر اسم : صداق أو نحلة ؟ بمعنى الهبة أو الهدية ، لكى تزيل من الأذهان الاعتقاد بأنه ثمن المرأة ، ولأن الهدية تعبير عن المودة والمحبة ، فقال النبى ﷺ : « تهادوا تحابوا »[1] (رواه البخارى) .

*

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت عن حق المرأة فى عقد زواجها :

---

(١) احكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى ـ ص ٤٣ ـ ٤٦

« ما دام القرآن هو المصدر الأول للتشريع الاسلامى ، فانا اذا رجعنا اليه وجدناه يضيف بصريح العبارة هذا التصرف أيضا الى المرأة نفسها . ووجدناه فى الوقت نفسه يحذر الرجال أن يمنعوا المرأة من هذا الحق :

﴿ فان طلقها فلا تحـل لـه من بعـد حتى تنكح زوجـا غيره ﴾
(البقرة : ٢٣٠)

﴿ واذا طلقتم النسـاء فبلغن أجلهن فـلا تعضـلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣٢) .

﴿ فاذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف ﴾
(البقرة : ٢٣٤)

وقد صحت الأحاديث الكثيرة فى وجوب اسـتئذان المرأة عنـد زواجهـا ، وحتمت على الثيب أن تصرح بالاذن ، واكتفت من البكر ترخيصا لها أن تجرى على عادتها فى الحياء الذى يمنعها من التصريح ، وأن يكون منها ما يدل على الرضا ، **فالحق حقها ، والشان شانها ..**

وقال **ابن القيم** فى هذا المقام : (وهذا ــ يريد رضاها بالزواج وعدم اجبارها ــ **هو** ما ندين الله به ولا نعتقد سواه ، وهو الموافق لحكم رسـول الله ، وأمره ونهيـه ، وقواعد شريعتـه ، ومصـالح أمتـه) ... الى أن قال : (ان البكر البالغة العاقلة الرشيدلة لا يتصرف أبوها فى أقل شىء من ملكها الا برضاها ، ولا يجبرها على اخراج اليسير منه الا باذنها . فكيف يجوز أن يخرج نفسها منهـا بغير رضـاها ؟! ومعلوم أن اخراج مالها كله بغير رضاها أسهل عليها من تزويجها بمن لا تختـاره) .

هذا هو حق المرأة فى العقود والتصرفات مدنية أو شخصية ، كما يدل عليه القرآن ، وكما يدل عليه سنة الرسول وقضاؤه ، وكما تقضى به اصـول الشريعة الاسـلامية .

وكان من لوازم تحميل الاسلام المرأة مسئوليات الحياة ، عامةوخاصة، أن يفسح أمامها مجال العلم ، ومجال العمل ، وقد تعلمت وعملت . وعرفنا المرأة الأديبة والطبيبة والفقيهة والمتصوفة القانتة ، وما اليهن من كل ما عرف مثله عن أخيها الرجل .

وكان كل ذلك أثرا لانسانيتها المساوية لانسانية الرجل ، وقد ظهر ذلك فى كثير من نواحى التشريع الاسلامى »(١) .

* *

المـرأة زوجـــة

● **الزواج سكينة ومودة :**

يقول الامام الأكبر محمـــود شلتوت : « ان الانسان من جهـة أخرى ، مطبوع على حب البقاء ، واذا كان لا سبيل الى بقائه بذاته ، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته ، وصنيع الله فى آبائه وأجداده وسائر الأحياء ، فانه يرى أن سبيله الى البقاء انما هو النسل المعروف نسبته اليه ، يراه امتدادا فى بقائه ، واستمرارا لذكراه ، وخلودا لحياته ..

واذا كان الانسان محتاجا فى بقائه الى أبنائه وأحفاده ، وكان الزواج وحده هو السبيل اليهم ، فهو فى راحته القلبية ، وسكنه الى القلب الذى يحنو عليه ويشاركه السراء والضراء ، أشد حاجة من حاجته الى هؤلاء الأحفاد الذين لا ينعم بهم الا مع سكون القلب ، واطمئنان النفس ، وراحة الضمير . والى ذلك يشير قوله تعالى :

﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الروم : ٢١)

ولعل كل ذلك الذى تقرره فى ثمرات الزواج من جانبى البقاء والمودة ، هو قرة العين التى أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ــ ص ٢٣٢ ــ ٢٣٤

ايـاه بها : ﴿ والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين ﴾ (الفرقان : ٧٤)

*

● الزواج ميثاق غليظ :

وقد نظر القرآن الكريم الى ما للزواج من هذه المكانة السامية فى حياة الفرد والأسرة والأمة ، فنوه بشأنه ، ورفعه عن أن يكون عقـدا تتم التزاماته بالايجاب والقبول وشهادة الشـهود ، فجعله (**ميثاقا**) تتحمل الضمائر التى تعرف معنى الميثاق مسئوليته ، وتكافح جهدها فى سبيل المحافظة عليه ، والوفاء به مما قد يعترضه من شدائد وصعوبات .

ثم لا يكتفى بجعله (**ميثاقا**) كيفما يكون ، تعتريه الرقة وخفـة الميـزان ، فيتعرض للنقض كلمـا أراد عابث أو مأفون ، بل جعـله (**ميثاقا غليظا**) وعهدا قويا يتعذر حله ، فيربط القلوب ، ويحفظ المصالح ، ويندمج به كل من الطرفين فى صـاحبه ، فيتحد شـعورهما وتلتقى رغباتهما .. واقرأ فى ذلك قوله تعالى :

﴿ **وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ، أتأخذونه بهتانا واثما مبينا . وكيف تأخذونه وقـد أفضى بعضـكم الى بعض وأخـذن منكم ميثـاقا غليظا** ﴾ .
(النساء : ٢٠ ، ٢١)

ثم تدبر فى ذلك ما يوحى اليه قوله تعالى ، فى شأن العلاقة الزوجية:
﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ (البقرة : ١٨٧) .

تدبر ايحاء ذلك لتعلم أن العلاقة الزوجية أسمى فى معنى الترابط والاندماج من علاقات الصداقة والأبوة والبنوة ، وأنها ليست كما يظن من لا يفهمون حقيقتها ولا يعرفون وضعها فى الحياة ، عقدا كسائر العقود ثمراتها فى الانتفاع والملك والتسخير . وأعتقد أن الذين يضعون العلاقة الزوجية هذا الوضع ، هم قوم لم يشرق على قلوبهم النور الوضـاء

المنبعث من قوله تعالى : ﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾ • (البقرة : ٢٢٨)

واذا كان المتتبع لكلمة (ميثاق) ومواضعها التى وردت فيها (فى القرآن) ، لا يكاد يجدها تأخذ مكانتها فى التعبير القرآنى الا حيث يأمر الله بعبادته وتوحيده ، والأخذ بشرائعه وأحكامه ، فانه يستطيع — وقد جاءت فى شأن الزواج — أن يدرك عن طريق قريب ، المكانة السامية التى وضع الله الزواج فيها ، وجعله فى التعبير عنه صنوا للايمان بالله وشرائعه وأحكامه •

هذه مكانة الزواج فى سنن الجماعة البشرية ، وفى حكم الله وكتابه ، ومنها يعلم مقدار جرم المعرضين عن الزواج فى حق أنفسهم وحق أمتهم وانسانيتهم ، **وجرم هؤلاء الآخرين الذين يتخذونه ملهاة بها يعبثون ، أو عقد بيع أو شراء به يسخرون ويستعبدون »(١) •**

*

ان المرأة سكن للرجل ، يجد فيها راحته ورضاء نفسه •••

والرجل سكن للمرأة ، تأمن فى كنفه ، وتسعد بجواره • • •

وبين الزوجين تكون علاقات نفسية وجسدية ذات طابع خاص ، لا مثيل لها فى سائر العلاقات الأخرى • ومن ثم لا مجال هنا للحديث عن سيادة أو تسلط أو امتلاك •••

فهناك علاقة عقلية يحكمها العدل :

﴿ **ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف** ﴾ (البقرة : ٢٢٨) •

﴿ **فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة** ﴾ (النساء : ١٢٩) •

وهناك علاقة عاطفية تفيض مودة ورحمة :

﴿ **وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ (الروم : ٢١) •

انها ، اذن — علاقات متبادلة ومتوازنة •••

---

(١) المرجع السابق — ص ١٤٢ — ١٤٨

ومع ذلك ، فقد عاد القرآن ليؤكد ضرورة مراعاة المرأة ومعاشرتها بالمعروف . فاذا كان الزواج قد جاء نتيجة حب ، أو جاء الحب بعد الزواج ، فان خبرات الحياة تؤكد أن عوامل الزمن وتقلبات الأحوال ، لا بد فاعلة فعلها فيما بين الزوجين من علاقات ، قد يصل بها الى حد الكراهية .

وهنا يحض القرآن الرجل على التمسك بزوجته الى أقصى حد ، ويغريه بالصبر على ما طرأ على شعوره نحوها من بغض وكراهية ، فلعلها مع ذلك تكون خيرا له من كثيرات غيرها :

﴿ وعاشروهن بالمعروف ، فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ﴾ (النساء : ١٩) .

يقول ابن كثير فى تفسير هذه الآية : « طيبوا أقوالكم لهن ، وحسنوا أفعالكم وهيئاتكم بحسب قدرتكم ، كما تحب ذلك منها فافعل أنت بها مثله كما قال تعالى : **﴿ ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف ﴾** . (البقرة : ٢٢٨) . وقال رسول الله ﷺ : « خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلى » .

وكان من أخلاقه ﷺ ، أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويلطف بهم ويوسع نفقته ، ويضاحك نساءه حتى انه كان يسابق عائشة أم المؤمنين ، رضى الله عنها .. قالت : سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته ، وذلك قبل أن أحمل اللحم . ثم سابقته بعد ما حملت اللحم ، فسبقنى ، فقال : « هذه بتلك » .

*

● ادارة البيت المسلم :

ولقد بينت تعاليم الرسول كثيرا مما يتعلق بادارة البيت المسلم ، سواء بصورة عامة ، أو دخولا فى تفاصيل .

فالمرأة هى راعية البيت ، كما أن الحاكم هو راع للمحكومين .

فقد قال عبد الله بن عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته :**

الامام راع ومسئول عن رعيته ،

والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ،

والمرأة راعية فى بيت زوجها ، ومسئولة عن رعيتها ،

والخادم راع فى مال سيده ، ومسئول عن رعيته ،

وكلكم راع ومسئول عن رعيته » (رواه البخارى) .

واذا جئنا الى موضوع الانفاق ، وما قد يقال أحيانا عن امساك بعض الرجال أيديهم مقابل اسراف بعض الزوجات ، نجد حديثا عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « اذا أنفقت المرأة من طعام بيتها ، غير مفسدة ، كان لها أجرها بما أنفقت ، ولزوجها أجره بما كسب ، وللخازن مثل ذلك ، لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا » (رواه البخارى) .

ولقد قالت هند أم معاوية لرسول الله ﷺ : ان أبا سفيان رجل شحيح ، فهل على جناح أن آخذ من ماله سرا ؟ قال : « خذى أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف » (رواه البخارى) .

يقول المستشار ابراهيم فوزى : « **لم يرد نص فى الشريعة يلزم المرأة بالانفاق على نفسها من مالها ، ان كان لها مال ، أو يلزمها بالانفاق على زوجها وأولادها ، ان كان الزوج معسرا أو عاجزا عن العمل وكانت هى موسرة .**

وقد أخذ رجال الفقه الاسلامى بالنصوص التى تلزم الرجل بالانفاق على زوجته ، دون تمييز بين المرأة الميسورة والمرأة التى لا مال لها ، ودون النظر الى حالة الزوج عسرا أو يسرا ، وأعطوها حق الافتراق عنه اذا قصر بالانفاق عليها مهما كان معسرا »[1] .

---

(١) أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ص ١١٠ ـ ١١١

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « ذلكم الحق الذى منحته الشريعة الاسلامية للمرأة من نحو (أربعة عشر قرنا) فلم تبح للرجل أن يأكل من مالها ــ فضلا عن تملكه والتصرف فيه ــ الا اذا كان عن طيب نفس منها : ﴿فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا﴾(١) (النساء : ٤)

هذا ــ ولقد حدث أن جاء رجل « الى عمر رضى الله عنه ، يشكو خلق زوجته ، فوقف على بابه ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه ، وعمر ساكت لا يرد عليها .

فانصرف الرجل راجعا ، وقال : ان كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته وهو أمير المؤمنين ، فكيف حالى ؟!

وخرج عمر ، فرآه موليا عن بابه ، فناداه وقال : ما حاجتك أيها الرجل ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو اليك سوء خلق امرأتى واستطالتها على ، فسمعت زوجتك كذلك ، فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته ، فكيف حالى ؟!

فقال عمر : يا أخى ، انى احتملتها لحقوق لها على : انها لطباخة لطعامى . خبازه لخبزى . غسالة لثيابى . مرضعة لولدى ــ **وليس ذلك كله بواجب عليها ــ ويسكن قلبى بها عن الحرام . فأنا احتملها لذلك .**

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى .

قال عمر : فاحتملها يا أخى ، فانما هى مدة يسيرة .

وفى الصحيحين ، قال عليه الصلاة والسلام : « لا يفرك المؤمن مؤمنة . ان كره منها خلقا ، رضى منها آخر »(١) .

*

---

(١) الاسلام عقيدة وشريعة ــ ص ١٥٥

ويقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « قد تكلم الفقهاء كثيرا فى حق الرجل على المرأة ، وحق المرأة على الرجل . والحق الذى تهدى اليه الفطرة فى شأن الزوجين : هو ما قضى به النبى ﷺ بين على ، وابنته فاطمة : قضى على ابنته بخدمة البيت ورعايته ، وعلى زوجها بما كان خارجا عن البيت من عمل .

فعليها تدبير المنزل ورعاية الأطفال ، وعلى الرجل السعى والكسب . .

وفى القاعدة التى قرر القرآن بها المماثلة بين الزوجين فى الحقوق والواجبات ، قرر على الرجل مسئولية الهيمنة والقوامة ، وجعله المكلف بحق المرأة فيما يصل بها الى الخير ويدفع عنها الشر ، فقال : « وللرجال عليهن درجة » (البقرة : ٢٢٨) . وهذه الدرجة ليست درجة السلطان ولا درجة القهر ، وانما هى درجة الرياسة البيتية الناشئة عن عهد الزوجية وضرورة الاجتماع ، هى درجة القوامة التى كلفها الرجل ، وهى درجة تزيد فى مسئوليته عن مسئوليتها . فهى ترجع فى شأنها وشأن أبنائها وشأن منزلها اليه : تطالبه بالانفاق ، وتطالبه بما ليس فى قدرتها ، وما ليس لها من سبيل اليه .

وهذه المسئولية أساسها فى تحميل الرجل اياها ، هو ما أشارت اليه الآية الكريمة التى تقول : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم » (النساء : ٣٤) .

أمران قضت بتحملهما طبيعة الرجل : القيام بمشاق الأمور ،

---

(١) المرأة فى التصور الاسلامى — ص ١٥٣

وأساس ذلك ما أودع الله فيه من قوة البدن والعزم والعمل ، والانفاق فيما يحتاج اليه البيت من مطعم وملبس ، وما تنشرح به صدور الأبناء والأسرة .

ولقد يكون فى قوله تعالى : ﴿ بما فضل الله بعضهم على بعض ﴾ . دون أن يقول : بما فضلهم عليهن ، اشارة واضحة الى أن هذا التفضيل ليس الا كتفضيل بعض أعضاء الجسم الواحد على البعض الآخر . وأنه لا غضاضة فى أن تكون اليد اليمنى أفضل من اليد اليسرى ، ولا فى أن يكون العقل أفضل من البصر ، ما دام الخلق الالهى اقتضى ذلك .

واذن ، فهى درجة طبيعية لا بد منها لكل مجتمع من المجتمعات ، قل ذلك المجتمع أو كثر . وليس من الحكمة فى نظر شرع أو وضع أن يترك مجتمع دون أن يعرف له رئيس يرجع اليه فى الرأى ، وعند الاختلاف ، وفى مهام الشئون .

واذا تصور مجتمع على هذا النحو ، ليس له محور يدور حوله ويعتصم به ، فهو مجتمع مآله حتما الى السقوط والانحلال . مجتمع صائر لا محالة الى الفوضى والاضطراب بالتنازع والتضارب وتناقض الرغبات . وبذلك ينقلب المجتمع رأسا على عقب ، تتفكك وحداته ، وتتناثر لبناته ، وتضيع الثمرات التى عقدت به ..

بنى الاسلام المجتمعات ، فى ادارتها وتنظيم شئونها ــ مع تعيين مصدر القوامة فيها ــ على أساس من الشورى وتبادل الرأى ... فقال : ﴿ وأمرهم شورى بينهم ﴾ (الشورى : ٣٨) .

ولم تكن الشورى أساسا لمجتمع الحاكم والمحكوم فقط ، وانما هى أساس لكل مجتمع ، حتى مجتمع الرجل وزوجه فى البيت والأسرة .

وقد جاء ذلك فى صريح القرآن فيما يتعلق بحق ابداء الرأى فى فطام الطفل ورضاعه • ولم يجعل للرجل ولا للمرأة حق الاستئثار به دون الرجوع الى صاحبه :

﴿ والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين ، لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، لا تكلف نفس الا وسعها ، لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده ، وعلى الوارث مثل ذلك ، فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما ﴾
(البقرة : ٢٣٣)

حقوق موزعة على الزوجين : ارضاع على الزوجة ، وتفقة على الزوج ، دون ارهاق ولا مشقة ، ودون مضارة أو ايذاء • ثم تشاور فى الرأى وتراض من جهة الرضاع أو الفطام •

واذا كان للزوجة حق ابداء الرأى فى نظام تربية الولد وارضاعه ، واشترط القرآن فى ذلك ارادتها مع ارادة الرجل ، ورضاها مع رضاه ، **فان ذلك يكون شأنها معه فى كل ما يعترضهما من شئون تحتاج الى التشاور والى تبادل الرأى •**

كيف والمشورة بينهما مما يشعر المرأة بأنها ذات مسئولية مشتركة ، وأنها تعيش فى جو حياة مشتركة ، يهمها صلاحها ، ويوغر صدرها فسادها ، فتكتل قواها ، وتجمع أمرها على الحفظ والصيانة ، وكمال الاشراف والرعاية •

اما ذلك الزوج الذى يمنح نفسه السلطان المستقل ، والأمر النافذ القاهر ، تاركا زوجه وراء ظهره ، متاعا لا ينظر اليه الا حيث يريده ، فهو زوج دخيل على الحياة الزوجية التى رسمها الاسلام ، لا يمثلها ولا يكون مرآة لها • هو زوج لا يعرف معنى قوله تعالى :
﴿ واخذن منكم ميثاقا غليظا ﴾ • (النساء : ٢١) •

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ **هن لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ (البقرة : ١٨٧)

ولا معنى قوله تعالى : ﴿ **ومن آيأته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة** ﴾ [(١)] (الروم : ٢١) •

* *

● مشاكل تهدد الحياة الزوجية :

لا يخلو بيت من مشاكل ، وان اختفت حينا فلا بد أن تظهر فى أحيان كثيرة • فهذا واقع الحياة وهو واقع مشهود ومحسوس •

وفى سبيل الحفاظ على الحياة الزوجية واستمراريتها ، وضع القرآن تعاليما تعين الزوجين على تحقيق ذلك ، ان صدقت عزيمتهما • وتسير خطوات المعالجة متسلسلة كالآتى :

١ ـ **الزوجان يبدآن الاصلاح** : ان الزوجين هما أعلم الناس بما يدور بينهما ، وما يتهدد حياتهما الزوجية من شقاق بدت أعراضه فى جفاء وفتور فى العلاقات • وهما أقدر الناس على تدارك ذلك باجراء مراجعة شاملة لما كان بينهما ، واعتراف كل منهما لصاحبه بما بدر منه من اساءات ، قد يكفى لغفرانها وعد صادق بعدم التكرار ، مع كلمة رقيقة بالاعتذار •

﴿ **وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا ، والصلح خير ، وأحضرت الأنفس الشح ، وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا** ﴾ (النساء : ١٢٨)

---

(١) الاسلام : عقيدة وشريعة ـ ص ١٥٥ ـ ١٦٠

٢ ـ **الحكمان يحاولان الاصلاح** : اذا عجز الزوجان عن الاصلاح بينهما ، وسارت الأمور الى الأسوأ ، فلا مناص من تدخل خارجى •

ويكون ذلك باختيار حكم من قبل الزوج ، وحكم من قبل الزوجة ، يفترض فى كل منهما أن يكون حريصا على استمرارية الحياة الزوجية مع رفع الضرر أو الأذى الذى لحق بأى من الزوجين • فالاصلاح بين الناس تعليم الهى لكل المؤمنين :

﴿ **انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين أخويكم** ﴾ (الحجرات : ١٠) •

ولهذا كان الاصلاح بين الزوجين واجبا على المسلمين قبل أن تصل الأمور بينهما الى حد القطيعة التى لا يرجى معها اصلاح :

﴿ **وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ، ان الله كان عليما خبيرا** ﴾

(النساء : ٣٥)

* *

● **أبغض الحلال الى الله الطلاق** :

اذا فشلت كل الوسائل لتحقيق المصالحة بين الزوجين ، وأصر كل منهما على موقفه ، وبدت المعيشة بينهما مستحيلة ، فآخر الدواء الكى ، كما يقول المثل السائر مجازا من الطب البدوى ، أو البتر بلغة الطب الحديث •

لا مناص ، اذن ، من الطلاق الذى هو من المؤكد مطلب لأحد الزوجين ، بل انه قد يكون مطلب كليهما •

لقد فرض الله على الأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالحسنى ، فقال :

﴿ **وعاشروهن بالمعروف** ﴾ (النساء ١٩) •

وقـال النبى ﷺ فى حجـة الوداع : « **اتقـوا الله فى النسـاء** » (رواه مسلم) •

ولا يستطيع أحد أن يدعى أن مسئولية هدم بيت الزوجية تقع دائما على عاتق الزوج ، أو دائما على عاتق الزوجة ، بل انها تختلف من حالة لأخرى •

ولمـا كان الطلاق أبغض ما يسمح به الله ــ كما علمنـا سـيدنا رسـول الله فى حـديثه ــ صـار اللجـوء اليـه ، لا أقـول بعـد اسـتنفاد كل وسـائل الاصـلاح ، بل أقول بعـد اسـتنفاد كل طاقات الصـبر ، أمرا لا مفر منـه ، فلا بد أن تسـير الحيـاة بأقـل الخسائر والأضرار ، ولا مانع أن يسمح بضرر أقل درءا لأضرار أكبر ، وشرور أفظع •

على أن الطـلاق لا يعنى الفرقة الدائمـة بين الزوجين الا فى حـالة خاصة ، وفيما عداها فهو تفرقة الى حين ، لعلها تكون عاملا نفسيا يسـاعد على تهـدئة النفوس الثـائرة ، وتضـميد الجراح الحقيقيـة أو المتوهمة ، بعـد أن يراجع كل من الزوجين موقفه ويتبين له أن بيت الزوجية قد تصـدع • وأن افتراقهما ومحـاولة كل منهما الدخـول فى حياة زوجية جديدة قد تكون مخاطرة مجهولة المحاذير ، أهون منهـا تلك المعيشة التى خبراها بشرها وحلوها • بالاضافة الى ما يلحق الأولاد ، فلذات الأكباد ، من أذى وضرار لافتراق الأبوين •

وهنا يسير الطلاق وفق قيود وضوابط ، تعمل جميعها من أجـل كبح الفرقة الدائمة ، كالآتى :

١ ــ الطلاق فى طهر : قال **ابن كثير** : « طلق ابن عمر امرأته حائضا على عهد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ليراجعها ــ فردها ، وقال **اذا طهرت فليطلق أو يمسك** » •

والاتفاق بين العلماء على أن الطلاق لا يصح الا اذا كانت المرأة فى طهر من غير جماع ، أو حاملا قد استبان حملها •

❋

٢ ـ **الرجوع عن الطلاق فى فترة العدة :** تعرف العـدة بأنها المـدة التى تتربص فيها المرأة بعـد طلاقها أو وفاة زوجها ، كى يحل لها الزواج من غيره • وقد أمر الله باحصاء العدة نظرا لأهميتها فى الحياة الزوجيـة فقـال :

﴿ يا أيها النبى اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة ﴾ (الطلاق : ١)

وبالنسبة للمرأة العادية ، فقد حـدد القرآن العـدة بثلاثة قروء ، فقـال : **﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر ﴾** (البقرة : ٢٢٨)

والقرء ـ لغة ـ هو الحيض ، وهو أيضا الطهر ، فهو من الأضداد ، وبذلك يكون على المطلقة أن تمكث بعد طلاق زوجها لها طلاقا صحيحا ، مدة ثلاثة قروء ، أى بعد وقوع ثلاث حيضات بعد الطلاق ، قبل أن يحل لها الزواج بآخر • وبذلك قد تصـل مدة العدة ، للمرأة العادية ، نحو ثلاثة أشهر ، وقد تقل الى الشهرين • ويتوقف ذلك على مدة دورتها الشهرية وتوقيت ايقاع الطلاق فى فترة الطهر •

ولقد أمر الله بابقاء الزوجة المطلقة فى منزل الزوجيـة خـلال فترة العدة ، الا فى حالة ترديها فى البذاءة والفحشاء ، بل انه ـ سبحانه ـ كرمهـا كل التكريم حيث جعـل منزل الزوجيـة بيتهـا ، فقـال :

﴿ واتقوا الله ربكم ، لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن الا أن يأتين بفاحشة مبينـة ، وتلك حدود الله ، ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ، لا تدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا ﴾ (الطلاق : ١) •

لقد وضحت الحكمة من فترة العدة ، ومعيشـة الزوجين خلالها فى بيت الزوجية الذى سماه الله بيتها ، وذلك لكى تستعيد النفوس صفاءها وتضمد الجراح ، ويبدأ تفكير الزوجين فى نبذ الطلاق الذى وقعا فيه .

وخلال مدة العدة يستطيع الزوج مراجعة زوجته واعادتها لعصمته ، دون حاجة الى عقد جديد أو مهر جديد . فكلمة ، أو غيرها ، تكفى لاستئناف الحياة الزوجية من جديد :

﴿ وبعولتهن احق بردهن فى ذلك ان أرادوا اصلاحا ﴾
(البقرة : ٢٢٨)

لكن الأمر ليس عبثا ، فقد حسبت عليه طلقة .

٣ ـ الطلاق مرتان : لقد سمح الله بايقاع الطلاق مرتين اثنتين فقط ، يستطيع الزوج خلال عدتهما مراجعة زوجته دون عقد ومهر ، أما اذا أسرف الزوج على نفسه وأوقع بزوجته الطلقة الثالثة ، فقد بانت منه بينونة كبرى . وسواء انتهت الحياة الزوجية بالطلاق ، أم استعيدت مرة أخرى ، فقد أمر الله ـ سبحانه ـ بالمعروف والاحسان بين الزوجين .

﴿ الطلاق مرتان ، فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ، ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ، فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به ، تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون . فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره ، فان طلقها فلا جناح عليهما ان يتراجعا ان ظنا ان يقيما حدود الله ، وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون . واذا طلقتم النساء فبلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف او سرحوهن

بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ، ولا تتخذوا آيات الله هزوا ، واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به ، واتقوا الله واعلموا أن الله بكل شيء عليم • واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن ، فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن اذا تراضوا بينهم بالمعروف ، ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ، ذلكم أزكى لكم وأطهر ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾
(البقرة ٢٢٩ ــ ٢٣٢)

هذا ــ ويسمح للزوج الذى طلق زوجته مرة واحدة ، أو مرتين ، وانقضت عدتها دون أن يراجعها فيها ولم تتزوج بعد من رجل آخر ، أن يعود الى الزواج منها بعقد جديد ومهر جديد •

ويحق للمرأة أن تجعل العصمة بيدها فى عقد الزواج ، كما يحق للزوجة أن تطلب الطلاق من القاضى بعد اثبات استحالة دوام العشرة مع زوجها •

وأيضا يحق للزوجة المطلقة أن ترث فى زوجها اذا مات قبل أن تنقضى عدتها •

*

يقول الامام محمود شلتوت : « لم يجعل الطلاق كلمة يلقيها الزوج على زوجه ، فتحرم أحدهما على الآخر تحريما أبديا لا رجعة فيه ولا التئاما ، وانما سلك به طريق العلاج ، وكرر فى مراحله حتى يمتد أمد النظر والتبصر • فشرعه أولا مفرقا مرة بعد أخرى ، دفعات متعددة ليجرب الرجل نفسه بعد المرة الأولى والثانية ، ويروضها على الصبر والاحتمال ، ولتجرب المرأة أيضا نفسها • حتى اذا لم تفد التجارب وأوقع الطلقة الثالثة ، وضع أمامهما حاجزا ، وهو أنه لا يباح لهما

رجع الحياة الزوجية الا بعد شرط ، فى تصوره ما قد يمنع الرجل عن ايقاع هذه الطلقة الثالثة . وذلكم الشرط هو المشـار اليه بقوله تعالى : ﴿ **فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره** ﴾ (البقرة : ٢٣٠) .

وما دام لم يصـل الرجل الى الطلقة الثالثة ، فان الاسـلام يغريه بالرجوع الى زوجه ، ويمكنها منه بكلمة **(المراجعة)** فقط دون تجديد عقد ما دامت فى عدتها ..

ان الطـلاق فى جميع صـوره التى يقع فيها ، ليس الا نوعا من اعطاء فسحة للزوجين يتدبران فيها أمرهما ، ولعلهما يجـدان ما يدفعهما الى العودة الى الحياة الزوجية ، اما بكلمة **المراجعة** ، واما باجراء عقد آخر جديد يسـتأنفان به حياة زوجية جديدة ، بعد أن تمثل لهما شبح الافتراق الدائم المستمر .

واذن ، يكون الطلاق من هذه الوجهة ـ فيما عدا المكمل للثلاث ـ وسيلة من وسائل الاحتفاظ بالحياة الزوجية ، ويكون بمثابة العـلاج يبتر بعض الأعضاء . أما المكمل للثلاث ، فقد بلغت فيه التجربة أقصى حد لها ، فضيق فيـه أمر العـلاج باشـتراط أن تنكح المرأة زوجـا غيره »[1] . وبشرط ألا يحدث ذلك وفـق تدبير سـابق من أى من الطرفين ، انما يأتى عرضا ساقته تقلبات الحياة .

ومهما تكن مرارة وضـع الزوجين بعد افتراقهما بالطـلاق ، فيجب ألا يكون ذلك نهاية الحياة لأى منهما . فلعل الله يعوض كلا منهما بمن هو خير ، فما ذلك على الله بعزيز . بل لعل هـذا الأمل هو ما يبثه قول الله فى النفوس التى اكتوت بنار الفراق : ﴿ **وان يتفرقا يغن الله كلا من سـعته ، وكان الله واسعا حكيما** ﴾ (النسـاء : ١٣٠) .

* *

---

(١) المرجع السابق ـ ص ١٧٣ ـ ١٧٦

● مسئوليات الرجل بعد الطلاق :

فرض الله على الرجال معاشرة زوجاتهم بالمعروف ، فقال سبحانه :

﴿ وعاشروهن بالمعروف ﴾ (النساء : ١٩) .

واذا حدث طلاق ثم أرجع الرجل امرأته الى عصمته ، عاد القرآن ليؤكد مرة أخرى ضرورة امساكها بمعروف ، وليس من أجل ايقاع الضرر بها ، فقال :

﴿ واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرحوهن بمعروف ، ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ، ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ﴾ (البقرة : ٢٣١)

أما اذا كان الفراق ، فقد أمر الله أن يكون ذلك أيضا بالمعروف والاحسان ، فقال :

﴿ سرحوهن بمعروف ﴾ (البقرة : ٢٣١) .

﴿ تسريح باحسان ﴾ (البقرة : ٢٢٩) .

ولما كان المعروف والاحسان يمكن أن يشتمل على جانب أخلاقى يتمثل فى المعاملة والسلوك ، وجانب آخر مادى يتمثل فى البذل والعطاء ، فقد أكد القرآن على قيام الرجل الذى طلق زوجته بدفع تعويض مادى لها ، سماه متعة ، به تقوم حياتها فى فترة ما بعد الطلاق الى أن يجعل الله لها مخرجا من أزمتها . وقد اعتبرت هذه المتعة حقا للمطلقة ، فقال سبحانه : **﴿ وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين ﴾** (البقرة : ٢٤١)

﴿ لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ، ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف ، حقا على المحسنين . وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن

فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ، وأن تعفوا أقرب للتقوى ، ولا تنسوا الفضل بينكم ، ان الله بما تعملون بصير ﴾ (البقرة : ٢٣٦ ــ ٢٣٧) .

وبالنسبة للاسكان والانفاق ، وخاصة ذوات الأحمال منهن ، يقول الحق : ﴿ **أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن ، وأن كن أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن ، فان أرضعن لكم فآتوهن أجورهن ، وأتمروا بينكم بمعروف ، وان تعاسرتم فسترضع له أخرى . لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله ، لا يكلف الله نفسا الا ما آتاها ، سيجعل الله بعد عسر يسرا** ﴾ (الطلاق : ٦ ، ٧) .

*

لقد رأينا كيف يقوم الطلاق فى التوراة على مجرد ورقة مكتوبة يعطيها الرجل لمطلقته . ثم جاءت تعاليم الانجيل لتمنع الطلاق الا لعلة الزنا ، حسب قول متى . أما فى الاسلام فهناك مواجهة لواقع الحياة الذى برهن على حاجة الحياة الزوجية الى اللجوء الى الطلاق كمتنفس أخير وعلاج بغيض لا بد منه فى بعض الحالات . لكن هذا العلاج تسبقه خطوات واجراءات تكبح اللجوء اليه ، وتعقبه تبعات ومسئوليات يتحمل الرجل فيها الغرم المادى بوجه عام .

* *

● **الأعباء المالية للرجل :**

ذكرنا ، فيما سبق ، بعض الأعباء المالية التى تلزم الشريعة الاسلامية الرجل بتحملها وخاصة فى مجال الانفاق على بيت الزوجية ، **بل قبل ذلك فى مسئوليته عن تدبير المسكن المناسب لزوجته .**

ونريد الآن استعراض أهم تلك الأعباء المالية التى يلتزم بها الرجل فى حياته الزوجية والأسرية •

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت ان الشريعة الاسلامية قضت « أن يحتمل الرجل نفقات الأسرة من زوجة ، وبنين ، وأقارب •

وأن يحتمل كذلك المهر الذى يقدمه للمرأة عنوانا على رغبته فيها ، وبذله ما يجب فى سبيل الاقتران بها •

وأن تحتمل المرأة تدبير البيت ، وشئون الحمل والوضع والتفرغ لحضانة الأطفال ، والقيام على أمرهم •

وفى ظل هذا الأساس نرى بالموازنة بين نصيب الرجل والمرأة ، أن المرأة أسعد حظا من الرجل فى نظر الاسلام :

أوجب لها مهرا لا حد لأكثره : ﴿ وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا ﴾ (النساء : ٢٠) •

وأوجب لها على الرجل : نفقتها ، وكسوتها ، وجميع ما تحتاج اليه بالمعروف لبيئتها ، حتى أوجب الخادمة والخادمتين : ﴿ لينفق ذو سعة من سعته ﴾ (الطلاق : ٧) •

وأوجب لها اذا ما طلقت : (**نفقة العدة**) على نحو ما وجبت لها فى حياتها الزوجية ، وأوجب لها (**المتعة**) ، وهى ما يبذله الرجل بعد طلاقها غير نفقة العدة ، مما تحفظ به نفسها وكيانها : ﴿ **وللمطلقات متاع بالمعروف ، حقا على المتقين** ﴾ (البقرة : ٢٤١) •

أما الرجل فهو كما قلنا مطالب بنفقته على نفسه وعلى أولاده وعليها ، وعلى نوائب الحياة كلها التى تنشأ من مكافحته فيها ، ثم على والديه وأقاربه اذا كانوا ضعافا أو فقراء •

واذن ، فبماذا يمتاز الرجل عنها »[1] ؟!

ان الرجل مطالب بكافة الأعباء المالية ، أما المرأة ، الزوجة ، فلا تطالب بأى شىء . ان جادت بشىء من مالها ، فذاك فضلها ، وان أمسكت فهذا حقها ، ولا تثريب عليها .

* *

● **ميراث المرأة :**

أولا ـ نص القرآن الكريم على المساواة فى الميراث بين الذكر والأنثى فى حالات ، كالآتى :

١ ـ فيما بين الأخ والأخت لأم فى ارثهما من أخيهما ، اذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع وارث .

« وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ، فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث ، من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار ، وصية من الله ، والله عليم حليم»
(النساء : ١٢)

يقول ابن كثير : « الدين مقدم على الوصية ، وبعده الوصية ثم الميراث . وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ..

الكلالة مشتقة من الاكليل وهو الذى يحيط بالرأس من جوانبه ، والمراد هنا من يرثه من حواشيه ، لا أصوله ولا فروعه ، كما روى الشعبى عن أبى بكر الصديق أنه سئل عن الكلالة فقال : الكلالة من لا ولد له ولا والد ..

وقال ابن أبى حاتم : حدثنا يونس ، حدثنا ابن وهب ، أخبرنا يونس عن الزهرى ، قال : **قضى عمر أن ميراث الأخوة من الأم بينهم للذكر مثل حظ الأنثى .**

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٣٨

قال الزهرى : ولا أرى عمر قضى بذلك حتى علم ذلك من رسول الله ﷺ » .

٢ ـ فيما بين الأب والأم فى ارثهما من ولدهما ان كان له ولد :

﴿ ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ﴾ (النساء : ١١)

ثانيا ـ نص القرآن على جعل نصيب الذكر ضعف نصيب الأنثى فى الميراث فى حالات ، كالآتى :

١ ـ فى حالة وجود أولاد للمتوفى ، ذكورا واناثا .

﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم ، للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ (النساء : ١١)

٢ ـ فى حالة التوارث بين الزوجين ، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هى منه .

﴿ **ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد ، فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن ، من بعد وصية يوصين بها أو دين ، ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ، فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم** ، من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ (النساء : ١٢) .

ويلزمنا فى هذه الحالة أن نتذكر الأعباء المالية الملقاة على عاتق الرجل وقد أعفيت منها المرأة ، لنعلم الحكمة من التوريث هنا حسب قاعدة : ﴿ للذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ فهذا عدل لا مراء فيه ، اقتضته الموازنة السليمة بين حقوق الرجل وواجباته ، مترجمة فى صورة مالية .

*

وبعد ... هذا مما أعطاه الاسلام للمرأة ، فأرونى ماذا أعطى الذين من دونه ! ... ﴿ **لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين** ﴾ . (مريم : ٣٨)

* *

● شـــهادة المرأة :

يتوقف الحكم فى مختلف القضايا بين الناس على شهادة الشـــهود وما تتم به البينـــة من أدلة قوية لا يتسرب اليهـــا الاحتمـــال ، وقرائن قطعية ، تتفاعل جميعها فى فكر القاضى ، فيصدر حكمه وفقا للقانون ، وهو مستريح الضمير •

وهناك أنواع من القضايا لا يتوقف الحكم فيها على مجرد اتفاق عدد من الشهود حول واقعة ما ، بل تكون المصداقية متوقفة على خبرة الشهود ونوعيتهم ، لا على عددهم •

مثال ذلك : تقارير الطب الشرعى ، وخبراء البصمات ، ومكافحـــة التزييف ••• الخ •

والحق يقول ، وقوله الحق : « ولا ينبئك مثل خبير » (فاطر : ١٤) •

ومن هنا تنوعت المواقف بالنسبة لشهادة المرأة •

١ ــ فهناك مواقف تكون فيها شهادة المرأة كشهادة الرجل تماما •

وفى هذا يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « نص القرآن على أن المرأة كالرجل ــ سواء بسواء ــ فى شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شـــهود :

« والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء الا أنفسهم فشـــهادة احدهم أربع شهادات بالله انه لمن الصادقين • والخامسة أن لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين • ويدرؤا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله انه لمن الكاذبين • والخامسة أن غضب الله عليها ان كان من الصـــادقين »

(النور : ٦ ــ ٩)

أربع شهادات من الرجل يعقبها استمطار لعنة الله عليه ان كان من الكاذبين ، ويقابلها ويبطل عملها أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها ان كان من الصادقين »[1] .

* *

٢ ـ وهناك مواقف تكون فيها شهادة امرأتين مكافئة لشهادة رجل .

وذلك فى مقام المعاملات المالية والتجارية ومعاملات الأسواق وما الى ذلك . ولقد جاء هذا فى آية الدين ، التى تعتبر أطول آية فى القرآن ، اذ يقول الله فيها :

« يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه ، وليكتب بينكم كاتب بالعدل ، ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله ، فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا ، فان كان الذى عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل ، واستشهدوا شهيدين من رجالكم ، فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل احداهما فتذكر احداهما الأخرى ، ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ، ولا تسأموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى أجله ، ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا ، الا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح الا تكتبوها ، وأشهدوا اذا تبايعتم ، ولا يضار كاتب ولا شهيد ، وان تفعلوا فانه فسوق بكم ، واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شىء عليم »
(البقرة : ٢٨٢)

يقول الامام الأكبر محمود شلتوت : « المقام مقام استيثاق على

---

(١) المرجع السابق ـ ص ٢٤١

الحقوق ، لا مقام قضاء بها ، والآية ترشد الى أفضل أنواع الاستيثاق الذى تطمئن به نفوس المتعاملين على حقوقها •

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة الواحدة ، أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ولا يحكم بها القاضى • فان أقصى ما يطلبه القضاء هو (**البينة**) • وقد حقق العلامة **ابن القيم** أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره ، هو بينة يقضى بها القاضى ويحكم • ومن ذلك يحكم القاضى بالقرائن القطعية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن • واعتبار المرأتين فى الاستيثاق كالرجل الواحد ، ليس لضعف عقلها الذى يتبع نقص انسانيتها ويكون أثرا له ، وانما هو لأن المرأة ــ كما قال الأستاذ الشيخ محمد عبده : « ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاوضات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فانها فيها أقوى ذاكرة من الرجل• ومن طبع البشر عامة أن يقوى تذكرهم للأمور التى تهمهم ،ويمارسونها ، ويكثر اشتغالهم بها » •

والآية جاءت على ما كان مألوفا فى شأن المرأة ، ولا يزال أكثر النساء كذلك ، لا يشهدن مجالس المداينات ، ولا يشتغلن بأسواق المبايعات ، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافى هذا الأصل الذى تقضى به طبيعتها فى الحياة •

واذا كانت الآية ترشد الى أكمل وجوه الاستيثاق ، وكان المتعاملون فى بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبايعات وحضور مجالس المداينات ، كان لهم الحق فى الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا الى تذكرها وعدم نسيانها » •

*

٣ ـ « **وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المراة وحدها .**

وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة ، والبكارة ، وعيوب النساء فى القضايا الباطنية »[1] .

يقول **الحق** سبحانه : ﴿ **والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ، ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ (البقرة : ٢٢٨) .

فهذه من المواقف التى تقبل فيها شهادة المرأة وحدها ، اعتمادا على صدق ايمانها ، واستثارة للوازع الدينى ، ووازع الضمير اليقظ .

يقول **ابن كثير** فى تفسيره : قوله : ﴿ **ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله فى ارحامهن** ﴾ ، أى من حبل وحيض . قاله ابن عباس وابن عمر ومجاهد والشعبى .. وغير واحد . وقوله : ﴿ **ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر** ﴾ ، تهديد لهن على خلاف الحق .

ودل هذا على أن المرجع فى هذا اليهن ، لأنه أمر لا يعلم الا من جهتهن ، ويتعذر اقامة البينة غالبا على ذلك ، فرد الأمر اليهن ، وتوعدهن فيه لئلا يخبرن بغير الحق ، اما استعجالا منها لانقضاء العدة ، أو رغبة منها فى تطويلها ، لما لها فى ذلك من المقاصد ، فأمرت أن تخبر بالحق فى ذلك من غير زيادة ولا نقصان » .

* *

● **عقوبة لحماية سمعة المرأة :**

نص القرآن على عقوبة لمن يتعرض كذبا بالسوء لسمعة المرأة ، تعرف **بحد القذف** ، وذلك نظرا لخطورة تلك الجريمة على حياتها وحياة أسرتها ومستقبلها .

﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون .**

---

(١) المرجع السابق ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠

الا الذين تابــوا من بعــد ذلك وأصــلحوا فان الله غفــور رحيــم »
(النور : ٤ ، ٥)

وقد عد رســول الله قــذف المحصنات من الكبائر ، فقــال : **« اجتنبوا الســبع الموبقات »**. قيل : وما هن يا رسول الله ؟

قال : (الشرك بالله ، والسحر ، وقتــل النفس التى حرم الله الا بالحــق ، وأكل الربا ، وأكل مــال اليتيــم ، والتــولى يوم الزحف ، **وقــذف المحصنات الغافلات المؤمنات »** (رواه البخارى ومسلم) •

وما من شك فى أن شعوب أوروبا ، ونساءها بوجه خاص ، كانت فى أشــد الحاجة لتطبيق حــد القــذف على أولئك الظلمة من أهــل السلطة الدينية وأتباعهم ، الذين أثاروا موجات مجنونة ضــد النساء عرفت باسم : **تعقب المتشيطنات وقمعهن ،** بزعم أن أولئك المضطهدات كن يمارســن الجنس مع الشيطان • ولم يكن من شهود ســوى الشبهات ، وانتزاع الاعترافات منهن تحت وطأة التعذيب •

والا ، فاى عاقل هذا الذى يستطيع الشهادة بأنه رأى امرأة تمارس الجنس مع الشيطان ؟! •••

* *

وبعد ••• لقد تعمدت أن تكون أغلب مادة هذا الفصــل الخاص بمكانة المرأة فى الاسلام مما سطره قلم الامام الأكبر محمود شلتوت ــ شيخ الأزهر الأســبق ــ وذلك نظرا لكونه رأس أقدم مؤسسة تعليمية دينية تمتد جذورها لأكثر من ألف عام ، وتمتــد اشــعاعاتها العلميــة والثقافية والروحية فى شتى أرجاء العالم الاسلامى ، لا بل أرجاء العالم كله • ويكفى التــذكرة بأن أوروبا لم تعــرف نظــام **أستاذ الكرسى** فى جامعاتها التى أنشئت بعد الأزهر بقرون عديدة ، الا نقلا عن الأزهر العريق •

كذلك أختتم هذا الفصل بما قاله فضيلة الامام الأكبر فى ختـام حديثه عن : **المراة فى نظر الاسلام** ، اذ قال :

« وبعد ... فهــذه عــدالة الاسلام فى توزيع الحقوق العامة بين الرجــل والمرأة وهى عدالة تحقق انهما فى الانسانية سواء » .

* *

الباب الرابع

حقائق ومواقف

- حضـــارة لا اله الا الله ..
وتحرير الانســـان .
- هذا التلوث الجنسى .
- أوروبـــا . . مهـــلا !
- قضية الدجال الهندى .
- مقاطع شيطانية .
- حملة مسعورة على : عيسى ومحمد .
- بين شيطانيات : الهندى ..
واليونانى !
- محاكمة الكاتب سلمان رشدى .
وفق أحكام الكتاب المقدس .
- حقـــوق الانســـان .

يعرف التحضر ، فى أبسط صوره ، بأنه الارتقاء بالانسان من حالة التوحش والبداوة والجهل الى ما هو أفضل ، وذلك بالتعليم والتهذيب والعيش فى نظام اجتماعى قادر على تيسير الحياة وتطويرها ...

ويقول ى . هل فى كتابه : « **الحضارة العربية** » : « الحاجة أم الحضارات الانسانية ، ذلك أن النفس البشرية فطرت على شوق لا حد له الى الرفاهية والسيطرة والجمال والحق . وهذه الغايات هى الأهداف الأخيرة لكل طموح انسانى ، والسعى اليها هو العلة الجوهرية فى ارتقاء الانسانية .

فالمثل الأعلى للانسان يكمن وراء عدد لا يحصى من الحاجات ، وكلما حصل على واحدة منها اتسع مجال طموحه الى ما يليها .

وعلى هذا النهج تسير الحضارات كلها : الحاجات الجديدة تؤدى الى وجود أهداف جديدة ، والكدح فى سبيل هذه الحاجات هو الطابع الذى يميز الحضارة ، والحصول عليها هو خلق للحضارة نفسها ، وادخال أقوال آخرين فى مجالها هو نشر لهذه الحضارة »[1] .

ان النظر الى الحضارة من هذا المنطلق انما ينبع من مفهوم مادى بحت بالدرجة الأولى ، وان تخللته بعض اللمسات الفكرية التى تتحدث عن الحق والجمال . وهو تقرير خاطىء لأنه أسقط من حسابه العنصر الرئيسى المسئول عن الوجود الانسانى نفسه ، وكل تقرير أسقط عنصرا من العناصر المؤثرة فى عملية ما يعتبر تقريرا خاطئا بلا جدال .

ان حضارة صنعها الانسان بهذا المفهوم ، لهى حضارة مقضى عليها بلا شك ، لأنها لم تتعد أن تكون **حضارة المتاع ...**

(١) نقله الى العربية : الدكتور ابراهيم أحمد العدوى ــ ص ١١

لقد نسى الانســان خالق الوجود ... **لقد نسى الاله .. !**

وماذا بقى بعد ذلك ، بل وأى معنى لوجوده ، اذن ، وفيم الكفاح؟!

ان الانسان لا يقف وحده ، فى هذا الكون ، كما ادعى **هكسلى** ، ومن سبقوه ، ومن جاءوا بعده ...

ان هناك : **الله ، والكون ، والانسان** ... وعلى الانسان أن يعى ذلك تماما ، والا فالحياة عبث ، والمصير ضياع وشقاء ...

ومن هنا كانت حضارة الاسلام مختلفة عن غيرها من الحضارات ، وحق لها أن تسمى باسم : **حضارة لا اله الا الله** ...

ونقطــة البــدء فيها أن يعلم الانســـان : **﴿ انه لا اله الا الله ﴾** .

(محمد : ١٩)

ومعنى هذا أن يتعامل الانسان مع الله مباشرة ، دون واسطة ما ، كائنا من كان ...

فرسول الله ليس واســطة بين الله وخلقه ، انمــا هو داع الى الله ومعلم منهجه ، ومبين محتواه ...

﴿ وما محمــد الا رســول قــد خلت من قبله الرســل ﴾ .

(آل عمران : ١٤٤)

ثم لنقرأ جيدا قول الحق هذا ، لنعلم كيف يدعو الله الانسان ـ كل انسان ســواء أكان : رجلا أو امرأة ، متحضرا مغرورا أو متخلفا لا يدرى من أمر دنياه شيئا ... يدعوه ليتعامل معه ـ سبحانه ـ مباشرة **وذلك على هدى منهجه** ، فيقول مخاطبا نبيه :

﴿ وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ، ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلنــاه نورا نهدى به من نشــاء من عبادنا ﴾

(الشورى : ٥٢)

آنذاك يضع الانسان عن كاهله أثقالا كاذبة ، تتمثل فى معتقدات خاطئة ، وخوف من قوى لا وجـود لها • ويفك أسـاراه وأغلاله التى قيدته بها تقاليد زائفة ، فينطلق نحو التقدم فى الحياة ، ويعمل من أجل تخفيف آلامها والاستمتاع بها وفق منهج الله ، فيحقق لنفسـه ولغيره الخير والأمن فى الدنيا والآخرة •

حضارة الاسـلام ، اذن ، **هى حضارة لا اله الا الله ، لأنهـا** تعلم الانسان الحق والخير والجمال ، وتدعوه الى التفكر والبحث والدراسة والابداع ، وتجعل تخفيف أعباء الحياة وتوفير **المتاع عبادة مثل** سـائر العبـادات •••

*

- **قالوا عن حضارة الاسلام :**

تقول العالمـة الألمـانية الدكتورة **سيجريد هونكه** عن حضـارة الاسلام التى قامت على **لا اله الا الله** ، كما علم بذلك محمد رسول الله: « لو أوصى محمـد كل مؤمن ، رجـلا كان أو امـرأة ، بطلب العلم ، وجعـل ذلك واجبـا دينيـا • فهـو الذى يقـول للمؤمنين : **اطلبوا العلم من المهد الى اللحد** • ويرشد أتباعه دائما الى هذا ، فيخبرهم بأن ثواب التعلم كثواب الصيام ، وأن ثواب تعليمه كثواب الصلاة •

وكان محمد يرى فى تعمق أتباعه فى دراسـة المخلوقات وعجائبها ، وسـيلة للتعرف على قدرة الخالق • وكان يرى أن المعرفة تنير الايمان ، مرددا عليهـم : **اطلبوا العلم ولو فى الصين** •

والرسول يطلب الى علوم كل الشعوب ، فالعلم يخـدم الدين • والمعرفة من الله وترجـع اليـه • لذلك فمن واجبهم أن يصـلوا اليها وينالوها ، أيا كان مصدرها ولو نطق بالعلم كافر •

وعلى النقيض تماما يتســاءل **بولس الرسول** مقرا : : **(ألم يصف الرب المعرفة الدنيوية بالغباوة) ؟ (١)** .

مفهومان مختلفان بل عالمــان منفصلان تماما ، حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر فى الشرق والغرب .

وبهذا اتسعت الهوة بين الحضــارة العربية الشامخة ، والمعرفــة السطحية المعاصرة فى أوروبا ، حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها .

ويعرف **القديس أوغسطينوس** محــور المعرفة قائلا : (أما الرب والروح فانى أبغى معرفتهما . فالبحث عن الحقيقة هو البحث عن الله ، وهذا لا يستدعى معونة من الخارج) . والمصدر الوحيد لتلك المعرفة هو **الكتاب المقدس** ، وقصة الخليقة تعطى كل ما يحتاجه المرء من معلومات عن السماء والأرض والجنس البشرى . وأما أن يكون هناك سكان على الوجه الآخر من الأرض ، فقد نفاه أوغسطينوس بشدة : (**الكتاب المقدس لم يذكر مثل هذا الجنس من سلالة آدم**) .

وأما ما يدعيه بعضهم من أن الأرض كروية فهو كفر وضــلال ، فمعلم الكنيسة **لاكتانتيوس** يتساءل مستنكرا : (**هل هذا من المعقول ؟! أيعقل أن يجن الناس الى هــذا الحد ، فيدخل فى عقولهم أن البــلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخــر من الأرض ، وان اقــدام النــاس تعلو رؤوسهم**) ؟! لقد كانت الأرض بالنسبة الى بعض الناس تلا تدور الشمس حوله ما بين الشروق والغروب ، وبالنسبة الى الآخرين مسطحا تحيط به المحيطات ..

ملعون من يقتنع أو يقبل الآن تفســيرا علميا لحوادث الطبيعة . خارج عن طاعة الرب من يشرح أسبابا طبيعية لبزوغ كوكب أو فيضان

---

(١) يقول بولس فى رسائله : « اختار الله جهال العالم ليخزى الحكماء .. واختار الله أدنياء العــالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود ... ان كان أحد يظن أنه حكيم بينكم فى هذا الدهر ، **فليصر جاهــلا لكى يصير حكيما . لأن حكمة هذا العالم هى جهالة عند الله** ، لأنه مكتوب الآخذ الحكماء بمكرهم . **وأيضا الرب يعلم أفكار الحكماء أنها باطلة** ــ الرسالة الأولى الى أهل كورنثوس ١ : ٢٧ ــ ٢٨ ، ٢ : ١٨ ــ ٢٠ » .

نهر ، بل لمن يعلل علميا شفاء قدم مكسورة أو اجهاض امرأة • فتلك كلها عقوبات من الله ، أو من الشيطان ، أو هى معجزات أكبر من أن ندرك كنهها !

ما وصلت اليه الكنيسة وكهنتها فى المجال الدينى ، لم يكن عامل انقاذ للحضارة بل كان عائقا لها • لقد كانت أمامهم الفرصة ، تماما كالعرب ، بل ان فرصتهم كانت أكبر فى أن يأخذوا التراث العظيم ويتطوروا به فى درجات السلم المرقى ••

لكن الفكر الاغريقى ظل بالنسبة اليهم غريبا على الدوام • فحوالى عام ٣٠٠ ميلادية علق **أسقف قيصرية اويزيبيوس** ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من الاسكندرية قائلا : (ان موقفنا هذا ليس جهلا بالأشياء التى تعطونها أتتم كل هذه القيمة ، **وانما لاحتقارنا لهذه الأعمال التى لا فائدة منها** • لهذا فاننا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع) •

ويظل هذا التفكير العقيم سائدا لا يتغير ، فيتحدث بمثل هذا فى القرن الثالث عشر ، القديس **توما الأكوينى** فيقول : **(ان المعرفة القليلة لأمور** سامية أجل قدرا من معرفة كبيرة موضوعها امور حقيرة) ••

ولقد بدت للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب التى تهتم **بالأمور الحقيرة** الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين • **ففى عام ١٢٠٦ نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد فى باريس رجال الدين بشدة الى عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية ، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر •**

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة ، وعاق كل بحث علمى ، **واجبر كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه على انكار ما قالوه من النظريات العلمية ، والا كان مصيرهم الحرق العلنى بالنار** لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الالهية •

ومن هنا فقط يتضح لنا تماما لماذا احتاجت الحضارة فى الغرب ألفا من السنين قبل أن تبدأ فى الازدهار تدريجيا ، مع أنها كانت لديها فرصة مناسبة لتبدأ قبل الحضارة العربية بقرنين أو ثلاثة ... وما ان انقضى قرن واحد من الزمان على الفتوحات الاسلامية حتى ازدهرت حضارة العرب وآتت أكلها مكتملة ناضجة ..

ان الاسلام لا يعرف وسيطا بين العبد والرب ، ولم يكن لديه على الأقل فى تلك الظروف الحاسمة طبقة من الكهنة ولا تنظيمات وسلطات عليا مشرفة . **وحيثما كانت المسيحية تطغى نتيجة لتسامح المسلمين ، كان ذلك دائما يؤدى الى كساد العلوم واهمالها . ولعل افناء الطبقة العلمية العليا على يد الأسبان والمغول ، هو خير برهان على ما نقول .**

كانت الاحتكاكات بين الآراء المختلفة قد منحت الحركة الفكرية حيوية دائمة ، وحمت الاسلام من الجمود وأجبرته على أن يسلح نفسه علميا ، وأن يتطور بالقوى العقلية وينهض بها من سباتها . وساعده على ذلك المطالب العديدة المنبثقة من شعائر الدين أو من الحياة اليومية للشعوب .

واجبات عديدة ومسئوليات جسيمة : فمعالجة المرضى ضرورية ، وحماية الملايين من سكان المدن الكبيرة من الأوبئة ، وامدادهم بالدواء الناجع يتطلب أبحاثا علمية دقيقة . وأدخلتهم حاجات تلك الملايين فى عالم الحيوان والنبات ليدرسوه وينهضوا به . فنظم رى الأرض ومسحها ، ورصدت الكواكب وحركاتها ، ونظمت الرحلات ، وأخذ كل شىء مكانه وزمنه اللازم له ...

ففى كل حقل من حقول الحياة صار الشعار للجميع : **تعلم وزد معارفك قدر امكانك وأينما استطعت** . وبأقدام ثابتة ونفوس مطمئنة ، تعرف حقها وتؤدى واجبها ، أقبل العرب على ما وجدوا من معارف ، فاغترفوا منها قدر جهدهم ، وما رأوا فيه نفعا لهم ..

لقد ذاقوا حلاوة العلم فازداد شوقهم الى البحث عنه ، ولم يعودوا يرضون بغير العلم والبحث بديلا . وبدأ نوع فريد فى التاريخ من طرق الكشف عن كنوز المعرفة ، خصصت له البعثات الضخمة والأموال الطائلة ، بل واستخدمت لأجله الوسائل الديبلوماسية ، وخدمته سياسة الدولة الخارجية ..

ولو أردنا دليلا آخر على مدى الهوة العميقة التى كانت تفصل الشرق عن الغرب ، لكفانا أن نعرف أن نسبة ٩٥٪ على الأقل من سكان الغرب فى القرون : التاسع ، والعاشر ، والحادى عشر ، والثانى عشر ، كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة .

وبينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه فى شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة ، وبينما أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة أو القراءة ، وفى الأديرة يندر بين الكهنة من يستطيع مسك القلم ، لدرجة أنه عام ١٢٩١ لم يكن فى دير جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط ـ بينما كان هذا كله يحدث فى الغرب ـ كانت آلاف مؤلفة من المدارس فى القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات ، يجلسون على سجادهم الصغير يكتبون بحبر يسيل الى السواد فوق ألواحهم الخشبية ، ويقرأون مقاطع من القرآن حتى يجيدوها ، ويجودون ذلك معا بلحن جميل عن ظهر قلب ، ثم يتقدمون خطوة تلو الأخرى فى المبادىء لقواعد اللغة .

وكان الدافع الى كل هذا هو رغبتهم الصادقة فى أن يكونوا مسلمين حقا كما يجب أن يكون المسلم . فلم يجبرهم أحد على ذلك ، بل اندفعوا اليه عن رغبة وايمان ، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن .

فالكتاب المقدس لا يجد الناس اليه سبيلا ، اذا استثنينا الكهنة

ورجال الدين ، فهم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته . ومنذ عام ٨٠٠ ميلادية لم يعد الشعب يفهم المواعظ الملقاة باللاتينية ، حتى ان مجلس رؤساء الكنائس المنعقد فى مدينة تور أوصى بوعظ الناس باللغة التى يتكلمون بها . ولم تكن هناك حاجة تدعو الشعب فى تلك العصور الى تعلم اللاتينية ، بل لم تكن هناك أية رغبة فى تعليم الشعب أو تثقيفه .

وعلى خلاف ذلك ، كان الحال فى العالم الاسلامى ، فقد اهتمت الدولة بتعليم الرعية . ولم تلبث أن جعلت من التربية واجبا ترعاه ، فالأطفال من مختلف الطبقات يتعلمون التعليم الأولى مقابل مبالغ ضئيلة يقدر على دفعها الناس دون مشقة . ومنذ بدأت الدولة تعين المعلمين للمدارس ، أمكن للفقراء أن يعلموا أولادهم مجانا .

بل ان بعض البلدان العربية ، مثل أسبانية ، قد جعلت التعليم للجميع مجانا . وقد افتتح الحكم الثانى حوالى عام ٩٦٥ م فى قرطبة سبعا وعشرين مدرسة لأبناء الفقراء ، بالاضافة الى المدارس الثمانى التى كانت فيها فعلا .

وفى القاهرة ، أنشأ المنصور قلاوون مدرسة لليتامى ملحقة بالمستشفى المنصورى ، ومنح كل طفل فيها ، يوميا ، رطلا من الخبز ، وثوبا للشتاء ، وآخر للصيف ..

وأنشأت الدولة المدارس العليا فى كافة المدن الكبيرة . وكان الطلبة يتناولون طعامهم مجانا ، بل ويتقاضون مرتبا صغيرا ، ويسكنون فى الأدوار العليا فى المدرسة دون مقابل . أما فى المهاجع فثمة المطبخ والمخازن والحمامات . وفى الطبقة الأرضية تلتف الفصول وقاعات المكتبة على شكل دائرى خلف ممرات مظلة تزينها الأعمدة ، وفى الوسط فناء فسيح تتوسطه نافورة ماء .

هنا يتعلم شباب العرب الطموح القرآن وقواعد اللغة والديانة والخطابة والأدب والتاريخ والجغرافية والمنطق والفلك والرياضة . ويساهم الطلاب فى المناقشات والمناظرات ، ويعيد معهم دروسهم مساعدون من طلبة الصفوف المتقدمة أو من الخريجين . وتبدو هذه المدارس كخلايا النحل الدائبة النشاط ، تخرج للجميع شهدا حلوا فيه شفاء للناس ، ولتقدم قادة للعلم والسياسة ..

أما الطريق الذى يسلكه الراغب فى تعلم فرع معين من العلوم ، والذى يرغب الطالب أن يقوم هو بتدريسه يوما من الأيام ، فكان يبدأ فى المساجد . فلم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب ، بل كانت منبرا للعلوم والمعارف ، كما ارتفعت فيها كلمات الرسول فوق مجد التدين الأعمى . ألم يقل محمد أقوالا ، كان يكفى لأن يقولها فى رومة حتى يحاكم عليها بتهمة الهرطقة . أو ليس هو القائل : بأن حبر الطالب أقدس من دم الشهيد ؟!

وحول أعمدة الجامع كان يجلس الأستاذ ويلتف حوله طلبته ، حلقة أبوابها مفتوحة لمن يشاء ، رجلا كان أو امرأة ، ولكل الحق فى سؤال الأستاذ أو مقاطعته معارضا . وكان هذا النظام أكبر دافع للأساتذة يدفعهم دائما للاعداد المتقن لدروسهم والتعمق فيها ..

وحول أعمدة المساجد أتيحت للطلاب دائما فرصة الاستماع الى الأساتذة الزائرين من كل أنحاء العالم العربى المترامى الأطراف .. سواء أكان هؤلاء العلماء فى طريقهم الى الحج أو مسافرين خصيصا لهذا الغرض ، يجوبون أنحاء العالم الاسلامى من سواحل بحر قزوين الى سواحل الأطلسى ، ومنهم المؤرخون والجغرافيون ، ومنهم علماء الحيوان والنبات والباحثون فى تراث الأدب القديم ..

لقد قدم العرب ، بجامعاتهم التى بدأت تزدهر منذ القرن التاسع ،

والتى جذبت اليها منذ عهد البابا سلفستر الثانى عددا من الغربيين من جانبى جبال البرانس ، ظل يتزايد حتى صار تيارا فكريا دائما ، فقدم العرب بها للغرب نموذجا حيا لاعداد المتعلمين لمهن الحياة العامة وللبحث العلمى .

لقد قدمت تلك الجامعات ــ بدرجاتها العلمية ، وتقسيمها الى كليات ، واهتمامها بطرق التدريس ــ للغرب أروع الأمثال ، ولم تقدم هذا المظهر فقط ، بل وفرت له كذلك اللباب : مادة الدراسة ››(١) .

* *

واذا كان الكتاب يقرأ من عنوانه ، كما يقال دائما ، فان ما سطره الدكتور **لويس يونج** فى مقدمة كتابه : العرب وأوروبا ، لكفيل باعطاء فكرة معقولة عن محتوى هذا الكتاب .

يقول لويس يونج : « قصة التفاعل بين حضارتى العرب وأوروبا معقدة وشائكة وطويلة : وهى اذ تبدو قصة فتوحات واعادة فتوحات ، فانها تأخذ أحيانا أشكال مبادلات ثقافية متناوبة ، أخذا وعطاء .

ونحن حينما نسلم اليوم أن آسيا وافريقيا تتمثلان أوروبا قدوة لهما، **يجب الا ننسى الوجه الآخر للصورة فى العصور الوسطى ، عندما عكفت أوروبا على علوم العرب من طب وفلسفة وطبيعة ، واستمر ذلك لفترة طويلة.** حتى اذا كان القرن الثامن عشر قبست منهم نار الرومانطيقية ، **وفى القرن التاسع عشر سلبتهم أراضيهم ، ثم بترولهم فى القرن العشرين .**

وعلى الرغم من سجل أوروبا الطافح بالتزمت الفكرى واللا تسامح الدينى ، على النقيض من المسلمين ، فانها ظلت ترفض الاعتراف بما

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٣٦٩ ــ ٣٧٤ ، ٣٩٣ــ٣٩٨
[كان من الأفضل أن يكون عنوان هذا الكتاب : شمس الله تسطع على الغرب ، حيث انه فى أصله الألمانى :

ALLAHS SONNE UBER DEM ABENDLAND]

للعرب من يد طولى على حضارتها ، وتتجاهل دورهم الحضارى وتقلل من شـــأنه .

لقد هول المؤرخون الأوربيون فى وصفهم الفتوحات الاســلامية فى أوروبا خــلال العصــور الوســطى ومدى تهديدها للدين المسيحى ، **بينما تغافلوا عن ظاهرة انتكاس الحضارة فى البلدان التى أجلى العرب عنها . وما اسبانيا والبرتغال وصقلية الا أمثلة لذلك .**

ففى أسبانيا يسود التعصب الدينى وتعذيب الحيوانات كمشــهد مألوف . وفى البرتغال أعلى نسبة للأمية فى أوروبا ، وفى صقلية عصابة المــافيا السيئة السمعة .

ما الذى تركته حضارة العرب والمسلمين فى أوروبا ؟

لقد تركت بصماتها على جميع المستويات ، ابتداء بالفولكلور ، كراقصى الموريش الانكليز الذين هم فى الحقيقة قناع لراقصى البربر ، وانتهاء بالعلوم حيث يستخدم ملاحو الفضاء اصطلاحات عربية مثل : السمت ، وسمت الرأس . وهناك فى خرائط القمر أكثر من موقع أطلق عليها أسماء لبعض العلماء العرب : كالزركلى والبتانى وأبى الفداء .

ان أشياء كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلمها من الحضارة الاسلامية، منهــا نظرة العرب المتســامحة وعـــدم تمييزهم فروق الدين والعرق واللون .

وسوف أحاول فى الصفحات التاليــة أن أقدم الخطوط العريضــة للتاريخ العربى والمجتمع الاسلامى ، وما أرســاه العرب من أسس أولا . كما سأشير ، ثانيا ، الى أهم الطرق والأساليب التى أثرت بواســطتها حضارة العرب فى الحضارة الأوروبية ، وكيف أثرت أوروبا بدورها فى الحضارة العربية »[1] .

*

(١) العرب وأوروبا : ص ٩ — ١٠

ويحدثنا **موريس لومبار** فى كتابه **« الاسلام فى فجر عظمته »** عن تأثير الفتوحات الاسلامية على تحضير الغرب وانطلاقه نحو الحضارة ، فيقول :

« لم يترافق الفتح بالتخريب مطلقا ، فلم تحرق المدن ولم تنهب .. وبالنسبة للقسم الغربى ، فكان تجددا حقيقيا ..

اننا نعتقد بالواقع أن الغرب استأنف التماس بالحضارات الشرقية ، وعبرها بالحركات العالمية الكبرى للتجارة والثقافة ، بفضل الفتح الاسلامى . وفى حين أن الغزوات البربرية الكبرى فى القرنين الرابع والخامس أدت الى التقهقر الاقتصادى للغرب ، فقد جلب قيام الامبراطورية الاسلامية الجديدة لهذا الغرب نفسه تطورا مدهشا .

واذا كانت الغزوات الجرمانية قد عجلت بانحطاط الغرب ، فان الفتوحات الاسلامية كانت حافزا على انطلاق حضارته »(١) .

*

وهكذا يعترف أهل العلم والفضل من مختلف شعوب أوروبا ، كالألمان والانجليز والفرنسيين ، بفضل حضارة الاسلام وأثرها فى بناء الحضارة الأوربية الحديثة . وهو فضل لا ينكره الا جاهل أو متعصب .

* *

● **تحرير النساء :**

تقول **سيجريد هونكه** : « ان الحلى التى يقدمها الأوروبى لحبيبته أو لزوجة صديقه أو رئيسه ، سواء أكانت ماسا أصليا أو زجاجا مصقولا ، هى عادة استوردت من الشرق ويمارسها الناس كل يوم ولا يعرفون لها مصدرا . وتمر السنون ، والحلى تلك ما زالت تتنوع

---

(١) الاسلام فى فجر عظمته : ص ١٢

وتتغير ، ولكنها لم تفقد قوتها السحرية فى جذب قلوب النساء حتى ولو كنا نعيش فى القرن العشرين ..

وقد تعارض هذا الاتجاه العربى فى تكريم المرأة أيضا مع ما كان سائدا فى دول البحر الأبيض ..

وعارض الكتاب المقدس أيضا ذلك المسلك العربى ، ونص على أن الرجل سيد المرأة ، ونشطت الكنيسة تحارب كل الأفكار المخالفة ، وتعمل كل ما فى وسعها لابقاء المرأة تحت سيطرة الرجل ، تبعا لمشيئة الرب.

وعلى الرغم من هذا ، فقد قاوم العرب كل التيارات المعادية واستطاعوا القضاء على هذا العداء للمرأة ، وجعلوا من منهجهم مثالا احتذاه الغرب ولا يملك الآن منه فكاكا ..

ولكن ، أو ليس هذا نوعا من المبالغة ؟ وهل يعقل هذا الكلام ؟! ثم ألم تعش نساء العرب منذ زمن بعيد مقيدات مظلومات لا يتمتعن بحقوقهن ؟ ألم نسمع بالحريم كالسجن يملك فيه الرجل عددا كبيرا منهن ويقيم عليهن الحراس ؟ ألم تسمع بنساء يزوجن دون أن يستشرن ؟ وتكفى بضع كلمات يتفوه بها الرجل وقتما شاء لتصبح المرأة طالقا تعود الى عائلتها دون أى ذنب ، والدين لا يمنع هذا ؟ ...

أين هى الحقيقة فى كل هذا ؟ وما هو مركز المرأة فى المجتمع ؟ ... الم تكن خديجة زوج النبى الأولى ، التى عاش معها أربعة وعشرين عاما وانجب منها ستة اطفال ، أرملة لها شخصيتها ومالها ومكانتها الرفيعة فى مجتمعها ؟ لقد كانت خديجة نموذجا لشريفات العرب ، أجاز لها الرسول أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماما .

وسار الركب وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقين المحاضرات فى المساجد ويفسرن احكام الدين . فكانت السيدة تنهى دراستها

على يد كبار العلماء ، ثم تنال منهم تصريحا لتدرس هى بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشيخة . كما لمعت بينهن أديبات وشاعرات ، والناس لا ترى فى ذلك غضاضة أو خروجا على التقاليد .

أن النساء فى صدر الاسلام لم يكن مظلومات أو مقيدات ، ولكن هل دام هـذا طويلا ؟

لقد هبت على قصور العباسيين رياح جديدة قدمت من الشمال فغيرت الأوضاع ، وقدم الحريم والحجاب مع الجاريات الفارسيات واليونانيات اللاتى كن محظيات للخلفاء وأمهات لأولادهم ..

والاسلام برىء من كل ما حدث ، والرسول لم يامر قط بحجب النساء عن المجتمع . لقد أمر المؤمنين من الرجال والنساء على حد سواء بأن يغضوا الطرف ، وأن يحافظوا على أعراضهم . وأمر النساء بألا تظهرن من أجسادهن الا ما لا بد من ظهوره ، والا يظهرن محاسن أجسادهن الا فى حضرة أزواجهن ..

لقد شرعت القصور تعزل النساء فى الحريم على غرار ما تعوده الفرس ، وبدأ استيراد الخصيان لخدمتهن كما كان عليه الحال فى بيزنطة قديما . وأصبح حجب النساء عن المجتمع وعدم مغادرتهن لبيوتهن مظهرا من مظاهر الأبهة والثراء »(١) .

* *

● **وتحرير الشعوب :**

يقول **موريس لومبار** فى حديثه عن الفتوحات الاسلامية : « كيف يمكن شرح سهولة الفتح وسرعته ، خاصة اذا نفذ بعدد قليل جدا من الفاتحين ؟

---

(١) شمس العرب تسطع على الغرب : ص ٤٦٧ ــ ٤٧١

لقد كان للعرب فى حقيقة الأمر كل الفرص الموانيــة **ليستقبلوا كمحررين من قبل السكان القدماء** للعالم الســامى فى ســوريا وما بين النهرين ومصر • ففضلا عن القرابة العرقية واللغوية التى تربط بعضـا من هذه الشعوب بالعرب ، فانها كانت تخضع منذ زمن طويل الى روما ثم بيزنطــة فى الغرب ، والى الامبراطورية الفارســية الساســانية فى الشرق • لقد كانت هذه الشعوب بحالة انتفاضــة دائمة ضــد ادارة القسطنطينية والمدائن •

وكانت هذه الانتفاضة كما هى العادة فى الشرق دينية فى ظاهرها ، بينما هى فى حقيقتها ذات أســـاس اجتمــاعى • كان الملك البيزنطى مزعزعا بصراع الهرطقات ، فالنسطورية واليعقوبيــة على الخصــوص تتعارضان مع الأرثوذكسية الحاكمة •

وفى ظل الدولة الساسانية ، تطورت المانوية والمسيحية واليهودية ، وكلها معتقدات ضد الدين الرسمى أى المزدكية •

وفى منازع الاسلام الى الديمقراطية ، ودعوته الى المساواة ، وعالمية رسالته ، وجدت حركات الثورة الاجتماعية والدينية جوابا على مطالبها ، ومن هنــا أتت ــ جزئيا على الأقل ــ ســهولة الفتح • ودفع التطلع الى النظام والسلام سكان المدن ايضا لأن ينضموا الى الفاتح الذى كانوا ينتظرون منه حماية ضد الفوضى والنهب ••

ومما سهل العلاقات مع سكان البلاد المفتوحة فى كل الحالات ، تسامح الفاتحين ، وبعــدهم عن التعصب الدينى •• وهكذا فلا اكراه ولا اضطهاد ، بل كان مطلبهم الوحيد هو النظام الضريبى •• كان الفتح سريعا جدا حتى انه تم دون فواصل أو انقطاع »[1] •

*

(١) الاسلام فى فجر عظمته : ص ٩ ــ ١٠

ويقول الدكتور **فيليب حتى** « لو قام فى الثلث الأول من القرن السابع الميلادى أحد وتكهن بأن دولة خامدة الذكر وضيعة الجانب ، تخرج من مجاهل جزيرة العرب ، ثم تنقض على الدولتين العظيمتين المعروفتين ، فتقوض الدولة الواحدة ـ دولة آل ساسان ـ وتظفر بأملاكها ، ثم تقطع من ولايات الثانية ـ بيزنطة ـ أزهى مقاطعاتها ، **نقول لو صدرت مثل هذه النبوءة من فم انسان ذلك العصر لحكم عليه بالجنون .**

والواقع أن هذا ما حدث فعلا ، . فبعد الرسول تغيرت طبيعة بلاد العرب الجدباء ، وأخذت تنشىء أبطالا يندر وجود من يشاركهم فى أى صقع كان ، **فكأن أعجوبة حلت فيها ..**

ان عظمة الجيش العربى لم تقم على قوة السلاح أو جودة التنظيم ، **بل كان ثمرة القوة المعنوية الروحية التى كان الايمان والدين عززاها فى نفسه ..**

لقد جاء الاسلام مهيبا بالشرق الى النهوض من كبوته ، بعد ألف سنة اجتاحته فيها سطوة الغريب .. **ولقد انفتح امام الأمم المغلوبة باب الحرية ، فصاروا يمارسون عقائد أديانهم دون ازعاج »(١) .**

*

ويقول **جوزيف رينو** فى كتابه « **الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا** ، كوسيلة من وسائل نقل الحضارة » : « عندما استقر المسلمون فى القرن التاسع الميلادى فى بروفانس وفى دوفيني وسافواى ، وفى سويسرا ، **كانوا قد قطعوا أشواطا فى العلوم والفنون ، ويتقدمون بطريقة عجيبة . ومما لا جدال فيه ان مسلمى الأندلس وصقلية ، ومسلمى افريقيا الشمالية ، كانوا أكثر تقدما من سكان فرنسا والبلدان المجاورة ، حيث كانت هذه البلدان كلها تعانى من الفوضى ومن كل انواع البؤس التى تلازمها .**

---

(١) تاريخ العرب : تأليف الدكتور فيليب حتى وآخرين ـ جامعة برنستون ـ ص ١٩٣ ، ٢٣١

فمن ذا الذى لم يسمع بعظمة مسجد قرطبة ، ومن ذا الذى يجهل ما شيده المسلمون من الجسور ، وما شقوه من الأنهار والقنوات لرى الأرض ، وما شيدوه من الآثار العظيمة فى الأندلس ابتداء من النصف الثانى للقرن الثامن الهجرى ؟!

وعظمة المسلمين وتفوقهم لا تتجلى فى الفنون وحدها ، حيث ان عبقريتهم قد برزت فى العلوم أيضا ـ العلوم التى لا يمكن أن تقوم دعائم حضارة بدونها . فقد كان العرب يملكون ذخائر علوم الأولين وكنوزهم ، وكانوا قد ترجموا الى العربية كتب أرسطو وأبقراط وجالينوس ودسقوريدس وبطليموس وغيرهم ، وأضافوا مساهمات ثمينة الى ما اكتشفه الأولون .

وهكذا ، فقد كان تفوق العرب حقيقة لا مراء فيها ، ويعترف بها المسيحيون أنفسهم .

وقد حفظ لنا التاريخ قصة شانجة (Sanche) ملك ليون الذى طلب اذنا من عبد الرحمن الثالث ، عندما أصيب بمرض عضال فى سنة ٩٦٠ م ، ليقصد قرطبة ملتمسا الاستشفاء على يد الأطباء المسلمين . ويضيف المؤرخون أن شانجة قد وجد عند هؤلاء العناية ، وفى علمهم المساعدة التى كان ينشدها . وقد ظل طوال حياته يذكر الحفاوة التى قوبل بها والاهتمام الذى أحيط به .

وفى غضون تلك الفترة نفسها ، كان قسيس اسمه جيربر (Gerbert). قدر له أن يصبح البابا سيلفستر الثانى (Sylvester) قد قصد الى الأندلس ليطلب العلوم الطبيعية والرياضية . وقد حصل من تلك العلوم وغيرها حظا عظيما ، بحيث اعتبرته عامة الناس فى فرنسا ساحرا .

على أن عددا صغيرا من الفرنسيين استطاع الاغتراف من معين الثقافة والعلوم العربية فى الأندلس ، فى الوقت الذى ظلت فيه الجماهير غارقة فى ظلمات الجهالة فى فرنسا ..

ان نشر النفوذ الحضارى العربى الحقيقى فى فرنسا والبلاد المجاورة لها ، فقد بدأ بعد ذلك ، أى ابتداء من القرن الثانى عشر الميلادى ، ولا سيما فى أعقاب الحروب الصليبية ، وبعد الاحتكاك الذى وقع بين الاسلام والمسيحية ، والشعوب الشرقية والشعوب الغربية التى من بينها الشعوب الفرنسية والانجليزية والألمانية ـ تلك الشعوب التى بدأت تخرج من سباتها العميق ، وشرعت فى ابداء رغبتها فى الاستفادة مما حققته الحضارة العربية من التقدم .

كانت العلوم اليونانية فى ذلك الوقت قد انمحت من أوروبا ، ولكنها كانت مترجمة ومحفوظة عند العرب . وكذلك اتجه المسيحيون من فرنسا والبلدان المجاورة لها الى أسبانيا ليتعلموا تلك العلوم بالعربية ، لينقلوها الى اللغة اللاتينية التى كانت يومئذ لغة العلم فى أوروبا . وهذه الكتب المترجمة هى التى ستدرس فى الجامعات الأوروبية حتى القرن الخامس عشر ..

سوف لا نتوقف لدرس مختلف الأشياء المحفوظة بعناية فى فرنسا والتى يرجع تاريخها الى العهد العربى . وهذه الآثار تتكون ، خصوصا ، من أقمشة الحرير ، وصناديق العاج أو الفضة ، وكئوس البللور وأسلحة ... الخ . وجزء كبير من هذه التحف لا يزال محفوظا فى الكنائس ولدى الهواة لجمع التحف الأثرية ..

وقد قيل ان القمح الأسود الذى يسمى قمح السارازين ، والذى يمثل فى القرن التاسع أهم المنتجات الزراعية فى فرنسا ، هو من أصل فارسى ، وقد انتقل من هناك الى مصر ، وسار مع الفاتحين على طول شواطىء افريقيا الشمالية ، قبل أن يعبر مضيق جبل طارق الى الأندلس ، ويصل من هناك الى فرنسا ..

ويعزى الى العرب الذين استقروا فى بروفانس استغلال شجر البلوط فى الغابة الكثيفة التى احتفظت بعدهم باسم : غابة المغاربة

(La Forêt des Maures) • وشجر البلوط كان يربى فى كتالونية منذ وقت طويل ، ويمثل فى الوقت الحاضر الثروة الأساسية للبلد •

وكذلك كان العرب يستخرجون القطران من أشــجار الصــنوبر والأرز ، ويحول الى زفت يجلفطون به المراكب • **ولهذا السبب ، فان سكان بروفانس لا يسمون الزفت : جودرون** (Goudron) ، **بل يسمونه : قطران** (Guitra) ، **وهى كلمة عربية** .

كذلك يعزى الى العرب تحسين سلالة الخيول فى جنوب فرنسا ، ولا سيما فى مقاطعة كمارج (Camargue) ، وذلك بتهجين الخيول المحلية بخيول الأندلس ••

لقد ظل الناس فى فرنسا والبلدان المجاورة لها ، أجيالا طويلة ، وهم لا يفكرون الا فى عظمة الفكر الاسلامى ، وفى قوة المسلمين واتســاع آفاق فتوحاتهم ••

وكذلك كان الرأى العام يعزو الى العرب كل ما هو عظيم وضخم من المنجزات العمرانية ••

لقد جاء المسلمون الى فرنسا قبل النورمانديين والهنغاريين ، وقد استمر وجودهم فيها ، بعد غارات هؤلاء وأولئك • والفتوحات الاسلامية **كانت تكتسى طابعا من الجلال والعظمة بحيث لا يمكن أن يقرأ انســان اخبارها اذ يسمع رواياتها دون أن تهتز نفسه لها . فعلى عكس النورمانديين والهنغاريين ، كان المسلمون ، أجيالا طويلة ، فى طليعة قافلة الحضــارة فى العــالم »**(١) •

*

لقد ذكر **جوزيف رينو** ما ذكره الناس فى فرنسا عن **البابا سلفستر الثــانى** ، الذى درس العلوم الطبيعية والرياضية على يد المســلمين فى

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا : ص ٢٥١ ـ ٢٥٦ ، ٢٦٤ ـ ٢٦٥

الأندلس ، اذ اعتبروه ساحرا ، وخاصة عندما كان يدهشهم بتجاربه فى الكيمياء والفيزياء •

أما **لويس يونج** ، فانه يعطى تفصيلا عن الفكر الأوروبى فى ذلك الوقت ، والذى استمر حتى القرن السابع عشر ، لا يملك الا أن يعزو كل ما كان يجهله الى الشيطان وألاعيبه • وما جنون ظاهرة تعقب النساء المتشيطنات ببعيد •

يقول **يونج** : « لقد أغنى الرياضيون العرب العالم بالمعرفة فى جميع المجالات ، وبخاصة الأفكار والملاحظات الرياضية •

وأحد أوائل الأوربيين الذى أخذوا بالأرقام العربية كان **جربرت** ، الذى أصبح فيما بعد (فى عام ٩٩٩ م) **البابا سيلفستر الثانى** (ولد ٩٤٥ ــ وتوفى ١٠٠٣م) • سافر جربرت هذا بين عامى (٩٦٧ ــ ٩٧٠م) الى أسبانيا ، حيث درس العلوم ، وألف بعد ذلك كتابا يشرح فيه كيفية استخدام الأرقام العربية •

الا أن أوروبا لم تلق بالا الى هذا النظام الجديد • بل كان ينظر الى جربرت بعين الشك ، لأنه درس على يد العرب فى أسبانيا ، وعلى المستوى الشعبى كان يشك فى أنه يمارس السحر •

ولقد رويت عنه كثير من الروايات الخارقة • فقيل انه كان يغادر الدير ليلا ، ويطير فى الهواء الى اسبانيا حيث يدرس الفلك والفنون السحرية ، ثم يعود الى حجرته قبل بزوغ الفجر •

كما كان يظن بانه تعلم احضار الأرواح من جهنم ، وانه يحتفظ بكتاب سحر حصل عليه بالمكر والخديعة من ساحر عجوز ، وانه رهن روحه للشيطان لكى يحميه من انتقام هذا الساحر العجوز •

وبعد فترة طويلة من الزمن تبنت أوروبا الأرقام العربية ، نتيجة

أعمال ليوناردو فيبوناتشى من بيزا ، الذى توفى عام ١٢٤٠ م . وكان فيبوناتشى رياضيا ، **درس الرياضيات على يد معلم عربى ، فى شمال افريقيا** ، وأصدر كتابا يشرح فيه نظام الأرقام العربية عام١٢٠٢م ، وكان ذلك بداية تبنى أوروبا للأرقام العربية ، وبداية لعلم الرياضيات الأوروبى »[1] .

*

اما بعد ...

لقد علم المسيح بنى اسرائيل أن يبحثوا بوعى وتبصر ما فى بطون الكتب ، فستجدون فيها شهادات وتنبؤات ، اذ قال : « **فتشوا الكتب** ــ انجيل يوحنا ٥ : ٣٩ » .

وهذا الذى يراه الناظر فى التاريخ القديم ، يثير العجب والانبهار حقا ، حين يطل خلال تلك الحقبة من الزمن ، فيرى أبناء الصحراء وقد خرجوا الى العالم ، شرقا وغربا ، يعلنون : لا اله الا الله ، ويقيمون حضارة زاهرة تشع أنوارها هنا وهناك ، فينهل منها الظامئون الى العلم والايمان ، ويصد عنها الآخرون : ﴿ **استكبارا فى الأرض ومكر السىء ، ولا يحيق المكر السىء الا بأهله** ﴾ (فاطر : ٤٣) .

وفى هؤلاء الأخيرين ، قال مفكر مسيحى هو الدكتور **نظمى لوقا** قولة حق ، وحكمة ترددها الألسنة عبر القرون :

من يغلق عينيه دون النور ، يضير عينيه ولا يضير النور .

ومن يغلق عقله وضميره دون الحق ، يضير عقله وضميره ولا يضير الحق .

فالنور منيفة للرائى لا للمصباح ، والحق منفعة واحسان الى المهتدى به لا الى الهادى اليه .

---

(١) العرب وأوروبا : ص ١٢٥

وما من آفة تهدر العقول البشرية كما يهدرها التعصب الذميم الذى يفرض على أذهان أصحابه وسراؤهم ما هو أسوأ من العمى لذى البصر ، ومن الصمم لذى السمع • لأن الأعمى قد يبقى بعد فقدان البصر انسانا ، والأصم قد يبقى بعد فقدان السمع انسانا ••• أما من اختلت موازين عقله أو موازين وجدانه ، حتى ما يميز الخبيث من الطيب ، فذلك ليس بانسان ، بالمعنى المقصود من كلمة انسان »[1] •

وحين نفتش أسفار **الكتاب المقدس** ، **نجد** أن هذا الذى طلع به أبناء الصحراء على العالم ، **انما كان تحقيقا لنبوءة هتف بها اشعيا النبى فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد** ـ وخاصة فى الاصحاح الثانى والأربعين من السفر الذى يحمل اسمه ، فقال فى النبى العربى وقومه وتابعيه :

١ ـ يشتهر هذا النبى المنتظر بلقب : عبد الله ورسوله : « هوذا عبدى الذى أعضده ، مختارى الذى سرت به نفسى • وضعت روحى عليه فيخرج الحق للأمم » •

وقد اشتهر محمد نبى الاسلام بأنه : عبد الله ورسوله ، فتلك بداية الاسلام لكل مؤمن ، يعرفها الصغير قبل الكبير ، ويرددها المسلم كل يوم فى صلاته المكتوبة تسع مرات على الأقل حين يقرأ التشهد ، اضافة لما يقوله فى صلواته الأخرى من السنن والنوافل •

والحق يقول فى القرآن :

﴿ الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا ﴾
(الكهف : ١)

﴿ وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين ﴾
(البقرة : ٢٣)

---

(١) محمد الرسالة والرسول : ص ٢٥

ومما يندى له الجبين خزيا وأسى ، تلك المقولات الكاذبة التى ظلت ترددها الكنيسة طوال القرون الوسطى ، ولا يزال صـداها يتردد الى الآن ، وهو أن المسلمين يعبدون محمدا ... أى جهل أحمق من هذا ؟!

لكنه التزوير المتعمد ، وطمس الحقائق عن عيون الشعوب ، حتى لا يفيقوا ذات يوم ويميزون الخبيث من الطيب .

يقول **جوزيف رينو** عن جهل الفكر الأوروبى والخرافات التى امتلأت بها عقول الأوروبيين ، فى القرون الوسطى ، عن الاسـلام والمسلمين :

« ان الكتاب المسيحيين فى العصـور الوسطى كانوا يطلقون على جميع فئات الغزاة المسلمين اسم : **الوثنيين** . وهذه عقيـدة أبعد عن الوثنية من الاسلام الذى حطم الأصنام .

والواقع أن الاسلام ينادى بعباده اله واحـد لا شريك له ، خالق السموات والأرض . ولشدة استفظاع الاسلام للوثنية ، فانه يمنع تصوير كل ما هو حى ..

وقد زعم كاتب التاريخ المنسـوب الى رئيس **أساقفة تورين** ، أنه يوجد فى الأندلس على شاطىء البحر ، فوق عمود شديد الارتفاع ، **صنم من البرونز صنعه محمد بنفسه ، ويعبده المسلمون !**

كذلك ادعى **فيلومين** فى تاريخه القصصى حول غزوة شارلمـان لمقاطعة لانجدوك ، **أنه كان يوجـد تمثـال لمحمـد مصنوع من فضـة مذهبة فى مدينة اربونة** ، وضع فى معبد أثناء احتلال المسلمين لهـذه المدينـة ..

وقد جاء فى القصيدة الفرنسية التى تروى **أعمال** البطولة التى قام بهـا رولان ، أن سكان سرقسطة المسلمين **وقع اختيارهم على مغارة لتكون معبد آلهتهم** ، وأنهم نصـبوا فى هذه المغارة تمثالا من الذهب

فى يده صولجان وعلى رأسه تاج . وادعى الكاتب أن المسلمين يجتمعون فى هذه المغارة حينما يريدون أن يطلبوا رضا الله .

واسم تيرفاجنت الذى يحرف أحيانا الى تيرماجنت ، يتردد كثيرا مع اسم أبولين ، فى الروايات الخيالية الفرنسية القديمة وفى غيرها من كتب الأدب . **وهذه الأسماء يدعى أنها آلهة اسلامية** . وهذه الادعاءات والمزاعم تكثر ، خصوصا ، **فى مسرحية سانت نيكولاس** التى تحتوى على تمثال نصفى متوج أطلق عليه اسم محمد .

فيالسخرية القدر ، والجهل الأعمى بالاسلام ! فان هؤلاء الكتاب والأدباء يجهلون أنه عندما فتح **محمود الغزنوى** الهند فى سنة ١٠٢٥ م (٤١٦ هـ) ، حطم جميع أصنام الهند الكثيرة فيما عدا صنم واحد عرض عليه السكان شراءه بوزنه ذهبا ، ورفض عرضهم مفضلا وضعه عند عتبة باب العاصمة الرئيسى ، لكى يدوس عليه ويبصق عليه كل داخل الى العاصمة وكل خارج منها .

ما هو السبب الذى دفع آباءنا الى هذا الوهم والخطا ، يا ترى ؟

ذهب بعض العلماء الى أن النورمانديين وغيرهم من الشعوب الوثنية ، كانوا ضمن الشعوب التى كان يشملها اسم : **سارازين** ، وبالتالى ، فان موطن أسماء مثل : تيرفاجنت وأبولين وغيرها هى البلاد الشمالية ، الذين كانوا يعبدون الأوثان .

وهكذا خلط العامة بين المسلمين وهذه الشعوب بصورة مخجلة »(١).

*

ولنكمل الآن ، استعراض نبوءة أشعياء ، فنجدها تقول :

٢ ـ يسود الدين وتكتمل الشريعة التى جاء بها فى عهده ، لا من بعده:
« لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته » .

ولقد وعد الله نبى الاسلام أن يتم الأمر الذى جاء به ، فقال :

---

(١) الفتوحات الاسلامية فى فرنسا : ص ٢٢١ ـ ٢٢٣

﴿ يريدون ان يطفئوا نـور الله بافواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ (التوبة : ٣٢) .

ولقـد أكمـل الله الدين فى حيـاة النبى حتى اذا توفـاه الله ترك الأمـة الاسـلامية على المحجـة البيضـاء ليلهـا كنهارها . لقد اكتمل الدين ونزل القرآن يقول :

﴿ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون ، اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسـلام دينـا ﴾ (المـائدة : ٣)

*

٣ ــ يعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلا : ((انا الرب قـد دعـوتك بالبر فامسـك بيـدك وأحفظك وأجعلك عهـدا للشعب ونورا للأمم)) .

ولقد طمأن الله نبى الاسلام ألا يلتفت الى مؤامرات الكائدين له ، فالله عاصمه من الناس حتى يبلغ الأمر غايته . ولقد نزل القرآن ليعلن هذا التحدى على رؤوس الأشهاد :

﴿ يـا أيهـا الرسـول بلغ مـا أنزل اليـك من ربك ، وان لم تفعـل فمـا بـلغت رسـالته ، والله يعصـمك من النـاس ﴾ (المـائدة : ٦٧)

٤ ــ ينتسب النبى الى اسماعيل بن ابراهيم : ((لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التى سكنها قيدار)) . وقيـدار هذا هو الابن الثانى لاسماعيل (تكوين ٢٥ : ١٣) .

*

٥ ــ الشعب الذى ظهر فيه عبدة أوثان ، أصحاب أصنام : ((يخزى خزيا المتكلون على المنحوتات القائلون للمسبوكات أنتن آلهتنا)) .

٦ ـ رجل حروب مقدام ينتصر على اعدائه : « الرب كالجبار يخرج ، كرجل حروب ينهض غيرته ، يهتف ويصرخ ويقوى على أعدائه » .

ولقد سجل القرآن المعارك الكبرى فى الاسلام وكان النبى هو القائد والمخطط والمحارب حين البأس :

﴿واذ غدوت من أهلك تبوىء المؤمنين مقاعد للقتال ، والله سميع عليم﴾ (آل عمران : ١٢١) .

﴿ فقاتل فى سبيل الله لا تكلف الا نفسك ، وحرض المؤمنين ، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا ، والله أشد بأسا وأشد تنكيلا ﴾ (النساء : ٨٤)

ان هذا أمر اختص به أولوا العزم من الأنبياء والمجاهدين . ولقد كان ذلك أمر موسى بعد أن خرج ببنى اسرائيل من مصر ، وانتهت مرحلة فى جهاده وبدأت مرحلة أخرى ، فآنذاك « كلم الرب موسى فى برية سيناء .. فى السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلا : احصوا كل جماعة بنى اسرائيل .. من ابن عشرين سنة فصاعدا ، كل خارج للحرب فى اسرائيل ، تحسبهم أنت وهارون حسب أجنادهم ويكون معكما رجل لكل سبط ، هو رأس لبيت آبائه » .

وجدير بالذكر أن رجل الحرب من الأسماء الحسنى التى تنسبها التوراة لله . فقد قال موسى وبنو اسرائيل فى تسبيحة لله شكرا بعد نجاتهم من مطاردة فرعون وجنوده ، وغرق الأخيرين :

« هذا الهى فأمجده .. الرب رجل الحرب . الرب اسمه ـ خروج ١٥ : ٢ ـ ٣ » .

*

٧ ـ فى مناسك دينه هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير :

« من رؤوس الجبال ليهتفوا ، ليعطوا للرب مجدا ويخبروا بتسبيحه فى الجزائر » .

لقد بنى الاسلام على خمسة أعمدة خامسها الحج ، وفيه يعقد أكبر مؤتمر دينى عالمى سنويا بجبل عرفات ، وقد جعلت الوقفة بهذا الجبل ركن الحج الركين ، اذ قال نبى الاسلام : **« الحج عرفة » . فهناك يهتف الحجاج لله فوق جبال عرفات** ويسبحون ويكبرون ويهللون ويتضرعون بالدعوات وصالح العبادات ، وما أعظمه من نسك .

وفى الحج ـ يتجرد الانسان عن زخرف الحياة ومتعها ، اذ يحرم عليه ممارسة بعض ما اعتاده فى حياته الزوجية الصالحة مثل العلاقة الجنسية ، والتحلى بأفخر الثياب ، وعوامل الصخب والاثارة .

هناك يواجه الانسان الحقيقة بين يدى خالقه فيأتى هذه التجربة العظيمة طوعا فى الدنيا قبل أن يأتيها كرها فى الآخرة ، فآنذاك لا ينفع الندم ولا تجدى الحسرات .

﴿ الحج أشهر معلومات ، فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ، وما تفعلوا من خير يعلمه الله ، وتزودوا فان خير الزاد التقوى ، واتقون يا اولى الألباب . ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم ، فاذا افضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام ، واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ﴾

(البقرة : ١٩٧ ، ١٩٨)

*

٨ ـ الشعب الذى ظهر فيه كان متخلفا ضعيفا طعمة لكل آكل :

« شعب منهوب ومسلوب ، وقد اصطيد فى الحفر كله وفى بيوت الحبوس اختبأوا . صاروا نهبا ، ولا منقذ . وسلبا ، وليس يقول رد » .

ويقول القرآن : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ، وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم » (الجمعة : ٢ ـ ٤) .

*

٩ ـ ولكن بعد أن جاءهم النبى برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور : « لتفتح عيون العمى ، لتخرج من الحبس المأسورين ، من بيت السجن الجالسين فى الظلمة .

أسير العمى فى طريق لم يعرفوها . فى مسالك لم يدروها أمشيهم . أجعل الظلمة أمامهم نورا والمعوجات مستقيمة . هذه الأمور افعلها ولا أتركهم » .

ويقول القرآن : « آلر ، كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد » (ابراهيم : ١)

« فاتقوا الله يا أولى الألباب الذين آمنوا ، قد أنزل الله اليكم ذكرا . رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات الى النور » (الطلاق : ١٠ ـ ١١) .

ان تجربة الاسلام فى عرب الجزيرة العربية نموذج فريد فى التاريخ. وأذكر فى هذا المقام مقالة للمؤرخ الانجليزى **أرنولد** توينبى قال فيها : لكى ندرك ما فعله الاسلام بالعرب ـ بمقاييس العصر ـ تتصور دولة فى حجم كوبا تظهر فجأة ، ثم تستولى على نصف الولايات المتحدة الأمريكية وتخضع لها روسيا بأكملها .

ومن الواضح أن توينبى ضرب المثل بهاتين الدولتين الكبيرتين باعتبارهما القوتين الأعظم فى النصف الثانى من القرن العشرين ،

ويناظرهما في القرن السابع الميلادى : الامبراطورية الرومانية ، والامبراطورية الفارسية على الترتيب .

*

١٠ — هو نبى البر الذى يعظم شريعة الله :« **الرب قد سر من أجل بره ، يعظم الشريعة ويكرمها** » .

ان بر نبى الاسلام ورحمته بالناس جميعا أمر يشهد به الجميع حتى من غير المسلمين ، ومنهم عتاة تطاولوا على الاسلام ونبيه . **ولقد حدث أن مرت جنازة يهودى فوقف النبى ﷺ تكريما للأخوة الانسانية** ، فاذا ببعض الصحابة يقول له : انها ليهودى — وقد علم ما أصاب النبى والمسلمين من أذى على يد اليهود تمثل فى مؤمرات وفتن وحرب نفسية وحروب دموية — فأمسك عليه النبى اعتراضه قائلا : **أليست نفسا ؟ !** وصدق الله : « **وما ارسلناك الا رحمة للعالمين** » (الأنبياء : ١٠٧) .

* *

ولنراجع الآن نبوءة أشعيا هذه ، فنجدها تتعلق بثلاثة عناصر رئيسية هي : **النبى المنتظر** ، **والشعب الذى ظهر فيه** ، **والدين الذى جاء به** . فلهذا النبى شريعة تنتظرها الجزائر ، وهذا بالتأكيد يعنى شريعة جديدة غير شريعة موسى . بل ان هذا ما تنبأ به أشعيا فى موضع آخر من سفره ، اذ يقول وحى الرب على لسانه :

« **شريعة من عندى تخرج** ، وحقى أثبته نورا للشعوب . . **اياى ترجو الجزائر** ، وتنتظر ذراعى — اشعيا ٥١ : ٤ — ٥ » .

واذا جمعنا الأوصاف العامة والملامح الرئيسية لكل عنصر من عناصر نبوءة اشعيا ، وقرأناها معا لجاءت كالآتى :

عن النبى المنتظر :

يشتهر بلقب عبد الله ورسوله — وينتسب الى اسماعيل بن ابراهيم —

ويعصمه الله من الناس حتى يكمل رسالته ، فتنتهى حياته بالموت الطبيعى الذى هو نهاية كل مخلوق حى ، فلا يموت قتلا ــ وهو رجل حرب مقدام ، ينتصر على أعدائه ــ ثم هو نبى البر الذى يعظم شريعة الله فى كل صورها .

*

... وعن الشعب الذى ظهر فيه :

عبده أصنام ، وأصحاب أوثان ــ وكانوا شعبا متخلفا ضعيفا ، طعمة لكل آكل ــ ولكن بعد أن جاءهم النبى برسالة الله خرجوا من الظلمات الى النور .

*

... وعن الدين الذى جاء به :

يسود الدين ، وتكتمل الشريعة التى جاء بها ، فى عهده لا من بعده ــ وهو دين من مناسكه : هتاف من رؤوس الجبال وتسبيح وتكبير . وهذا ما يحدث فى الحج الى بيت الله الحرام بمكة كل عام .

*

واذا استعرضنا خصائص الأنبياء منذ نطق اشعيا بهذه النبوءة فى منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ، حتى مطلع القرن السابع بعد الميلاد ، وما وجدناها تنطبق تماما الا على محمد رسول الله .

*

من أجل ذلك سار أبناء اسماعيل ــ بعد نبوة أكرم سلالته محمد بن عبد الله ــ هم والذين **﴿ آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى انزل معه ﴾** (١) ، يعلنون دين الله الى العالم كله : شرقا حتى الصين ، وغربا حتى الأطلسى ، وشمالا حتى أوروبا . وصدقت فيهم نبوءة اشعيا حرفيا ، اذ يقول الرب :

---

(١) الأعراف : ١٥٧

(أسير العمى فى طريق لم يعرفوها • فى مسالك لم يدروها أمشيهم• أجعل الظلمة أمامهم نورا ، والمعوجات مستقيمة • هذه الأمور أفعلها ، ولا أتركهم) •

لقد كان هذا ما نطقت به أسفار العهد القديم ، وحسب المعتقدات المسيحية : **(لا بد ان يتم جميع ما هو مكتوب) ، (ويتم ما قيل باشعيا النبى) •**

فلا بد ، اذن ، أن تتحقق كل التنبؤات •

* *

ونختم الحديث عن الفتوحات الاسلامية وأثرها فى تحرير شعوب ، واقامة حضارات ، باطلالة لمؤرخ مصرى معاصر **هو الدكتور عبد العظيم رمضان** يعرض فيها رؤيته لحركة التاريخ وحكمتها وانعكاساتها ، خلال فترات مختلفة ، فيقول :

((من المفارقات التاريخية ان الغزو الذى تعرضت له بعض الأمم قد خدمها باكثر مما كان ان يخدمها تفادى الغزو ! والعكس بالعكس ، فان كثيرا من الأمم قد خسرت بسبب تفادى الغزو ما لم تكن لتخسره لو تعرضت له •

وعلى سبيل المثال : فان نجاح القبائل الجرمانية فى العصور القديمة فى ابادة ثلاث فرق رومانية وتحرير بلادها من الحكم الرومانى فى عام ٩ قبل الميلاد ، لم يكن فى مصلحة ألمانيا ! فقد قررت روما التخلى عن خطة جعل حدود الامبراطورية عند نهر الب ، وجعلتها عند نهر الراين الذى أصبح فاصلا بين الأراضى الفرنسية والأراضى الألمانية ، وبذلك حرمت ألمانيا من التمتع بالحضارة الرومانية والطرق الرومانية الشهيرة ، واستسلمت للبربرية قرونا عديدة !

وعلى العكس من ذلك ، فان دخول الجيوش المصرية اليمن ،

وتعزيزها الثوار ضد حكم الامامة الرجعى الفاسد ، قد نقل اليمنيين من العصور الوسطى الى العصر الحديث • ولو نجحت القبائل اليمنية فى اخماد الثورة ، وأعادت حكم الامامة ، لاستسلمت للتخلف كما استسلمت القبائل الجرمانية تماما ، لعدد لا يعرف من عقود السنين !

وهذا ينطبق على مصر أيضا ، فلو أنها نجحت فى ابادة الحملة الفرنسية بقيادة الجنرال بونابرت على مصر ، لكانت كارثة كبرى — ليس على الحملة الفرنسية وانما على مصر ! فبالنسبة للحملة الفرنسية ذاتها ، فلم تمكث فى مصر أكثر من ثلاث سنوات ، ولكنها — بالنسبة لمصر — أنهت العزلة الطويلة التى عاشتها بعيدة عن الغرب ، والتى أبعدتها عن الحضارة الغربية الحديثة •

وقد كان دخول آلة الطباعة مع الحملة الفرنسية لأول مرة ، هو رمز انتهاء تلك العزلة • فحتى وصول الفرنسيين الى الاسكندرية ، لم يكن قد طبع فى مصر سطر واحد ، وبالتالى لم تكن قد عرفت بعد الصحافة ، ولم تكن قد عرفت المطبوعات فى مجال العلوم والفنون والآداب ، وبالتالى أيضا لم تكن قد أطلت بعد على الحضارة الغربية ، وانتهلت من مواردها ، ولكن هذا انتهى مع مجىء الحملة الفرنسية •

وفى الوقت نفسه لم تكن مصر قد عرفت بعد كنوزها القديمة وآثارها الفرعونية ، فلم تكن تعرف من قيمة لتلك الأحجار المنقوش عليها الكتابات المصرية القديمة أية فائدة أو قيمة — اللهم الا فيما عدا احتمال استخدام أصلبها للبناء ! كما لم تكن تعرف أية فائدة أو قيمة للفائف البردى أو صناديق المومياوات • وكانت جميع النقوش والكتابات الهيروغليفية بالنسبة لها طلاسم ومعميات ، لا تعنى نفسها بمحاولة فهمها ، وبالتالى لم يكن المصريون حتى ذلك الحين يعرفون شيئا عن تاريخ مصر القديمة ودياناتها وعاداتها وتقاليدها •

ولكن هذا كله عرفته مصر على يد الحملة الفرنسية ، بفضل

(**لجنة العلوم والفنون**) التى جلبها برنابرت معه من فرنسا ، والتى ضمت ١٦٥ عالما من علماء الهندسة ومساحة الأراضى ورسم الخرائط وفن المعمار والنبات والحيوان والطب والصيدلة والكيمياء والمعادن ، فضلا عن علماء الرياضة وعلم طبقات الأرض والكتاب والموسيقيين . ومن هذه اللجنة تكون (**المجمع المصرى**) الذى قسم نفسه الى أربعة أقسام : قسم الرياضيات ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الاقتصاد السياسى ، وقسم الآداب والفنون .

وكان ثمرة الجهد الهائل الذى بذله علماء **هذا المجمع المصرى** خلال فترة الاحتلال ، هو أعظم كتاب صدر عن مصر فى العصر الحديث كله ، وهو كتاب (وصف مصر) الذى ترجم عدة أجزاء منه المرحوم زهير الشايب . وقد صدر فى ٢٣ مجلدا ، احتوت المجلدات التسع الأولى منه على النصوص ، بينما احتوت المجلدات الأربعة عشر الباقية على الرسوم . وقد طبع فى تسعة عشر عاما ـ أى (من ١٨٠٩ الى ١٨٢٨ م).

وبطبيعة الحال فلست اقصد من هذا الكلام حث الشعوب على الترحيب بالغزاة الأكثر تحضرا ، وانما انا فقط انبه الى هذه المفارقة ، لأن ما مضى قد مضى ، وعلى الشعوب ان تستلهم ضميرها القومى وكرامتها الوطنية وهى تقاوم كل معتد وغاز »(١) .

نعم ... على الشعوب التى تتعرض لغزو ، أن تقاومه فى سبيل حريتها .

وقد تكون المقاومة بالسلاح والدماء ، أو قد تنهج مسالك أخرى مثل الاستفادة من توازن القوى المؤثرة فى الصراع الدائر فى منطقتها ، وغير ذلك من الأساليب التى يحفل بها تاريخ الدول والشعوب .

---

(١) مجلة اكتوبر القاهرية ـ العدد ٦٤٢ ـ الأحد ١٢ فبراير ١٩٨٩

وقد تكفى شرارة الغزو ، واحتكاك النظم والحضارات المختلفة ، فى ايقاظ الأمم والشعوب ، وتبادل المعارف والخبرات .

* *

﴿ يا ايهـا النـاس انا خلقنـاكم من ذكر وانثى وجعلناكم شـعوبا وقبـائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عنـد الله اتقاكم ، ان الله عليم خبـير ﴾
(الحجرات : ١٣)

* * *

هـذا التلوث الجنسى

يعرف التلوث ، فى أبسط صورة ، بأنه افساد النقاء وتلطيخ الطبيعة الأولى لشىء ما بأوساخ دخيلة عليه •

والجنس غريزة فطرية ، أودعها الله فى الانسان ــ كما فى غيره من الكائنات الحية الأخرى ــ كوسيلة أولى لحفظ النوع ، وبالتالى ضمان استمرارية الحياة على كوكب الأرض •

وهى ترتبط فى صورتها المكشوفة لجميع المخلوقات ، بالأعضاء الجنسية لكل من الزوجين : الذكر والأنثى ، ويعرفها كل مخلوق جيدا دونما حاجة الى تعليم أو ارشاد من آخرين •

فلم يحدث ، مثلا ، أن شوهد حمار يعلم وليده الذكر كيف يمارس الجنس مع الفه من اناث الحمير ••• ومع ذلك فالحمير تمارس الجنس فى سهولة ويسر ، تندفع اليه بغريزتها ، وتعرف ماذا تفعل ، فستمتع به وتحافظ على نوعها مثل بقية المخلوقات •

والجنس غريزة قوية ، لا يحتاج الحديث عن قوتها الى برهان ••• وازاء الكبت الذى فرضته **الكنيسة** على رجالها ، لم يكن هناك من متنفس سوى صراع موجع ، وأنات يائسة ، كما فعل **لوثر** حين قال : (كم هو شىء مرعب وأحمق تلك الخطيئة **!ان الشهوة هى الشىء الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ،** حتى ولو كان بالزواج الذى رسم لنا خصيصا من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا) •

والذين لم ينفعهم الصراخ شيئا • فى تخفيف ما يسببه لهم الجنس من عذاب وآلام ، كانت لهم ممارسات أخرى معروفة •••

ان هذا يعنى بداهة أن غريزة الجنس فى الانسان ليست فى حاجة الى استثارة •

ووسائل الاثارة معروفة أيسرها الكلمة ، وهى أكثرها شيوعا ، ثم الصوت ، والصورة ، والمجسم الميت ، كالتمثال ونحوه ، ثم الجسد الحى ، حيث العرى والتجرد من كل ستر أو حياء . وهنا تهبط غريزة الجنس بالانسان الى ما دون الحيوان ، فيرتكب فى سبيل اشباعها ـ دون جدوى ـ جرائم لا تحصى ، مثل القتل والسرقة والاغتصاب والجاسوسية وتعاطى المخدرات ... الخ .

ومن هنا كان خطر الاثارة رهيبا ، وكانت آثارها مدمرة للأفراد والشعوب على السواء . وان سجلات التاريخ ، وواقع حياتنا اليومية خير شاهد على ذلك .

*

الجنس ، اذن ، مطلب فطرى ، فرضه وجود الزوجين : الذكر والأنثى ، ليعمل وفق الناموس الطبيعي للمخلوقات ...

والجنس مطلب شرعى ، أوصى الله به ، وفق الناموس الالهى الذى شرع الزواج وباركه ...

ومن ثم ، كان التلوث الجنسى هو كل ممارسة لغريزة الجنس خارج الناموس الالهى الطبيعي الذى شرع الزواج بين الذكر والأنثى . ويتضمن ذلك، بطبيعة الحال ، كل قول أو فعل من شانه ان يفضى الى مثل تلك الممارسة الجنسية الآثمة ، قياسا على ما تعارف عليه البشر فى تشريعاتهم من اعتبار التحريض ركنا من أركان الجريمة .

ولما كانت الوقاية خيرا من العلاج ، كان من اللازم تجنب الاثارة الجنسية وعواقبها ، وذلك بالتعامل مع الجنس بلطف ، ومعالجة قضاياه بوعى وتبصر .

ويقتضى ذلك عدم اشاعة الفضائح والفواحش بين الناس ، ومس

موضوعات الجنس مسا خفيفا ، واستخدام ألفاظ وتعابير لا فحش فيها ، تهذيبا للعواطف وارتقاء بالغرائز .

* *

● وقائع جنسية :

يحفل الكتاب المقدس بذكر كثير من الممارسات الجنسية الآثمة ، والتى يقع أغلبها فى بيوت الأنبياء ، رجال الله المختارين ! ولقد رأينا شيئا من ذلك سلفا حين تحدثنا عن نساء الأنبياء ، أما الآن فنكتفى بعرض خلاصة اجمالية مع شىء من الاضافات .

*

١ ـ لوط زنى بابنتيه ، وأنجب منهما ولدين : (الأول : موآب ، وهو أبو الموآبيين . والثانى : بن عمى ، وهو أبو بنى عمون) (تكوين ١٩) .

ومن الموآبيين جاءت (راعوث الموآبية) التى كانت جدة كبرى لداود (راعوث ١ ، ٤) .

ومن داود جاء يوسف النجار ، رجل مريم (متى ١ : ٦ ، ١٩ ، لوقا ٣ : ٣١) .

وقد سمى الانجيل يسوع : ابن يوسف فقال : « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة ، وهو على ما كان يظن : ابن يوسف ابن هالى ... ـ لوقا ٣ : ٢٣ » .

وقد دعت مريم يوسف رجلها : أبا ، لابنها يسوع . . فقد كان « أبواه (مريم ويوسف) يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح . ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد : وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ، ويوسف وأمه لم يعلما .. وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل

جالسا وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم .. وقالت له أمه : يا بنى ، لماذا فعلت بنا هكذا . **هو ذا أبوك وانا** كنا نطلبك معذبين ـ لوقا ٢ : ٤١ ـ ٤٨ » .

وهكذا ، جاء التلوث الأول لنسب المسيح الطاهر النقى الذى قال **القرآن** فى أمه العفيفة البتول :

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (آل عمران : ٤٢) .

ومن المفارقات أن بولس لم يذكر اسم مريم أم المسيح ، **ولو مرة واحدة** ، فى رسائله الكثيرة والطويلة . وكان كل ما قاله فى هذا الصدد ، أن المسيح جاء « **مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس** ـ غلاطية ٤ : ٤ » .

*

٢ ـ ابن عمدة شكيم (نابلس) يغتصب دينه ابنة يعقوب . فقد « **أخذها ، واضطجع معها** ، وأذلها . وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب ، وأحب الفتاة ، ولاطف الفتاة ـ تكوين ٣٤ : ٢ ـ ٣ » .

*

٣ ـ راوبين ، الابن البكر ليعقوب ، يزنى باحدى نساء ابيه . (تكوين ٣٥ : ٢) .

*

٤ ـ يهوذا ، ابن يعقوب ، يزنى بثامار ، كنته التى كانت زوجة بالتوالى لولديه المتوفين . (تكوين ٣٨) .

وقد ولدت ثامار ثمرة هذا **الزنا** ، توأمين : الأول : اسمه **فارص** ، والثانى : اسمه **زارح** .

وقد تكرر التأكيد على هذه الفجيعة الآثمة فى نسب المسيح الذى ذكرته **الأناجيل** ، حيث كان **فارص** أحد أجداده القدامى .

« ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار . وفارص ولد حصرون ... — متى ١ : ٣ ، لوقا ٣ : ٣٣ » .

وهكذا ، جاء التلوث الثانى لنسب المسيح الطاهر النقى ...

*

٥ — جاسوسا يشـوع بن نون ، خليفـة موسى فى بنى اسرائيل ، يستخدمان راحاب الزانية لانجـاح مهمتهما فى تجسس أرض فلسطين . (يشوع ٢) .

وقد كافأها يشوع باستثنائها وبيتها من الذبح والتدمير ، بعـد فتح المدينة ، فقال :

« راحاب الزانيـة فقط تحيـا هى وكل من معهـا فى البيت ، لأنها قد خبأت المرسلين اللذين أرسلناهما — يشوع ٦ : ١٧ » .

« واستحيا يشـوع راحاب الزانيـة وبيت أبيها وكل ما لهـا — يشوع ٦ : ٢٥ » .

وقد جاء ذكر راحاب الزانية فى سلسـلة نسب المسـيح ، فقـال الانجيل :

« وسلمون ولد بوعز من راحاب . وبوعز ولد عوبيد من راعوث — متى ١ : ٥ » .

وهكذا ، جاء التلوث الثالث لنسب المسيح الطاهر النقى ...

*

٦ — ومن قضـاة اسرائيل ، « كان يفتاح الجلعادى ، جبار بأس ، وهو ابن امرأة زانية .. وكان روح الرب على يفتاح قضاة ١١ : ١ ، ٢٩ »

*

٧ — ومن قضـاة اسرائيل ، كان شمشون الذى « باركه الرب . وابتدا روح الرب يحركه .. فحل عليه روح الرب .. ثم ذهب شمشون

من غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل اليها ـ قضاة ١٣ : ٢٤ ـ ٢٥ ، ١٤ : ٦ ، ١٦ : ١ » •

❋

٨ ـ داود زنى بامرأة أوريا الحثى ، أحد جنوده ، ثم تآمر عليه وقتله • وبعد موته تزوج امرأته بثشبع وانجب منها سليمان • (صموئيل الثانى ١١) •

وقد جاء ذكر امرأة أوريا هذه فى سلسلة نسب المسيح، فقال الانجيل: «**وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا** ، وسليمان ولد رحبعام ـ متى ١ : ٦ ـ ٧ » •

وهكذا جاء التلوث الرابع لنسب المسيح الطاهر النقى ...

❋

٩ ـ أمنون بن داود يغتصب أخته ثامار (صموئيل الثانى ١٣) •

❋

١٠ ـ ابشالوم بن داود يزنى بسرارى أبيه العشر • (صموئيل الثانى ١٦) •

❋

١١ ـ اشعيا يسير عاريا ثلاث سنين بين شعب اسرائيل (اشعيا ٢٠ : ٢) •

❋

١٢ ـ هوشع يتزوج زانيتين وينجب منهما ذرية • (هوشع ١ : ٢ ـ ٣ ، ٣ : ١ ـ ٢) •

❋ ❋

● **أساليب القصص الجنسى :**

حرص مؤلفو الكتاب المقدس على تنويع أساليب القصص الجنسى الذى يطفح به •

١ ـ فهناك التشبيب بالمرأة ، والغزل فى جسدها ، واحاديث التلاقى بين العاشقين الذين لعبت الخمر برؤوسهم •

يقــول سفر نشـيد الانشاد :

((فى الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسى . طلبته فما وجدته . انى أقوم وأطوف فى المدينة .. حتى وجــدت من تحبــه نفسى ، فأمسكته ولم أرخه حتى أدخلته بيت أمى وحجرة من حبلت بى ..

ها أنت جميلة يا حبيبتى ، ها أنت جميلة . عيناك حمامتــان من تحت نقابك .. شـــفتاك كســـلكة من القرمز . وفمك حلو . خــدك كفلقة رمانة .. عنقك كبرج داود .. ثدياك كخشفتى ظبية توأمين .. كلك جميل يا حبيبتى ، ليس فيك عيب ..

كلوا أيها الأصحاب ، اشربوا واسكروا أيها الأحباء ..

قد خلعت ثوبى ، فكيف ألبســـه ..

حبيبى مد يده من الكوة ، فأنت عليه أحشائى ..

طلبته فما وجدته ، دعوته فما أجابنى . وجدنى الحرس الطائف فى المدينة .ضربونى ، جرحونى . حفظة الأسوار رفعوا ازارى عنى ..

ما أجمل رجليك .. دوائر فخذيك مثــل الحــلى .. سر كأس مدورة لا يعوزها شراب ممزوج . بطنك صبرة حنطة مسيجة بالسوسن ..

ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات ، قامتــك هــذه شـــبيهة بالنخــلة ، وثدياك بالعناقيد . قلت انى أصعد الى النخلة وأمســك بعذوقها . وتكون ثدياك كعناقيد الكرم .. وحنك كأجود الخمر السائغة المرفرفة السائحة على شفاه النائمين .

أنا لحبيبى ، والى اشتياقه . تعــال يا حبيبى لنخرج الى الحقــل ولنبت فى القـــرى . هنالك أعطيك حبى . اللفاح (نبات مخدر) يفوح رائحــة وعند أبوابنا النفائس من جــديدة وقديمة ، ذخرتها لك يا حبيبى .

ليتك كأخ لى ، الراضع ثدى أمى ، فأجدك فى الخارج وأقبــلك ولا يخزوننى . وأقودك وأدخل بك بيت أمى ، وهى تعلمنى ، فأسقيك من الخمر المزوجة من سلاف رمانى .

شماله تحت رأسى ، ويمينه تعانقنى ..

اجعلنى كخاتم على قلبك ، كخاتم على ساعدك . لأن المحبة قوية كالموت . الغيرة قاسية كالهاوية . لهيبها لهيب نار لظى الرب . مياه كثيرة لا تستطيع أن تطفىء المحبة ..
أنا سور ، وثدياى كبرجين . حينئذ كنت فى عينيه كواجدة سلامة » .

ان هذا النشيد الذى يرجع تاريخ تأليفه الى أكثر من ألفى عام لم يترك شيئا للأجيال اللاحقة التى تهوى هذا النوع من الغزل الجنسى المفضوح . فهو لا شك مصدر الهام لمن قرأوه وسلكوا هذا السبيل .

*

٢ ـ وهناك تعليم لأصول الجنس فى صوره المتبذلة حين تمارسه مومس هاوية .

فمن المعلوم أن أنبياء الله ، مثل : (هوشع وارميا وحزقيال ، قد شبهوا علاقة الشعب الاسرائيلى مع الهة بعلاقات الزوجة بزوجها) !

وبعد أن انقسمت مملكة سليمان ، عقب موته ، الى مملكتين ، سميت مملكة السامرة ، فى الشمال ، باسم : الزانية اهولة ، وسميت مملكة أورشليم ، فى الجنوب ، باسم : الزانية اهوليبة . ولقد تردت المملكتان فى طريق الكفر والوثنية والانحلال ، فجاءهما التبكيت والنذير على لسان الأنبياء فى صور جنسية يخجل منها كل من عنده بقية من حياء !

يقول حزقيال « كانت الى كلمة الرب قائلة : يا ابن آدم ! عرف أورشليم برجاستها وقل .. كبرت وبلغت زينة الأزيان . نهد ثدياك ونبت شعرك وقد كنت عريانة وعارية . فمررت بك ورأيتك ، واذا زمنك زمن الحب . فبسطت ذيلى عليك ، وسترت عورتك ..
فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك ، وسكبت زناك على كل عابر فكان له .. وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت بها ..
فى رأس كل طريق بنيت مرتفعتك ، ورجست جمالك ،

وفرجت رجليك لكل عابر ، وأكثرت زناك . وزنيت مع جيرانك بنى مصر .. وزنيت مع بنى آشور ، اذ لم تشبعى فزنيت بهم ، ولم تشبعى أيضا ..

فعلت كل هذا فعل امرأة زانية سليطة .. ولم تكونى كزانية ، بل محتقرة الأجرة .. لكل الزوانى يعطون هدية . أما انت فقد أعطيت كل محبيك هداياك ورشيتهم ليأتوك من كل جانب للزنا بك . وصار فيك عكس عادة النساء فى زناك ، اذ لم يزن وراءك ، بل أنت تعطين أجرة ولا أجرة تعطى لك ، فصرت بالعكس .

فلذلك يا زانية اسمعى كلام الرب .. ها أنذا أجمع جميع محبيك الذين لذذت لهم . . وأكشف عورتك لهم لينظروا كل عورتك ـ الاصحاح ١٦ » .

ويقول حزقيال أيضا : « كان الى كلام الرب قائلا : يابن آدم ! كان امرأتان ابنتا أم واحدة . وزنتا بمصر . فى صباهما زنتا . هناك دغدغت ثديهما ، وهناك تزغزعت ترائب عذرتهما ..

واسماهما : السامرة أهولة ، وأورشليم أهولية . وزنت أهولة من تحتى وعشقت محبيها آشور الأبطال .. شبان شهوة ..

ولم تترك زناها من مصر ، لأنهم ضاجعوها فى صباها ، وزغزغوا ترائب عذرتها ، وسكبوا عليها زناهم . لذلك سلمتها ليد عشاقها ..

فلما رأت أختها أهولية ذلك ، أفسدت فى عشقها أكثر منها .. عشقت بنى آشور .. كلهم شبان شهوة .. فأتاها بنو بابل فى مضجع الحب ونجوها بزناهم .. وكشفت زناها وكشفت عورتها ..

عشقت معشوقيهم ، الذين لحمهم كلحم الحمير ، ومنيهم كمنى الخيل . وافتقدت رذيلة صباك بزغزغة المصريين ترائبك لأجل ثدى صباك ..

هكذا قال السيد الرب : ها أنذا أهيج عليك عشاقك .. فيعاملونك

بالبغضاء .. ويتركونك عرياناً وعارية ، فتنكشف عورة زناك ، ورذيلتك وزناك ـ الاصحاح ٢٣ » .

*

٣ ـ وحين يكون هناك احتيال بين رجل وامرأة من أجل ممارسة جنسية آثمة ، نجد تفصيلا للمحاورات والمراوغات ، التى تجر فكر القارىء الى مستنقعات ملوثة لا داعى للخوض فيها . ففى قصة يوسف وامرأة العزيز بمصر ، يقول الكتاب المقدس : « وحدث بعد هذه الأمور أن امرأة سيده رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معى . فأبى وقال لامرأة سيده هو ذا سيدى . . كل ما له قد دفعه الى .. ولم يمسك عنى شيئا غيرك لأنك امرأته . فكيف أصنع هذا الشر العظيم واخطىء الى الله .

وكان اذ كلمت يوسف يوما فيوما أنه لم يسمع لها أن يضطجع بجانبها ليكون معها .

ثم حدث نحو هذا الوقت أنه دخل البيت ليعمل عمله ، ولم يكن انسان من أهل البيت هناك فى البيت . فأمسكته بثوبه قائلة : اضطجع معى. فترك ثوبه فى يدها وهرب وخرج الى خارج . . . ـ تكوين ٣٩ : ٧ ـ ١٢ » .

ان كل ما ذكره القرآن العظيم فى هذه الواقعة ، أن مسها بما قل ودل من ألفاظ منتقاة ، فكان حقا أبلغ الكلام على الاطلاق ، اذ قال :

﴿ وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك ، قال معاذ الله ﴾ (يوسف : ٢٣) .

وفى قصة احتيال أمنون بن داود لممارسة الجنس مع أخته ثامار ، تعليم لكل جاهل بمثل تلك الموبقات .

يقول الكتاب المقدس : « وجرى بعد ذلك أنه كان لأبشالوم بن

داود أخت جميلة اسمها ثامار ، فأحبها أمنون بن داود . وأحصر أمنون للسقم من أجل ثامار أختــه ، لأنها كانت عذراء وعسر فى عينى امنون ان يفعل لهـا شيئا !

وكان لأمنون صاحب اسمه يوناداب بن شمعى أخي داود . وكان يوناداب رجلا حكيما جدا . فقال له : لمــاذا يابن الملك أنت ضعيف هكذا من صباح الى صباح ؟ أما تخبرنى ؟ فقال له أمنون : انى أحب ثامار .. فقال يوناداب : اضطجع على سريرك وتمارض . واذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار أختى فتأتى وتطعمنى خبزا ، وتعمــل أمامى الطعام لأرى فآكل من يدها .

فاضطجع أمنون وتمارض ، فجاء الملك ليراه . فقال أمنون للملك : دع ثامار أختى فتأتى وتصنع أمامى كعكتين فآكل من يدها .

فأرســل داود الى ثامار .. فذهبت ثامار الى بيت أخيها أمنون وهو مضطجع . وأخذت العجين وعجنت وعملت كعكا أمامه .. فأبى أن يأكل .

وقال أمنون : أخرجوا كل انسان عنى . فخرج كل انســان عنــه ثم قال أمنون لثامار : ايتى بالطعام الى المخدع فآكل من يدك . فأخذت ثامار الكعك الذى عملته وأتت به الى أمنون أخاهــا ، الى المخدع . وقدمت له ليأكل فامسكها وقال لهـا : تعـالى اضطجعى معى يا أختى .

فقالت له : يا أخى ، لا تذلنى لأنه لا يفعل هكذا فى اسرائيل .. والآن كلم الملك لأنه لا يمنعنى منك . فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها .

ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة جدا ، حتى ان البغضة التى أبغضها اياها كانت أشد من المحبة التى أحبها اياها . وقال لها : قومى انطلقى .. بل دعا غلامه الذى كان يخدمه وقال : اطرد هذه عنى خارجا واقفــل البـــاب وراءها .. فاخرجها خادمه الى الخـــارج واقفل البـــاب ـ صموئيل الثانى ١٣ : ١ ــ ١٨ » .

وهكذا يتعلم الناس الكثير والكثير ...

٤ ـ ثم هناك اصرار على التوسع فى أمور الجنس وذكر اعضائه تصريحا أو تلميحا فى شتى الأمور والمناسبات .

فيعبر **الكتاب المقدس** عن حمل المرأة بأن الرب فتح رحمها ، اذ يقول : **« ورأى الرب أن ليئة مكروهة ففتح رحمها .. فحبلت ليئة وولدت ابنا** ـ تكوين ٢٩ : ٣١ ـ ٣٢ » .

ويقال للذكر البكر بأنه فاتح رحم :

« كلم الرب موسى قائلا : قدس لى كل بكر فاتح رحم من بنى اسرائيل ومن البهائم ـ خروج ١٣ : ١ ـ ١ » .

وحين يتحدث **الكتاب المقدس** عن عملية جنسية بين رجل وامرأة يسميها اضطجاع زرع ، فيقول :

« المرأة التى يضطجع معها رجل اضطجاع زرع ، يستحمان بماء ويكونان نجسين الى المساء ـ لاويين ١٥ ـ ١٨ » .

لقد اكتفى **القرآن العظيم** باستخدام كلمة واحدة للعملية الجنسية بين الرجل وامرأته ، تعبر عن المعنى المطلوب بكل لطف ، فكانت كلمة **المس :**

﴿ قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا ﴾ (مريم : ٢٠)

﴿ وان طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا أن يعفون أو يعفوا الذى بيده عقدة النكاح ﴾ (البقرة : ٢٣٧)

وحين يتحدث **الكتاب المقدس** عن انتقام الله من شعب اسرائيل نظير كفره وتمرده ، يأتى من وسائل ذلك الانتقام **كشف العورات ، ليعاينها الناس ، ويكون وراء ذلك ما يكون !**

« قال الرب: من أجل أن بنات صهيون يتشامخن ، ويمشين مدودات الأعناق ، وغامزات بعيونهن ، وخاطرات فى مشيتهن ويخشخشن بأرجلهن • يصلع السيد هامة بنات صهيون ، ويعرى الرب عورتهن ـ اشعيا ٣ : ١٦ ـ ١٧ » •

« فقال الرب : كما مشى عبدى اشعيا معرى •• هكذا يسوق ملك آشور سبى مصر وجلاء كوش ، الفتيان والشيوخ ، عراة وحفاة ، ومكشوفى الأستاه ـ أشعيا ٢٠ : ٣ ـ ٤ » •

ان النظر الى عورة الغير ، دون سبب مشروع ، انما هو خطيئة ، حتى لو كان هذا الغير من الأعداء • ويحكم هذا كله ، وأمثاله ، قاعدة أصولية عامة قررها القرآن العظيم فى قوله :

﴿ ان الله لا يأمر بالفحشاء ، أتقولون على الله ما لا تعلمون ﴾ ؟!
(الأعراف : ٢٨)

*

٥ ـ ثم هناك الشتائم الجنسية التى انتقلت الى العالم كله •••
فحين غضب شاول ـ مسيح الله • وأول ملك فى اسرائيل ـ على يوناثان ابنه ، فانه شتم أمه وعرض بعورتها فصارت مثل سوء فى العالمين ، يرددها المنحطون فى كل زمان ومكان :

« حمى غضب شاول على يوناثان ، وقال له يابن المنعوجة المتمردة ! أما علمت أنك قد اخترت ابن يسى لخزيك وخزى عورة أمك ؟! ـ صموئيل الأول ٢٠ ـ ٣٠ » •

« تقدموا الى هنا ، يا بنى الساحرة ، نسل الفاسق والزانية ـ أشعيا ٥٧ : ٣ » •

وهكذا ، صارت شتمة : يابن الزانية ! على لسان السفلة ورعاع الناس ، حتى تقلدوا أعلى المناصب ، وحصلوا على أرفع الألقاب •••

* *

● **انزلاق الى الاباحية :**

(**من الثمر تعرف الشجرة**) ، هكذا علم المسيح ... وهكذا ضرب الأمثال ، فلقد قال انجيل متى ، في **موعظة الجبل** : « **هل يجتنون من الشوك عنبا أو من الحسك تينا** ـ ٧ : ١٦ » .

وقد قبلها انجيل لوقا ، في **موعظة السهل** ، **فقال** : « **انهم لا يجتنون من الشوك تينا ، ولا يقطفون من العليق عنبا** ـ ٦ : ٤٤ » .

لقد كان لهذا التلوث الجنسي الذي استحوذ على أفكار أولئك الذين عاشوا فيه بحكم انتمائهم العقائدي والتاريخي ، أن ينتج ثمارا تتفق وبذورها المزروعة . ولذلك انطبعت عندهم **الفنون والآداب ، التي هي احدى مفاخر الابداع الانساني** ، بطابع الجنس الاباحي .

وتعرف **الاباحية** في **مجتمع ما** بأنها **انتهاك فوضوي لنظمه** ، ولقواعد **السلوك** ، والقيم الأخلاقية التي تعارف عليها المجتمع ، وارتضى العيش في ظلها .

كما انها تعني العمل : قولا أو فعلا أو بأي صورة أخرى من صور **التعبير** ، عما في مكنون الانسان ، وفقا لهواه الشخصي ، **ودون أدنى اعتبار للوجود الانساني للآخرين وكرامتهم** . وما دام الأمر كذلك ، فلا عاصم من اختراع الأكاذيب ، واختلاق الأوهام ، والاستغراق في كل خيال جامح وشاذ .

كذلك ، تعني الاباحية ، **بلغة الكتاب المقدس** ، ما كان عليه الشعب الاسرائيلي بعد موسى وخليفته يشوع ، حين انسلخ عما جاء في التوراة من تشريع ونظام حياة ، وانطلق فوضويا عابثا ، يمارس الكفر والجنس واللهو على هواه . لقد كان ذلك منذ أكثر من ثلاثين قرنا ، أي ٣٠٠٠ عام ، « ففي تلك الأيام ، لم يكن ملك في اسرائيل . **كان كل واحد يعمل ما يحسن في عينيه** ـ سفر القضاة ١٧ : ٦ » .

فالاباحية ، فى حقيقتها ، ردة الى الفوضى والتوحش الانسانى ، واهدار لجهاد الانسان عبر آلاف السنين فى سبيل : **الحق والخير والجمال** ، **(وذلك بأن يعمل كل واحد ما يحسن فى عينيه) .**

*

● **الأدب الاباحى والأدب العالمى :**

معذرة ! ان الأدب الاباحى ، بحكم طبيعته ، لا يمكن أن يكون أدبا ، يسمو بالانسان فكرا وسلوكا ، ويعبر عن أفضل المشاعر والوجدان، لكنه لم يكتسب هذا الاسم الا كخطأ شاع وانتشر .

فالأدب الاباحى ، من واقعه ، يعنى التعبير عن كل ما تختزنه النفس البشرية من فجور وقصور ، وما بها من أهواء للانطلاق بعيدا عن كل قيود ، اضافة لما يتوارد عليها كل وقت وحين من همزات الشياطين .

ويعتبر الأدب عالميا ، اذا عبر من المحلية والاقليمية الى العالمية ، فأصبح معروفا ومتداولا بين أفراد كثيرين وجماعات شتى من أغلب شعوب العالم ، فيتناوله الأدباء والمفكرون بالدراسة والنقد والتحليل . حتى اذا صمد لذلك ، واستذاقه الناس ، عاشوه وصار يفعل فعله فيهم ، ويفرض مثله عليهم ، ردحا من الزمن .

ولا شك أن الترجمة الى اللغات الحية العالمية هى المنفذ الأول من المحلية والاقليمية الى العالمية . بل صارت هذه الترجمة ، فى أكثر الأحيان ، اجازة العبور الى العالمية .

ويرينا الواقع الملموس كل يوم ، أن انزلاق الأدب الاباحى الى الأدب العالمى سهل ميسور . والأمثلة على ذلك كثيرة ، نكتفى بمس بعضها مسا خفيفا .

*

● الفقر والرذيلة !

الفقر قد يدفع ، أحيانا ، الى الرذيلة ••• هذا واقع ملموس • ومن المفارقات أن نقيضه ، وهو الغنى ، قد يدفع ، أحيانا ، الى الرذيلة أيضا••

عجيب أمر هذا الانسان ••• الفقر يدميه ، والغنى يطغيه ، وضمان أمنه يتطلب الوسطية والاعتدال فى كل شى • فذلك هو العدل والميزان الذى به تستقيم الحياة •

على أن هناك غالبيـــة عظمى من الفقراء ، تعيش صـــابرة بايمانها وفضائلها ، لا تفرط فى شىء من ذلك مهما كانت الآلام والمعاناة • فهذا الصنف المتميز من الفقراء : ﴿ **يحسبهم الجاهل أغنيـاء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس الحافا** ﴾ (البقرة : ٢٧٣) •

لكن نموذج الأدب الاباحى الذى نستعرض شيئا منه بعد قليل ، قد جاء من مخلوق أدمى الفقر أسرته وظل يعضها صباح مساء ، فحدث التحلل والانهيار ، خاصة وأن رصيد الايمان كان فى المستوى الدون •

ومعذرة ، اذا استبدلت بعض ألفاظه المبتذلة بوضع **خمس نقاط** متلاحقة ، اعتمادا على فطنة القارىء !

ومعذرة ، مرة أخرى ، فان ما قرأناه من سفرى حزقيال ونشـــيد **الأنشـــاد وغيرهما ، يعطينا قدرا من المنـــاعة ضـــد مثل هـــذا اللا ادب الرخيص •**

*

يقول المؤلف عن روايته التى اختار لهـــا اسما من كلمتين ، بأنها (سيرة ذاتية روائية) • وكان مما سطره قلمه المتمرد :

(تذكرت كيف لوى أبى عنـــق أخى • كدت أصرخ : أبى لم يكن يحبه • هو الذى قتله • نعم قتله •• رأيته يقتله •• لوى عنقه • تدفق الدم من فمه) •

*

وفى المنزل الذى يتكون من غرفة واحدة ، كانت بالنسبة لهم كل شىء ، ففيها ينامون ـ الأب والأم والابن ، وفيها يأكلون :

(فى الليل أيقظتنى مثانتى الممتلئة •• قبلات تصفق •• همسات حب •• انهما يحبان بعضهما •• اللعنة على حبهما •• انها تكذب • لن أصدقها بعد اليوم !

ـ ••••• ـ •••••

ـ بنت الزناء ! ـ لا • لا •• ليس هكذا !

يعضان بعضهما •• يأكلان بعضهما •• أحس مثانتى تفرغ السائل الساخن) •

✻

(أحيانا أنام فى المخبزة المجاورة للمقهى •• ذات ليلة رأيتهم يمزحون : أمسك خمسة أو ستة من الخبازين بالخباز ••• وطرحوه على الأرض • كمموا له فمه بخرقة من القماش حتى لا يعض • أنزل واحد من رفاقه سراوله وحك ••••• •••••

خرجت من المخبزة خائفا أن يحدث لى مثل ما حدث •• لقد سمعت كثيرا عن الاغتصابات الجنسية التى تحدث للفتيان والصبيان)•

✻

(أستيقظ باكرا لأسرق الفواكه من الأشجار • الدجاج وبيضه وأفراخ الحمام •• أبيع المحصول لأصحاب دكاكين الحى • رغبتى الجنسية تتهيج كل يوم • الدجاجة ، العنزة ، الكلبة ، العجلة ••• تلك كانت اناثى) •

✻

بعد ذلك يروى مغامراته فى بيوت الدعارة ، وما شاهده فيه من بنات جنسه ، وما شاهده من نظيراتهن الأوروبيات • والفرق بين هؤلاء وهؤلاء •••

(علمتنى مخدومتى غسل الصحون •• شعرتنى سعيدا معهـا • صارت موضوع رغبتى الجنسية •• الحنين يحزننى عندما أفكر فى بغايا ••• على مهل أو بسرعة • بتقبيل الشفتين وضم النهدين أو مجرد أن يدخل الشىء فى الشىء) •

*

(صرت أفكر : اذا كان من تمنيت له أن يموت قبل الأوان ، فهو أبى • أكره أيضا الناس الذين يشبهون أبى • فى الخيال لا أذكر كم مرة قتلته ! لم يبق الا أن أقتله فى الواقع) •

*

(فى الصباح ، بعد صعودى من الميناء ، ذهبت الى مكتبة واشتريت كتابا لتعلم مبادىء القراءة والكتابة بالعربية ••

ان لى عشرين سنة ، ولا أعرف حتى كيف أوقع اسمى) •

*

هذا بعض ما سطره مخلوق يحمل اسما مسلما متميزا ، نختزل اسمه الكامل الى : المسيو مركش • وهو قد نشأ فى أسرة مسلمة وضيعة الحال فى كل شىء •• وفى بلد عربى مسلم عريق الجذور ••

لقـد كان الانسان يسير فى شوارع عاصمته ، فيلمح روايته على الرصيف بحذاء الحذاء •• لا تجد من ينظر اليها • فمؤلفها مغمور فى القاع ، لم يؤت حظا من القراءة ، فما باله يخوض فى عالم الكتابة الذى أشقى كثيرا من أهل العلم وحملة العالى من الشهادات •

وفجأة حدث ما لم يكن فى الحسبان ! لقد تنبهت السلطات الى ما تنطوى عليه الرواية من فحش وتبذل ، وما تزخر به من خسة وحقارة يعبر عنهـا موقفه من أبيه • ولم تكن الا تصـويرا للحانات والمواخير وجماعات السوء وعصابات الشرور • وكان القرار بمصادرتها • لكن هناك اصرار من قوى تعمل على نشر التحلل والرذيلة فى عالمنا ، تحت ستار

حرية التعبير والدفاع عن حقوق الانسان ، فعبرت بها الى العالمية حيث ترجمت الى ثلاث لغات حية • وان كانت قد اختفت من بلد مؤلفها ، فلتطبع فى بلاد عربية أخرى •

وصار كاتبها المتمرد محل تعليق فى الاعلام الغربى الذى وقف يسانده ، وكأنه يقول : ولو ! نحن معك ، فالقوة وفرض الوجود معك !

لقد تغيرت حياته من الفقر الى الغنى ، ومن الخمول الى الشهرة •••

ثم جاء كاتب آخر مشهور فى بلده ، يقدم لتلك الرواية الاباحية المبتذلة ، فيغدق عليها وعلى صاحبها أعظم النعوت والأوصاف ، فيقول :

(**لم يتعلم ••• القراءة والكتابة حتى العشرين من عمره ، فكانت حداثته انجرافا فى عالم البؤس ••**

هروب من أب يكره أولاده ، فقد قتل أحد أبنائه فى لحظة غضب• شرود فى أزقة مظلمة وخطرة •• اكتشاف دنيا السارقين والمدمنين على السكر ••

هو **عمل لا مثيل له ، يحتل موقعا متميزا فى الأدب العربى المعاصر • وليس** صدفة أنه نشر بلغات أوروبية متعددة مثل : **الانكليزية أو الفرنسية أو الاسبانية ••**

ان الذى يكتبه ••• من الأمور التى لا تقال ، فتكتم ، أو على الأقل لا تكتب وتنشر فى الكتب ، خصوصا فى ميدان الأدب العربى الراهن)

❋

فليفرح العرب ، اذن ، بهذا الانتصار الذى تحقق فى عالم الحضارة •• فلقد شبق أدبهم المعاصر ••• معذرة ، أقصد : شبك أدبهم المعاصر بذيل الأدب العالمى ، وعبر من الاقليمية الى العالمية •••

ولينتظر هذا الأدب الاباحى المتمرد **نوبل** ، فلم تعد عليه بعزيز •••

وهكذا يكون الطريق الى الأدب العالمى •••

❋ ❋ ❋

أوروبـــا : مهـــــلا ٠٠٠ !

فجأة ، توقفت الحرب العراقية الايرانية ٠٠٠

وبدأ الناس ، هنا ، يتنفسون الصعداء ٠٠٠ ولكن فى حذر وريبة ٠٠٠ فتجارب مئات السنين مع أولئكم الذين يهمهم الاستمرار فيهـــا ، ولو مائة عام ، تجعل الشعور بالاطمئنان من هذه الناحية أمرا مستحيلا ٠

لذلك كان السؤال الذى ظل يتردد هو : وماذا يدبرون لنا الآن ؟ واذا نجح تدبيرهم ، فأين تكون الجبهة التالية لاستنزاف المسلمين ؟

ولم يدم التساؤل كثيرا ٠٠٠ فما هى الا شهور ، حتى جاء نذير المعركة التالية ! لقد بدأت بداية عابثـــة ، ثم هى تتطور الآن فى طريق مواجهة خطيرة منفلتة لا يعلم عواقبها الا الله ٠٠٠

لقد استعرت نار الهوشة الأخيرة تحت شعار براق هو المحافظة على حقوق الانسان ! أى انسان ؟٠٠٠ انسان واحد بعينه ، هذه المرة ، هو الدجال الهندى الملحد ، مؤلف روايات شيطانية ، الذى صارت حياته فى خطر بعد أن تلقى تهديدا بالقتل ، نتيجة لسبه الاسلام ونبيه ونساءه وصحابته ، وتدنيسه أسماء تتألق فى سماء القداسة والطهر ، من البشر : ابراهيم أبى الأنبياء ، والأب الروحى لليهود والمسيحيين والمسلمين ــ ومن الملائكة : جبريل ، معلم الأنبيـــاء ورجال الله الصـــديقين والقديسين (دانيـــال ٨ : ١٦ ، ٩ : ٢١) ، وأمين العرش « الواقف قـــدام الله ــ لوقـــا ١ : ١٩ » والروح المرسل الى مريم العذراء لتحمل ابنهـــا المسيح بأمر الله (لوقا ١ : ٢٦) ٠

لقد أعمت الكراهية المتوارثة أبصارهم عن تلويث بعض مقدساتهم والعبث بها ، ما دام قد سب الاسلام ونبيه والمسلمين ٠ ولذلك سارت من أجله المظاهرات ، وأعلنت الاحتجاجات ٠ واذا تركنا آحاد النـــاس وجماعاتهم التى يسهل اثارتها بقوة الاعلام اليوم ، وانتقلنا الى أهـــل

الحكمة والتعقل من قادة الشعوب وساستها لوجدنا عجبا ! فها هو المجلس الوزارى لدول السوق الأوروبية المشتركة يجتمع ويصدر قرارا تلو قرار ، دعما لهذا الكاتب العابث ومحاولة لدرء الخطر عنه • وأكثر من ذلك أن تطلب بعض الدول عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لبحث الموضوع واتخاذ الاجراءات اللازمة للحفاظ على حياة ذلك الدجال ، وكأنه مسيح منتظر جاء فى وقته ليقود الغرب •

ان التاريخ شاهد على ظهور مثل أولئك المسحاء الكذبة ، وكان منهم « **باركوشبا الذى دعى المسيح المنتظر** » ، وقاد ثورة الربيين ضد الرومان فى الفترة ١٣٢ ــ ١٣٥ م ، « وعندما قضى عليهم نهائيا ، فان كلمتى : اليهودية ، وأورشليم ، قد محيتا تماما من القاموس الرومانى وأعيد تسمية الاقليم باسم : فلسطين ، وأقيمت عاصمتها ايليا كابيتالينا على أنقاض أورشليم ، وحرم دخولها على اليهود »[1] •

ولقد تنبأ المسيح عن رفض اليهود له ، وهو المسيح الحقيقى ، وجريهم وراء ذلك الكذاب الآتى بعده ، والذى قادهم الى الشتات الطويل ، فقال لهم : « لستم تقبلوننى • ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه ــ يوحنا ٥ : ٤٣ » •

ثم كانت حركة مسيائية فى ايطاليا (١٥٢٤ ــ ١٥٣٢ م) ، ومسيحا آخر كذاب هو شبتاى زفى عام ١٦٦٥ م ••• الخ •

*

ان لهيب هذه المعركة المستعرة يتزايد الآن فى صورة تحريض سافر وسافل بالاسلام ونبيه والمسلمين ، وبالعالم الاسلامى قاطبة • وهو تحريض وصل حد السفه الذى ارتفعت فيه أصوات مسئولة أو شبه مسئولة ، تعلنها صراحة ودون مواربة بضرورة اتفاق الغرب والشرق على محاربة الاسلام بالقضاء على المسلمين ومحاصرتهم ••• !

الى هذا الحد ؟! نعم ••• !

(1) J. Parkes : A History of The Jewish People, p. 39

ان هذا الجو المحموم الذى يثيره شياطين الانس فى الغرب الآن ضد الاسلام والمسلمين ، يمثل اضطهادا نفسـيا يتعرض له ، بالدرجة الأولى ، المسلمون فى الغرب بمختلف صنوفهم وهو انتهاك صارخ لحقوق الانسان • ثم هو تخريب متعمد للعلاقات الاسـلامية المسيحية ، التى لا مصلحة لأى من الطرفين فى تخريبها ، بعد أن حاولت هذه العلاقات تجاوز المـاضى ، فأقامت جسورا كثيرة للتعاون والتفاهم والخير المشترك للجميع •

ان هذا الجو المحموم ليذكرنا بما حدث فى الأمس القريب ، حين هيج بعض ساسة أوروبا شعوبهم ضد قرار مصر بتأميم قناتها ــ قنـاة السويس ــ تمهيدا للعدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بزعامة انجلترا وفرنسا ، واشتراك اسرائيل •

ولقد كان لفشل هذا العدوان فى تحقيق أهدافه آثار بعيدة المدى ، يكفى التذكرة بأنه منذ ذلك التاريخ ، اعترف العالم بقوتين عظميين فقط هما : أمريكا وروسيا ، بعد أن تراجعت اثنتان من القوى الأربع الكبرى الى الصف الثانى ، وبدأ عصر التحرر الوطنى والاستقلال ، ففقدت انجلترا وفرنسا جل مستعمراتهما فى الستينات من هذا القرن • وهكذا فعـل الحمقى من الساسة بامبراطورياتهم •

وان هذا الجو المحموم ليذكرنا بالأمس البعيد حين أهاج البـابا ايربان الثانى ورجال كنيسته الشعوب المسيحية ضد الاسلام والمسلمين ، وأطلق صرخة الحروب الصليبية فى مجمع كلدمونت عام ١٠٩٥ ، تلك الحروب التى أدمت كل شىء طيلة قرنين من الزمان ، وتركت جراحـا تستكين فترة ، لتعاود الايلام فترات • ومن مظاهر ذلك ، حالة السعار السائدة فى الغرب الآن •

ومما لا شك فيه أننا امام ظاهرة أوروبية متكررة ، تفعل فعلهـا فى الشعوب الأوروبية ذاتها ، كما تفعل فعلها فى الآخرين •

ولقد نقلنا ، سلفا ، بعض ما قالته **كارن** أرمسترونج فى حديثها عن اضطهاد النساء بدعوى التشيطن ، التى اجتاحت أوروبا طيلة قرنين من الزمان ــ السادس عشر والسابع عشر ــ **بسبب خوف متوهم ، تماما كما هو حادث الآن حيث يتصاعد الوهم بالتخوف من الاسلام والمسلمين .** ولا مانع بالتذكير ببعض ما قالته **كارن** مرة أخرى :

« ان أعمال القمع فى الحضارة الغربية لا ترى ظاهرة بوضوح الا فى حالات الرعب الفجائى المتعاظم الذى يصاحب تلك الأعمال ، ويتفجر من وقت لآخر بعنف مذهل ثم يخمد فجأة ، تاركا كل شخص مرتبكا ومتحيرا من ذلك الجنون الوقتى الذى سيطر على المجتمع .. ان جنون القمع هذا لا يوجه الى مجرمين حقيقيين فى المجتمع ، أو ينزل بمن يناصبونه العداء حقا ، لكنه يصيب ضحايا يعملون كبش فداء لأمراض العصاب التى كبتها المجتمع ، ولم يكن له من وسيلة للتعبير عنها سوى هذا الأسلوب العنيف اللاعقلانى » .

أوروبا تريـد أن ترتـد ٩٠٠ عـام !

لقد نسيت أوروبا أشياء كثيرة ••• لا بد من التذكير ببعضها الآن ، قبل أن ينفلت العيار ، وينقلب العبث جدا وخطرا •

*

اولا ـ ادانة الحروب الصليبية :

لقد نسيت أوروبا أن عقلاءها وعلماءها ومؤرخيها ، بل ومبشريها ، أدانوا جميعا الحروب الصليبية •

يقول المبشر **ستيفن نيـل** : « ان فكرة تخليص الأماكن المقدسة المسيحية من أيـدى الكفرة ، لم تكن فكرة حقـيرة فى ذاتهـا ، **لكن الرجال قد حاربوا لأسباب أعمق من هذا .** فقد كانت ضربة داهية من جانب البابوات لابعاد القوة التى لا تهدأ لطبقه الفرسان بعيدا عن الحروب الضروس التى استمرت تخرب أوروبا الغربية • فبالنسبة لمن سقطوا قتلى فى الأرض المقدسة ، أسبغت عليهم هالة الاستشهاد فى سبيل قضية مسيحية مزعومة ، وبالنسبة لأولئك الذين عاشوا ، كان هناك الأمل فى جزاء مادى ضخم من أجل المساعى الروحية : الاستيلاء على أراض جديدة ، بعيدا عن أوروبا التى لم تكن أما كريمة بأبنائها الصغار •

ومما لا يقبل الجدل ، أن الحروب الصليبية قد علمت العصور الوسطى الأولى : فلقد أصبح المسيحيون على دراية بعالم آخر وبحضارة اكثر تقدما عن حضارتهم •

ولكن ، بعد أن نفرغ كل ما يقال فى جانب الاطراء لتلك الحروب الصليبية ، فان المسيحى لا يملك سوى الحكم **بأنها كانت فى مجملها كارثـة لا يمكن تفـادى آثارهـا بالنسـبة لقضـية المسـيحية .**

لقـد صورت الحروب الصليبية بأسلوب روماتنيكى قوامه الأساطير ••

وبالنسبة لأغلب المحاربين المسيحيين ، كان المسلمون مجرد كفرة ليس لهم الحق فى الوجود ، وليس لهم عقيدة يحافظون عليها ، ويمكن ذبحهم دون شفقة أو ندم ، من أجل مجد الاله المسيحى .

وهكذا ، غشى عالم البحر المتوسط سحابة كئيبة من الكراهية طيلة القرنين اللذين انصرما بين الفتح الأول لأورشليم عام ١٠٩٩ ، وفقدان آخر معقل صليبى فى عكا عام١٢٩١ ، **سحابة تلقى بظلالها على المستقبل .** ولقد كانت كارثة الكوارث ، أن تلك الكراهية قد استحضرت فكرتها فى الأذهان باسم المسيح »(١) .

*

ويقول **لويس يونج** : « فى أوروبا كان يظن بأن الصليبيين أبطال . وقد أسبغت عليهم عبارات التمجيد البطولى الرومانسية . **ولكنهم فى الواقع ليسوا سوى أفظع زمرة سفاكة متعطشة للدماء فى تاريخ أوروبا »(٢) .**

*

هكذا كان الأجداد ، فهل يريد الأحفاد السير على خطاهم ؟!

* *

ثانيا ـ انتهاك حقوق الانسان عبر تاريخها :

لقد عاشت أوروبا تنتهك حقوق الانسان عبر تاريخها المثير . ويحتاج الحديث عن هذا الموضوع الى مجلدات ضخمة ، لا بضع صفحات من كتاب . ونكتفى الآن بمس هذا الموضوع الخطير فى تاريخ البشرية .

* *

---

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 113 — 114.

(٢) العرب وأوروبا : ص ١٤٨

١ — انتهــاك حقوق الانســان الأوروبى

(أ) الأوروبى وثنيــا :

لقد استخدم ملوك أوروبا وأمراءها السيف لاجبار شعوبهم على التحول الى المسيحية دون خيار آخر . وفىهذا يقول المبشر ستيفن نيل(١):

« ان شارلمــان يعتبر بلا جدال واحدا من أعظم الشخصيات فى تاريخ كل من الكنيســة والعــالم .. وما يهمنا فى المقــام الأول هنــا هو **امتداد الدائرة المسيحية عن طريق غزوات شــارلمــان ضــد السكسون ..** فقد كانوا مصدر خطر عليه . ولذلك قرر أن يخضعهم لسلطانه باستخدام مزيج من القوة المسلحة والعقيدة الدينية .

فمنــذ عام ٧٧٢ حتى عام ٧٩٨ ونحن نقرأ عن استمرار الغزوات المتعاقبة ، وتحول الى المسيحية ، ومؤامرات ، وأعمال قمع ..

وبمجرد اخضاع احدى القبائل الألمــانية ، فان تحولها الى المسيحية كان يندرج فى بنود السلام ، كثمن يمنح نظير تمتعها بحماية الامبراطور .. وتلقى القصة **الطويلة للاستشهاد والمذابح ، ضوءا شاحبا على العمليات التى تم بها أخيرا تحول السكسون الى المسيحية .**

لقد سجل أنه فى احدى المناسبات ، قتل شارلمــان ٤٥٠٠ سكسونى فى يوم واحــد .

وتفرض قوانين الدولة عقوبات وحشية ضــد أى خرق لمجموعة القواعد المسيحية ، منها :

---

(١) S. Neil : A History of Christian Missions, pp. 79 — 80; 105; 93 — 95.

ان اى سكسونى غير معمد ، يحاول ان يختبىء بين شعبه ويرفض قبول التعميد مسيحيا ، سوف يقتل » .

وفى النرويج استخدم الملك أولاف ، منذ عام ٩٩٥« كل الاسلحة : المداهنة ، والخداع ، والتحريض . وعندما فشل كل ذلك فانه أستخدم الأجبار المحض دون مواربة .. وفى أغلب الحالات كان الملك مستعدا عند الضرورة أن يكرههم على ابتلاع عقيدته (المسيحية) بحد السيف » .

وفى بروسيا « كان يعيش فى جنوب البلطيق وشرقه شعوب الوندال والبروسيين واللتوانيين ، وعدد من شعوب أخرى ؛ لم تتحد جميعها الا على شيء واحد هو تصميمها على ألا تكون مسيحية ..

ومهما كان تفكيرنا فى الطريقة التى اتبعت أخيرا ، فان التاريخ لا يستطيع انكار أن اضافة هذه المناطق الى العالم المسيحى كان سببه غزوات الفرسان التيوتونيين ..

لقد كان المفهوم هو أن هذه الجماعة لديها تفويض بأن تضم الى ممتلكاتها أى أراضى تستولى عليها من الوثنيين ، شريطة أن تعطى الشعب المغلوب ، التعاليم المسيحية كتعويض له عن فقد أراضيه !

وقد حدث أخيرا ، عندما عين مطارنة لتلك المناطق ، أن عدل البابا المنحة ، حيث جعل الثلثين للغزاة (الفرسان) والثلث للمطارنة..

لقد انقضت خمسون عاما فى أعمال الغزو ، وفى نهاية تلك الفترة انتهت المقاومة ، وانضمت بروسيا الى العالم المسيحى ..

لقد جاءت الى هنا كل أجهزة التبشير المسيحية فى القرون الوسطى لترافق الغزو الحربى . وكانت بنود المعاهدة (بين الغزاة والبروسيين) أبعد ما تكون عن اعتبارها مهذبة أو صورة لنصيحة بالحسنى ..

قد يكون موضع تساؤل : الى أى مدى كان الاقتناع الداخلى متمشيا مع المظهر الخارجى للممارسات العقيدية ؟

لكنه سؤال مقلق لا يزال يتعقبنا (نحن المسيحيين) منذ حمل شارلمان السيف ليساعد على تنصير السكسون . بل انه فى الواقع يلاحقنا منذ زمن التعميد بالجملة لكلوفيس (ملك فرنسا) ورجاله فى عام ٤٩٦».

وفى المجر : « تزوج أميرها جيزا فى عام ٩٧٣ أميرة مسيحية هى أولهيد البولندية .. ومنذ ذلك الوقت فصاعدا ، فان جيزا عقد العزم على تحويل بلده الى المسيحية .

ولما كان الترغيب لم يأت بنتائج فعالة ، فانه لجأ الى وسائل أخرى غير مقبولة ، ومن ثم تضاعف أعداد المتنصرين بسرعة » .

وهكذا كان تحول أوروبا الى المسيحية بالسيف الذى عمل بين شعوبها ، من شرقها الى غربها ... فهذا ما يقرره مؤرخو التبشير بالمسيحية .

*

(ب) الأوروبى مسيحيا :

منذ أن صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية على عهد قسطنطين الكبير (٣٢٥ م) بدأت الكنيسة تقوى حتى جمعت فى يدها السلطتين الدينية والدنيوية ، فسيرت الجيوش الجرارة للحرب باسم المسيح ، ومنحت بركاتها للملوك والأمراء الذين خضعوا لسلطانها ، وقاتلت الذين خرجوا على ارادتها ، وقتلت حرقا وشنقا كل من اعتبرته متمردا على تعاليمها فى الدين والدنيا . ولقد كان لدعاة الاصلاح والتقدم من رجال الدين ورجال العلم النصيب الوافر من الاضطهاد والملاحقة والابادة .

لقد كان دعاة الاصلاح الدينى يعملون من أجل اعادة فتح باب

الاجتهاد فى الدين على أساس احلال العقل محل النقل ، والغاء احتكار رجال الكنيسة كمفسرين وحيدين للوحى ، والغاء دور القديسين كوسطاء بين الله والناس •

أما رجال الفكر الكنسى المتشدد فكانوا على العكس من ذلك ، يرون ضرورة الاحتفاظ بالتقاليد والمفاهيم المتوارثة واطاعتها طاعة عمياء ، وأن أى مخالفة لذلك انما هى هرطقة وكفر جزاؤهما الاحراق فى الدنيا رحمة بالمذنبين ، بدلا من الاحراق الأبدى فى الآخرة •

ويعبر عن هذا المنطق الرهيب توركويمادا (١٤٢٠ — ١٤٩٨) ، **رئيس محاكم التفتيش فى أسبانيا** ، الذى كان « يبرر احراق مئات الزنادقة والسحرة على الخازوق ، وتعريف الزنادقة والسحرة وكل منشق على الكنيسة الكاثوليكية أو رافض لها فى العقيدة أو السلوك أو المصالح، بقوله : نحن نحرقك فى الدنيا رحمة بك حتى ننقذك من النار الأبدية فى الآخرة » ![1] •

ولقد كان من نتيجة تطبيق هذا الفكر الكنسى الرهيب أن تعرض الكثير للتعذيب أو الاحراق أو كليهما معا • ونكتفى بذكر عدد محدود جدا من رجال الاصلاح الدينى ورجال العلم الذين سحقتهم الكنيسة سحقا •

١ — فى عام ١٤٩٨ ، أحرقت الكنيسة الراهب الايطالى **سافونا رولا** الذى كان أول من بدأ حركة الاصلاح الدينى فى ايطاليا ، وذلك بعد قرار حرمان أصدره البابا اسكندر السادس عام ١٤٩٧ •

وبعد محاكمة استمرت أربعين عاما ، استخدمت فيها كل انواع التعذيب ، أعدم وأحرقت جثه مع راهبين آخرين من أتباعه المخلصين ، فى فلورنسا •

٢ — وكانت « أول ترجمة انجليزية للكتاب المقدس عملت بصورة مباشرة عن الأصل العبرى والاغريقى ، انما كانت من عمل **وليام تندال** •

---

(١) ثورة الفكر — ص ٨٩

لقـد واجـه معارضــة مريرة ، واتهم بتعمد افســاد معنى الكتــاب المقدس ، وأمر باحراق تراجمه للعهد الجديد باعتبارها تراجم زائفة .

واخيرا ، سلم ليد أعدائه ، حيث تم اعدامه على رؤوس الأشــهاد حرقا بالشد على الخازوق ، فى أكتوبر ١٥٣٦ » .

٣ ـ وفى عام ١٥٥٣ ، احرقت الكنيســـة ، فى جنيف ، ميخائيل سارفيتوس الأسبانى ، ومعه كتابه : اعادة بناء المسيحية .

٤ ـ وفى عام ١٦٠٠ ، أحرقت الكنيسة جوردانو برونو ، فى ميدان الأزهار (كامبو دى فيورى) بروما .

وكان من بين التهم الموجهة اليه : الزندقة والردة . **والدعوة لنظرية كوبرنيك فى الفـلك القـائلة بأن الأرض ليسـت مركز الكـون ، وأن الكواكب تدور حول محورها وحول الشمس ،** وهـو ما يتنـافى مـع الجغرافيا والفلك كما استخلصتهما الكنيسة من الكتاب المقـدس ومن أعمال أرسـطو وبطليموس الجغـرافى . وكان من التهم أيضــا ، الاشتغال بالسـحر ، **ويدخل فى هذا الباب الدعوة الى العلم للسيطرة على الطبيعة .**

٥ ـ وفى عام ١٦٤٢ مات الفلكى جاليليو فى عزلتـه كمـدا ، بعـد أن اصيب بالعمى . فقد حاكمتـه الكنيســـة ، وحكمت عليـه بتحـديد اقامته بعد أن أعلن تبرأه من مفاهيمه العلمية حـول الأرض وحركتهـا ، والشمس والكون . فقال فى اعترافه أمام المجمع المقدس عام ١٦٣٣ : (أستنكر هذه الأخطاء والزندقات المذكورة ، وبوجه عام كل الأخطاء والزندقات والمعتقدات المتعارضة مع الكنيسة المقدسة) .

هذا ـ ولسوف نصرف النظر عن الحـديث عن الاضـطهادات الدينيــة التى تعرضت لهــا الجماعات الدينيــة ، وخاصــة ما كان بين الكاثوليك والأرثوذكس ، ويكفى التذكرة **بأن الحملة الصليبية الرابعة**

خربت القسطنطينية التى فرح العالم الكاثوليكى باخضاعها ، اذ كان يسميها المدينة الملحدة ! وقد ابتهج **البابا أنوسنت الثالث** ، وأعلن فى رسالته الى بلدوين ــ الذى جرى تتويجه امبراطورا صليبيا فى كنيسة القديسة صوفيا ــ بأنه يطرب **(لما صنعه الله)** ، وأعلن موافقته دون تحفظ • وأما ما كان بين الكاثوليك والبروتستانت فجرائمه كثيرة ومتبادلة ، وتاريخه مرير ، يحفظه الغرب المسيحى جيدا •

**

٢ ــ انتهاك حقوق اليهود

عاش اليهود فى أوروبا المسيحية يعانون الاضطهاد والتعذيب والطرد طبقا لما توارثه المسيحيون عبر القرون من تعاليم كنسية • ولم تقف اللعنة التى ظلت تطارد اليهود ــ ازاء موقفهم العدوانى من المسيح حسبما تقول الأناجيل ورسائل التلاميذ ــ الا بعد الحرب العالمية الثانية • وكانت خطوة حاسمة فى هذا السبيل ، تلك التى اتخذها **البابا يوحنا الثالث والعشرون** (اعتلى كرسى البابوية من أكتوبر ١٩٥٨ الى يونيو ١٩٦٣) وذلك بحذف عبارة عدائية من صلاة الجمعة الحزينة تتحدث عن **اليهود الملعونين** ، تداولتها **الكنيسة** عبر القرون من مفاهيم الانجيل ، مثل قوله : « **أجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا ــ متى ٢٧ : ٢٥** » •

وكذلك من وصف **بولس** لليهود **اعداء الانسانية** ، وأن غضب الله عليهم الى النهاية ، وذلك فى قوله : « اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم واضطهدونا نحن وهم **غير مرضين لله** ، **واضداد لجميع الناس** • يمنعوننا عن أن نكلم الأمم لكى يخلصوا ، حتى يتمموا خطاياهم فى كل حين • ولكن **قد أدركهم الغضب الى النهاية** ــ تسالونيكى ١ : ١٤ ــ ١٦ » •

وفى نظرة سريعة على أهم الأحداث فى تاريخ الشعب الاسرائيلى ،

منذ صارت المسيحية الدين الرسمى للامبراطورية الرومانية وما تلا ذلك من اقامة ممالك ودول مسيحية فى أوروبا ، **منذ صار للمسيحية سيف تقاتل به** ، نجد مسلسل اضطهاد أوروبا لليهود يسير كالآتى[1] :

٥٣٧ م مرسوم جستنيان بحرمان اليهود من الحقوق المدنية وحرية العبادة .

٦١٣ ملك القوط الغربيين يجبر اليهود فى أسبانيا على اعتناق المسيحية .

٦٢٩ اجبار اليهود على التعميد ، وطردهم من فرنسا تحت حكم الملك داجوبرت .

٦٩٤ تحويل جميع اليهود فى أسبانيا وبروفانس الى عبيد .

١٠٩٦ مذابح للطوائف اليهودية فى أوروبا ، ابان الحملة الصليبية الأولى .

١٠٩٩ طرد اليهود المقيمين فى أورشليم بعد سقوطها فى يد الصليبيين

١١١٣ أول مذبحة لليهود فى كييف بروسيا .

١١٨٢ — ١١٩٨ طرد اليهود من فرنسا على عهد فيليب الثانى (أوغسطس) .

١١٨٩ مذبحة لليهود فى انجلترا ، ابان الحملة الصليبية الثالثة .

١٢٥٤ طرد اليهود من فرنسا فى عهد القديس لويس (التاسع) .

١٢٩٠ طرد اليهود من انجلترا .

١٣٣٠ — ١٣٣٨ انتشار الطاعون يؤدى الى مذابح لليهود ، اعتقادا بأنهم سبب الوباء .

١٣٩٤ الطرد الأخير لليهود من فرنسا على عهد شارل السادس .

١٤٢١ طرد اليهود من فيينا .

---

(١) David Catarivas : ISRAEL, pp. 177 - 178.

١٤٨١ محاكم التفتيش •

طرد اليهود من أسبانيا ١٤٩٢ ، ومن لتوانيا ١٤٩٥ ، ومن البرتغال ١٤٩٨

١٥١٦ بناء أول جيتو فى فينيسيا •

١٥٥٣ البابا يحرق التلمود فى روما •

١٥٦٣ ـ ١٦٥٦ مذابح لليهود فى أوكرانيا ، وألمانيا ، وبولندا ، والنمسا •

١٦٧٠ طرد اليهود من فيينا •

١٧٤٠ طرد اليهود من براغ •

١٧٦٨ مذابح لليهود فى أوكرانيا •

١٨٢٧ القيصر نيقولا الأول يأمر بتحويل أطفال اليهود اجباريا للمسيحية •

١٨٩١ طرد اليهود من موسكو •

١٩١٨ ـ ١٩٢١ نشر بروتوكولات حكماء صهيون •

١٩٣٦ ـ ١٩٤٠ سن تشريعات معاداة السامية فى رومانيا وايطاليا والنمسا •

١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ الحرب العالمية الثانية • مذابح لليهود •

*

ان فكرة **معاداة السامية** اختراع أوروبى ، لا علاقة له من قريب أو بعيد بالعرب ، لأنهم واليهود أبناء عمومة ، ويعتبرون ، وفق روايات الكتاب المقدس ، أمة سامية •

ولا علاقة بين المسلمين واضطهاد اليهود وتعذيبهم ، **فالثابت تاريخيا ان عصور ازدهار الطوائف اليهودية كانت دائما فى ظل الحكم الاسلامى •**

ولدينا فى هذا المقام شهادات وردت فى مرجع هام هو :

اطلس اسرائيل الحديث ، الذى وضعه : البرنامج الاسرائيلى للترجمات العلمية ، وطبع بمطابع جامعات اسرائيل بالقدس فى عام ١٩٦٨ ، ويعتبر بهذا وثيقة اسرائيلية رسمية .

تقول هذه الوثيقة :

« سيطر المسلمون سيطرة كاملة على فلسطين كلها ما بين سنة ٦٣٦ وسنة ٦٤٠ عندما كانت تحت الحكم البيزنطى ، ووجد المسلمون جماعات يهودية مبعثرة تعيش فى حالة فقر مدقع نتيجة للقيود والاضطهاد الذى مارسته الأجيال السابقة . وكانت مصادر عيشهم محدودة ، وكانوا يكتسبون عيشهم فى المدن بممارستهم للتجارة أو الاشتغال بالأعمال الحرفية . ولم يكن لهم سوى نصيب قليل فى الأدب والثقافة .

وعلى مر الزمن ، استعمل يهود فلسطين كثيرا من طرق جيرانهم بما فى ذلك لغتهم ، وأصبح يطلق عليهم أشباه العرب أو المستعربين .

وإذا ما قورن الفاتحون العرب فى فلسطين بغيرهم من الحكام الطغاة السابقين ، نجد أن العرب كانوا يعاملون الرعايا اليهود بقدر كبير من السماحة ، بل والعطف عليهم ..

وفد حاملو الصليب من البلاد الأوروبية المختلفة .. ثم توجهوا رأسا الى هدفهم المقدس وهو مدينة أورشليم .. واستولوا عليها بعد اراقة كثير من الدماء . وذبح فى هذه المعركة السواد الأعظم من يهود اورشليم ..

وعندما أصبح للمسيحيين اليد العليا فى الموقف ، قاموا بمذابح لا رحمة فيها بين اليهود .

وقد حضر الى فلسطين العالم اليهودى والفيلسوف الكبير ميمون بن موسى فى سنة ١١٦٥ ، ولكنه ذهب الى مصر بسبب القلاقل التى كانت تعم البلاد فى تلك الأثناء . وفى مصر قضى أحسن سنى حياته الخلاقة ..

ان المماليك المسلمين ، هم الذين طردوا الصليبيين فى النهاية وحلوا محلهم فى السيطرة على فلسطين • وكان **المماليك يعطفون على اليهود ويحسنون معاملتهم ، وساد الرخاء بين الطائفة اليهودية فى فلسطين أيام حكمهم ..**

وفى أيام حكم المماليك ساد السلام والهدوء ربوع البلاد ، وكان هناك سيل لا ينقطع من الحجاج المسيحيين واليهود ..

وقد استولى المسلمون الأتراك على البلاد من المسلمين المماليك فى سنة ١٥١٧ ، **وفى عهدهم استمرت الطائفة اليهودية فى النمو والازدهار ..** وفتح السلطان سليمان الكبير طبرية وقرى كثيرة أخرى بالقرب منها لاقامة اليهود واستقرارهم فيها ..

وفى سنة ١٨٣١ غزا البلاد الجيش المصرى بقيادة ابراهيم باشا بن محمد على • وفى عهده ازدهرت المدن اليهودية فى فلسطين » •

بعد هذا : من يجرؤ على التنكر او الانكار ؟!

* *

٣ – انتهاك حقوق المسلمين

(أ) من الماضى :

هو حديث طويل يتعذر تقصيه فى صفحات ، لكن ملامحه الرئيسية يحددها مثال متكرر عبر القرون ، يرينا كيف يعامل المسيحيون المسلمين عندما يكون السلطان بيد المسيحية • انها قصة اضطهاد دموى غشوم ، من أمثلته ما حدث بالأندلس بعد سقوط غرناطة عام ١٤٩٢ م • فلقد توالت القوانين الجائرة لاستئصال بقايا العرب والمسلمين فى الأندلس • ومنذ عام ١٥٠١ أجبر المسلمون على التنصر ، وكان الاعدام نصيب كل من يمارس فى الخفاء تعاليم الاسلام ، أو تلقين أولاده مبادىء الدين ولغتهم العربية • وأمام هذا القمع الأعمى والارهاب المطلق ، تظاهر

المسلمون ابتداء من عام ١٥٢٦ باعتناق المسيحية • وقد ظلوا على هذا الحال أكثر من قرن ، يخفون دينهم فى قرارة أنفسهم ، ويلقنونه أبناءهم بكامل السرية والحذر •

وقد أنشئت فى تلك الفترة **دواوين التفتيش** لتعقب المسلمين والتجسس على من تنصر منهم ، وتسليط أشد العقوبات عليهم ومن بينها الابادة الجماعية • وفى تلك الفترة أصدر المفتش العام **دون الفونسو مانريك** قائمة بسائر المظاهر التى تدين صاحبها بالتلبس بممارسة شعائر الاسلام ، وبالتالى تبيح أن ينزل به أشد العقوبات فتكا وارهابا • وكانت تعلق تلك القوائم فى الكنائس والساحات العامة ، وتحرض المسيحيين الأسبان على الوشاية بكل من يشتبه فى تشبثه بالاسلام •

ونقرأ فى هذه القائمة :

((لكل ما يتعلق بالملحدين المحمديين ، اليكم المظاهر والأشياء التى يجب الاخبار عنها :

اذا قيل ان المسيح كان نبيا ، وليس الها ، وان والدته لم تكن عذراء !

ان سمعنا أو رأينا أن المسيحيين الذين تم تعميدهم ، يقومون ببعض طقوس أعياد الدين المحمدى ، مثل الاحتفال بيوم الجمعة ، وتزيينهم بقميص نظيف وألبسة أحسن من بقية الأيام الأخرى •

اذا ذبحوا الدواجن والحيوانات قاطعين العنق بالسكين ، وقائلين : باسم الله •

اذا رفضوا أكل لحم الحيوانات غير المذبوحة •

اذا ختنوا أبناءهم أو لقبوهم بأسماء عربية •

اذا قالوا انه يجب الايمان بالله وبمحمد نبيه •

اذا حلفوا بكل الآيات القرآنية •

اذا قاموا بصيام رمضان ، وأنهم لم يأكلوا أو يشربوا حتى يلاحظوا النجمة الأولى ، ووزعوا بعض الصدقات •

اذا قاموا بالسحور ، واستفاقوا ليأكلوا قبل طلوع النهار ، أو غسلوا أفواههم ورجعوا الى فراشهم •

اذا قاموا بالوضوء وغسلوا السواعد والأيدى حتى المرافق ، والوجه والفم والأنف والأذنين والقدمين والأعضاء الجنسية •

اذا قاموا الى الصلاة وحولوا وجهتهم نحو المشرق •

اذا احتفلوا بعيد الأضحى بعد قيامهم بالوضوء •

اذا تزوجوا على النهج المحمدى •

اذا غنوا الأغانى العربية ونظموا حفلات أو رقصات وغنوا بآلات موسيقية ممنوعة •

اذا احترموا تعاليم الاسلام الخمسة •

اذا غسلوا موتاهم ولفوهم فى كفن من قماش أبيض ودفنوهم فى قبر عميق وأضجعوهم فيه ، واضعين حجارة تحت رؤوسهم •

اذا قالوا أو فعلوا أى شىء مرتبط بالدين المحمدى » •

ويكفينا **جوستاف لوبون** التعقيب على أحداث تلك الحقبة الحالكة بقوله فى كتابه « **حضارة العرب** » : .

« يستحيل علينا أن نقرأ دون أن ترتعد فرائصنا من قصص التعذيب والاضطهاد التى قام بها المسيحيون المنتصرون على المسلمين المنهزمين •

فلقد عمدوهم عنوة ، وسلموهم لدواوين التفتيش التى أحرقت منهم ما استطاعت من الجموع • واقترح القس **بليدو** قطع رؤوس كل العرب دون أى استثناء ممن لم يعتنقوا المسيحية بعد ، بما فى ذلك النساء والأطفال •

وهكذا تم قتل أو طرد ثلاثة ملايين عربى ، كانوا يشكلون النخبة الفكرية والصناعية فى أسبانيا . وهكذا **انطفأت حضارتهم الوهاجة التى ظلت تشع على أوروبا منذ ثمانية قرون** » .

ويقول المؤرخ الأمريكى **درايبر** فى كتابه « **النمو الثقافى فى اوروبا** » :

« ما أن رسخت أقدام العرب فى أسبانيا حتى شرعوا فى عملهم الفريد الوضاء . وأصبح خلفاء قرطبة أكبر حماة للعلوم . **واقاموا الدليل على سمو ذوق يتناقض بصورة صارخة مع بدائية الأمراء الأوربيين** . وتحت ادارة هؤلاء الخلفاء بلغت قرطبة أوج ازدهارها . فبعد غروب الشمس ، يمكن للمرء بها أن يقطع عشرة أميال فى شوارع مستقيمة مضاءة بالفوانيس .

وبعد سبعة قرون من **ذلك لم تكن لندن عرفت بعد** الاضاءة العمومية ، وكانت شوارع قرطبة مبلطة بطريقة جيدة . وبعد اربعة **قرون من ذلك لم يكن الباريسى يستطيع أن يخطو عتبة بيته دون أن يغوص** فى الوحل الى كعبه .

ان العرب **لم يحملوا معهم الى أسبانيا : لا الأحقاد الطائفية او الدينية، ولا محاكم التفتيش ، وانما حملوا معهم أنفس شيئين فى العالم ، هما اصل عظمة الأمم : السماحة والفلاحة** » .

وبمناسبة اضاءة شوارع المدن الاسلامية ليلا ، تذكر الدكتورة **سيجريد هونكه** ، أنه عندما بدأت اضاءة الشوارع فى **المانيا** ، فى مطلع القرن التاسع عشر ، صدرت « **جريدة كولونيا الألمانية** ، تصف اضاءة الشوارع بمصابيح الغاز فى عددها الصادر يوم ٢٨ مارس سنة ١٨١٩ **بأنه شر مستطير من البشر** ، **يهدد الظلام الالهى** » !

*

(ب) من الحـاضر :

منذ خمسين عاما ، اشتعلت الحرب العالمية الثانية ... وهى حرب أوروبية مائة بالمـائة ، كان حريا بمن أشـعلوها نتيجة طموحاتهم أو أخطائهم ، أن يقصروها على شعوبهم وبلدانهم . لكن دنيـا السياسة لا تعرف حقـوقا ولا ترتبط بواجبـات . فلقـد وضـع **ميكيافيلى** (١٤٦٩ — ١٥٢٧) نظريته فى أن : **الغاية تبرر الوسيلة** ، فجرد السياسة من الأخـلاق . ولا مانع بعد ذلك أن تتردى السـياسة الى السـفالة والقهر والارهاب . فالأمير المرهوب أفضل ، عنده ، من الأمير المحبوب.

لقد عاصر جيلنا تلك الحرب الضروس ، التى امتدت ليكتـوى بنيرانها العـالم القـديم كله . فى تلك الأثنـاء كانت جميع البـلدان الاسلامية ، عدا بلدا أو بلدين ، خاضعة تماما للاستعمار الأوربى : من المحيط الأطلسى غربا الى الأرخبيل الأندونيسى شرقا . وهذا الاستعمار ظاهرة — كما يقول الدكتور لويس عوض — « **اقترنت بالحضارة الغربية الحديثة ، وانتهت بنزح ثروات العالم وكنوزه وتكديسها واستغلالها فى اوروبا ، فى الانتاج والخدمات ، وفى مزيد من البحث والاقتحام** » .

لقد أكلت هذه الحرب شـباب العالم الاسـلامى ، واسـتنزفت خيرات بلاده ، سـواء فيما وراء البحار — كما يقولون فى أوروبا — فى المراحل الأولى من الحرب ، أو خلال المعارك الدموية فوق أرض أوروبا ذاتها خلال مراحلها الأخيرة . ان وثائق الحرب فى لنـدن ، وباريس ، ولاهاى ، وروما ، وغيرها ، خير شاهد على ذلك .

بل دعنـا من الوثائق وما فيها ، فهذه يمكن اخفاؤها والعبث بها ، فلدينـا ما هو أقـوى من ذلك آلاف المرات ... انه الواقع الملموس بجميع حواس الانسـان .

لقد نقلت أوروبا صراعاتها الدموية الرهيبة الى شعوب مستعمراتها وهكذا ، نجد احدى البلاد التى احتلتها انجلترا سابقا ، وهى مصر ، قد

اكتوت بنار الحرب العالمية ، حرب فرضت عليها فرضا ، فأجبرت على التعرض للخسائر والدمار طيلة سنواتها ، ولا تزال تعانى الى الآن من آثارها التخريبية . ولو جاءت لجنة من دول السوق الأوربية المشتركة لتعاين آثار حروبها المدمرة الى الآن لتقدر تعويضات مناسبة لمصر ، وسارت على أرض الساحل الشمالى المصرى فى منطقة العلمين وما حولها ، فلن تعود تلك اللجنة أبدا ... ستنسفها ألغام الحرب التى زرعها الانجليز والألمان ... تلك الألغام التى يحصد المصريون ثمارها بازهاق الأنفس كل يوم ... وفى نفس الوقت تحرمهم من زراعة أكثر من ٢ مليون فدان ، مساحة هائلة يكفى أن نعلم أنها تساوى ثلث مساحة الأرض الزراعية بمصر ، فهى مساحة كانت كفيلة بتوفير احتياجاتهم من القمح ، ذلك المحصول الاستراتيجى ، الذى صار واحدا من أسلحة الاستعمار الجديد ...

لقد كانت مصر فى الماضى مزرعة القمح الرئيسية للامبراطورية الرومانية الجبارة ، فاذا بها الآن تستورده لتأكل ... !

ومع ذلك ، فان صوت القوة الغشوم والاستعلاء المتعصب لا يزال يزعم كل صباح : أنها حضارة حقوق الانسان ... !

وماذا ، فى أوروبا ، بعد انتهاء الحرب ؟

ما كان غير الأيدى العاملة الرخيصة والمطيعةمن شباب العالم الاسلامى وبقية العالم الثالث ، ليقوم بعمليات اعادة بناء أوروبا وتعميرها. فلقد جند هؤلاء واستدعوا من أوطانهم ليحملوا أعباء البناء من أجل السلام ، كما حملوا أعباء الحرب والقتال . لقد جاءوا من نيجيريا والسنغال وغينيا ... ومن المغرب والجزائر وتونس ... ومن تركيا وايران وشبه القارة الهندية والملايو وأندونيسيا ... جاءوا من كل مكان الى أوروبا ليعملوا بها ، وحصلوا على جنسيات البلدان التى استقروا فيها ، حتى اذا انقضت بضع عقود من السنين ، هدأت فيها

الحرب الباردة بين الشرق والغرب ، واستعاد الاقتصاد الأوربي قوته ، وقاربت أوروبا تحقيق وحـدة قوية بينها ، خطط لها عام ١٩٩٢ ، انطلقت أصوات انتهازية تتنكر لدائنيها ، وتدعو لطرد أولئك الغرباء عن النسيج الأوروبى المتميز !

ان هـذا وحده خير برهان ، لمن هو فى حاجة الى برهان ، على أن من يدينون بالمسـيحية لا يعرفون التعايش السـلمى بين الأديان • وحين تكون لهم اليد الطولى فى مجتمع ما ، فاما خضـوع من الكل لتقاليدهم وممارساتهم ، واما صدام لا مفر منه •

لقد استنفدت أوروبا أغراضها منهم ، ولم تعـد بحاجـة اليهم ، فليذهبوا الى أى مكان ، وليكن الجحيم ••• ! لا يهم ، فالأمر سيان ••• أليس هذا ما جاء فى سـفر **(الأمير) : السياسة سفالة** ••• أو كمـا قال ••• !

الأدهى والأمر ، انهم يعطوننا دروسا فى حقوق الانسان ••• !

*

٤ ـ انتهاك حقوق شـعوب المسـتعمرات

تعتبر افريقيا خير مثـال لدراسـة الاسـتعمار وما ارتبط به من انتهاكات فظيعة لحقوق الانسـان • فهذه القارة قـد تعرضت لمختلف أنواع الاستعمار بخصائصـه المختلفـة ، فذاقت ويلات الاسـتعمار : الانجليزى والفرنسى والايطالى والأسـبانى والبرتغـالى والبلجيـكى والهولندى والألمـانى • وهى الوحيدة التى لا تزال بها الى الآن جيوب استعمارية ، فى نصفها الجنوبى ، لم تتم تصفيتها بعد •

وقد قام القس جاك مندلسون بجـولة تبشـيرية فى افريقيـا فى السـتينات من هـذا القرن ، تعرف فيها على مشـاكل القارة وارتباطها بالتبشير الذى عمل مخلب قط للاستعمار •

تقول جاك مندلسون : « حينما تكون حالة الشبان الافريقيين سعيدة ، فانهم لا يتعبون من ترديد القصة القديمة : ان المبشرين جاءوا الينا وقالوا : اننا نريد أن نعلمكم العبادة . وقلنا : حسنا . اننا نريد أن نتعلم العبادة .

وطلب المبشرون منا أن نغلق أعيننا ، وفعلنا ذلك وتعلمنا التعبد . وحينما فتحنا أعيننا ، وجدنا الانجيل فى يدنا ووجدنا اراضينا قد اغتصبت .

وهناك أيضا تلك الكلمات المريرة ، كلمات تكررت بلا توقف فى افريقيا كلها : **ان حركة التبشير المسيحية كانت محاولة لاخماد الروح الافريقية .**

ان ما تدعيه المسيحية من معاملة الناس بالحسنى لا معنى له ، لأن المسيحية قد ثبت عمليا أنها دين مشاغب ، فكل ملة تهاجم الأخرى ..

ان المبشرين مذنبون بأكبر خداع حماسى لجذب الناس للعمل الارسالى .. انهم وكلاء لسوء التمثيل الخارجى .. انهم كانوا ذئابا فى جلود نعاج .. **ان المسيحية كانت جزءا من خداع افريقيا** » .

ولقد عقب **مندلسون** على ذلك بقوله : « ان المبشر مهما اعتقد أن هدفه مختلف عن المستكشف والمستوطن والوكيل التجارى والموظف الادارى ، **فان الافريقى رأى فيهم جميعا مشروعا مشتركا .**

ولم يكن الافريقى مخطئا فى تقديره .. فالمسيحية ، وقد طبع عليها الاستعمار طابعه ، أصبحت فى موقف شديد الحرج »(١) .

ويقول المبشر **ستيفن نيل : «فى القرن التاسع عشر ، خضع المبشرون الى العقد الاستعمارية التى تقول بأن الرجل الغربى فقط هو الانسان**

---

(١) الرب والله وجوجو : جاك مندلسون ، ص ٢٩ ، ١٩٩

بكل ما تعنيه هذه الكلمة . لقد كان عاقلا وطيبا ، على أنه يجـــوز للأجناس الأخرى (غير الأوربية) أن تشـــارك فى هذه الحكمة والطيبة بالقدر الذى تصطبغ به من نظم الحياة الغربية **لكن الرجـــل الغربى كان هو القائد ، ولسوف يبقى هكذا ازمن طويل ، وربما الى الأبد ..**

فحتى عام ١٩١٤ لم يكن لدى الكنيسة الرومانية الكاثوليكيـة اى اسقف من أصل غير أوروبى سوى أربعة ..

وعندما أثار شـــاب بلجيكى ، هو القس فنسنت لب ، السؤال عما اذا كان الوقت لم يحن بعد لخلق أسقفيه وطنية فى الأقاليم الأخرى ، فانه واجه معارضة شديدة لاحقته فى كل مكان ، تقول : انه **طالمـا كان الجنس الأبيض فى استطاعته أن يقدم موردا لا ينضب من الأســاقفة ، فان لا يمكن أن يوجد رجل واحد من الأجناس الصفراء والحمراء والبنية والسوداء ، يستطيع حمل ثقل الأسقفية ..**

وفى **أمريكا ، كان المبشرون شهودا على مأساة الهنود الحمر . ان أيا من بريطانيا وفرنســا وهولندا ، لا يمكنهـا التنصـل مما حدث .** لقد كان الأسلوب اللاانسانى الذى أقحم به الرجـل الأبيض ، ذلك الهندى الأحمر فى صراعاته الخاصة ، مثيرا الهندى ضـد الهنـدى ، والهنـدى ضـد الأوربى ، **انما يمثل مرحلة من أكثر مراحل التاريخ الاستعمارى خزيا وعارا .**

وأسوأ من ذلك هو تطبيق مبدأ : **اشرب الخمر ، ودع الشيطان يتكفل بالتالى .**

فان الهندى الأحمر لم يستطع مقاومة اغراء خمر الرجـل الأبيض الملتهبـــة . **وهنـا ، كمـا فى اى مكان آخر ، نجد أن تغـذية الشعب البدائى بالكحول ، يعادل القتل مع سبق الاصرار »(١) .**

* *

(١) S. N.i. : A History of Christian Missions, pp. 259 , 202.

٥ ــ انتهــاك حقوق المســيح

وأخيرا ، فانه لمــا يزيد فداحة هــذه المظــالم والجرائم التى ارتكبت عبر القرون ، أنها ألصقت ظلما وعدوانا باسم **(الانسان يسوع المسيح)** ، كما سماه بولس فى رومية ٥ : ١٥

ان المسيح براء من كل ما حــدث باسمه من حــروب وانتهاكات ومظالم . وهو قــد تبرأ من هؤلاء وهؤلاء ، ويوم القيــامة يقــول لهــم جميعــا : **« انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يافاعلى الاثم** ـ متى ٧ : ٢٣ » .

هنــالك ، يجمعون « جميــع المعــاثر وفاعلى الاثم ، ويطرحونهم فى أتــون النــار . هنــاك يكون البكــاء وصــرير الأســنان ـ متى ١٣ : ٤١ ــ ٤٢ » .

* * *

قضــية الدجــال الهنــدى

● **النشــأة والخلفيــة :**

ولد سلمان رشدى فى بومباى بالهند سنة ١٩٤٧ ـ عام التقسيم وانشاء الدولتين : الهنـد وباكسـتان ـ من أب هنـدى يدعى أنيس رشـدى ، مرتد عن الاسلام . وتلقى تعليمه الأولى فى احدى مدارس التبشير المنتشرة آنذاك فى الهنـد ، حيث كان المبشرون يقـدمون له ولزملائه الطعام والكسـاء وغيره لاستمالتهم . فشرب فى هذه السن المبكرة كراهية الاسـلام وكل ما يتصل به . وهكذا تضـافر البيت والمدرسـة فى بناء شخصيته مهتزة ، صلتها بالاسـلام مجرد تسمية تثبت فى شـهادة ميلاد أو بطاقة شخصية ، وعوامل انتزاعها من الاسلام أقوى وأبقى من عوامل ادخالها فيه .

ولمـا كانت بلده تعانى أزمات اقتصادية بسبب خضوعها للاستعمار مئات السنين ، وأخيرا بسبب الحرب بين الهند وباكستان ، فقـد كانت أسرته ضمن من هاجر الى انجلترا سـعيا للرزق . وهناك التحق بالتعليم الثانوى ، ثم بكلية الملك فى جامعة كمبردج .

وبعد تخرجه بحث عن وظيفة مناسبة هناك فلم يجد ، فقرر العودة الى موطنه الأصلى ، شبه القارة الهندية ، ولكن هذه المرة الى باكستان ، حيث أتيحت له فرصة عمل فى التليفزيون . بيد أن روائح الكفر والزندقة والطعن فى الاسلام بدأت تفوح منه ، ففصل من عمله ، وعاد الى لندن يجر أذيال الخيبة والاحباط بعـد أن امتلا قلبه حقـدا على الاسـلام والمسلمين . وأخيرا وجـد عملا فى احـدى وكالات الاعلان ، أعطتـه دخلا ثابتا استطاع معه أن يتجه الى التأليف الروائى .

وفى عام ١٩٧٥ أصـدر روايته الأولى : **جريموس** ، وعمره آنذاك ٢٨ عاما ، فلم يلتفت اليها أحـد ، فماتت فى مهـدها وأصـابه لذلك احباط شديد . ثم **تزوج بعد ذلك بفتاة انجليزية تدعى كلاريسا لوارد ،**

وعن طريقها تعرف الى الناشرين ، فأصدر روايته: **اطفال منتصف الليل** ، وصف فيها حال الأولاد الذين يدخلون الحياة وقلوبهم خاوية من الايمان والقيم الأخلاقية ، ويأتون الى عالم ملىء بالمتناقضات • **ولقد قال عن نفسه : انه يشبه احدى شخصيات هـذه الرواية ، ففى داخله ثقب لم يبق قطرة واحدة من الايمان عنده** •

ولقد أثارت روايته ضـده ضجة فى الهنـد ، اذ كانت توجه نقدا عنيفا لسياسة السيدة أنديرا غاندى الخاصـة بتعقيم الرجـال ، فأدلت بتصريح تتوعد فيه صـاحب الرواية بتقديمه الى القضاء • وفى تلك الأثناء منحته انجلترا جائزة بوكر ، وكأنها تغيظ الهنـد ــ الدولة المسـتقلة ــ والتى كانت يوما ما احـدى مسـتعمراتها • لقـد بدأ يطفو على السطح ، فها هى روايته : **اطفال منتصف الليل** ، تثير ضجة فى موطنه الأصلى ، الهند ، وها هو يمنح عليها جائزة فى موطن هجرته ، انجلترا •

بعد ذلك كتب رواية بعنوان : **العـار** ، وانتظر أن يحصل بها على جائزة بوكر ، الا أن لجنـة التحكيم أسقطتها من الفوز •

ثم ما لبث أن طلق زوجتـه الانجليزية ، وتزوج كاتبة أمريكيـة اسمها ماريان ويجينز ، لعلها تؤدى نفس الدور مع الناشرين الأمريكيين•

وبالرغم من تعـرفه الى كثير من الناشرين فى انجلترا والولايات المتحدة ، وتعرفهم الى ما تتضمنه كتاباته من حقـد دفين على الاسلام والمسلمين وتشجيعهم لاتجاهه هذا ، الا أنه ظـل مغمورا ، بعيـدا عن أضواء الشهرة العالمية التى ألتى كان يحلم بها(١) •

ثم كانت روايته : **آيات شيطانية** ، التى تجرد فيها من كل حياء ، وقذف بنفسـه عاريا ، أمام الجميع ، فى مسـتنقعات الكفر والفجـور والأكاذيب ، **فعبث بكل المقدسات ، ومن بينها المقدسات المشتركة بين**

---

(١) آيات سماوية : الدكتور شمس الدين الفاسى ــ ص ١١ ــ ١٤

اليهود والمسيحيين والمسلمين : ابراهيم خليل الله ، ابو الأنبيـاء ، والأب الروحى لأصحاب الديانات الثلاث ، كما عبث بملائكة الله فى السماء ، وعلى رأسهم جبريل أمين الوحى وأمين العرش ، اضافة ــ بطبيعة الحال ــ الى عبثه بمقدسات الاسلام .

لقد انتهى هذا الدجال الهندى من تأليف روايته الشيطانية هـذه فى سـنة ١٩٨٨ ، ونشرتهـا له دار فايكنج برس ، وظلت راقـدة فى المكتبـات لا تتحرك ، ولا تمتـد اليها يدى قارىء . ثم ما لبثت دار فايكنج برس أن تخلصت منها ، فباعتها الى دار بنجوين وبقى الحـال كما هو عليه من ركود تلك السـلعة البائرة ، الى أن تنبه المسـلمون الى ما فيها من فحش وأكاذيب ، وتعريض فاجر بمقدسـات الاسـلام والمسلمين ، فتحركوا لوقفها . لكن المتآمرين كانوا يتوقعون هـذا ، فحشدوا طاقات اعلامهم لاثارة الغرب المسـيحى كله ضـد الاسـلام والمسلمين ، وخاطبوا وجدانه وما استقر فيه من كراهية وعداء دفين ، فانطمست الأبصـار وعميت البصائر . وفى هذا الجو المشحون ، فقد **العقل** سـلطانه ، وتحول **المجرم** الحقيقى ، سـلمان رشـدى ، الى **ضحية** برىء . ووقف الغرب جميعا يعلن حمايته تحت شـعار براق ، استخدم بخداع ، هو : حماية حقوق الانسان ، ومن بينها حقه فى حرية التعبير ... !

* *

● **عاصفة كان يمكن تفاديها :**

« عندما صدر الكتـاب فى بريطانيـا ، حـاولت **اللجنة المتحركة للشئون الاسلامية** هناك اللجوء الى القضاء الانجليزى للاحتكام ضـد الروايـة ، فاتضـح لها **أن القـانون الانجليزى يحمى فقط المذهب المسيحى الانجليكانى** . فحاولت اللجنة بعد ذلك مفاوضة الناشر على أسـاس أن يكتب على غلاف الرواية عبارة : **(هـذا الكتـاب** يسىء **الى الاسلام)** ، كالعبارات التى تكتب على السجاير وتحذر من التدخين ولكن الناشر رفض .

وأمام المعارضة الاسلامية ، قررت احدى دور النشر البريطانية منح الكتاب جائزة أدبية واخراجه فى طبعة شعبية . عندئذ قامت المؤتمرات الشعبية الاسلامية بمناقشة الحل الأمثل لمواجهة هذا التحدى : فتوجهوا الى أسقف احدى الكنائس بمدينة برادفورد ، وقام مجلس مساجد برادفورد بتقديم احتجاج الى الأسقف وطالبوه بأن يستخدم نفوذه ويناشد الحكومة البريطانية وناشرى الكتاب عدم نشره ، ولكن لا جدوى . فقامت الجماهير الاسلامية بشراء الكتاب من الأسواق وأحرقته ، ولكن المطابع فى استطاعتها أن تنتج المزيد .

فقام سكرتير اتحاد المنظمات الاسلامية فى لندن بتوجيه خطاب الى السيدة رئيسة مجلس الوزراء ، يدعوها فيه : **(من منطلق الحرص على المقدسات الدينية) الى الأمر** من موقعها كمسئول رئيسى **(باتخاذ اجراءات قانونية ضد الرواية ومؤلفها)** .

ثم قام سفراء كل من باكستان وقطر والصومال بتقديم طلب الى وزارة الداخلية البريطانية ، **يطالبون فيه باتخاذ اجراء حاسم نحو** الرواية .

وأخيرا جاء اعلان من القصر الملكى : **(ان الكتاب لا يعرض لعمل يعاقب عليه)** .

ثم أعلن وزير الداخلية بيانا جاء فيه : (ان الحكومة لا تنوى احداث تغيير فى قانون الطعن فى المقدسات الذى يتعلق فقط بالديانة المسيحية) ..

وأمام التعصب (الديمقراطى !) انفجرت المشاعر الاسلامية التى لم يستطع الشيطان تلجيمها ، انفجرت أولا فى بريطانيا ، فسارت المظاهرات تطالب باتخاذ موقف حاسم ضد : آيات شيطانية »[1] ، ثم

(١) سلمان رشدى شيطان الغرب : سعيد أيوب ـ ص ٨٦ ، ٨٧

انفجرت بعد ذلك فى العالم كله . ثم توالت ردود الأفعال من كلا الجانبين ...

لقد كان بالامكان تفادى هذه العاصفة التى أحدثت ــ حتى الآن ــ تصدعا خطيرا فى علاقات المسلمين بالغرب المسيحى ، بعد أن أظهرت قضية الدجال الهندى أن صليبيته العمياء فى نهاية القرن العشرين لا تزال كما كانت فى نهاية القرن الحادى عشر . وكان بامكان بريطانيا أن تعالج الموقف بحكمة الساسة المتمرسين وذلك باعادة النظر فى قانون الطعن فى المقدسات ، بجعله يتضمن حماية اليهودية ، والمذاهب المسيحية الأخرى مثل الكثلكة والأرثوذكسية ، اضافة الى الاسلام ، بدلا من قصره على المذهب الانجليكانى فقط . وما كان هذا العمل ــ لو تم ــ الا ليحظى بتقدير عالمى ، باعتباره برهانا على تأكيد حرية المعتقدات ، ووسيلة فعالة للتعايش السلمى بين أصحاب الأديان .

لكن الحكومة الخفية لا ترضى بذلك ... وهى تمسك بيدها خيوط دمى كثيرة تحركها كيفما تشاء ... وكان أن ازداد الموقف اشتعالا ... فنشرت اعلانات مدفوعة الأجر شغلت مساحات كبيرة من الصحف العالمية ، وظهرت حملة واسعة من التحقيقات الصحفية واستطلاعات الرأى ، وقامت محطات التليفزيون بالدق على حواس المشاهدين ، وكلها تسير فى خط واحد هو اثارة الغرب ضد الاسلام والمسلمين . وبلغت احدى موجات الاثارة قمتها حين قام بعض طلبة جامعة فى النمسا بعقد ندوة ، هى فى حقيقتها قداس صلاة مسيحى تليت فيه فقرات من كتاب ذلك الدجال الهندى .. سبحان الله !!

كأن الغرب قد عثر على انجيل مخفى ، جاء به ذلك الدجال المنتظر ، كما سبق أن عثر على بعض أسفار الكتاب المقدس جنوب البحر الميت عام ١٩٤٧ .. لقد بلغ الاستفزاز مداه ، وخاصة عندما تتحدث الصحف والاذاعات العالمية ــ وعلى رأسها هيئة الاذاعة البريطانية التى توجه اذاعاتها خصيصا الى العالم الاسلامى ــ فتصف ذلك الدجال باسم : الكاتب المسلم سلمان رشدى ...

من ، يا ترى ، ذلك الكاتب الأسطورى ، الذى حظى فجأة باهتمام الغرب والعالم ، وصار حديث كل لسان ، كأنه ظاهرة غير مألوفة أو مرض خطير ، كالايدز ، لم تعرفه البشرية من قبل ... فلم يحدث أن اصطدمت عيناى فى أى من مكتبات لندن على مجرد ورقة تحمل هذا الاسم ، ولم يخدش بصرى أى ملصق من اعلانات الحائط يحمل ولو نصف اسمه . وهاهى قائمات الكتب التى تصدرها دوريا بعض دور النشر ، تصلنى تباعا ، ولا يوجد فى أى منها ذكر لهذا النكرة ...

*

هنالك ، صدرت عن ايران فتوى تبيح اهدار دم مؤلف رواية آيات شيطانية ، فتلقفها رؤوس الفتنة فى الغرب ، واستطاعوا تصعيد المواجهة من مستوى الأفراد والهيئات الى مستوى العمل السياسى الرسمى . فانعقد المجلس الوزارى للسوق الأوربية المشتركة فى اجتماع غير عادى ، وأدان ايران بعنف ، وقرر سحب سفراء دوله من طهران وفرض عقوبات عليها . وقد علق وزير خارجية أسبانيا على هذا الموقف الجماعى الأوربى ، بقوله : انها أول مرة ، فى حدود علمى ، التى تعرب فيها المجموعة الأوربية عن غضبها على هذا النحو .

وفى أوتاوا رفض سفراء ٢٥ دولة اسلامية طلبا من كندا بادانة ايران ، كما رفضت الحكومة الكندية ، فى نفس الوقت ، طلبا من السفراء المسلمين بمنع تداول الكتاب أو ادخاله الى كندا .

وفى واشنطن ، تعهد المدعى العام الأمريكى ، أمام عدد من ناشرى الكتب ، باستخدام كل الوسائل الممكنة لوقف الجهود الرامية الى منع نشر الكتاب فى أمريكا .

وأصدر البرلمان الألمانى بيانا جاء فيه : ان اعلان الامام الخمينى عن قتل سلمان رشدى هو بمثابة اعلان الحرب على القيم الغربية .

وفى لندن ، مسرح المؤامرة ، وقع ٣٤ عضوا من مجلس العموم على مشروع قرار يحث الحكومة على ضمان سلامة رشدى .

ووصفت السيدة مارجريت تاتشر ، رئيسة الوزراء ، فتوى ايران بأنها تهجم على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للانسان ...

لقد اختلطت الأوراق تماما ، وهذا ما يريده المتآمرون ...

ولقد حول الغرب صدامه السياسى مع ايران الى صدام مع الاسلام والمسلمين ، واستهان بمشاعر ١٠٠٠ مليون مسلم ، بينهم ٥٠ مليونا فى ايران . ولا أدل عن مدى التخبط السياسى الذى وقعت فيه دول الجماعة الأوربية من أنها بدأت تعيد سفراءها الى ايران بعد أسابيع من سحبهم ، ودون أى تغيير فى الموقف الايرانى ، سواء بالتراجع عن الفتوى أو حتى بادخال تعديل عليها .

* * *

مقاطع شيطانية

هذه هى الرواية الرابعة فى سلسلة انتاج الدجال الهندى سلمان رشدى لهذا النوع من الروايات الخيالية . وهذا يعنى أننا أمام عمل لا علاقة له بالدراسات العلمية الجادة التى تقوم على المنطق والبرهان واستجلاء الحقائق وتقريرها ، وكشف الشبهات ودحض الأكاذيب .

تبدأ الرواية باهداء : الى ماريان ، زوجته الأمريكية الثانية التى تزوجها بعد طلاق زوجته الانجليزية كلاريسا . وقد عرف عن ماريان هذه أنها كاتبة ملحدة ، تهاجم الأديان ومن بينها المسيحية .

وتتكون الرواية من تسعة فصول : الأول ، باسم : **الملك جبريل** ، وهذا يعطى انطباعا مبدئيا للقارىء أنه بصدد قراءة شىء عن الوحى والدين . ويتحقق توقع القارىء ، حيث يأتى الفصل الثانى مباشرة باسم : **ماهوند** ، وهو ما كانت تنادى به أوروبا عصور الظلام ، النبى محمدا ، بعد أن اخترعه رجال الكنيسة والكتاب والشعراء ، تحقيرا واهانة ! ثم تتعاقب الفصول : الثالث باسم **الودين ديووين** ، والرابع : **عائشة !** والخامس : **مدنية مرئية لكن مخفية** ، والسادس : **عودة الى الجاهلية !** ، والسابع : **الملك عزرائيل** ، والثامن : **شق بحر العرب** ، والتاسع : **مصباح عجيب** .

وقد ألحقت صفحة شكر — رقم ٥٤٩ — فى آخر الرواية ، حسب طبعة فايكنج ١٩٨٩ ، يتحدث فيها المؤلف عن اقتباسات من بعض تراجم معانى القرآن ، فيعترف بأن تلك الاقتباسات انما **هى تركيبة** من مجموعة من أعمال المترجمين السابقين مثل : داود ومولانا محمد على وغيرهما ، **الا أن أخطر ما فى الموضوع هو اعترافه باحداث تغييرات من عنده .**

وهو يذكر ، فى تلك الصفحة ، مجموعة من الروايات التى اقتبس منها وكانت مصدر الهام له ، الا أنه يقر باعتراف خطير آخر ، جاء فى آخر سطرين ، يقول فيه :

« أرجو أن تكون هوية كثير من المؤلفين الذين تعلمت منهم واضحة من خلال النص ، **أما هوية الآخرين فيجب أن تبقى غفلا » .**

ويلاحقه هنا سؤال : لماذا أغفل ذكر أسماء هؤلاء ؟!

ان الاجابة المنطقية ، التى تتبادر الى الذهن ، هى أنهم ، **شركاؤه فى المؤامرة ...**

*

ولقد حدث ما هو متوقع من اعتراف الدجال الهندى بالعبث بتراجم القرآن . فهو يقتبس آيات من سورة النجم — التى زعم ، كالزنادقة السابقين ، أن النبى أضاف اليها عبارتين شيطانيتين تمدح آلهة المشركين — ثم هو يعبث بصيغة الآيات المقتبسة ، فيحول بعضها من صيغة الضمير الثالث (المفرد الغائب) الى صيغة الضمير الأول (المفرد المتكلم) ، وبذلك يوحى للقارىء بأن القرآن من عمل محمد . لكنه ، فى تزويره هذا ، نسى ككل مجرم أن يحكم جريمته ، فجاء الجزء الأول من الآيات المقتبسة بصيغة الضمير الثالث ، بينما تلاه الجزء المحرف بصيغة الضمير الأول .

فآيات سورة النجم تقول :

﴿ **والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن**

الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى • ذو مرة فاستوى • وهو بالأفق الأعلى • ثم دنا فتدلى • فكان قاب قوسين أو أدنى • فأوحى الى عبده ما أوحى • ما كذب الفؤاد ما رأى • أفتمارونه على ما يرى ﴾ ؟! (النجم : ١ ــ ١٢) •

لقد استبدل الدجال كلمة (الثريا) مكان كلمة (النجم) ، واستمر يستخدم هذه الصيغة الى أن انتقل الى الصيغة الأخرى بكلام وضعه على لسان النبى يقول فيه :

(ولقد رأيته مرة أخرى • عند سدرة المنتهى • عندها جنة المأوى • اذ يغشى السدرة ما يغشى • ما زاغ **بصرى وما** طغى •

لقد رأيت من آيات الرب الكبرى)[1] ، فخالف بذلك جميع التراجم المعروفة والتى أشار الى بعضها مثل : داود ، وبكتال ، وعلى ••• ان القرآن لا يورد صيغة المتكلم المفرد على لسان النبى الا مسبوقة بكلمة : قل ، مثل قول الله ــ سبحانه ــ لنبيه :

﴿ قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض ، وهو يطعم ولا يطعم ، قل انى أمرت أن أكون أول من أسلم ، ولا تكونن من المشركين ﴾ (الأنعام : ١٤) •

﴿ قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى أنما الهكم اله واحد ﴾ (الكهف : ١١٠) •

ولقد وردت كلمة : قل ، فى القرآن ٣٣٢ مرة ، فى آياته التى تبلغ ٦٢٣٦ آية •

نحن ، اذن ، نتعامل مع خائن غير مؤتمن على أيسر الأمانات ، أمانة النقل •••

*

(١) I saw him. also at the lote tree of the uttermost end, near which lies the Garden of Repose . When that tree was covered by its covering my eye was not averted, neither did my gaze wander; and I saw some of the greatest signs of the Lord.

ما هذا النبى الا رسول الله الى الناس ، يبلغهم رسالات ربهم ، وينقل اليهم كلماته ، فيكون محدثهم الأمين باسم الله ، تحقيقا لما تنبأت به التوراة ، وحيا من الله لموسى ، فى قوله :

« أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم ، مثلك ، **واجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به .**

ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى ، أنا أطالبه ــ تثنية ١٨ : ١٨ ــ ١٩ » .

لم يقل الله : (أقيم لهم الها ، أو ابن الله) ، لكنه قال : « أقيم لهم نبيا » مثل موسى من بين اخوة بنى اسرائيل بن اسحق ، أى من العرب بنى اسماعيل أخى اسحق ، مهمته الأساسية نقل كلام الله الى الناس . ومن لا يسمع لذلك الكلام ، الذى يقرأه عليهم قرآنا ــ فان الرب ينتقم منه .

ان الأمر واضح تماما ، لكن القوم يصمون الآذان ويغمضون العيون ...

بعد ذلك ، تبدأ أول سطور الرواية بحديث عن عقيدة هندوكية تعرف باسم : تناسخ الأرواح ، أى الموت والولادة مرة ثانية ، أو تكرار الولادة . ويحدث ذلك ــ حسب ظن من يعتقدون فى هذا ــ بعد موت الانسان ، فيبلى جسده ، أما روحه فتعود الى الحياة متقمصة جسدا جديدا ، قد يكون انسانا أو حيوانا أو حشرة ، فتبدأ الروح بذلك دورة حياة جديدة .

ان استخدام هذه الفكرة يسمح باللعب بالأشخاص والأزمنة ، فتتداخل الأحداث وتختلط الصور والأوراق ، ويترك القارىء متحيرا ، أو واقعا تحت ايحاءاته . فهو ، بهذا ، يهرب من الجدية والموضوعية التى تتطلبهما الدراسات العلمية ، ويجنح الى رواية يفرغ فيها سمومه وخيالاته ، فيعبث بالحقائق المعروفة ، ويزيف التاريخ كما يشاء ، ويترك القارىء ، بذلك ، يسبح فى هواء .

وفى الفصل الأول : **الملك جبريل** ، نجد الدجال يخلع اسمه على مواطن هندى أسماه : جبريل فارشتا ، الذى يذهب من بومباى الى لندن ، ومعه على نفس الطائرة مواطن آخر هو صلادين شمشا ، والذين تقع بهما الطائرة فى القنال الانجليزى ، ثم ينجوان من الموت بمعجزة ، فيصاب جبريل بانفصام الشخصية •

ويحلم جبريل ، ويحلم كثيرا ، ويبث أحلامه الى ماهوند — فى الفصل الثانى — فيربط الوحى الى نبى الجاهلية بذلك التزييف المستمد من فكرة تناسخ الأرواح •

لقد عمد هذا المحتال — كما قال بحق الناقد سامى خشبه — الى أن : « يضع ثقافته الخاصة ، مكان ثقافة كل شخصياته • **ويضع فكره وعقله الخاصين ، مكان فكر كل شخصياته وعقولها ..** والمؤلف يسوق أفكاره سوقا ، من وراء شخصياته التى تبدو كالأقنعة أو المشجب حامل الأفكار ، نحو هدف محدد هو : الى أى اتجاه ينبغى — ويمكن للمسلمين الذين يخاطبهم فى الغرب أو فى أوطانهم — أن يتخذوه .. لقد لملم سلمان رشدى كتابه : آيات شيطانية ، من ثلاث قصص طويلة لا يربط بينها رابط ما ، ووزع فصول القصص الثلاث توزيعا اعتباطيا تقريبا .. أما رشدى ، المتواضع الموهبة ، والفاقد الايمان بشىء أو بعقيدة محددة ، فانه عجز عن أن يقيم من أكوام خيالاته ومعلوماته وتأليفاته ، وما نقله عن المصادر المختلفة وألبسه كساءا خياليا رديئا ومفتعلا ، عجز عن أن يقيم من كل ذلك ، بناء فنيا موحدا ، ليس فقط لضعف موهبته ، وانما لأنه أراد أن يجمع بين ما لا يجتمع وهو : تصوره الذاتى عن تجربة اغتراب المثقف الشرقى (الهندى) عن هوية أمته ، وعن تجارب المسلمين المغتربين فى أوروبا (لندن) ، أو المقيمين فى وطنهم بومباى .. **ثم مجموعة الأكاذيب والمخترعات والاهانات — التى ألف بعضها بنفسه — والتى وجهها الى الاسلام وكتابه ورسوله ..** ويضمن السيد رشدى أن يستمر خلط

الأوراق بلا نهاية ، عندما يستخدم لتسمية الأشياء والظواهر ، أسماء متناقضة لحقيقة الأشياء والظواهر ، حتى يتحقق التشويش المطلوب على الحلول العلمية الحقيقية ، الحلول التى تسعى اليها الشعوب الآن ــ فى الشرق والغرب على السواء ، بصرف النظر عن جهود البرابرة المعاصرين عندهم وعندنا ــ **الحلول التى تتلخص فى الديمقراطية والعقلانية اللتين تحفظان لكل شعب ، ولكل طائفة من شعب ، الحق فى سماته ــ أو سيماتها الخاصة ــ فى اطار ثقافة انسانية عامة ، وثقافات قومية متمايزة ، مستنيرة ومثقفة بحقيقتها وبحقائق الثقافات الأخرى ، ومتخلصة من تعصباتها المتهوسة ، ومن الرغبة فى تلويث ثقافات الآخرين وتدنيس مقدساتهم ، ومتخلصة من الرغبة فى استخدام الابداع لنصب الفخاخ واشعال الحرائق**))(١) .

*

● **الأمكنة والأشخاص :**

ماهوند : يتيم ، سريع الخطى ، يتسلق الجبل الحار فى الحجاز ليبقى هناك شهرا فى وحدته . اذا نطق اسمه صحيحا فانه يعنى : ذلك الذى يجب أن يخص بالحمد ، لكنه يأخذ اسم ماهوند ، مرادفا لاسم الشيطان ! (ص ٩٣) .

بهذا يتحدث الدجال عن محمد بن عبد الله .

الجاهلية : بنيت كلها من الرمال ، ويأتى ماؤها من مجارى وينابيع جوفية ، واحدة منها تسمى **زمزم** وتقع فى قلب المدينة ، ملاصقة بيت **الحجر الأسود** . وفى هذه المدينة يؤسس ماهوند واحدة من أكبر ديانات العالم . ويهمس صوت فى أذنه : أى نوع من الأنكار أنت ؟ انسان أم فأر ؟! (ص ٩٤ ، ٩٥) .

---

(١) صحيفة الأهرام ، فى ٥/٢٦ ، ١٩٨٩/٦/٢

فالجاهلية تعنى مكة •

يثرب : واحة فى شمال مدينة الجاهلية ، تتمتع بجو رطب ، انتقل اليها المهاجرون أتباع عقيدة الاسلام الجديدة (ص ٣٦٣) •

اتباع ماهوند فى مدينة الجاهلية : كان من أوائلهم : (خالد سقاء المـاء الحقير ، ثم ذلك المتسكع من فارس ويحمل اسما غريبا : سلمان ، ولتكملة هذا الثلاثى من حثالة المجتمع ، هناك العبد بلال الذى حرره محمد ، ثم حمزة عمه (ص ٩٥ ، ١٠١) •

اعداء ماهوند فى مدينة الجاهلية : أبو سمبل ، سيد الجاهلية ، وزوج هند الجميلة الرهيبة • وكانت عشيرة هند تتحكم فى معبد اللات وتتلقى عائدات معبدى مناة والعزى • كما كان بعل خادما للات وشاعر هجاء مشـــهور •• وكان أبو سمبل ديوثا ، يعلم أن بعل عشيق لزوجه هنـــد ، التى كانت شديدة النهم الجنسى حتى أنها ضاجعت كل مؤلفى مدينـــة الجاهليـــة ! (ص ٩٦ ، ١٠٠ ، ٣٦١) •

فأبو سمبل ، يعنى أبا سفيان ، وأما بعل شاعر الهجاء فهو اختراع من الدجال •

الحجاب : جعل الحجاب اسما لأشهر ماخور فى مدينة الجاهلية ، له فناء واسع تحيط به غرف الجنس •

(كم زوجة ؟ اثنا عشر ، وسيدة عجوز توفيت منذ زمن بعيد • وكم مومس فى المـــاخور ؟ اثنا عشر ! ••

وكانت المومس عائشة ، ذات الخمسة عشر عاما ، أكثر العاملات رواجا ، تماما كما كانت سميتها مع ماهوند •• وكانت أكبرهن ســـنا ، المومس البدينة سودة وكان لها زوار كثيرون •• أما المومس حفصة فكانت حادة الطبع مثل سميتها •• وكان المـــاخور مرآة للجماعات السياسية فى مسجد يثرب • فكان هناك ، مثلا ، تحالف بين عائشة وحفصة ضـــد

أم سلمة المخزومية ورملة بنت أبى سمبل • وكان هناك زينب بنت جحش وجويرية وصفية وميمونة ، ثم أكثرهن اثارة للشهوة الجنسية ، الفاتنة المصرية مارية القبطية ، التى رفضت أن تعلم عائشة ألاعيبها •

وعندما فكرت المومسات فى مستقبلهن ، رأين أن يكون لهن زوج صـورى هـو بعـل •• **وفى هذا الوكر الداعر أصبح بعل زوجا لنساء رجل الأعمال السابق ، ماهوند !**) (ص ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣) •

لقد كبكب الدجال على وجهه ، وعبث بعقول قرائه ، كعادته فى طول الرواية وعرضها • فبعد أن انتحل لمومسات ماخوره أسماء زوجات النبى ، اذا به يعود بفجره المعهود ، فيجعل من بعل زوجا لنساء ماهوند ، بدلا من أن يحترم قراءه ، ولو مرة واحدة ، فيقول : زوجا لسـميات نسـاء ماهوند !

« ألا لعنة الله على الظالمين • الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون • أولئـك لم يكونوا معجزين فى الأرض وما كان لهم من دون الله من أولياء يضاعف لهم العذاب ، ما كانوا يستطيعون السـمع وما كانوا يبصرون • أولئك الذين خسروا أنفسهم وضـل عنهم ما كانوا يفترون • لا جرم أنهم فى الآخرة هم الأخسرون »

(هود : ١٨ ــ ٢٢)

*

● الألفـاظ والتراكيب :

تمتلىء هـذه الرواية الشيطانية بأقذر الألفاظ وأشدها فحشا • وأغلبها مما يتداوله الزناة مع المومسات فى المواخير من مسميات وأوصاف • ونذكر فيما يلى بعضا منها ، نشير الى اللفظ المبتذل بحرف أو حرفين منه ، مما يتداوله السفلة من الناس :

ـ **فرج المرأة** : كـ ، والجمع : أ كـ .

يتحدث الدجال عن أصغر مومس فى المـاخور فيقول :

(قبل تكميم أصغر الـ أ كـ ، صرخت قائلة ...)[1] .

ـ **ممارسة الجنس** : ن كـ .

قال أبو سمبل (أبو سفيان) لتابعه شاعر الهجاء بعـل : (أيها القواد ! أنا أعلم أنك .. ن ك امرأتى)[2] !

وصل خطاب لمحمود يقول :

(يا آكل الخراء ! انك .. ن ك امرأتى)[3] .

ويقول جبريل :

(أحلام ن كـ الأمهات سبب كل البلاء للجنس البشرى ..)[4] .

وفى مدينة الجاهلية :

(كان كل الحديث منصبا على الـ ن ك والمـال)[5] .

*

ولقد امتلأت الرواية بالشتائم القذرة ، بدءا من صفحاتها الأولى حتى صفحاتها الأخيرة ، مثل :

(ابن الزنا) ... (أبناء الزنا)[6] .

*

---

(١) (before the youngest cunt wus gagged , she yelled ...) (p. 389).

(٢) (Pimpl — I Know you fuck my wife.) (p. 100).

(٣) (shit - eater, you're fucking my woman) (p. 207)

(٤) (Mother - fucking dreams, cause of all the trouble in the human race ..) (p. 122)

(٥) (al the talk was of fucking and money) - (p. 380)

(٦) (Bastard.) .. (Bastards.) (pp. 3,8 .. 95, 105, 116 .. 367 , 376 ..) .

وامتلأت الرواية بتعابير مقززة ، لا تخرج الا من نفس قذرة تسبح دائما بفكرها فى المراحيض وأماكن القاذورات . ففى حديث الأم الهندية المسلمة لابنها ، قالت له :

(لا تصر قذرا مثل أولئك الانجليز ، فهم يمسحون استاههم بورق فقط) (ص ٣٩) .

فرد عليها الابن المنبهر :

(ان ما تقولينه ، يا أمى لا يمكن تصديقه . ان انجلترا حضارة عظيمة ، وما تقولينه هراء) .

(وكان يسيئه كثيرا أن يقارن بطفل يبول على نفسه) ... (ص ٤٧) .

*

ويعبث الدجال الهندى بعقول قرائه ، فيستخدم أساليب ركيكة هازلة كأنه يحكى قصة للأطفال قبل النوم ، فيقول :

(كان ما كان فى قديم الزمان ..) (ص ١٤٣) .

ولما كان مؤلفا رديئا ، فاقد المواهب ، كان مثله كمثل تلميذ خائب ، تعلم جملة واحدة مفيدة ، كانت كل زاده ، فما انفك يستخدمها فى كل المناسبات دون تمييز .

ولما كانت عبارة : ألف ليلة وليلة ، ذات مذاق خاص ، فقد تشبث بها ، وبدأ يستنسخ صورا منها بلا وعى أو حساب ، فيقول :

(... بسبب طيشه الذى مارسه ألف مرة ومرة) (ص ٢٦) .
(وفكر ألف مرة ومرة ...) (ص ٣٧٠) .
(وبعد مائة يوم ويوم ...) (ص ٨٥) .

ومثل ذلك ، حجم أوعيته الزمنية التى تؤكد ، حقا ، أنه كاتب ممل هزيل . فهو يقول فى صفحة ٣٩٢ :

(ولم تر مخلوقا حيا آخر ، طيلة سنتين وشهرين ..) .

ثم يكرر ذلك فى نفس الصفحة :

(وبقيت مدة سنتين وشهرين ..)

ويقول أيضا :

(وبعد مرور سنتين ويوما واحدا من بدء بعل لحياته فى ماخور الحجاب ..) (ص ٣٨٥) .

هذا بعض العار الذى ألحقه ذلك الكاتب التافه بلغة قوم شكسبير وبالأدب الانجليزى عامة ، وبجامعة كمبردج التى يقال انه تخرج منها ، على وجه الخصوص .

* *

تزييف الحقائق واختلاق الأكاذيب

ذلك دأب الدجال الهندى فى روايته الشيطانية ...

والحديث فى هذا يطول ، نكتفى منه بعرض أمثلة محدودة ، لهذا وذاك .

أولا ـ فمن حقائق التاريخ الاسلامى :

١ ـ أن خالدا كان بطل المشركين فى معركة أحد التى وقعت فى السنة الثالثة من الهجرة ، وانهزم فيها المسلمون وأصيب فيها النبى وشج فى وجهه . لقد كان ذلك بعد الهجرة الى المدينة ، حيث كان خالد ما زال على شركه . ولم يسلم خالد الا فى السنة السابعة من الهجرة ، بعد عمرة القضاء ، حيث ترك مكة وذهب الى المدينة يعلن اسلامه أمام النبى .

٢ ـ أن حمزة كان بطل المسلمين فى معركة بدر الكبرى التى وقعت فى السنة الثانية من الهجرة ، حيث انتصر المسلمون وقتل فيها عتبة بن ربيعة ـ والد هند امرأة أبى سفيان (أبى سمبل ، فى الرواية) ـ كما قتل فى بدر الوليد بن عتبة ـ أخو هند ـ وشيبة عمها .

٣ ــ أن سلمان الفارسى كان قد تعرض لعملية اختطاف بيع على أثرها ليهودى من بنى قريظة بالمدينة ، فلما قــدم النبى المدينة وسمع به ســلمان ، أسلم على يديه • وقــد أعانه النبى وصحابته على تحرير رقبته ، فأمدوه بالمــال الذى أعتق به نفسه بعد ســنين من اسلامه • وكان الرق قد حبســه عن حضور بدر وأحــد ، فكانت غزوة الأحزاب أول مشاهده ، حيث أشــار بحفر الخندق ، وكان ذلك فى الســنة الخامســة من الهجرة • وقد عاش مسلما كريما وتوفى مســلما كريما بالمدائن فى خلافة عثمان •

ولقد اتخذ الرسول فى مكة كتبة يكتبون الوحى ، قبــل اســلام سلمان بأكثر من ١٥ ســنة ، كما استمروا يكتبون له بالمدينة ، ويزيد عددهم على ٢٠ كاتبا ، ليس منهم سلمان •

فما كان سلمان الفارسى يوما ما من كتبة القرآن •

*

لكن الكاتب الجهول ، سلمان رشدى ، ما كان له الا أن يزيف تاريخا يجهله • فلو احترم نفسه مرة واحــدة ، أو احترم قراءه ، لقرأ شيئا عن تاريخ صدر الاسلام ليستعين به على حبك روايته •

فمن جهالات الدجال الهندى :

١ ــ أن خالد وسلمان كانوا من أوائل المسلمين بمكة (مدينــة الجاهلية) ، كما سبق أن أشرنا الى ذلك •

٢ ــ وأن حمزة قتل أخا هند فى مكة عندما هاجم هذا الأخير مع زملاء له كلا من خالد وسلمان وبلال ، فأنقذ حمزة اخوته المســلمين من موت محقق (ص ١١٨) •

٣ ــ وأن سلمان كان الكاتب الرسمى للنبى (ص ٣٦٥) •

٤ ــ وأن النبى كان قد اشترى بلالا وأعتقه (ص ١٠١ ، ١٠٢) ، والصحيح أن أبا بكر هو الذى اشتراه وأعتقه •

٥ ــ وأنه عقب موت النبى ، خرجت عائشة من حجرتها تقول :

(من كان قد عبد الرسول ، فليحزنوا ، لأن ماهوند (محمد) مات • ومن كان يعبد الله ، فليبتهجوا ، لأنه حى لا يموت) (ص ٣٩٤) •

ثم يردف الدجال ، بعد ذلك ، قائلا : (**لقد كان هذا نهاية الحلم**) (حلم جبريل بموت محمد ــ ص ٣٩٣) •

والحقيقة أن أبا بكر هو الذى قال عقب موت الرسول : (أيها الناس ! ان من كان يعبد محمدا ، فان محمدا قد مات • ومن كان يعبد الله فان الله حى لا يموت) • ثم تلا قوله ــ تعالى ــ فى القرآن :

﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفئن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا ، وسيجزى الله الشــاكرين ﴾ (آل عمران : ١٤٤) •

❊

ثانيا ــ ومن حقائق الاسلام والتاريخ :

١ ــ أن الاسلام دين التوحيد الخالص الذى لا شبهة فيه ، وهو خاصيته الأولى التى يتميز بها • فأول العلم فيه : **﴿ لا اله الا الله ﴾** ــ **﴿ لا اله الا هــو الرحمــن الرحيم ﴾** ــ **﴿ انمــا الله اله واحــد ﴾** ــ **﴿ فالهكم اله واحــد فله أسـلموا ﴾**(١) ثم جــاءت سورة الاخلاص ، من أوائل السور نزولا ، تقول : **﴿ قل هو الله احد • الله الصمد • لم يلد ولم يولد • ولم يكن له كفوا أحد ﴾** •

ولقد قال فيها رسول الله : **أنها تعدل ثلث القرآن** •

❊

٢ ــ وأنه بعد نزول أكثر من مائة آية ، موزعة فى عشر ســور أغلبهن قصار ، فتر الوحى وطالت غيبة الأمين جبريل ، فجزع لذلك النبى

(١) هذه النصوص القرآنية تأتى على الترتيب من السور الآتية : محمد : ١٩ ، البقرة : ١٦٣ ، النساء : ١٧١ ، الحج : ٣٤ ، ... وغير ذلك فى **مئات الآيات** •

جزعا شديدا ، وأرجف المشركون بذلك وفرحوا بهذا التوقف . بعد ذلك نزلت سورة الضحى فى احدى عشرة آية ، يقول أولها :

« **والضحى والليل اذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ...** » **ثم** تتابع الوحى .

لقد كان ذلك برهانا ، لمن يريد البرهان ، على أن القرآن ليس من عند محمد . فاذا كان قد اختلق أكثر من مائة آية ، فما يمنعه أن يختلق آيات أخرى ، بدل هذا التوقف النجائى ، والتعرض لحرب دعائية شرسة يشوش بها الكفار على فكر المسلمين الأوائل وعقيدتهم .

كذلك توقف الوحى مرة أخرى بعد ذلك فترة تعرض فيها الرسول لحرج شديد ، وعانى بسبب ذلك الكثير . ثم ما لبث أن عاد ، وقد علم الله نبيه أن نزول الملائكة (**بالروح من أمره**) على رسله لا يتم الا بأمر الله ، وليس وفق مشيئة الرسول وهواه .

« **وما نتنزل الا بأمر ربك ، له ما بين ايدينا وما خلفنا وما بين ذلك ، وما كان ربك نسيا** » (مريم : ٦٤) .

وما أمر محمد رسول الله ، بعجب فى هذا . فمن قبل طلب بنو اسرائيل من النبى ارميا أن يخبرهم (عن الطريق الذى يسيرون فيه والأمر الذى يفعلونه) . « فقال لهم ارميا النبى : قد سمعت . ها أنذا أصلى الى الرب الهكم .. ويكون أن كل الكلام الذى يجيبكم الرب أخبركم به ..

وكان بعد عشرة أيام أن كلمة الرب صارت الى ارميا - ارميا ٤٢ : ٤ ، ٧ » .

لم يكن هذا السؤال فى حاجة الى تأخير اجابته ولو ثانية واحدة من الزمن ، لكنه أمر الله ، يتنزل الوحى بمشيئته ، وليس بمشيئة البشر ، ولو كانوا أنبياءه المصطفين الأخيار .

*

٣ ــ وأنه منذ بدأ الرسول دعوته الى الله ، دخــل فيها الأقوياء والأغنياء ، كما دخل فيها الضعفاء والفقراء • فلقد كانت عقيدة التوحيد الخالص هى نقطة الجذب وسبب التحول ــ قبل أى اعتبار آخر مثل الدعوة الى المساواة بين الناس ، وتحرير الأنفس من ضلالات الجاهلية وفعل الخيرات ــ لذلك كان من أوائل المسلمين : أبو بكر وعثمان بن عفان وعبد الرحمــن بن عوف ، كمــا كان فيهم زيد بن حارثة وبلال وعبد الله بن مسعود • لقد استهوى الاسلام الأقوياء والضعفاء على الســواء •

*

٤ ــ ولمــا بدأت قريش تحس بالدين الجــديد الذى يخالف دين آبائهم ويسب آلهتهم وأصنامهم ، بدأت تحتك بالمسلمين فى محاولات لصــدهم عن دينهم • فكان الأذى والتعذيب الذى تعرض له الرســول شخصيا على يد عمه أبى لهب وزوجه أم جميل ــ أخت أبى سفيان ــ كما تعرض له أتباعه وخاصة الضعفاء مثل بلال الحبشى الذى كان يلقى على صخر مكة الملتهب فى حر الظهيرة ، ويدمى جســده بالســياط ، وتوضع صخرة على صــدره ، فلا يقول سوى : أحد • أحد •

لم يصرخ بلال الى ربه قائلا : يا ناصر المستضعفين أجرنى ، أو : يا أرحم الراحمين خفف عنى ، انما كان ترديده : أحد أحد •

فهو يصر ، تحت وطأة العذاب الشــديد ، أن يعلن ايمــانه بالله الواحــد •

كذلك تعرض آل ياسر ، من المستضعفين ، لتعذيب شديد ، هلك فيه ياسر الزوج ، وهلكت فيه سمية الزوجة بعد ضرب وحشى بالسياط ، وكى بالنار ، وهى تصر على توحيدها حتى استشهدت بطعنة من حربة فى فرجها •••!

لقد كان الصراع شديدا ، لا مهادنة فيه • فكانت سورة المســد

من أوائل السور نزولا ــ رقم ٦ ــ والمسلمون يومئذ أعداد محدودة جدا . لكنها نزلت تترعد أبا لهب عم الرسول وزوجه ، وتقرر مصيره الأبدى ، فتقول :

« تبت يدا ابى لهب وتب . ما أغنى عنه ماله وما كسب . سيصلى نارا ذات لهب . وامرأته حمالة الحطب . فى جيدها حبل من مسد » .

ان هذا هو التحدى الحق ...

لقد دخل آلاف من المشركين فى الاسلام بعد هذه السورة ، وكان يمكن لأبى لهب أن يعلن قبوله الاسلام ، ولو كيدا له ، حتى يبطل هذه السورة التى تداولها الناس : مسلمون ومشركون ، منذ نزولها ، فيكون ذلك مدعاة لاحداث بلبلة فى نفوس المؤمنين ، وصد للمشركين عن الدخول فى الاسلام .

لكنه لم يفعل ، لأنه قضاء الله عليه ، ونبوءة حق نطق بها القرآن كلام الله الحق . فكان أن هلك على شركه عقيب غزوة بدر .

*

٥ ــ ولما رأى المشركون أن الاسلام ينتشر بين الناس ، لجأوا الى المداهنة ، ومحاولة الوصول الى حل وسط يعترف بآلهتهم على أى صورة من الصور . ولقد كان تعليم الله لنبيه بالحذر من ذلك ، فى سورة القلم ، ثانية السور نزولا :

« فلا تطع المكذبين . ودوا لو تدهن فيدهنون » .

(الآيتان : ٨ ، ٩) .

ثم كانت (سورة الكافرون) قاطعة فى هذا الصدد :

« قل يا أيها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما اعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولى دين » .

*

٦ ــ ثم كانت سفارات الى عمه أبى طالب ، الذى لم يكن قد دخل فى الاسلام ، وان ظل حاميا لابن أخيه ، يحسب له القرشيون حسابا خاصا • فقد مشى اليه رجال من أشراف قريش فيهم : (عتبة بن ربيعة ، وشيبة ، وأبو سفيان ، والوليد بن المغيرة ، وأبو جهل ، وغيرهم • فقالوا : يا أبا طالب • ان ابن أخيك قد سب آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفه أحلامنا ، وضلل آباءنا • فاما أن تكفه عنا ، واما أن تخلى بيننا وبينه فنكفيكه • وانك على مثل ما نحن عليه من خلافه •

فقال أبو طالب قولا رقيقا وردا جميلا ، فانصرفوا عنه) •

ومضى رسول الله يدعو الناس الى دين الله دون توقف •

ولم تيأس قريش ، فمشوا الى أبى طالب قائلين : ما نحن ــ يا أبا طالب ، وان كنت فينا ذا منزلة بسنك وشرفك وموضعك ــ بتاركى ابن أخيك على هذا ، حتى نهلكه ، أو يكف عنا ما قد أظهر بيننا من شتم آلهتنا ، وسب آبائنا ، وعيب ديننا ، فان شئت فاجمع لحربنا • وان شئت فدع • فقد أعذرنا اليك ، وطلبنا التخلص من حربك وعداوتك • فانظر فى أمرك ، واقض الينا قضاءك) •

فبعث أبو طالب الى النبى ، وقال له : (يابن أخى ، ان القوم جاؤونى فقالوا كذا وكذا •• وآذنونى قبل الحرب • فابق على وعلى نفسك ، ولا تحملنى من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت • واكفف عن قومك ما يكرهون من قولك هذا الذى فرق بيننا وبينهم) •

فظن رسول الله أن عمه خاذله ومسلمه ، فقال : (يا عم ، لو وضعت الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى ، ما تركت الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فى طلبه) •

ثم بكى رسول الله ، ونهض من مجلسه • فقال له أبو طالب : (أقبل يابن أخى) ، فأقبل عليه ، فقال أبو طالب : (امض على أمرك ، وافعل ما أحببت ، فوالله لا نسلمك بشىء أبدا) •

ثم لم يلبث حمزة ــ عم الرسول ــ أن أسلم ، فعز به المسلمون . فهو من خير رجالات بنى هاشم ، شكيمة وعزة نفس ، اذا طلب أمرا ، قصده لا يلوى على شيء حتى يبلغه . كما عرف بين عشيرته بأنه صياد الأسـود .

وهكذا ازداد المسلمون قوة وعددا .

*

٧ ــ ولم تيأس قريش ، فأرسلوا الى النبى سيدا من ساداتهم هو عتبة بن ربيعة . فذهب اليه وقال : (يابن أخى ، انك منا حيث قد علمت .. وانك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم ، وسفهت به أحلامهم ، وعبت به آلهتهم ودينهم ، وكفرت من مضى من آبائهم . فاستمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها . لعلك أن تقبل منها بعضها).

فقال الرسول : (قل يا أبا الوليد ، أسمع) .

فقال : (يابن أخى ، ان كنت انما تريد بما جئت من هذا القول مالا ، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا . وان كنت انما تريد شرفا ، شرفناك علينا حتى لا نقطع أمرا دونك . وان كنت تريد ملكا ، ملكناك . وان كان هذا الذى يأتيك رئيا (من الجن) تراه ولا تستطيع أن ترده عن نفسك ، طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه) .

حتى اذا فرغ عتبة ، قال رسول الله : (أفرغت يا أبا الوليد) ؟
قال : نعم . قال : فاستمع منى . قال : أفعل .

فقال رسول الله : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل من الرحمن الرحيم . كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون** ﴾ . ومضى رسول الله يقرأ عليه سورة **فصلت** حتى اذا بلغ موضع السجدة ــ فى الآية رقم ٣٨ ــ فسجد . ثم قال : (قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت وذاك) .

فقام عتبة الى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به • فلما جلس اليهم ، قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟

فقال : (ورائى أنى والله قد سمعت قولا ما سمعت لمثله قط • والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا الكهانة • يا معشر قريش : أطيعونى واجعلوها بى • خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت نبأ ••) •

قالوا : (سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه) •

فقال : (هذا رأى لكم ، فاصنعوا ما بدا لكم) •

لم يعرف النبى المداهنة طيلة حياته ، فكان فى الحق صريحا واضحا يغضب لله ، ويرضى لمرضاته • وما كان فى أمر العقيدة ، جوهر الدين وأساسه ، ليرضى بغير التوحيد النقى •

فى ديانات أخرى ، قبل دعاتها حلولا وسطا فى أمور جوهرية ، أما فى الاسلام ، فكلا ، وألف كلا •••

فها هو بولس ــ منشىء المسيحية التقليدية ــ يقول فى رسائله :

« استعبدت نفسى للجميع لأربح الأكثرين • فصرت لليهود كيهودى ، لأربح اليهود •

وللذين تحت الناموس ، كأنى تحت الناموس ، لأربح الذين تحت الناموس •

وللذين بلا ناموس ، كأنى بلا ناموس •• لأربح الذين بلا ناموس •

صرت للضعفاء كضعيف لأربح الضعفاء •

صرت للكل كل شىء ، لأخلص على كل حال قوما •

وهذا أنا أفعله لأجل الانجيل لأكون شريكا فيه ــ ١ ــ كورنثوس ٩ : ١٩ ــ ٢٣ » •

فالغاية تبرر الوسيلة ، حتى فى أمور الدين ، حسب قوله : « ان كان صدق الله قد ازداد بكذبى لمجده ، فلماذا أدان أنا بعد كخاطىء — رومية ٣ : ٧ » .

ثم لم يلبث عمر بن الخطاب أن أسلم ، فعز به المسلمون كثيرا . لقد فت اسلام عمر فى عضد قريش ، اذ دخل فى دين الله بالحمية التى كان يحاربه بها من قبل . فلم يخف اسلامه ولم يستتر ، بل ذهب يعلنه على رؤوس الملأ ويقاتلهم فى سبيله . ولم يرض عن استخفاء المسلمين وذهابهم الى شعاب مكة يقيمون الصلاة فيها بعيدين عن أذى قريش ، بل دأب على تحديهم حتى صلى عند الكعبة والمسلمون معه . وأيقنت قريش أن ما تنال به النبى وتابعيه لن يحول دون انتشار الاسلام .

*

٨ — كان العرب أهل فصاحة وبيان ، استثمروهما فى حرب دعاية جبارة استخدمت فيها شتى الأساليب من هجاء بالشعر ، وافتراء للأكاذيب، وتشويش على المسلمين وخاصة عندما كانوا يصلون بالكعبة ، فيرفعون أصواتهم حين تلاوة القرآن ، حتى يدخلوا عليه ، فى أذن السامع ، ما ليس منه . لقد كان ذلك دأبهم منذ ظهور الاسلام . فلقد جاء فى سورة فصلت ، التى قرأها الرسول على عتبة بن ربيعة — أبى الوليد — حين ذهب اليه فى سفارة لقريش ، ما قصه الله من حرب الدعاية التى استخدمها الكفار للتشويش على القرآن فى قوله : ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون** ﴾ (فصلت : ٢٦) .

وفى هذا قال ابن كثير : « الغوا فيه ، يعنى بالمكاء والصفير **والتخليط فى المنطق على رسول الله** ﷺ اذا قرأ القرآن ، قريش تفعله »

وقال الفخر الرازى : « قال بعضهم لبعض : (لا تسمعوا لهذا القرآن ، اذا قرىء وتشاغلوا عن قراءته برفع الأصوات بالخرافات والأشعار الفاسدة والكلمات الباطلة ، حتى تخلطوا على القارىء

وتشوشوا عليه وتغلبوا على قراءته • كانت قريش يوحى بذلك بعضهم بعضا • والمراد افعلوا عند تلاوة القرآن ما يكون لغوا وباطلا ، لتخرجوا قراءة القرآن عن أن تصير مفهومة للناس ، فهذا الطريق تغلبون محمدا » •

وقوله ، تعالى : ﴿ **وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية ، فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون** ﴾ (الأنفال : ٣٥) •

وقد نقل ابن كثير عن مجاهد قوله : « كان يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبى ﷺ صلاته • وقال الزهرى : يستهزئون بالمؤمنين • وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد : تصدية ، قال : صدهم الناس عن سبيل الله عز وجل » •

ولقد حاول المشركون ، فى حياة الرسول وبعد مماته ، أن يقولوا كلاما ، يحاولون أن يجعلوه سيارا على الألسن المشركة ، تلوكه لعله يضاهى القرآن ويتغلب عليه • ومن أمثلة ذلك ما قاله مسيلمة الكذاب : (يا ضفدع يا ضفدعين • نقى ما تنقين • لا الماء تكدرين • ولا الشارب تمنعين) ••• الى آخره ، من مثل هذا الهذر والهراء •••

*

٩ ــ ان اختراع الأقوال المكذوبة شىء تعرضت له الأديان • فبالنسبة للجزء الأول والأكبر من **الكتاب المقدس** ، الذى يعرف باسم العهد القديم ، نجد أن هناك ١٤ سفرا منحولا ، تسمى **الابوكريفا** اعتبرها اليهود والبروتستانت مزورة ، ورفضوا ادخالها فى كتابهم ، بينما قبل الكاثوليك ، وكذلك الأرثوذكس ، سبعة من هذه الأسفار أدخلت فى الكتاب المقدس تحت اسم : الأسفار القانونية الثانية • كذلك فان الجزء الثانى والأصغر من الكتاب المقدس ، الذى يعرف باسم العهد الجديد ، فانه يتكون حاليا من ٢٧ كتابا لم تحظ بالاجماع على شرعيتها الا عام ٣٦٧ م ، أى بعد أكثر من ٣٣٥ سنة من رفع المسيح •

وتتصدرها أربعة أناجيل فقط ، بعد استبعاد عشرات الأناجيل مثل : انجيل توما ، وانجيل بطرس ، وانجيل المصريين ، وانجيل العبريين ، وانجيل فيلبس ، وانجيل نيقوديموس ، وانجيل برنابا ... الخ .

كذلك تحتوى على ٢٣ رسالة بعد استبعاد عشرات الرسائل مثل : رسالة برنابا ، ورسالتا كليمنت الأولى والثانية ، ورسالة بوليكارب ، ورسالة اجناتيوس ، وتعاليم الاثنى عشر ، ورؤيا بطرس ، وراعى هرمس ... الخ .

وجدير بالذكر أن الرسالة الى العبرانيين ، وهى احدى الرسائل القانونية ، لا يعرف لها كاتب حتى الآن ، حيث تظهر غفلا من اسم كاتبها فى طبعات البروتستانت . أو الكاثوليك ، فقد أراحوا أنفسهم من عناء البحث عن المؤلف ، واعتبروها من مؤلفات بولس ، رغم الجدل الشديد حول هذا الموضوع .

*

١٠ ـ أن رسول الله ﷺ اتخذ كتبة عديدين يكتبون القرآن فور سماعه منه . وأنه كان يذاع فور نزوله أولا بأول بدليل أن سورة المسد ، التى تتوعد أبا لهب وامرأته بالعذاب ، كانت من أوائل السور نزولا وتداولا بين الناس ، حتى انها بلغت أبا لهب وامرأته ، فقالت هذه لأبى بكر : (هجانا صاحبك) . فقال أبو بكر : (لا ورب هذه البنية (المسجد) . ما ينطق بالشعر ولا يتفوه به) .

ولقد نزل القرآن مفرقا على مدى ٢٣ سنة ، فى آيات متواليات يسهل حفظها واستيعابها . وكان يستخدم فى الصلاة وفى أغلب المعاملات ، كما كان سببا رئيسيا للتفاضل بين الصحابة ، فأكثرهم حفظا له ، أفضلهم منزلة .

أما أحاديث الرسول ، فقد نهى عن تدوينها لقوله : **« لا تكتبوا عنى . ومن كتب عنى غير القرآن فليمحه »** (رواه مسلم) .

ولم يرض عمر بتدوين السنة فى كتاب جامع مثل القرآن ، كما

كان ينهى عن شغل الناس بكثرة الحديث ، بدلا من القرآن • واستمر الوضع كذلك حتى جرت ألسنة الناس بأحاديث كثيرة فيها من الصدق ما يتفق والقرآن العظيم ، وفيها غير ذلك • فكان أن أمر الخليفه الورع عمر بن عبد العزيز بأول تدوين رسمي للسنة • وكان ذلك فى بداية القرن الثانى الهجرى • فظهرت أولى المصنفات فى نحو منتصف ذلك القرن •

لقد كذب كثير على رسول الله ، ونسبوا له أحاديث وروايات مكذوبة ويكفى أن نعلم أن البخارى (١٩٤ — ٢٥٦ هـ) قد أخرج كتابه المعروف باسم : الجامع الصحيح ، أو صحيح البخارى ، من زهاء ٦٠٠ر٠٠٠ حديث ، صفاها ، وفق شروطه ومعاييره التى وضعها ، الى ٧٣٩٧ حديثا بالمكرر ، وبدون المكرر تكون الأحاديث الموصولة فقط ٢٦٠٢ حديثا • وقد استغرق هذا العمل الضخم ١٦ سنة فى رحلات وأسفار بين البلاد الاسلامية ليتتبع أحاديث رسول الله من كل من سمع أن له صلة بالحديث •

*

١١ — ابتلى المسلمون بظهور الزنادقة الذين عمدوا الى تزييف الأحاديث النبوية ، وأسندوها كذبا الى الثقات من الصحابة والتابعين • وامتدت أيديهم العابثة الى كتب الفقه والتفسير ، وهاجموا الأديان عموما ، ومن بينها الاسلام ، كما أنكروا الوحى الى أنبياء الله ورسله ، وقالوا بأن العقل الانسانى هو حلقة الاتصال بين المرء وربه • وكان فى تعاليمهم مجون وخلاعة ودعوة للمحرمات • ولما اشتد خطرهم ، أنشأ المهدى — ثالث الخلفاء العباسيين — ديوان الزنادقة ، لتتبع أنشطتهم وما يبثونه بين الناس • وكان من أخطرهم : عبد الكريم بن أبى العرجاء ، الذى اعترف قبل موته بأنه وضع ٤٠٠٠ حديث •

ونكتفى بمثال واحد لخرافاتهم : خلق الله الملائكة من شعر ذراعيه وصدره !

*

١٢ ــ كان اليهود يعثرون بالمسيح ، فقال لهم : « **ليس نبى بلا كرامة الا فى وطنه وبين اقربائه وفى بيته . ولم يقدر ان يصنع هناك ولا قوة واحدة** ــ مرقس ٦ : ٤ ــ ٥ » .

ان هذه قولة حق ، انطبقت على كل الأنبياء المعروفين . ولقد عانى المسيح من أهله ، ما هو أكثر من عدم التكريم ، فقد كان أقرباؤه يعتبرونه **مختل العقل :**

« ولما سمع أقرباؤه ، خرجوا ليمسكوه ، لأنهم قالوا انه **مختل** ــ مرقس ٣ : ١ » .

وكان اخوته ــ أبناء أمه مريم حسب رواية الانجيل ــ يشكون فى صدق رسالته : « **قال له اخوته** : انتقل من هنا واذهب الى اليهودية لكى يرى تلاميذك أيضا الأعمال التى تعمل .. **لأن اخوته أيضا لم يكونوا يؤمنون به** ــ يوحنا ٧ : ٣ ــ ٥ » .

وحين سمع كثير من تلاميذه بعض مواعظه ، فانهم انفصلوا عنه وتركوا صحبته ، شكا فيه . فلم يبق معه الا الاثنى عشر : « قال كثير من تلاميذه ، اذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب .. **من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ولم يعودوا يمشون معه .**

فقال يسوع للاثنى عشر : ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ــ يوحنا ٦ : ٦٠ ــ ٦٧ » .

ثم كانت صدمته كبيرة فى أن الخائن الذى تآمر عليه مع شيوخ اليهود ، كان تلميذه الذى توسم فيه الأمانة ، **فجعله أمينا للصندوق .** ذلك هو يهوذا الأسخريوطى (يوحنا ١٣ : ٢٩) .

حتى اذا ما جاءت ساعة المحنة وأحس المسيح بالخطر يتهدده : « **حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا ــ متى** ٢٦ : ٥٦ » .

وبخصوص ما تقوله المسيحية عن قيامة المسيح من الأموات

وظهوره لمريم المجدلية ، كان تلاميذه أول المرتابين • « فلما سمعوا أولئك أنه حى ، وقد نظرته ، **لم يصدقوا** •

وبعد ذلك ظهر بهيئة أخرى لاثنين منهم •• وذهب هذان وأخبرا الباقين ، **فلم يصدقوا ولا هذين** ـ مرقس ١٦ : ١١ ـ ١٣ » •

« **فتراءى كلامهن لهم كالهذيان ، ولم يصدقوهن** ـ لوقا ٢٤ : ١١ »

لقد ابتلى المسيح فى تلاميذه من أول يوم ، ولهذا كان يوبخهم لقلة فهمهم وقساوة قلوبهم ، بل انه كثيرا ما كان يشتمهم • وفى هذا يقول الانجيل :

« لم يفهموا بالأرغفة ، **اذ كانت قلوبهم غليظة** ـ مرقس ٦ : ٥٢ » •

« ولما دخل من عند الجمع الى البيت سأله تلاميذه عن المثل • فقال لهم : **أفأنتم أيضا هكذا غير فاهمين ؟!** ـ مرقس ٧ : ١٧ ـ ١٨ » •

« **الا تشعرون بعد ولا تفهمون • أحتى الآن قلوبكم غليظة ؟! ألكم أعين ولا تبصرون ؟! ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون ؟! •• كيف لا تفهمون ؟!** ـ مرقس ٨ : ١٧ ـ ٢١ » •

« ووبخ عدم **ايمانهم وقساوة قلوبهم** ـ مرقس ١٦ : ١٤ » •

كذلك عانى محمد رسول الله من أهله ـ وعلى رأسهم عمه أبو لهب ـ ومن عشيرته والمشركين • لقد حاربوه بالقول والفعل ، وبكل سلاح استطاعوه • وكان من أمثلة مفترياتهم عليه ما قالوه :

فى الجنون والشعر : ﴿ وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون ﴾ (القلم : ٥١) •

﴿ انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون • ويقولون ائنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون ﴾ (الصافات : ٣٥ ـ ٣٦) •

وفى افتراء القرآن وتأليفه كذبا على الله ﴿ وقال الذين كفروا ان

هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون ، فقد جاءوا ظلما وزورا . وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة واصيلا ﴾ (الفرقان : ٤ ــ ٥)

﴿ بل قالوا اضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر ﴾ (الأنبياء : ٥)

﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون انما يعلمه بشر ، لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين ﴾ (النحل : ١٠٣) .

﴿ أم يقولون تقوله ، بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين ﴾ (الطور : ٣٣ ــ ٣٤) .

وفى السخرية من النبى : ﴿ وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم ﴾ (الزخرف : ٣١) .

﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد . افترى على الله كذبا ام به جنة ﴾ ؟! (سبأ : ٧ ــ ٨)

لقد كان ما تعرض له محمد رسول الله فى الحرب الدعائية الشرسة ، استمرارا لما تعرض له اخوته السابقون من رسل الله :

﴿ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون. أتواصوا به ، بل هم قوم طاغون ﴾ (الذاريات : ٥٢ ــ ٥٣) .

لكن الله ــ جلت حكمته ــ عوض رسوله بصحابة كانوا نعم الرجال : رجال الله ، سواء الذين أسلموا فى فجر الدعوة ، أو الذين لما زالت عن عيونهم غشاوات الجاهلية والعصبية ، دخلوا فى دين الله باخلاص وحمية .

لقد شهدت لهم نبوءات التوراة ــ ولا تزال ــ بانهم قديسون .

فهذه نبوءة موسى فيهم وفى نبيهم ــ محمد رسول الله ــ تقول ، حسب ترجمة البروتستانت :

« جــاء الرب من ســيناء ، وأشرق لهم من ســعير ، وتلألأ من **جبل فاران** •

وأتى من **ربوات القدس** وعن يمينه نار شريعة لهم •

فأحب الشعب • **جميع قديسيه فى يدك** ، وهم جالســون عنــد قدمك ، يتقبلون من أقوالك ــ تثنية ٣٣ : ٢ ــ ٣ » •

واذا رجعنـــا الى **نســخة الملك جيمس** نجــد ترجمـــة الفقرة التى تتحدث عن (**ربوات القدس**) وما بعدها تعطينا صورة أوضح ، اذ تقـــول : « **وجاء مع عشرة آلاف (١٠٫٠٠٠) من القديسين** • ومن يمينه خرجت شريعة ملتهبة لهم »(١) •

أما العبارة التى تقول : (**أحب الشعب**) ، فنجــدها فى التراجم الفرنسية تتكلم عن حب الله للشعوب ، أى للناس أجمعين ، وليس شعبا واحدا ، التى جرت العادة ، فى مثل تلك الحال ، أن يفهم أنه الشــعب الاسرائيلى ، فالفرق كبير بين هذا وذاك • فهــذه التراجم تقــول : (**اجل ، انه يحب الشعوب**)(٢) •

وأما قــولهم : (**يتقبلون من اقوالك**) ، **فهى فى** نســخة الملك جيمس : (وكل واحد سيتلقى من أقوالك) •

وهناك اجماع بين التراجم على أن هذه الفقرة من سفر التثنية ، لها علاقة بفقرة أخرى فى سفر حبقوق ٣ : ٣ ، سنتعرض لها فيما بعد •

---

(١) (and he came with ten thousands of saints : from his right hand went a fiery law for them).

(٢) (Oui, il aime les peuples) . (L. S.)

والآن ننظر فى هذه النبوءة ، كما جاءت فى سفر التثنية مع الأخذ فى الاعتبار ما تقوله مختلف التراجم ، نجد أن :

مجىء الرب من سيناء يشير الى رسالة موسى ، حيث ناداه الله فى البقعة المقدســة .

واشراق الرب من سعير ، يشــير الى رسالة المسيح عيسى ، حيث تمتد سعير جنوب البحر الميت ، شرق فلسطين ، وحيث اعتزل المسيح نحو ١٨ عاما مع طائفة من أهل التقوى والورع يعرفون باسم : الأسينيين .

وأما تلألؤ الرب من جبل فاران ، فهو اشارة الى رسالة محمــد الذى جاء من ذرية اسماعيل بن ابراهيم . فلقد ســكن اســماعيل فى « برية فاران ــ تكوين ٢١ : ٢١ » .

وكان « بنو اسماعيل .. اثنا عشر رئيسا ، حسب قبـائلهم .. وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر ــ تكوين٢٥ : ١٦ ــ ١٨» .

هذا ، ولقــد دخــل محمد مكة فى السنة الثامنــة من الهجرة فى ١٠٫٠٠٠ من أصحابه ، القديسين كما تقول نبــوءة موسى . دخلوهــا بسلام لهم ولأهلها . فلما دخل المسجد الحرام طاف بالكعبة وســجد لله شاكرا ، ثم دعا القرشــيين وقال لهم : (يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل بكم) ؟

قالوا : (خيرا . أخ كريم ، وابن أخ كريم .

قال : (فاذهبوا ، فأنتم الطلقاء) .

ثم أتم رسول الله فى أول يوم لفتح مكة ، ما اســتمر يدعو اليــه طيلة ٢٠ ســنة ، وما حاربته مكة بصناديدها أشــد الحرب فيه . فقــد طهر المسجد الحرام من الأصنام وقضى تماما على الوثنية .

هذا ، ونجد اشارة أخرى الى جبل فاران ، جاءت فى نبوءة حبقوق

التى أشارت اليها مختلف التراجم ، كما ذكرنا سلفا • فهى تقول :

« الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران • سلاه •
جلاله غطى السموات • والأرض امتلأت من تسبيحه ـ
حبقوق ٣ : ٣ » •

ان المسلمين هم الوحيدون بين المؤمنين بالله ورسالاته ، الذين يملأون الأرض تسبيحا ، خمس مرات على الأقل كل يوم فى الأذان للصلاة ، حيث يهتفون قائلين : **الله اكبر** • ثم يعلنون شهادة الحق الكبرى وهى : **لا اله الا الله** •

وان مكة لهى المدينة المقدسة الوحيدة التى قضى الله ـ جلت حكمته ـ ألا يدخلها مشرك نجس • فوجب على المسلمين أن يحافظوا على طهارتها هذه ، فذاك قضاء الله فى كتب النبيين ، كما هتف به أشعياء الذى جاء بعد موسى بستة قرون ، فقال نبوءة عن **البرية** ، بلاد العرب المقفرة الجدباء ، جاء فيها : « **تفرح البرية والأرض اليابسة ويبتهج القفر ويزهر كالنرجس** •• هو ذا الهكم • الانتقام يأتى • جزاء الله • • **وتكون هناك سكة وطريق يقال لها الطريق المقدسة • لا يعبر فيها نجس بل هى لهم** ـ أشعيا ٣٥ : ١ ـ ٨ » •

ولقد كان قضاء الله فى القرآن العظيم :

« يا ايها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » (التوبة : ٢٨) •

حقا ، لقد عوض الله رسوله بصحابة عظام ، قادهم فى جيش من **١٠,٠٠٠ قديس** ، كان كل منهم ـ كما تقول نبوءة التوراة ـ **(يجلس عند قدمى النبى يتلقى من أقواله)** •

*

١٣ ـ **أما ما ابتلى به النبى حقا ، فهم أولئك الرواة ، ووضاع الحديث ، وغير قليل من كتاب السيرة ، الذين انشغلوا بجمع الروايات**

والأخبار بما فيها من غث وسمين ، دون نقد أو **تمحيص . فكان الواحد** من هـؤلاء (**كالبلدوزر**) ، يكتسح فى مجرفته كل ما **يصادفه** : التبر مع التراب ... لا فرق .

لقد رأينا سلفا[1] بعض ما أورده محمد بن جرير الطبرى ، المتوفى سنة ٣١٠ هـ من روايات متناقضة فى قصة النبى وزيد بن حارثة وزينب بنت جحش . ونعرض الآن أمثلة أخرى لرواياته المتناقضة فى الموضوع الواحـــد .

(أ) الذبيح ابن ابراهيم :

قال محمد بن جرير فى تفسيره لما جاء فى سورة الصافات عن الذبيح ابن ابراهيم : « اختلف أهل التأويل فى المفدى **من الذبيح من** ابنى ابراهيم ، **فقال بعضهم : هو اسحق** . ذكر من قال ذلك : حدثنا أبو كريب ... ... عن العباس بن عبد المطلب : **﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾** ، قال : **هو** اسحق .

حدثنى الحسين بن يزيد بن اسحق ... ... **عن ابن عباس** ، قال : الذى أمر بذبحه ابراهيم **هو** اسحق » .

ثم ذكر روايات أخرى كثيرة بهذا المعنى وعلى هذا المنوال .

ولما جاء للحديث عن نقيض ذلك قال : « **وقال آخرون : الذى فدى بالذبح العظيم من ابنى ابراهيم ، اسماعيل** ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب واسحق بن ابراهيم بن حبيب ... ... **عن ابن عمر** ، قال : الذبيح اسماعيل .

حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان ... ... **عن ابن عباس** : **﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾** ، قال : اسماعيل .

حدثنا ابن حميد ... ... **عن ابن عباس** ، قال : الذى أمر بذبحه ابراهيم ، اسماعيل » .

ثم ذكر عدة روايات أخرى ، تنتهى الى **ابن عباس** أيضا ، بهذا المعنى وعلى هذا المنوال .

---

(١) راجع ص ٧٠

انه تناقض يدعو الى السخرية حقا ...

أين التمحيص العلمى لهذه الروايات المتهالكة ، التى تذكر مرة أن الذبيح ابن ابراهيم هو : اسحق ، ثم تذكره مرة أخرى بأنه : اسماعيل .

وأكثر من هذا ، فان أغلب هذه الروايات تنتهى الى شخص واحد ، هو ابن عباس ...!

سبحان الله !

ما هذا أيها الرواة والمحدثون وكتاب السيرة ؟! ..

نحن ، حقا ، أمام عمل من طراز **(البولدوزر)** ...

لقد كفانا **الطبرى** اللجاجة فى هذه الحقيقة التى ذكرناها عنه . **فالاعتراف سيد الأدلة** ، كما قلنا من قبل ، عند الحديث عن رواياته المتناقضة فى موضوع زينب بنت جحش ، وما نذكر القارىء ببعض ما قاله :

> ليعلم الناظر فى كتابنا هذا ، أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه .. انما هو ما رويت من الأخبار .. دون ما أدرك بحجج العقول وأستنبط بفكر النفوس .. فما يكن من كتابى هذا من خبر ذكرناه .. مما يستنكره قارؤه .. من أجل أنه لم يعرف له وجها من الصحة ، ولا معنى فى الحقيقة ، فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا ، وانما أتى من قبل بعض ناقليه الينا .
>
> أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى

ان هذا يعنى ، بوضوح ، أن كتب التفسير والسيرة لم تسلم من روايات فيها كذب واختلاق . وهذه تحتاج الى تمحيص علمى لبيان الحقيقة فى كل موضوع . ويترتب على ذلك أننا أمام قاعدة أصولية لا بد من التسليم بها ، وهى :

> **ان كتب التفسير والسيرة النبوية ليست حجة على الاسلام ونبيه**

على أن هذا التناقض فى الروايات عن اسماعيل واسحق ، باعتبار أن كلا منهما كان هو الذبيح ابن ابراهيم ، ليذكرنا بذلك التناقض فى الروايات الخاصة بتحول بولس من اليهودية الى المسيحية .

ففى الرواية التى ذكرها لوقا ، كاتب سفر أعمال الرسل ، فى الاصحاح التاسع منه ، نجده يقول :

« وفى ذهابه حدث أنه اقترب الى دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء . فسقط على الأرض وسمع صوتا قائلا له : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى . فقال : من أنت ياسيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع ..

أما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين : **يسمعون الصوت ، ولا ينظرون أحدا** ـ أعمال الرسل ٩ : ٣ ـ ٧ » .

بينما يقول ذات السفر ـ أعمال الرسل ـ فى الاصحاح الثانى والعشرين على لسان بولس نفسه :

« أبرق حولى من السماء نور عظيم . فسقطت على الأرض وسمعت صوتا قائلا لى : شاول شاول ، لماذا تضطهدنى ..

والذين **كانوا معى نظروا النور وارتعبوا ، ولكنهم لم يسمعوا صوت الذى كلمنى** ـ أعمال الرسل ٢٢ : ٦ ـ ٩ » .

لا يمكن قبول الروايتين معا ، فلا بد من نبذ واحدة منهما على الأقل ...

* *

(ب) حديث الغرانيق :

قال محمد بن جرير فى تفسيره لما جاء فى سورة الحج من قول الله :

﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم ﴾ (الحج : ٥٢) ، قيل ان السبب الذى من أجله أنزلت

هذه الآية على رسول الله ﷺ أن الشيطان كان ألقى على لسانه فى بعض ما يتلوه مما أنزله الله عليه من القرآن ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله ﷺ واغتم به ، **فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات .**

ذكر من قال ذلك : حدثنا القاسم ... .. **عن محمد بن كعب القرظى** ومحمد بن قيس ، قالا : جلس رسـول الله ﷺ فى ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ ألا يأتيه من الله شىء فينفروا عنه . فأنزل الله عليه : ﴿ **والنجم اذا هوى . ما ضل صاحبكم وما غوى** ﴾ ... فقرأهـا

رسـول الله ﷺ حتى اذا بلـغ : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ ، (النجم : ١ ــ ٢٠) ألقى عليـه الشيطان كلمتين :

تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن لترتجى .

فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها ، فسجد فى آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ..

فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، **فلما** بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين . **فقال** رسول الله ﷺ : افتريت على الله وقلت على الله ما لم يقل ! فأوحى **الله اليـه :**

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقـد كـدت تركن اليهـم شـيئا قليلا . اذن لأذقنـاك ضعف الحيـاة وضعف الممات ثم لا تجـد لك علينـا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ ــ ٧٥) .

فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه : ﴿ **وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى ...** ﴾ ــ الآية (الحج : ٥٢) .

حدثنا ابن حميد ... ... عن محمد بن كعب القرظى ، قال ...

تلك الغرانيق العلى . وان شفاعتهن ترتضى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ... ... عن **أبى العالية** ، قال ...

تلك الغرانيق العلى . وشفاعتهن **ترتجى . مثلهن لا ينسى** .

حدثنا ابن المثنى ... ... **عن أبى العالية ، قال** ...

وهى **الغرانقة** العلى . وشفاعتهن ترتجى .

حدثنى محمد بن سعد ... ... عن ابن عباس : قال ....

ان تلك الغرانيق العلى . منها الشفاعة ترتجى .

حدثنى يونس ... ... عن عبد الرحمن بن الحرث : قال ...

ومناة الثالثة الأخرى . ان شفاعتهن ترتجى ... ... » .

هذا ــ ولسوف نناقش هذه الأقاويل والروايات ، ونعالجها من مختلف الوجوه فى نقاط متسلسلة ، ملتزمين بقاعدة أصولية ، يطبقها الناس فى مختلف قضاياهم فى المحاكم أو فيما بينهم كل يوم ، قاعدة تقول :

كل ما تسرب اليه الاحتمال ، سقط به الاستدلال .

وأول هذه الوجوه ، هو ما كان وفق قواعد المنطق البسيط ، الذى يعالج الموضوع باعتباره مجرد قضية كلامية ، لا تحتاج الى خلفية علمية تتعلق بالاسلام وكتابه ونبيه وتاريخه .

فمن المعطيات التى اتفقت عليها هذه الروايات المتعددة :

ــ أن النبى قرأ سورة النجم **كلها** على جمهور كثير من **المسلمين والمشركين** .

ــ وأن هناك كلمات كفر أدخلت بين آيات السورة عقب الآية التى تقول : ﴿ **ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ .

ــ وأن تلك الكلمات عددها قليل ، بوجه عام ، لا يتعدى سطرا

واحدا فى الكتابة . فالنص الأصغر ، وهو السادس والأخير ، الذى بدأ بيونس ، **لا يتعدى ثلاث كلمات** تقول : ان شفاعتهن ترتجى .

بينما النص الأكبر ، الذى بدأ بابن عبد الأعلى ، يصل الى سبع كلمات .

فلنبدأ الآن مراجعة هذا الموضوع من مختلف الوجوه .

*

(١) من مراجعة النصوص الستة لكلمات الكفر يتبين أن :

ـ بعضها استخدم لفظ : الغرانيق (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥) .

ـ وبعضها استخدم لفظ : الغرانقة (رقم : ٤) .

ـ والبعض لم يستخدم أيا من اللفظين (رقم : ٦) .

ـ كذلك ، استخدم بعضها لفظ : شفاعتهن (أرقام : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦) .

ـ والبعض استخدم لفظ : الشفاعة (رقم : ٦) .

ـ وأيضا ، استخدم بعضها لفظ : ترتجى أو لترتجى (أرقام : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) .

ـ والبعض استخدم لفظ : ترتضى (رقم : ٢) .

ـ كذلك انتهى النصان : الأول والثانى ، الى شخص واحد هو : **محمد بن كعب القرظى** ، مع خلاف بينهما ، لترتجى ، ترتضى .

ـ وانتهى النصان : الثالث والرابع ، الى شخص واحد هو : أبى **العالية** ، مع خلاف بينهما : الغرانيق . مثلهن لا ينسى ، الغرانقة .

فمما سبق يتبين أن هذه النصوص تختلف كثيرا فيما بينها ، ولا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد ، فى ساعة من نهار فى مجلس واحد ، أمام جمهور كبير من الشهود ، على طرفى نقيض فى العقيدة : فبعضهم مسلم يوحد الله ، والبعض الآخر مشرك يعبد الأصنام وسيطا بينهم وبين الله .

ومن ثم ، فان أيا من هذه النصوص المختلفة لا يرقى الى مرتبة الاحتمال ، فمن باب أولى أن يسقط به الاستدلال .

*

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره رواية أخرى **عن قتادة** قال : « كان النبى ﷺ يصلى عند المقام ، **اذ نعس ، فألقى الشيطان** على لسانه : وان شفاعتهن لترتجى ، وانها لمع الغرانيق العلى ، فحفظها المشركون . **وأجرى الشيطان ان النبى ﷺ قد قراها ، فزلت بها السنتهم »** .

ان الخلاف الرئيسى بين هذه الرواية وغيرها من الروايات السابقة يتركز فى خلوها مما قيل من أن النبى ﷺ قرأ سورة النجم على المسلمين والمشركين معا ، وأنهم سجدوا جميعا معه فى موضع السجود فى نهاية السورة . فهذه الرواية تجرد الروايات الأخرى من جزء أساسى فيها .

ناهيك بانقلاب شطرى كلمات الكفر ، والاختلاف نصها مع كل من النصوص الأخرى ، والادعاء بأن خطأ القراءة كان فى حال نعاس رسول الله ، وليس فى حال يقظته !

*

(٣) كذلك ، ذكر ابن كثير فى رواية تبدأ بابن أبى حاتم وتنتهى بسعيد بن جبير الذى قال : « قرأ رسول الله ﷺ **بمكة النجم ، فلما** بلغ هذا الموضع : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى** ... ﴾ .

وفى رواية أخرى لابن كثير : عن « البزار ... ... عن ابن عباس **فيما احسب الشك فى الحديث** أن النبى ﷺ قرأ **بمكة** سورة النجم حتى انتهى الى : ﴿ **افرايتم اللات والعزى** ... ﴾ .

ان ما يلفت النظر فى هاتين الروايتين المشكوك فى حديثهما أنهما تتحدثان عن قراءة النبى لسورة النجم فى مكة . وهذا يعنى بداهة أن المتحدثين لم يكونوا فى مكة وانما كانوا فى المدينة . وكأن الأمور هناك كانت هادئة مستقرة ، فلا حروب ولا مخاطر متوقعة فى كل وقت

وحين ، حتى ان الواحد منهم استلقى على ظهره وأخذ راحته فى استرجاع ما كان من أمر الدعوة فى مكة ، ثم تذكر قراءة النبى لسورة النجم هناك ، وهى سورة نزلت قبل الهجرة الى المدينة بأكثر من ٨ سنوات ، وأن هذا التذكر لن يحدث قبل ١٨ عاما ، أى بعد وفاة الرسول .

عجبا حقا لهذا الهرج الذى لا يستحق مجرد القراءة ...!

لكننا آثرنا أن نعالج هذا الموضوع من شتى أوجهه ، ومن هنا كان صبرنا على استعراض هذه الخرافات .

*

(٤) تقول قواعد المنطق : ان صحة مقولة ما تتحقق ، **على الأقل** ، بتحقيق شرطين متلازمين متعاقبين :

الشرط الأول : ألا تتناقض المقولة مع نفسها (فيحدث توافق داخلى) .

الشرط الثانى : ألا تتناقض المقولة مع حقائق المقولات الأخرى (فيحدث توافق خارجى) .

ومن الواضح أن عدم تحقق الشرط الأول يعتبر كافيا للطعن فى صحة تلك المقولة ، ويجردها من كل مصداقية .

وبتطبيق هذه القاعدة المنطقية البسيطة على قضيتنا هذه ، نجد أن مجموعة الآيات التى تكلمت عن آلهة المشركين ، ثم تخللتها كلمات الكفر المزعومة ــ ولتكن وفق النص الأكبر ــ تقرأ معا كالآتى :

« أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى » .

تلك الغرانيق العلى . وشفاعتهن ترتجى . مثلهن لا ينسى .

«ألكم الذكر وله الأنثى . تلك اذن قسمة ضيزى . ان هى

الا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان يتبعون الا الظن وما تهوى الأنفس ، ولقد جاءهم من ربهم الهدى . أم للانسان ما تمنى . فلله الآخرة والأولى . وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا الا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ... »

من الواضح أن الشرط الأول لم يتحقق فى هذه المقولة ، فهى بهذه الصورة تتناقض مع نفسها ، اذ لم يحدث فيها توافق داخلى ألبتة . ذلك أنها بعد أن ذكرت أسماء تلك الأصنام المعبودة فى الآيتين الأوليين ، ثم مدحتهن فى ثلاث مقاطع تالية ، اذا ببقية الآيات تحمل عليها حملة شعواء ، تبدأ بانكار وجودها فتعتبرها مجرد أسماء اختلقها الخيال ، والعقيدة فيها ليس لها من برهان سوى الظن والهوى . ثم بينت الآيات أن الملائكة لا يملكون من أمر الشفاعة شيئا ، « **فلله الآخرة الأولى** » ، (**وله كل شىء**) ، **وحده** لا شريك **له** .

ان هذه المقولة ، بما دس فيها من حديث الغرانيق ، لا يمكن أن تكون قد صدرت عن شخص واحد ، فى مجلس واحد ، شهده جمع من المسلمين والمشركين . فلا بد ، اذن ، من نبذ حديث الغرانيق حتى يتوافق هذا القول مع نفسه ، قبل البحث ــ من وجهة نظر المنطق البحت ــ فى البحث فى تحقيق الشرط الثانى وهو توافقه مع الحقائق القرآنية الأخرى .

ان القاعدة المنطقية التى استخدمناها فى بحث حديث الغرانيق تعتبر وسيلة مضمونة وميسرة لبحث مختلف القضايا المماثلة . ونستطيع تطبيقها ، فى سهولة ويسر ، على مقولات أخرى ، ولتكن تلك التى تتعلق بيوسف الصديق ، وامرأة العزيز فى مصر ، حسبما جاءت فى **الكتاب المقدس** .

فبعد أن تآمر اخوة يوسف عليه وألقوه فى البئر ، « اجتاز

رجال مديانيون تجار ، فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر .. فأتوا بيوسف الى مصر .. وأما المديانيون فباعوه فى مصر **لفوطيفار خصى فرعون رئيس الشرط ..**

وأما يوسف أنزل الى مصر واشتراه فوطيفار **خصى فرعون** رئيس الشرط رجل مصرى .. وكان الرب مع يوسف فكان رجلا ناجحا، **وكان فى بيت سيده المصرى ..**

وحدث بعد هذه الأمور أن **امرأة سيده** رفعت عينيها الى يوسف وقالت : اضطجع معى ... فأخذ يوسف سيده ووضعه فى بيت السجن ..

وحدث بعد هذه الأمور أن ساقى ملك مصر والخباز أذنبا الى سيدهما ملك مصر .. فوضعهما **فى حبس بيت رئيس الشرط** فى بيت السجن المكان الذى كان يوسف محبوسا فيه ..

فحدث فى يوم عيد ميلاد فرعون أنه ... رد رئيس السقاة الى سقيه .. ثم كلم رئيس السقاة فرعون قائلا ... **فى حبس بيت رئيس الشرط** .. كان هناك معنا غلام عبرانى عبد لرئيس الشرط ... ـ تكوين ٣٧ : ٢٨ ـ ٣٦ ، ٣٩ : ١ ـ ٧ ، ٤٠ : ١ ـ ٣ ، ٢٠ ـ ٢١ ، ٤١ : ٩ ـ ١٢ » .

هذه هى الخطوط العامة للجزء الأول من قصة يوسف . ويستطيع القارىء العادى ، الذى لا يعرف شيئا عن يوسف وما قيل عنه فى الكتاب المقدس أو فى القرآن العظيم ، أن يلمح شيئا يمنع توافق هذا الجزء من القصة مع نفسه . فيوسف عبد لرئيس الشرط ، فوطيفار ، خصى فرعون ، وأن هذا الخصى له زوجة تحاول اغواء يوسف ... ! كيف هذا : خصى يتزوج ؟!

ان هنا خللا واضحا يتمثل فى وصف رئيس الشرط أو الموظف السامى لدى فرعون بأنه خصى ...!

ولقد أوقع هذا الخطأ مترجمى سفر التكوين من العبرية الى اللغات الأخرى فى حرج شديد ، فاضطر بعضهم الى الالتزام بالنص العبرى الخطأ ، ووصف رئيس الشرط بأنه خصى فرعون . وهذا ما نقرأه فى التراجم العربية الشائعة ، وفى الترجمة الفرنسية المسكونية ، وفى ترجمة اورشليم الفرنسية . أما تراجم البروتستانت ، عموما ، فقد أسقطت كلمة « خصى » من القصة لتتخلص من هذا المأزق .

وجدير بالذكر أن مجىء يوسف الى مصر ، ثم مجىء أبيه وقبيلته فى عقبه ، كان خلال حكم أجنبى غريب ، غير فرعونى ، تشير المقارنات التاريخية الى أنه حدث أيام الهكسوس .

*

(٥) من المعلوم أن حادث الاسراء كان فى العام الأخير قبل الهجرة الى المدينة ، وأن حديث الاسراء كان سببا فى ارتداد بعض المسلمين على دينهم ، اذ لم تستطع عقولهم تصديقه . ويروى ابن كثير فى تفسيره عن ابن عباس قال : « أسرى برسول الله ﷺ الى بيت المقدس ، ثم جاء من ليلته فحدثهم بمسيره ، وبعلامة بيت المقدس ، وبعيرهم (التى كانت فى الطريق) .

فقال ناس : نحن لا نصدق محمدا بما يقول . فارتدوا كفارا ..

(فقد حدث فى صباح ليلة الاسراء أن) مر به عدو الله أبو جهل ، فجاء حتى جلس اليه ، فقال له كالمستهزىء : **هل كان من شىء ؟!**

فقال له رسول الله ﷺ : نعم . قال : ما هو ؟ . قال : انى أسرى بى الليلة . قال : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قال : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟! قال : نعم ..

قال : أرأيت ان دعوت قومك ، أتحدثهم بما حدثتنى به ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم .

فقال : يا معشر بنى كعب بن لؤى ! قال : فانفضت اليه المجالس وجاءوا حتى جلسوا اليهما . قال : حدث قومك بما حدثتنى .

فقال رسول الله ﷺ : انى أسرى بى الليلة . فقالوا : الى أين ؟ قال : الى بيت المقدس . قالوا : ثم أصبحت بين ظهرانينا ؟! قال : نعم . قال : فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا » ...

لقد ارتد قوم عن الاسلام بعد سماعهم قصة الاسراء من الرسول ، وكان ذلك قرب نهاية فترة الدعوة فى مكة ، وقد ازداد المسلمون آنذاك عددا وقوة ، وفشل الحصار الاقتصادى والاجتماعى والفكرى الذى فرضه القرشيون على المسلمين .

فمن باب أولى أن يحدث ارتداد لبعض المسلمين ــ على الأقل ــ قبل ذلك بما لا يقل عن سبع سنين ، حين نزلت سورة النجم ، لو كان فيها حقا حديث الغرانيق ، والمسلمون يومئذ قليل ، والقرآن الذى يأتيهم به الرسول فى متناول أيديهم ، وحجة لهم أو عليهم وذلك كله قبل مولد ابن عباس ، الذى تنسب اليه زورا بعض روايات الغرانيق ، بمدة لا تقل عن خمس سنين ، اذ المعروف أنه كان قد بلغ الثالثة عشر عند موت الرسول .

لم يحدث ارتداد عن الاسلام ، اذن ، عقب نزول سورة النجم وتلاوة الرسول اياها جهارا نهارا أمام حشد كبير من الشهود : مسلمين ومشركين ، وذلك لسبب وحيد وجوهرى وهو أنها كانت نقية كما أنزلها الله ، وكما يتلوها كل مسلم اليوم .

فلا يعقل أن يرتد مسلمون لمجرد الحديث عما أراه الله لنبيه من عالم الغيب ــ الذى يشكل جزءا أساسيا من عقيدة كل مؤمن ــ بينما لا يرتد أحد لسماع قرآن اختلط به حديث الغرانيق ... ! ان هذا مستحيل ...

*

هذا ـ ولقد عالج شيخ كبير من شيوخ المفسرين ، هو **الفخر الرازى** المتوفى سنة ٦٠٤ هـ ، حديث الغرانيق ، بعد أن ذكر رواية تتشابه مع رواية الطبرى وان اختلفت معها فى نقاط هامة منها : اختلاف نص كلمات الكفر ، فانه قال : « **أما أهل التحقيق فقد قالوا : هذه الرواية باطلة موضوعة** . واحتجوا عليها بالقرآن والسنة والمعقول» .

ثم ذكر الفخر الرازى براهين على بطلان هذه الرواية ، نقتبس بعض ما استند اليه من (السنة والمعقول) ، ونضعه ضمن مسلسل معالجتنا لهذا الموضوع . أما الاحتجاج بالقرآن ، فسنعرض له فيما بعد .

(٦) قال الفخر الرازى : « روى عن محمد بن اسحق بن خزيمة (الذى كان معاصرا للطبرى ، ولقب بامام الأئمة ، وله كتاب : الصحيح فى الحديث) أنه سئل عن هذه القصة ، فقال : **(هذا وضع من الزنادقة)** وصنف فيه كتابا .

وقال الامام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقى : **(هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل)** . ثم أخذ يتكلم فى أن رواة هذه القصة مطعون فيهم » .

(٧) « وأيضا ، فقد روى البخارى فى صحيحه أن النبى عليه السلام قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والمشركون .. **وليس فيه حديث الغرانيق** . وروى هذا الحديث من طرق كثيرة **وليس فيها ألبتة حديث الغرانيق** » .

❋

(٨) « وأما المعقول ، فمن وجوه :

أنه عليه السلام ، ما كان يمكنه فى أول الأمر أن يصلى ويقرأ القرآن عند الكعبة آمنا أذى المشركين له ، حتى كانوا ربما مدوا أيديهم اليه ، وانما كان يصلى اذا لم يحضروها ليلا ، أو فى أوقات خلوه . وذلك يبطل قولهم .

وأن معاداتهم للرسول كانت أعظم من أن يقروا بهذا القدر من القراءة دون أن يقفوا على حقيقة الأمر • فكيف أجمعوا على أنه عظم آلهتهم حتى خروا سـجدا (فى نهاية السورة) مع أنه لم يظهر عنـدهم موافقته لهم (حسب بقية السورة) » •

*

(٩) أجمعت الروايات المختلقة كلها على شيء واحـد ، وهو أنه فى نهاية نفس اليوم كانت سورة النجم عند الرسول نقية كما نقرؤها اليوم • لكن الوضاعين أرجعوا ذلك الى تصحيح سريع قام به الأمين جبريل ، وان اختلفوا ، كالعادة ، فى كيفية تدخل أمين الوحى • فاحدى روايات الطبرى ، كتلك التى نقلناها سلفا ، تقول :

(فلما أمسى أتاه جبريل ، عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه ، قال : ما جئتك بهاتين) ••

أما الرواية التى نقلها الفخر الرازى ، فتقول :

(فلما أمسى رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليـه السـلام فقـال : ماذا صنعت ؟! تلوت على الناس ما لم آتك به ، وقلت ما لم أقل لك) ؟!

ان نظرة واحـدة فى أى من هاتين الروايتين لتقطـع بكذبهـا •

فمثل هذا الحديث الذى يزعمون أنه جـرى بين أمين الوحى والنبى ، ما كان لبشر أن يعلمه الا عن طريق النبى نفسـه • ولمـا كان النبى لم يحدث بشيء من ذلك على الاطلاق ، كان ذلك الحديث المزعوم بين أمين الوحى والنبى مختلقا ولا صحة له ، ويترتب على ذلك الاقرار باختلاق حديث الغرانيق برمته ، جملة وتفصيلا •

على أن الذين اختلقوا روايات الغرانيق ليثيروا شـبهات حـول القرآن ، وأولئكم الذين ظاهروهم عبر الزمان ــ ولا يزال بعضهم الى الآن ــ من غير المسلمين ، انما استدرجوا ــ نتيجة لسوء مكرهم ــ

الى التسليم بنتيجة منطقية ـ ترتبت على قولهم بتدخل الأمين جبريل لبيان الحق فى نفس اليوم ـ وهى : أن القرآن الذى يتلوه الرسول على الناس فى الأرض ، انما هو مرصود من السماء ، تحت المراقبة التامة ، ومحفوظ من التدخل فيه على أى صورة من الصور .

ان هذا يعنى أنهم يسلمون ـ دون أن يدروا ـ **بقول الحق** : **« انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون »** (**الحجر : ٩**) .

❋

(١٠) ثم نختم استعراضنا للروايات المختلفة بذكر واحدة ، تختلف عن سابقاتها فى شىء هام يسترعى الانتباه ، **فقد ذكرها ابن كثير** بدءا بابن أبى حاتم ، وانتهاء بابن شهاب الذى قال : « **أنزلت سورة** النجم وكان المشركون يقولون : لو كان هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ، أقررناه وأصحابه . وكان رسول الله ﷺ قد اشتد عليه ما ناله وأصحابه من أذاهم وتكذيبهم ، وأحزنه ضلالهم ، **فكان يتمنى هداهم** . فلما أنزل الله سورة النجم قال : **« أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى . ألكم الذكر وله الأنثى »** ، ألقى الشيطان عندها كلمات حين ذكر الله الطواغيت فقال : (وانهن لهن الغرانيق العلا . وان شفاعتهن لهى التى ترتجى) . **وكان ذلك من سجع الشيطان وفتنته .**

فوقعت هاتان الكلمتان فى قلب كل مشرك بمكة ، وذلت بها ألسنتهم .. فلما بلغ رسول الله ﷺ آخر النجم سجد وسجد كل من حضره من مسلم أو مشرك .. فعجب الفريقان كلاهما من جماعتهم فى السجود لسجود رسول الله ﷺ .

فأما المسلمون فعجبوا لسجود المشركين معهم على غير ايمان ولا يقين ، ولم يكن المسلمون سمعوا الذى القى الشيطان فى مسامع المشركين .

(وأما المشركون) فاطمأنت أنفسهم لما ألقى الشيطان فى أمنية

رســـــول الله ﷺ ، **وحدثهم به الشيطان أن رســول الله ﷺ قــد قراها فى السورة ، فسجدوا لتعظيم آلهتهم ، ففشت تلك الكلمة فى الناس »** •

من هذه الرواية تتبين عدة أمور هامة :

ـ أن ما كان يتمناه النبى هــو هداية قومه • وهــذا حــق له وواجب عليه ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التى زعمت أنه كان يتمنى ألا يأتيه من الله شيء فينفروا منه • فشتان بين هذا وذاك •

ـ وأن النبى لم يقرأ كلمات الكفر على الاطلاق ، وانما قرأ ثلاث آيات متواليات دون تدخل خارجى ، فقال : **« افرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى • الكم الذكر وله الأنثى »** ، وذلك خلافا للروايات الأخرى التى تحقن كلمات الكفر بين الآيتين الثانية والثالثة • ولهــذا السبب لم يسمع المسلمون تلك الكلمات الشيطانية على الاطلاق ، ومن ثم تعجبوا لسجود المشركين معهم فى نهاية السورة •

ـ وأن كلمات الكفر كانت وقفا على المشركين دون غيرهم •

ـ وأن نصها هنا يعتبر أطول النصوص ، ويختلف معها جميعا •

ويمكن تقدير ما حدث اعتمادا على أن ســورة النجم التى قرأها الرسول على المشركين والمسلمين ، سفهت آلهة قريش واعتبرتها مجــرد أســماء ســموها **(ما أنزل الله بها من سلطان)** واعتمادا على ما بينتــه الرواية الأخيرة ، ثم بالقياس لمــا يحدث فى حياتنا اليومية • فمن المعلوم أن النيابة العامة عندما تباشر التحقيق فى جريمة وقعت ، فانها تستطيع فى النهاية أن ترسم صورة تقــديرية لحقيقــة ما حــدث اعتمــادا على ما تجمع لديها من قرائن وأدلة وعوامل أخرى مؤثرة •

وبالمثل ، فاننا نستطيع أن نقول :

يحدث فى حياتنا اليومية أن يقرأ قارىء القرآن مجودا على جماعة

من المسلمين فيطربون له ويهتزون لتجويده • ويبلغ بأحدهم الطرب أن يتدخل بكلمات من عنده ، عقب بعض الآيات • فاذا تلى القارىء قوله تعالى : ﴿ **واذا سالك عبادى عنى فانى قريب ، اجيب دعوة الداع اذا دعان** ﴾ (البقرة : ١٨٦) ، عقب ذلك المأخوذ الطرب بصيحة اعجاب ، عالية الصوت ، تقول ، مثلا : ارحمنا يا رحمان ! فاذا استمع جاهل بالقرآن ، يجلس بعيدا عن القارىء ، كانت حصيلة سمعه : (••• أجيب دعوة الداع اذا دعان : ارحمنا يا رحمان) ! فيعتقد هذا الجاهل ــ خطأ ــ أن ذلك كله قرآن ، وما هو كذلك • انه قرآن ألحق به قول بشر ••• وما حدث هذا الا لأن المسلمين لا يلتزمون بما يأمرهم به الله فى تعليم قرآنى واضح يقول : ﴿ **واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون** ﴾ (الأعراف : ٢٠٤)

ولقد حدث فى حياتنا اليومية أن كتب عالم فاضل شغل نفسه بالتفسير الموضوعى للقرآن ، تفسيرا لبعض السور ، فاذا به يكتب الآيات ويدس بينها مفردات وشروحا يضعها بين أقواس • فما هو الحال ، اذا حدث خطأ مطبعى ، وفقد أحد الأقواس ، وهو احتمال كثير الوقوع ؟! لا شك أن القارىء البسيط سيقرأ القرآن وما ألحق به باعتباره كله قرآنا ، وما هو كذلك •

وبناء على ما سبق تكون الصورة الاحتمالية هى أن الرسول ﷺ بدأ يقرأ سورة النجم على المشركين والمسلمين ، وبمجرد أن جاء ذكر آلهتهم فى قول الله تعالى : ﴿ **أفرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى** ﴾ **استمر الرسول يقرأ ما بعدها صحيحا نقيا** ــ وهذا ما تقوله الرواية التى نحن بصددها ــ **فقال** : ﴿ **ألكم الذكر وله الأنثى** ﴾ بينما هتف أحد المشركين بقوله : تلك الغرانيق العلا • منها الشفاعة ترتجى ، فاستجابت لها أفئدة المشركين ، لأنها تتفق وعقائدهم فيها ، وكانت بمثابة اسقاط نفسى لشىء كانوا يتمنوه ــ اذ تقول نفس هذه الرواية : كان المشركون يقولون : لو أن هذا الرجل يذكر آلهتنا بخير ،

أقرناه وأصحابه — ومن ثم كان سجودهم فى ختام السورة • هذا ، بينما كان المسلمون يركزون سمعهم على ما يقوله الرسول ، كعادتهم فى كل مجلس له ، ولهذا قالت الرواية ان المسلمين لم يكونوا قد سمعوا الذى ألقى الشيطان فى مسامع المشركين ، ومن ثم كان تعجبهم لسجود المشركين معهم •

واما أن تنسب كلمات الكفر للشيطان ، رغم أنها صدرت على لسان انسان مشرك ، فذلك شيء تتفق عليه الكتب المقدسة ، حيث ينسب الشر أصلا الى الشيطان الذى يغرى الانسان بفعله ؛ فيستجيب له ويفعله • ويوم الحساب ، يتبرأ كل من خليله :

﴿ وقال الشيطان لما قضى الأمر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم ، وما كان لى عليكم من سلطان الا أن دعوتكم فاستجبتم لى ، فلا تلومونى ولوموا أنفسكم ، ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى ، انى كفرت بما أشركتمون من قبل ، ان الظالمين لهم عذاب أليم ﴾ (ابراهيم : ٢٢)

اننا لسنا فى حاجة الى التذكرة بأن القريحة العربية لأى من المشركين الذين استمعوا الى رسول الله وهو يتلو عليهم سورة النجم ، لكفيلة بأن تسعفه بكلمة تعظيم لآلهته بمجرد سماع أسمائها • فها هو خالد بن الوليد ، الذى عاش على الشرك زمنا طويلا ثم هداه الله الى الاسلام أخيرا قبل وفاة الرسول ، يمر يوما على صنمى اللات والعزى بعد اسلامه ، فينظر الى الواحد منهما ويقول :

كفرانك ، لا سبحانك ! انى رأيت الله قد أهانك . لقد كان هذا سجعا لا تكلف فيه ، جادت به قريحة خالد لساعتها •

ولسنا فى حاجة أيضا ، الى التذكرة بأن العرب كانوا أساتذة فى الحرب الكلامية ، فأنشأوا لها مواسم وأسواقا يعرضون فيها دعاياتهم

ما بين فخر وهجاء • لقد كانوا يدركون تماما قوة الكلمة وأثرها الفعال الذى يتعاظم بكثرة الترديد •

فلقد حدث فى غزوة أحـد ، بعد أن رجحت كفة المشركين آخر الأمر ، أن أذاعت قريش أن محمدا قتل ••• وكان لهذه الكلمة الكاذبة الخبيثة فعلها الرهيب فى كلا الجانبين ••• فلا عجب ، اذن ، أن يلغوا فى القرآن ، وينسبوا له ، كذبا ، حديثا كحديث الغرانيق •

ومهما يكن من أمر ، فان كلمات الكفر لم تكن لتصدر الا من جانب المشركين •

ومن الجدير بالذكر أن **ابن كثير** قد ضعف روايات الغرانيق جميعا فقال : **« أنها من طرق كلها مرسلة ولم أرها مسندة من وجه صحيح » .**

والمرسل هو ما سقط منه الصحابى الذى استمع الى النبى ﷺ وأخذ عنه • ويرى جمهور العلماء من أهـل الحديث ــ ومعهم الأصوليون ــ **أن الحديث المرسل لا يؤخذ به • وقد قال الامام مسلم فى مقدمة كتـابه « الجامع الصحيح » : أن المرسل من الروايات ــ فى أصل قولنا وقول أهل العلم بالأخبار ــ ليس حجة •**

*

(١١) ليس جديداً أن يتهم رسول من رسل الله بتدخـل الشيطان فى شىء يتعلق برســالته ، فما زعمه الكافرون فى شــأن محمد رسول الله ، قال بمثله ، من قبل ، الكافرون برسالة المسيح عيسى ابن مريم • فلقد حدث أن شـفى المسـيح مجنـونا أعمى وأخرس • « فبهت كل الجمــوع وقالوا : **ألعل هذا هو ابن داود ؟**

اما الفريسيون فلما سمعوا قالوا : هذا لا يخرج الشــياطين الا ببعلزبول رئيس الشياطين •

فعلم يسوع افكارهم وقال لهم : كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب. وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت • **فان كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على ذاته .** فكيف تثبت مملكته ؟!

وان كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين ، فأبناؤكم بمن يخرجون ؟! لذلك هم يكونون قضاتكم .

ولكن ان كنت أنا بروح الله اخرج الشياطين ، فقد اقبل عليكم ملكوت الله ـ متى ١٢ : ٢٣ ـ ٢٨ » .

« فأجاب اليهود وقالوا : ألسنا نقول حسنا انك سامرى **وبك شيطان** ـ يوحنا ٨ : ٤٨ » .

« فقال كثيرون منهم : **به شيطان وهو يهذى** لماذا تستمعون له ـ يوحنا ١٠ : ٢٠ » .

ان المتتبع لحديث الانجيل ـ وليكن انجيل مرقس أقدم الأناجيل ، والذى أخذ عنه كل من متى ولوقا ـ نجد أنه ذكر أفعال الشيطان فى مجالين اثنين :

ـ اغواء الناس وتجربتهم بقصد اضلالهم ، ولقد تعرض المسيح لهذا قبل أن يبدأ دعوته (١ : ١٣) ، كما حذر المسيح من اضلاله الناس (٤ : ١٥) .

ـ احتلاله جسم الانسان واصابته بالأمراض والجنون (٣ : ١٥ ، ٥ : ٢ ، ٧ : ٢٥) .

أما فى القرآن فان الحملة على الشيطان وقبيله عنيفة ومتواصلة ، بدأت منذ أول الخليقة واستمرت تلعنه الى يوم القيامة وتحذر الانسان من شروره .

« يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما ، انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » (الأعراف : ٢٧) .

« ان الشيطان للانسان عدو مبين » (يوسف : ٥) .

« ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا ، انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير » (فاطر : ٦) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون ﴾ (المائدة : ٩٠ — ٩١) .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان ، انه لكم عدو مبين ﴾ (البقرة : ٢٠٨)

﴿ لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا . ولأضلنهم ولأمنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الأنعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ، ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾ (النساء : ١١٨ — ١١٩)

﴿ هل أنبئكم على من تنزل الشياطين . تنزل على كل أفاك أثيم ﴾ (الشعراء : ٢٢١ — ٢٢٢)

﴿ فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا ﴾ (مريم : ٦٨)

... وهكذا ، جاءت حملة القرآن على الشيطان أكثر من أى كتاب سماوى آخر . ففى أكثر من ثمانين آية ، تجد تحذيرا تلو تحذير من ضلالات الشيطان وتلابيسه بهدف رئيسى يقصده وهو تحقيق الضياع الأبدى للانسان .

بعد هذا العرض المركز لموقف القرآن من الشيطان ، نستطيع أن نستخدم منطق المسيح فى محاجته لليهود الذين اتهموه بتدخل الشيطان فى أعماله .

لقد قال لهم المسيح : **(ان كان الشيطان يخرج الشيطان ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب)** .

وعلى خطى المسيح نقول للذين زعموا تدخل الشيطان فى القرآن الذى نزل على محمد رسول الله ، بأى صورة من الصور :

(ان كان الشيطان يلعن الشيطان ويحذر الناس من شروره بعد أن يكشف لهم وسائله والاعيبه ، فقد انقسم على نفسه . وكل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب) .

ولقد قال المسيح ، لمن يريدون دخول ملكوت الله :

(ان كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين ، فقد أقبل عليكم ملكوت الله) .

وبنفس المنطق نقول لمن يريدون الايمان الحق والحياة الأبدية الآمنة : **(ان كان ايمانكم أن القرآن نزل به الروح القدس ، فقد اقبل عليكم ملكوت الله)** . وأن هذا يعنى بداهة التسليم الكامل بقول الحق :

« وما تنزلت به الشياطين . وما ينبغى لهم وما يستطيعون . أنهم عن السمع لمعزولون » (الشعراء : ٢١٠ — ٢١٢)

(١٢) ان واقع الحياة ، ماضيها وحاضرها ، يؤكد الصاق تهم كثيرة وخطيرة بمن هم منها براء . وتلك واحدة من شرور أكثر الناس ، وهى فى نفس الوقت من أكثر شرورهم التى استحال التخلص منها . وما باليد من حيلة سوى تفنيد تلك الاتهامات وابطالها ، فمن شاء أصر على موقفه منها ، ومن شاء خجل من نفسه وطلب الغفران .

لقد كان المسيح ومن بعده محمد من أكثر من وجهت اليهم ثلاث اتهامات خطيرة هى : **الكذب ، والجنون ، والسحر أو استخدام الشياطين .**

بل ان الكفرة ألحقوا بالمسيح تهمة أفظع وأوجع ، اذ طعنوا فى شرف أمه **فجعلوه : ابن زنا !**

ففى محاورة بينه وبين اليهود « **قالوا له : اننا لم نولد من زنا** — يوحنا ٨ : ٤٨ » .

ولقد لاحظنا ، سلفا ، أن الدجال الهندى سلمان رشدى ملأ بتلك

الشتيمة الفاحشة صفحات روايته الشيطانية • (فمن ثمارهم تعرفونهم) حقا ، كما قال المسيح ، أو : كل اناء بما فيه ينضح ، والطيور على أشكالها تقع ، كما يقول الناس فى أمثالهم •

هذا ، ولقد برأ القرآن العظيم مريم الطاهرة ـ كما برأ أنبياء بنى اسرائيل ـ من كل المثالب وأحاديث الافك التى سطرها كتبه أسفار الكتاب المقدس ، فقال فى حقها أفضل ما يقال :

« واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » (آل عمران : ٤٢) •

ذلك بعض ما كان من تعظيم القرآن لمريم أم المسيح • فبينما يفرد لها سورة مستقلة باسمها تسمى سورة مريم ، ثم يذكرها مرات ومرات بكل اجلال واحترام فى غيرها من السور والآيات ، نجدها لم تذكر خارج الأناجيل الا مرة واحدة فى سفر أعمال الرسل ، فى حديثه عن التلاميذ بعد رفع المسيح ، اذ قال : « كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة والطلبة مع النساء ، ومريم أم يسوع ومع أخوته ـ ١ : ١٤ » •

ولقد أغفلتها بقية أسفار العهد الجديد البالغ عددها ٢٢ سفرا ، فلم يذكرها بولس فى رسائله الكثيرة الا غفلا من الاسم ، وذلك فى قوله عن المسيح أنه : (مولود من امرأة) ، كما أغفلها التلاميذ الذين تنسب اليهم بقية الأسفار وهم : بطرس ويوحنا ويعقوب ويهوذا ••• !

أليست هذه ظاهرة تستحق التأمل ؟

لا عجب ، اذن ، أن يقول المسلمون صادقين : نحن أولى الناس بالمسيح وأمه •

*

(١٣) وأخيرا ، نذكر بأمر عجيب حقا ، لكنه فى الحقيقة واقع ملموس لقول **الحق** فى القرآن العظيم : **« فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور »** (الحج : ٤٦) •

ذلك أن سورة النجم ، التى حاولوا اللغو فيها ، هى السورة الوحيدة بين سور القرآن البالغ عددها ١١٤ سورة ، التى تستفتح بعد القسم : « **والنجم اذا هوى** » ، بالتأكيد على تجرد الرسول من كل ضلال وغواية وهوى فى كل ما يتعلق بالمنطوق القرآنى • فهى تقول :

« **ما ضل صاحبكم وما غوى • وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى • علمه شديد القوى** »

ان سورا كثيرة أخرى من القرآن تستفتح بالتأكيد على أنه كتاب « **لا ريب فيه** » (سورة البقرة) ، وأن الله نزله على رسول بالحق (سورة آل عمران) ، وأنه وحى من الله الى رجل من الناس (سورة يونس) ، وأنه « **كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير** » (سورة هود) ، وأنه « **تنزيل من الرحمن الرحيم** » (سورة فصلت) ، وهو « **الكتاب المبين** » (سورة الدخان) ، وهو « **القرآن المجيد** » (سورة ق) •••

أما استفتاح سورة النجم فانه متفرد فى حديثه عن العلاقة بين **الوحى ، والرسول ، والقرآن** ، وتأكيده على أنها بدأت بالحق ، وبالحق انتهت ، حق « **لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** » (فصلت : ٤٢) •

ومنذ نزلت سورة النجم ، وآيتان من صدرها ، يرددهما المسلمون بكثرة فى أحاديثهم عن النبى والقرآن ، فى شتى المناسبات وعبر العصور والأزمان ، وهما : « **وما ينطق عن الهوى • ان هو الا وحى يوحى** » •

وكأن صدر سورة النجم ينطوى على نبوءة تشير الى أن المبطلين سيلغون فى هذه السورة بالذات ، ومن ثم كان الرد الالهى حاضرا فى فاتحتها • فما على مبصر القلب الا أن يراه ، أما أعمى القلب فلن يراه ، وان قرأه مرات ومرات •

* *

أما الآن ، فلنتوقف قليلا لنجرى مراجعة سريعة لدراستنا •

لقد بدأنا هذا الجزء بالحديث عن حقائق الاسلام والتـاريخ ، فذكرنا منها ١٣ عنصرا متسلسلا • وكان عنصرها الثالث عشر والأخير متعلقا بما ابتلى به محمد رسول الله من الرواة ووضـاع الحديث وغير قليل من كتاب السيرة • واستشهدنا بما قيل عن الذبيح ابن ابراهيم ، وما روى كذبا من حديث الغرانيق الذى أجرينا له مراجعـة شـاملة من مختلف الوجوه ، جاءت فى ١٣ عنصرا فرعيا متسلسلا ، كل رقم بين قوسـين •

والآن ، نعود لنذكر العنصر الرابع عشر والأخير فى سلسلة عناصر الاسـلام والتاريخ ، لننتقل بعد ذلك للحديث عن افتراءات الدجـال الهندى على الاسلام ونبيه وكتابه وتاريخه •

* *

١٤ ـ فى مرات عـديدة ، نزل الوحى على رسول الله بما يخـالف موقفه من قضايا مختلفة •

(١) فلقـد كان رسول الله يخاطب يوما بعض كبراء قريش ممن طمع فى اسلامه ، اذ أقبل عليه ابن أم مكتوم ، رجل أعمى كان قـد أسلم قديما ، جاء يسـأل النبى شيئا فى الدين ويلح عليه فى السؤال • فعبس النبى فى وجهه وأعرض عنه ، التفاتا الى الشريف القرشى وطمعا فى اسـلامه • فأنزل الله عليـه سـورة عبس ، تستفتح باستنكار هـذا الموقف ، وتعاتب الرسول عتابا شديدا ، فتقول :

﴿ عبس وتولى • أن جاءه الأعمى • وما يدريك لعله يزكى • أو يذكر فتنفعه الذكرى • أما من استغنى • فأنت له تصدى • وما عليك الا يزكى • وامـا من جـاءك يسـعى • وهـو يخشى • فـأنت عنـه تلهى •

كلا انها تذكرة . فمن شاء ذكره . فى صحف مكرمة . مرفوعة مطهرة . بايدى سفرة . كرام بررة ﴾ (عبس : ١ ــ ١٦)

لقد طلب الله الى رسوله ، بشكل قاطع ، أن يساوى فى تبليغ رسالته الى الناس (بين الشريف والضعيف ، والغنى والفقير ، والسادة والعبيد ، والرجال والنساء ، والصغار والكبار) .

وكان الرسول ، بعد ذلك ، اذ جاءه ابن أم مكتوم ، يبالغ فى اكرامه ويبادره بقوله : أهلا بمن عاتبنى فيه ربى .

*

(٢) وفى فجر الدعوة ، والرسول حديث عهد بالوحى ، كان اذا أنزل عليه ، (يتلقى أوله ويحرك به شفتيه خشية أن ينسى أوله قبل أن يفرغ من آخره) . فأنزل الله تعالى ﴿ **لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه . فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه** ﴾ (القيامة ١٦ ــ ١٩)

*

(٣) وفى خضم الاضطهاد والتعذيب والحرب النفسية التى مارسها المشركون ضد المسلمين ، بعثت قريش النضر بن الحارث ، وعقبة ابن أبى معيط الى أحبار اليهود بالمدينة ، يستفتونهما فى أمر محمد ، باعتبارهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم علم الأنبياء .

فقال أحبار اليهود : سلوه عن ثلاث ، فان أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، والا فهو رجل متقول ، فتروا فيه رأيكم : سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ، وعن رجل طواف بلغ مشارق الأرض ومغاربها ، وسلوه عن الروح .

(فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش . فقالا : يا معشر قريش ، قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد . فقد أمرنا أحبار

يهود أن نسألـه عن أمور ، فأخبروهم بها ، فجاءوا الى رسـول الله ﷺ فقالوا : يا محمد . أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به .

فقال لهم رسـول الله ﷺ : **أخبركم غـدا عما سألتم عنه .** فانصرفوا .

ومكث رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله له فى ذلك وحيا ، حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غدا ، واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشىء عما سألنا عنه !

وقد أحزن رسول الله ﷺ مكث الوحى عنـه ، وشـق عليـه ما يتكلم به أهل مكة .

ثم جاءه جبرائيل عليه السلام ، من الله عز وجل ، بسورة الكهف (وفيها معاتبته اياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سـألوه عنه) . ثم تعليم الهى يقـول لـه : **« ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غـدا . الا أن يشاء الله »** (الكهف : ٢٣ ــ ٢٤) .

لم يقل الرسول لمن سألوه : أخبركم غـدا عما سـألتم عنـه ، **ان شاء الله** . ومن ثم كان ذلك الحرج الشديد والأذى والمعاناة .

انه نبى ورسول من عند الله ، فكل كلمة وتصرف بحساب يتناسب وأقدار الرجـال .

وما أمر محمد رسول الله فى ابطاء الوحى عليه بالشىء العجيب ، فلقد رأينا سلفا ، كيف أبطأ الوحى على النبى ارميا اذ لم تأته كلمـة الله الا بعد عشرة أيام من سـؤال الاسرائيليين له ، مع فارق جوهرى وهو أن الذين سـألوا ارميا كانوا مؤمنين به وبنبـوته ، أما الذين سـألوا محمدا رسول الله فقد كانوا كافرين به وبرسالته . ومن هنـا كانت معاناته شديدة وموقفه فى غاية الحرج .

*

(٤) تبنى محمد بن عبد الله ، قبل الرسالة ، زيدا بن حارثة . فكان يقال له زيد بن محمد . واستمر ذلك فى صدر الاسلام ، حيث عامله الرسول كابن له ، كل يرث الآخر ، جريا على عادة العرب فى نظام التبنى ، الذى هو فى الحقيقة ادعاء على غير أساس . **﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾** (الأنفال : ٧) ، ولهذا جاءت سورة الأحزاب تبطل دعوى التبنى ، وتستفتح بالقاء قول ثقيل على الرسول ، لم تستفتح به غيرها من سور القرآن : **﴿ يا أيها النبى أتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين ، ان الله كان عليما حكيما . واتبع ما يوحى أليك من ربك ، ان الله كان بما تعملون خبيرا . وتوكل على الله ، وكفى بالله وكيلا . ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، وما جعل أزواجكم اللائى تظاهرون منهن امهاتكم ، وما جعل أدعياءكم أبناءكم ، ذلكم قولكم بأفواهكم ، والله يقول الحق وهو يهدى السبيل . ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ، فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم فى الدين ومواليكم ، وليس عليكم جناح فيما أخطاتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفورا رحيما ﴾** (الأحزاب : ١ ــ ٥)

وبجانب هذا التشريع العام ، الذى أبطل التبنى ، فقد جاءت آية واحدة فى نفس السورة تنفى أبوة محمد لزيد أو غيره . وكأنها ، فى هذا ، تتنبأ بأن رسول الله لن يكون له ، على الاطلاق ، أبناء ذكور يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما ﴾ (الأحزاب : ٤٠)

هذا قول الله ، **﴿ ومن أصدق من الله حديثا ﴾** (النساء : ٨٧) .

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ، فقد توفى ولداه من خديجة : القاسم وعبد الله ، كما توفى ولده الأخير ابراهيم ، الذى ولدته مارية القبطية ، توفوا جميعا أطفالا ، لم يبلغ الواحد منهم مبلغ الرجال . ويلاحظ أن

آية ختم النبوة (رقم ٤٠) قد اختتمت بقول الحق : ﴿ **وكان الله بكل شىء عليما** ﴾ (الأحزاب : ٤٠) لأنه سبحانه : ﴿ **عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم** ﴾ (التغابن : ١٨) • وهكذا وضعت خواتم آيات القرآن بحكمة وقدر ، ﴿ **وكل شىء عنده بمقدار** ﴾ (الرعد : ٨) •

*

(٥) لم يكن من مشركى مكة ، بعد أن يئسوا من القضاء التام على الاسلام وسحقه ، الا أن يلجئوا ، بفطرتهم ، الى المرحلة التالية من مراحل ادارة الصراع بين القوى العنيدة ، وهى الاحتواء والتطويع • لذلك طلبوا من رسول الله أن يأتيهم بقرآن غير هذا الذى يتلوه عليهم ، لعل ضغوطه ومطالبه ، وخاصة فى مجالات العقيدة والسلوك ، تكون أخف وأهون •

﴿ **واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله ، قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسى ، ان أتبع الا ما يوحى الى ، انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم • قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به ، فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ، أفلا تعقلون • فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرمون** ﴾ (يونس : ١٥ — ١٧) •

انه قرآن ، ما الرسول فيه الا مستقبل أمين حفظه الله من كل تدخل أو تشويش • وما هو ، بعد قضاء وحيه اليه ، الا مرسل أمين تكفل الله بسلامة تلاوته على الناس :

﴿ **ان علينا جمعه وقرآنه • فاذا قرأناه فاتبع قرآنه • ثم ان علينا بيانه** ﴾ • (القيامة : ١٧ — ١٩) •

انه قرآن لا علاقة له بشخص الرسول ، على الاطلاق • ولو

افترضنا العكس ـ جدلا ـ كما نفعل فى مناقشة مختلف القضايا ، أما كان محمد يجعل شخصه محور الحديث والتعظيم ، ويذكر أسماء أصحابه الذين قاسوا التعذيب والاضطهاد ، فكان (منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا) • ان احصاء فى هذا الشأن لجدير بالتدبر • فلقد ذكر القرآن : موسى ١٣٦ مرة ، ومريم ٣٤ مرة ، وعيسى ٢٥ مرة ، وهارون ٢٠ مرة ، واسم المسيح ١١ مرة •

أما اسم محمد ، فلم يذكر الا ٤ مرات فقط •

ولم يذكر القرآن من أتباع محمد الا مولاه زيدا مرة واحدة ، ومن أعدائه عمه أبى لهب مرة واحدة ، قرر أن عاقبته النار ، وبئس المصير • لم يذكر القرآن : أبا بكر وعمر وعثمان وعلى ، أو حمزة وخالد والعباس ••• بينما جاء فى القرآن : عتاب للرسول ، ولفت نظر ، وتحذيرات شديدة اللهجة ، يكاد بعضها يصل الى حد الانذار •••

ويكفى أن نتذكر هنا قول الحق : **﴿ والله لا يستحى من الحق ﴾** (الأحزاب : ٥٣) • فهو سبحانه الكبير المتعال ، والكل بين يديه ـ ورسله على رأس القائمة ـ ليسوا سوى عبيد ضعفاء ،

﴿ يرجون رحمته ويخافون عذابه ، ان عذاب ربك كان محذورا ﴾ (الاسراء : ٥٧)

ومن رحمة الله بخلقه ، أن أشهدهم فى هذه الحياة صورا من ضعف أنبيائه ، وخشية هؤلاء الأنبياء وفزعهم من بعض مخلوقاته وتجلياته ، لتكون حجة على المرسلين ، فلا يدع أحد منهم ـ معاذ الله ! ـ وقد أمده الله بمعجزات وأعاجيب ، أنه صار أكثر من بشر : الها أو ابن اله :

﴿ ومن يقل منهم انى اله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزى الظالمين ﴾ (الأنبياء : ٢٩) •

ثم لتكون صور الضعف التى وعاها البشر للأنبياء حجة على الذين أرسلوا اليهم ، فليس لهم أقل القليل من العذر ، أن يسمو بهم فوق طينة البشر . هم بشر أولا وأخيرا ، وان كانوا أفضل البشر . ففى أول وحى تلقاه موسى ، تقول التوراة : « **غطى موسى وجهه ، لأنه خاف** ـ خروج ٣ : ٦ » .

وفى هذا ، قالت بعض أسفار العهد الجديد : « **كان المنظر هكذا مخيفا ، حتى قال موسى : أنا مرتعب ومرتعد** ـ عبرانيين ١٢ : ٢١ » .

وحين شعر المسيح بالخطر يتهدده ، وأن اعداءه على وشك اصطياده ، حلت به حالة من الرعب والفزع ، يعرضها الانجيل فى قوله :

« ابتدأ يدهش ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جدا حتى الموت .. ثم تقدم **قليلا وخر على الأرض ، وكان يصلى لكى تعبر عنه** الساعة **ان أمكن** ..

وظهر له ملاك من السماء يقويه . واذ كان فى جهاد ، كان يصلى بأشد لجاجة ، وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض ـ مرقس ١٤ : ٣٣ ـ ٣٥ ، لوقا ٢٢ : ٤٣ ـ ٤٤ » .

وما أن تلقى محمد أول وحى فى غار حراء ، ثم سرى عنه ، حتى انصرف راجعا الى بيته ، يرجف فؤاده ويضطرب قلبه خوفا وهلعا . فدخل على زوجه خديجة وهو يقول : زملونى ، زملونى . فزملته وهو يرتعد كأن به الحمى . فلما ذهب عنه الروع ، حدثها بالذى رأى وسمع ... ثم تتابع الوحى . ولقد كان محمد رسول الله يعانى من شدة الوحى ، كما عانى كل أنبياء الله المرسلين . وفى هذا قال عبادة بن الصامت:

(**كان النبى اذا نزل عليه الوحى كرب له ، وتربد وجهه**) .

وقال زيد بن ثابت ، كاتب رسول الله : (**انزل (الوحى) على رسول الله ، وفخذه على فخذى ، فكادت ترض فخذى**) .

هذا ــ ولقد قال الله فى قرآنه لرسوله معلما ومحذرا :

﴿ وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذن لاتخذوك خليلا . ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا ﴾ (الاسراء : ٧٣ ــ ٧٥) .

انه قرآن الله الذى يقول لرسول الله ما قد يشعره بالحرج، ولا حرج:

﴿ وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ﴾ (الأحزاب : ٣٧)

لا علاقة ، اذن ، بالوحى وهوى الرسول ، على الاطلاق .

* *

هذا ــ ونستطيع الآن ، على ضوء ما تقدم من حقائق الاسلام والتاريخ ، أن نستأنف استعراض مفتريات الدجال الهندى وأكاذيبه الهازلة الماجنة .

*

● **مفتريات على سلمان الفارسى :**

يتخيل الدجال مشهدا جدث فى غرفة بعل ، شاعر الهجاء وتابع أبى سمبل (أبى سفيان) وزوجه هند ، فيقول : (عاد بعل الى غرفته الحقيرة فوجد فيها شخصا مقنعا عاجله بضربة أدمته . ثم بدأ بعدها حوار بينهما كشف أثناءه المقنع وجهه ، فبانت شخصيته : انه سلمان الفارسى !

قال سلمان لبعل : ماهوند قادم . فارتعد بعل وقال له : انك واحد من أقرب صحابته . فرد سلمان : كلما كنت أقرب الى المشعوذ ، كلما سهل عليك كشف ألاعيبه) ! (ص ٣٦٢ ــ ٣٦٣) .

ثم يقول الدجال : **وحلم جبريا بهذا :**

(ظهر جبريل للنبى وسط أشجار نخيل الواحة (يثرب) ووجد نفسه يتدفق بتشريعات ، تشريعات ...

بدأ سلمان يشكو لبعل ويقول : الوحى ـ القرآن ـ علم المؤمن مقدار ما يأكله ، وأن الأوضاع الجنسية بين الرجل والمرأة كلها مقبولة عـدا أن تكون المرأة فوق الرجل !

ولقد حدد كبير الملائكة جبريل ، الطريقة التى توزع بهـا ثروة المتوفى ، حتى ان سلمان بدأ يتساءل : أى اله هذا الذى يبدو كرجل أعمال ؟!

وكان ذلك بداية الفكرة التى حطمت ايمانه) ! (ص ٣٦٤) .

(ونظرا لتعليم سلمان الراقى ، فقـد صـار هو الكاتب الرسمى لمـاهوند ، ومن ثم صـار هو المسئول عن كتـابة تلك التشريعـات المتكاثرة ..

وتكلم سلمان عن حثه النبى على حفر خندق كبير حول الواحـة (يثرب) .

وبعد هزيمة الجاهليين ، قال سـلمان لبعل برثاء : أين التكريم الشعبى لى ؟! أين اعتراف ماهوند لى بالجميل ؟! لمـاذا لم يذكرنى كبير الملائكة فى رسائله ؟! ولا لفظة واحدة ؟! ...

ثم اشتكى سلمان لبعل من أن وحى جبريل كان ينزل مؤكدا المواقف والتشريعات التى يتخذها ماهوند ، ولذا بدأ يشم رائحة كريهة ...

بعد ذلك أخرج سلمان زجاجة مسكر حار من عباءته ، وبـدأ هو وبعل يعبان منها عبا ...) (ص ٣٦٥) .

وقال سلمان لبعل : (**ان هذا الرجل ، ماهوند ، ساحر** ، لم يقدر أحد على مقاومة اغرائه ... وعلى أى حال ـ قالها سلمان وهو يتجرع بقية الزجاجة ـ قررت أن اختبره ...

فعندما جلس تحت قدمى محمد ليكتب له الوحى ، بدأ يغيره خلسة. لم يلاحظ ماهوند هذه التغييرات . **وبهذا : بدأت الوث كلمة الله بكلماتى الدنسة ! ...**

بعد ذلك عرفت أن أيامى فى يثرب صارت معدودة . فرحلت عنها ، قبل الفجر ، على جمل .. ولم يعد يهمنى أن أرتبط ثانية بمدينة الجاهلية (مكة) ... ان ماهوند سيعود اليها منتصرا ، وأنا أعلم أنى سأفقد حياتى ...) (ص ٣٦٧ — ٣٦٨) .

(بعد أن فتح ماهوند ، مدينة الجاهلية ، وأمر بتطهير بيت الحجر الأسود من أصنام الجاهلية — ٣٦٠ صنما — جاء الناس اليه يسلمون ويعلنون : لا اله الا الله ... همس ماهوند فى أذن خالد : شخص واحد لم يأت ليركع أمامى ، سلمان ، ألم تجدوه ؟!

وفى اليوم التالى ، يسحب سلمان الى حضرة النبى ، يمسكه خالد من أذنه ، وقد مد سكينا على رقبته ، ويحضره باكيا متشنجا : وجدته أخيرا مع مومس تصرخ فى وجهه لأنه لم يدفع أجرتها . وهاهى رائحته نتنة من الخمر ...

سلمان الفارسى ! قالها النبى فى بداية نطقه بالحكم باعدامه . لكن هذا الأسير يصرخ بصوت عال : لا اله الا الله ! فيهز ماهوند رأسه قائلا : ان تجديفك يا سلمان لا يمكن غفرانه : أن تضع كلمتك بدل كلمة الله ! يقسم سلمان على تجديد اخلاصه للنبى ، ثم يهمس اليه باسم بعل (وشاية) . وهنا يتدخل بلال لصالحه ، فيعفو عنه النبى .

عندئذ يذهب خالد للبحث عن بعل : من بيت الى بيت ...) (ص ٣٧٤ — ٣٧٥)

*

ذلك من مفتريات الدجال الهندى سلمان رشدى ، على الصحابى

التقى سلمان الفارسى ، لا لسبب الا لكونه ينتسب الى فارس (ايران الحديثة) التى اصطدمت بالغرب كثيرا بعد سقوط الشاه ، اضافة لتلك اللعبة الاستعمارية القديمة التى تعمل على تفتيت المسلمين تحت مسميات مختلفة مثل : عرب وعجم ، سنة وشيعة ، سلفية وصوفية ... فجاء هذا المسخ من تشويه لحقائق الاسلام وعبث بتاريخه ، خلطا للأوراق وجعلها فى خدمة السياسة ، التى تعنى بلغة ميكيافيلى « السفالة والانتهازية » .

وقبل ذلك وبعده ، تأتى مفتريات هذا الدجال على أمين الوحى جبريل ، وعلى خاتم الأنبياء محمد رسول الله ، فيسوقها بلا حساب . ولقد غرته نفسه فاستكبر ، وطفق يسخر منهما ومن قول : لا اله الا الله ! لقد كذب وظلم وأجرم ، والحق والعدل والتاريخ يشهدون على أنه لا جريمة بغير عقاب ...

ان له بشرى فى القرآن ، نزفها اليه والى أشياعه الذين يظاهرونه ، بشرى تقول فيه وفى أمثاله من مسخ البشر الذين يتكررون عبر التاريخ :

« فانهم يومئذ فى العذاب مشتركون . انا كذلك نفعل بالمجرمين . انهم كانوا اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون . يقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون . بل جاء بالحق وصدق المرسلين . انكم لذائقوا العذاب الأليم . وما تجزون الا ما كنتم تعملون » .

(الصافات ٣٣ ــ ٣٩) .

* *

● صفقة مزعومة بين النبى وأبى سفيان !

يبدأ الدجال هذا الجزء من روايته الشيطانية بقول أبى سمبل (أبى سفيان) لأحد خصيانه : (أرسل رسولا الى بيت الكاهن ماهوند . سوف نجرى له اختبارا بسيطا . مباراة عادلة : ثلاثة ضد واحد) .

يتغيب ماهوند على أصحابه : حمزة وخالد وبلال وسلمان ، فيقلقون عليه • وعندما يعود اليهم يبادره حمزة بقوله : (يابن أخى ، هذا شىء ملعون ! عندما تنزل من الجبل يكون حولك نور ساطع • أما اليوم فيوجد شىء مظلم) ! ثم يجلس ماهوند على حافة بئر زمزم ويبتسم قائلا : (لقد عرضت على صفقة • فيصيح خالد : من أبو سمبل ؟ ان هذا شىء لا يتصور • ارفضها •• يستأنف ماهوند قائلا : انه أمر تافه ، حبة رمل صغيرة ، فأبو سمبل يسأل الله أن يمنحه امتيازا واحدا صغيرا •

يرى حمزة أثر الاجهاد عليه ، كما لو كان قد صارع شيطانا • ويصرخ السقاء (خالد) قائلا : لا شىء ! ولا ذرة واحدة ! يستأنف ماهوند قائلا : (اذا كان الهنا العظيم قد وجد فى قلبه أنه اذا تم التسليم بأن ثلاثة ـ ثلاثة فقط من بين ثلاثمائة وستين صنما فى البيت ـ هى التى تستحق العبادة •••) وهناك يصيح بلال : لا اله الا الله ! ويشاركه زملاؤه فى القول : يا الله !

ويستأنف ماهوند : (انه يطلب موافقة الله على : اللات والعزى ومناة ، وفى مقابل ذلك يعطى الضمان بالتسامح الدينى ، بل وبالاعتراف بنا رسميا • ويكون الدليل على مصداقية الصفقة أن أنتخب عضوا فى مجلس الجاهلية (دار الندوة) • هذا هو العرض) •

ويبدأ التعليق من أصحابه ، فيقول له سلمان الفارسى : انها مصيدة ! طيلة كم من الزمن ونحن نتلو شهادة الايمان الذى جئتنا به وهو : لا اله الا الله ؟ كيف يكون حالنا عندما تتخلى عن ذلك الآن ؟!

ويقول حمزة فى قلق : انك لم تهتم بآرائهم من قبل ، فلماذا تهتم بها الآن ؟! ولماذا تهتم بها بعد الحديث مع أبى سمبل ؟!
فيجيب ماهوند : انكم تعلمون واقع الأمر : لقد فشلنا فى اكتساب مؤمنين • ان الناس لن يتخلوا عن آلهتهم ••

ثم ينهض مبتعدا عنهم : يغتسل في زمزم للصلاة ...

يستأنف المناقشة بعد الصلاة قائلا : ليس المقترح أن يقبل الله المعبودات الثلاث كفوا لـه ... أن يعطوا فقط نوعا من الواسطة . وضعا أقل .

وهنا يقول له حمزة : يابن أخي . اصعد الجبل واسأل جبريل ... ويصعد ماهوند الجبل ويسأل جبريل : هل يمكن أن نسمى اللات ومناة والعزى ، ملائكة ؟ هل لك أخوات يا جبريل ؟ هل هن بنات الله) ؟ (ص ١٠٤ – ١١١) .

لقد عاد الرسول . لم يذهب هذه المرة الى زمزم . انه يدخل خيمة الشعر (التى يتبارى فيها شعراء الجاهلية) ، حيث يجلس أبو سمبل سيد قومه أعلى المنصة . وما ان يرى ماهوند حتى ينهض قائلا له : (مرحبا ! مرحبا ماهوند العراف والكاهن !

ثم يبدأ ماهوند حديثه قائلا : هـذا تجمع لشعراء كثيرين ، ولست أزعم أنى واحد منهم . لكنى رسول آتى بآيات من الواحد الأعظم . فيقول له أبو سمبل : اذا كان الهك قد كلمك حقا ، فيجب أن يستمع اليه كل الناس . ثم يسود صمت يقطعه ماهوند قائلا :

(بسم الله الرحمن الرحيم . والثريا اذا هوت . ما ضل صاحبكم وماغوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحى يوحى . علمه شديد القوى . ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى . ثم دنا فتدلى . فكان قاب قوسين أو أدنى . فأوحى الى عبده ما أوحى . ما كذب الفؤاد ما رأى . أفتمارونه على ما يرى) .

(ولقد رأيته مرة أخرى . عند سدرة المنتهى . عندها جنة المأوى . اذ يغشى السدرة ما يغشى . ما زاغ بصرى وما طغى . لقد رأيت من آيات الرب الكبرى) .

وعند هــذا الحد ، وبلا أدنى تردد أو ارتياب ، يتلو ماهــوند مقطعين آخرين : (أفرأيتم اللات والعزى • ومناة الثالثة الأخرى •

هن الطيور العلا • وان شفاعتهن ترتجى(١) •

وعندئذ تسمع صيحات وهتاف وصلوات للمعبودة : اللات ••• ويهتف أبو سمبل : الله أكبر ! ثم يسجد بعدها ، وتتبعه زوجه هند •• ويســجد الحاضرون جميعا بين يدى النبى الذى اعترف بالآلهــة التى تحمى مدينة الجاهلية) ! (ص ١١٣ ــ ١١٥) •

*

وهكذا ، يعبث الدجال الهندى بواحــدة من أكبر ديانات العالم ، ديانة التوحيــد النقى الذى هو سمتها المميز ••• يأتى هــذا المســخ محــاولا أن يهاجمها فى أقوى حصــونها منعــة ، وأشــد مداخلهــا صرامة ••• ولكن هيهات هيهات !

لقد حدث فى المؤتمر الثانى للحوار الاسلامى المسيحى ، الذى عقد فى قرطبة عام ١٩٧٧ ، أن ألقى **الكاردنيال ترانكون رئيس أساقفة اسبانيا** كلمة الافتتاح ، وقال فيها :

« انى كأسقف أود أن أنصح المؤمنين المسيحيين بنسيان المــاضى ، كما يريد المجمع البابوى منهم ، **وأن يعربوا عن احترامهم لنبى الاسلام •• ان هذا شىء هام جــدا بالنسبة للمسيحى ، اذ كيف يستطيع أن يقــدر** الاسلام والمسلمين دون تقدير نبيهم والقيم التى بثها ولا يزال يبثها فى حياة أتباعــه ؟ ••

لن أحــاول هنــا تعــداد قيم نبى الاســلام الرئيســية : الدينيــة منها والانسانية ، فليست هذه مهمتى ، وسوف يلقيها عليكم الأخصائيون واللاهوتيون المســيحيون بالمؤتمر •• **غير أنى أريد** أن أبرز جــانبين ايجابيين ــ ضمن جوانب أخرى عديدة ــ وهما :

---

(١) (They are the exalted birds, and their intercession is desired indeed).

ايمانه بتوحيد الله وانشغاله بالعدالة .

أما ايمانه بالله الأحد ، فهو سمة حياته . انها اهم عقيدة تركها لأمته .

وأما دعوته الى العدالة مع شتى التطبيقات الدينية والاجتماعية ، فهي ما تزال قائمة .. بيد أني أود أن أخص بالذكر دعوته الى سواسية الناس ، رجالا ونساء ، والى تحقيق العدالة بينهم » .

*

انها واحدة من مشاكل البشرية ، عبر العصور ، أن يوجد أقزام يتطاولون على عمالقة الحق والخير والجمال ...

ولقد كان من سوء حظ البشرية أن أعطى هؤلاء ، وأمثالهم من صغار النفوس ، حظوظا من مختلف الامكانات ، فاستخدموها في الهدم والتخريب . لقد تحقق فيهم المثل الذى ضربه المسيح : مثل الكلاب والخنازير ، حين علم الناس قائلا :

« لا تعطوا القدس للكلاب . ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم ـ متى : ٧ : ٦ » .

كان خيرا لذلك الدجال ، لو بقى أميا جاهلا كسواد شعبه الذى يحاول ، يائسا ، أن ينسلخ منه ...

* *

● النبى فى غرفة نوم هند !

يتخيل الدجال الهندى أن هند زوجة أبى سفيان (أبى سمبل) عثرت على ملقى فى أحد شوارع مكة (مدينة الجاهلية) ، فنقله خدمها الى غرفتها ، وهناك استرد وعيه . وفى هذا يقول : (يستيقظ النبى بين ملاءات من الحرير ، وهو يعانى من

صـداع عنيف ، فى غرفة لم يرها من قبـل .. ثم لا يلبث أن يتعرف على صـوت هنـد ، فينهض وقد وجـد نفسـه عاريا تحت ملاءة ، فيناديها قائلا : هل تعرضت لهجوم ؟ .. تصفق هنـد بيديها ، فيأتى الخدم بطعام الافطار ، ويرتدى النبى جلبابا من الحرير .. تسخر منه هند قائلة : أيها الرسـول ! ... يا له من رسـول لا يغازل النساء ! أما كان فى مقدورك الحضـور الى غرفتى بارادتك ، وأنت فى كامل وعيك ؟ بالطبـع ، كلا . انى متأكـدة أنى كنت طردتك .. يسـألها النبى : هل أنا سـجين ؟ فتضحك منه مرة أخرى قائلة : لا تكن أحمق . ثم تهز كتفيها استهزاء وتقول له : كنت أتجول ليلة أمس ، وقد ارتديت قناعا ، فى شوارع المدينة ، لأشاهد المهرجان ، وما كان الا أن تعثرت فى جسدك فاقـد الوعى ، مثل سكران سقط فى بالوعة ، يا ماهوند !

لقد أرسلت خدمى بحمالة ، لاحضـارك الى بيتى ، فلتقـل لى شكرا . فقال لها : شـكرا .. ثم يتذكر ما حـدث ويقول : لقـد أغمى على .

تأتى هند وتجلس على السرير ، قريبة منه ، وتمد اصبعها فى فتحة الجلبـاب وتضرب صـدره ثم تتمتم : أغمى عليـك ! هـذا ضعف يا ماهوند .. هل ضعفت ؟ ثم تردف قائلة له : أنا زوجة سيد قومه ، وكلانا : أنا وهو ، لسـنا من أصدقائك . ان زوجى ، رجل ضعيف ، يعلم أن لى عشاقا ولا يفعل شـيئا ، وذلك لأن رعاية بيوت العبادة فى أسرتى : اللات والعزى ومناة ..

وتقدم هند للنبى مكعبات من البطيخ ، محاولة اطعامه بأصابعها ، لكنه يرفض اطعامها له ، ويتناول البطيخ بنفسه .

ثم تستطرد قائلة : بعل هو آخر عشاقى . وهنا تلمح الغيظ فى وجهه .. وتقول له : لا بعل ولا أبو سمبل كفء لك . أنا فقط .. أنا عدلك وأنا خصمك .. ثم تقترب منه واضعة وجهها أقرب ما يكون

منـه ، وتقول : اذ كنت أنت نائبـا عن الله ، فأنا نائبـة عن اللات ، وهى لن تؤمن بالهك عندما يعترف بها • ان معارضتها له عنيدة ونهائية • الحرب بيننا لا تنتهى بهدنة • ويالها من هدنة ! • ان الهك رب متعال • ولا يوجـد لدى اللات أقل رغبـة فى أن تكون ابنته • انها كفء له كما انى كفء لك ••

عندئذ يسألها ماهوند : وبناء على ذلك ، هل يخون سيد قومه عهده ؟ وتجيب هنـد : من يدرى ؟ •• انه ضعيف ، كما أخبرتك • لكنى أصدقك القول : لا يمكن أن يوجـد سـلام بين الله وهـذه الثلاث • أنا لا أريد ذلك • أريد القتال حتى الموت • هذا ما أنا عليه)• ثم يرحل النبى ••• (ص ١١٩ ــ ١٢١) •

*

عبث ما بعده عبث ، وفجور ما بعده فجور •••

وغـدا : « سـيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون » •
(الشعراء : ٢٢٧)

* *

● **وماذا عن المـاخور ؟!**

يفترى الدجال كعادته ، فيقول عن مكة بعـد أن فتحها النبى ، ودخل المكيون فى الاسلام : (عاد ماهوند الى يثرب مع زوجاته ، تاركا المدينة (الجاهلية) تحت امرة قائد جيشـه خالد •• فمنذ مدة ، فكر ماهوند فى أمر خالد باغلاق مواخير الجاهلية ، الا أن أبو سمبل نصحه بألا يقدم على مثل هذا الاجراء المتهور • فلفت نظره الى أن الجاهليين حديثو عهـد بالاسـلام : فلتأخـذ الأمور بتأن • **ونظرا لان ماهوند يعتبر اكثر الأنبياء واقعية** ، فقد وافق على فترة انتقالية •

ولهذا ، اندفع الجاهليون الى ماخـور الحجـاب ، فى غياب النبى

(في يثرب) •• وللأسباب واضحة ، لم يكن من الكياسة أن يقف رواد الماخور في صف طويل في الشارع ، وانما كانوا يلتفون حول نافورة الغرام ، في الفناء الداخلي للماخور ، يطوفون حولها ، كما يطوف الحجاج ، لأسباب أخرى ، حول الحجر الأسود القديم •• كان كل رواد الماخور لابسي أقنعة ، وكان بعل (الزوج الصورى لمومسات الماخور) يراقبهم من أعلى ••

وبعد مرور سنتين ويوما واحدا ، من ممارسة بعل لحياته الجديدة (ديوثا) اذا بأحد زبائن عائشة يتعرف عليه على الرغم من تنكره ، قائلا : اذن ، هذا هو المكان الذى آواك ! لقد كان هذا سلمان الفارسى ، الذى دعاه بعل ، عقب ذلك ، الى ركن وقدم له زجاجة من النبيذ •• قال سلمان : لقد جئت الى هنا ، لأنى تارك نهائيا هذه المدينة اللعينة ، ولهذا أردت أن أستمتع بلحظة من المتعة بعد كل تلك السنين الخراء !••

لقد قررت أن أرحل الى وطنى •• انى راحل غدا دون أدنى تأخير) !
(ص ٣٨١ ، ٣٨٥)

● **مفتريات حول موت النبى !**

يتردى الدجال فى قعر مستنقعات الفجور والتضليل ، فيتخيل موت النبى ، وينسبه لحلم اعترى جبريل ، فيقول : (جاءت الأخبار أن النبى ماهوند قد أصيب بمرض عضال •• وأن رأسه بها دق ثقيل كما لو كانت قد امتلأت بالشياطين !

وهذا ما حلم به جبريل حول موت ماهوند : عندما بدأت رأس الرسول توجعه بآلام لم يعهدها من قبل ، أدرك أنها النهاية •• ثم صرخ قائلا : من هناك ؟ هل هو أنت يا عزرائيل ؟

لكن عائشة سمعت صوتا مرعبا لامرأة تقول : لا يا رسول الله . انه ليس عزرائيل !...

وعاد ماهوند يسأل : هل هذا المرض منك يا اللات ؟

فقالت : انه انتقامي منك ، وهو يرضيني .. ثم خرجت تلك المرأة المتكلمة .. وتمتم الرسول : ومع ذلك ، فانى أشكرك أيتها اللات على هذه المنحة !

وما هي الا لحظات ، حتى مات) (ص ٣٩٣ ــ ٣٩٤) .

*

أما بعد ..

أما وقد تردت الأمور الى هذا الحد ، فلم يعد هناك من حديث الا اللعنة ، نصبها على هذا الدجال الهندى ، من الكتاب المقدس ، فلعل حماته من (أهل الكتاب) يفيقون قبل أن تدركهم . لقد كان تعليم نبى الله داود أن نقول فى مثل هذه المواقف :

(يا اله تسبيحى لا تسكت . لأنه قد انفتح على فم الشرير وفم الغش . تكلموا معى بلسان كذب . بكلام بغض أحاطوا بى . وقاتلونى بلا سبب ..

فأقم أنت عليه شريرا ، وليقف شيطان عن يمينه . اذا حوكم فليخرج مذنبا . وصلاته فلتكن خطية . لتكن أيامه قليلة ، ووظيفته ليأخذها آخر . ليكن بنوه أيتاما ، وامرأة أرملة . ليته بنوه تيهانا ، ويستعطوا . ويلتمسوا خبزا من خربهم . ليصطد المرابى كل ماله ، ولينهب الغرباء تعبه . لا يكن له باسط رحمة ، ولا يكن مترأف على يتاماه . لتنقرض ذريته . فى الجيل القادم ليمح اسمهم . ليذكر اثم آبائه لدى الرب ، ولا تمح خطية أمه . لتكن أمام الرب دائما ، وليقرض من الأرض ذكرهم ..

احب اللعنة فاتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه . ولبس اللعنة مثل ثوبه ، فدخلت كمياه فى حشاه .. لتكن له كثوب يتعطف به ، وكمنطقة يتنطق بها دائما) (المزمور : ١٠٩) .

انها حقا رواية شيطانية ، كتبها حشاش فى ماخور ، اصيب بانفصام الشخصية فصار يتردد بين القرد والحشاش ...

فحين ينظر فى مرآة رأسية ، أمامه ، فانه يهذى ويشتد هراؤه . وحين ينظر فى مرآة أفقية ، أسفله ، ينعكس أقبح ما فيه ، فيهيج ويشتد جنونه . ان قبحه يتضاعف : قبح وجهه يغذى قبح مؤخرته ، وقبح مؤخرته يغذى قبح وجهه ، تماما كدائرة راديوية تعمل فى حالة رنين ... قبح الى ما لا نهاية ...

حقا انه شيطان انسى ، ممن نجد نعته فى قول الله فى القرآن العظيم : **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ﴾** (الأنعام : ١١٢) .

(لقد أحب اللعنة فأتته ، ولم يسر بالبركة فتباعدت عنه) ـ كما قال داوود ـ (ولكل امرىء ما نوى) ، فكان هذا عدوا لخاتم النبيين . لقد قادته نيته السيئة الى المهالك ، اذ أراد أن يشترى الشهرة والمال بأى ثمن ، فدمر نفسه تدميرا . ولكن : **(ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه)** ، كما قال المسيح .

لقد اختار طريق اللعنة ، فتهيأت له أسبابها : صار الشيطان له قرينا.

﴿ الم تر انا ارسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم ازا . فلا تعجل عليهم ، انما نعد لهم عدا ﴾ (مريم : ٨٣ ـ ٨٤) .

وعندما نقتبس ما جاء فى الانجيل عن انسان الخيانة نقول : **(لقد دخل الشيطان فى سلمان رشدى ، وهو كان معدودا من جملة**

المسلمين . فمضى وتكلم مع رؤساء الكفر كيف ينفذ مؤامرتهم . ففرحوا وعاهدوه ان يعطوه مالا وشهرة ، فواعدهم . وكان يطلب فرصة ان يتم روايته الشيطانية ، فيفرغ فيها كل سمومه وسموم المتآمرين) .

ولقد قام الخائن بتنفيذ الدور المرسوم له تماما ، فاستحق من سادته قبض الثمن : أموالا وشهرة **واعلان حماية** ، كما لو كان واحدة من المستعمرات السابقة .

(ولكن ـ كما قال المسيح ـ ويل لذلك الرجل .. كان خيرا لذلك الرجل لو لم يولد) .

* *

أخرج الدجال الهندى سلمان رشدى روايته الشيطانية ، لأول مرة ، فى عام ١٩٨٨ ، تطعن فى محمد رسول الاسلام ، وتوجه للمسلمين أفظع الاهانات .

ولقد شهد نفس العام ـ ١٩٨٨ ـ حدثا آخر له نفس الأسلوب والمحتوى والأهداف ، وهو اخراج فيلم : **«التجربة الأخيرة للمسيح»** يطعن فى عيسى رسول المسيحية ويشوه سلوكياته ، وأكثر من هذا أنه يمجد تلميذه الخائن يهوذا .

ويظهره فى شكل بطل غيور ، يتهم معلمه بالخيانة !

لقد صفق كثير فى الغرب ، وما يزالون ، عندما سمعوا عن مضمون رواية الدجال الهندى وطعنها فى الاسلام ونبيه . وهاجت قطعان كثيرة تطلب حمايته باعتباره منقذا لهم من خطر متوهم للاسلام ، يعشش فى عقول الحمقى منهم والجهلاء . ونسوا ، أو جهلوا ، فى غمرة موجات الجنون ـ التى تمثل ظاهرة دورية تعودنا على ظهورها بين الحين والحين ـ أن رسول المسيحية المعبود ، قد تحول فى هذا الفيلم الى عربيد زان ضعيف ، خدعه الشيطان !

ان أى جاهل بسيط ، لم يؤت حظا من الخبرة والتثقيف ، لن يجد صعوبة فى استنتاج ما وراء تلك الفقاقيع ... انها حملة مسعورة ، خطط لها بعناية ضد عيسى ومحمد فى محاولة لهدم ما يمثلانه من قيم وأخلاقيات ، وبعثرة من وراءهم من طوائف وجماعات ، حتى يخلو الجو للآخرين ، فيفعلوا بالعالم الأفاعيل ...

*

● **فيلم التجربة الشيطانية :**

أخرج الفيلم عن رواية الكاتب اليونانى **نيكوس كازانتزاكس** ،

التى صـدرت عام ١٩٥٥ ، وكانت من أكثر الكتب رواجا ، وقد صدر ضـده قرار بالحرمان من الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية .

تقوم أحداث الفيلم ، كما تقول **مجلة تايم ، على** (**أن يسوع انسان كامل واله كامل . وقـد أظهره علم اللاهوت المسيحى على أنه متحرر من الخطيئة ، لكنه معرض لكل الاغراءات بما فيها اغراءات الجنس . وعلى خطى كازانتزاكيس (المؤلف) ، فان سكورسيس (المخرج) أظهر يسوع كانسان ضعيف متردد ، متعاون مع الرومان اذ يصنع لهم صـلبانا[1] ، يعدمون عليها الثوار اليهود**) .

أما صاحبه يهوذا فهو مقاوم للاضطهاد الرومانى ، لا يعجبه سلوك يسوع فيوبخه بعنف قائـلا : (أنت متعاون معهم ! يهودى تصنع صلبانا لهم) !

(يعتريه كرب عظيم فيهيم على وجهه حتى يقف أمام باب . وهناك يجد حيين متشابكتين ، احداهما سوداء والأخرى بيضاء .

وخلف الباب يكتشف ماخورا ، تمارس فيه مريم المجدلية الدعارة . يطلب منها المغفرة ثم يسقط فى الاثم !

ويصيح قائلا : يا الهى ، أنا ابن الخوف[2] !

وفيما بعد ، أمام المنافقين البرجوازيين (من الكتبة والفريسيين ، ينقذ مريم المجدلية من الرجم ، قائلا : ومن هو الذى لم يخطىء أبدا ؟![3]

ثم يرحل الى الصحراء للتأمل ...

---

(١) كان المسيح نجارا : « كثيرون اذ سمعوا بهتوا قائلين : أليس هذا هو النجار ابن مريم ، وأخو يعقوب ويوسى ويهوذا وسمعان ـ انجيل مرقس ٦ : ٢ ـ ٣ » .

(٢) (Mon Dieu , je suis le fils de la peur) !

(٣) يشير الى قصة المرأة الزانية التى أحضرها له شـيوخ اليهود للرجم فقال لهم : « من كان منكم بلا خطية ، فليرمها أولا بحجر ـ انجيل يوحنا ٨ : ٧ » .

وهناك تجربه حية ، ويتحدث معه أسد ، ويسيل الدم من شجرة تفاح عندما يأكل منها ، وتظهر بلطة فى الرمل ...

من الآن فصاعدا ، يبشر بالحرب ... وأمام تلاميذه يدخل يده فى صدره وينتزع قلبه ، ويريه لهم باعجاب ! ويصير اله الحرب !

وفى فزعه من فرط قوته : يقيم لعازر من الأموات) ...

(الا أنه يبقى قلقا ومشوش الفكر فيما يتعلق برسالته وحقيقة مهمته . وفى احدى الليالى ، على جبل الزيتون ، يحرض يهوذا ، أفضل أصحابه ، على خياته من أجل تنفيذ خطة الله) !

يقول يسوع ليهوذا : (افعلها من أجلى ! فيجيبه يهوذا : لا أستطيع.

فيلح عليه قائلا : **افعلها ، من أجل الحب) !**

يفعلها يهوذا ، وتسير الأحداث حسب روايات الأناجيل ، حتى يعلقونه على الصليب . (وهناك فى لحظة تفكير حالم يظهر يسوع وهو يمارس الجنس مع مريم المجدلية !

وعندما يشرف على الموت ، تتراءى له فتاة صغيرة ، لعلها ملاك ؟ انها تطلب منه أن ينزل وتقول له : لقد عانيت كثيرا . انك لست المسيا .

وبطريقة خفية ينزل من على الصليب ، ويرتحل تجاه واد أخضر نضر. هناك يمارس الجنس مع مريم المجدلية ثم يتزوجان) .

(وبعد موتها يتزوج مريم أخت لعازر (الذى أقامه من الأموات)، ثم يزنى بأختها مرثا !

ثم يرى يسوع بطرس ويوحنا ويهوذا قادمين اليه ، فيسبه يهوذا قائلا : **أيها الخائن !** لقد طلبت منى أن أبيعك ، لكنك لم تمت على الصليب . ان الفتاة الصغيرة التى تراءت لك ، لم تكن ملاكا . انها شيطان ![1] .

---

(١) (Traitre ! Tu m'as demandé de te vendre, et tu n'est pas mort sur La Croix ! La petite fille n'était pas un ange, mais Satan) !.

يتوسل اليه يسوع مرة أخرى . انه يريد العودة الى الصليب . وهناك يموت) ![1] .

وهكذا عبثوا بالمسيح ...

*

● **رد الفعل والتعليقات :**

اثار الفيلم ضجة كبيرة وموجات احتجاج عارمة ، فقد اعتبره **(المحافظون)** تجديفا ، ودعوا لمقاطعته ، وكونوا حملة من المعترضين لاتلاف الصور والملصقات أو سحبها من أماكن الاعلان . كما وقعت فى نفس الوقت عدة حوادث مما يطلق عليه **(معاداة السامية)** بمفهوم أنها موجهة ضد اليهود ، تعرض لها العاملون منهم فى استوديوهات شركة **يونيفرسال** ، وهتفت جماعات مسيحية فى الشوارع : **التمويل** بأموال **اليهود !**

وقام القس **دونالد دايلدمون** ، رئيس **(جمعية العائلة الأمريكية)** ، بارسال ٢ر٥ **مليون** رسالة احتجاج على الفيلم ، ونشر اعلانات لمقاطعته فى ٧٠٠ محطة راديو ، و ٥٠ محطة تليفزيون .

وقد طالب **بل برايت** من جماعة : **(صليبية من أجل المسيح)** ، بجمع أموال لتعويض شركة يونيفرسال عن كل نسخ الفيلم الموجودة ، نظير اتلافها .

لكن الشركة ردت على ذلك بغطرسة فى اعلانات نشرتها فى صفحات كاملة لبعض الصحف فى أربع مدن تقتبس فيها من **توماس جيفرسون** ، وتعلن فيها **أن الحقوق الدستورية الخاصة بحرية التعبير ، والحرية الدينية ، ليست للبيع .**

---

(1) TIME; NEWSWEEK; U. S. NEWS & WORLD REPORT; PEOPLE; THE NEW REPUBLIC; PAEMÈRE. (1988).

وقامت (جماعة الاخـوات المريميات بتداول احتجاج ضد الفيلم بـه عبارة استفزازية ـ وردت فى القصة الأصلية لكنهـا حذفت من الفيلم ـ يقولها يسوع لمريم المجدلية : **الاله ينام بين فخذيك**) !(١) .

كما احتوى الفيلم على عبارات فظيعة وضعت على لسان يسوع ، مثل قوله : **(انى كـذاب . انى منافق . انى خائف من كل شىء . ان الشيطان فى داخلى)** !(٢) .

ومع ذلك ، فقد وجد من يدافع عن الفيلم ، بل ويشيد به ، ليس فقط من بين المنجرفين من عامة الشعب ، بل وأيضـا **من بين المنحرفين من رجال الكنيسة !**

فقد قدم **الأسقف بول مور** ، فى كنيســة نيويورك ، أقوى دفاع عن الفيلم قائلا : (انه صحيح من الناحية اللاهوتية . وعلى الرغم من أن ممارسة يسوع للجنس مع مريم المجدلية ، قد يؤذى مشاعر البعض ، فيجب علينا أن تتذكر أنه **حلم** ، وأنه ليس الا صورة أخرى ليسوع ، وعملا فنيا يؤكد على جوانب معينة من شخصيته) !

ان الناس اليوم ، يا جناب الأسقف ، يعيشون حقا عالم الهلوسة !

كذلك ، قال **القس وليـام فور** ، من **(المجلس الوطنى للكنائس)** أنه يرى فى الفيلم : (محاولة أمينة تحكى قصة يســوع من منظور مختلف) !

وقال **القس اللوثرى تشارلز برجستروم** : (لا يمكن اعتبار هذا الفيلم تجديفا ، أو هجوما على الأسفار المقدسة) :

---

(١) (God sleeps between your legs).

(٢) (I am a liar. I am a hypocrite. I am afraid of everything . Lucifer is inside me).

وقال الأسقف أنتونى بوسكو ، من (المجلس الوطنى للأساقفة الكاثوليك) : (ان معاداة السامية ، والكراهية التى سببها هذا الفيلم، يصعب أن ترضى قلب المسيح) !

حقا أيها الأتقياء من رجال الكنيسة : لقد اغتيل الحق باسم الحب ، وأنتم على ذلك من الشاهدين ، بل ومن المباركين ! فباسم الحب ، ترتكب اليوم كل الموبقات ...

ولماذا نذهب بعيداً ؟! فها هو مؤلف هذه التجربة الشيطانية ـ كازانتزاكيس ـ يبدأ صفحاتها الأولى بتقديم يقول فيه : (انى متأكد **من أن كل انسان حر يقرأ هذا الكتاب الممتلىء حبا على هذا النحو ، سوف يحب المسيح أكثر من أى وقت مضى ، وأفضل من أى وقت مضى) !**

بين شيطانيات : الهندى ... واليونانى !

صدرت رواية الدجال اليونانى نيكوس كازانتزاكس عام ١٩٥٥ تحت اسم : « **التجربة الأخيرة للمسيح** » . وهى تعنى التجربة الشيطانية الأخيرة التى تعرض لها المسيح ، وانتهت — **حسب زعمه** — بسقوط المسيح فى الخطيئة ، بعد أن استحوذ عليه الشيطان وأخضعه لسلطانه !

وبعد ٣٣ عاما ، صدرت رواية الدجال **الهندى** سلمان رشدى — عام ١٩٨٨ — تحت اسم « **مقاطع شيطانية** » . وهى تزعم أن للمقطعين على شاكلة سجع الكهان وسدنة الأصنام ، قد نفثهما الشيطان أثناء قراءة النبى محمد لاحدى سور القرآن — سورة النجم — كصفقة شيطانية بين النبى وأبى سفيان ، تمجد ثلاث معبودات وثنية هى : اللات ، والعزى ، ومناة . وهذا يعنى — **حسب زعمه** — أن النبى محمدا استحوذ عليه الشيطان يوما ما وأخضعه لسلطانه !

ذلك هو الفكر العام الذى تتضمنه كل من الروايتين . ولما كانت الأولى قد سبقت الثانية بمدة ثلث قرن ، كان الانطباع العام هو أن الثانية قد جاءت كسرقة أدبية من الأولى .

واذا تعمقنا قليلا فى دراسة البنية الأساسية لكلا الروايتين ، لتبين لنا صدق القول بأن الهندى سرق من اليونانى ...

لقد لخص الناقد **جان لوقا سابلون** حقيقة **التجربة الأخيرة للمسيح** ، بقوله : (**هل هى حلم ؟ أم تقلص الزمن ؟ أم خيال ؟**

الله والشيطان شىء واحد) ! ...(١) .

وتلك هى حقيقة رواية « **مقاطع شيطانية** » فلقد هرب الدجال

---

(١) (Réve ? Contraction du temps ? Fantasme ? Dieu et le Diable sont un).

الهندى من الجد الى اللهو والعبث وذلك باللجوء الى الأحلام والتخيلات التى ازدحمت بها روايته • وهو قد اعترف بذلك صراحة فى مثل قوله : (لقد بدأت الأحلام فى نفس الليلة • وفى تلك الرؤى كان حاضرا دائما ، ليس كذاته ، بل كسميه •• أنا هو ، وهو أنا ، أنا كبير الملائكة الدموى ، جبريل نفسه) ! (ص ٨٣) •

(وهذا ما حلم به جبريل) (ص ٣٦٣) •
(حلم جبريل بالحجاب) (ص ٣٧٦) •
(حلم جبريل بموت بعل) (ص ٣٩٠) •
(حلم جبريل بموت ماهوند) (ص ٣٩٣) •

*

واستخدم الهندى فكرة تقلص الزمن ، كما ذكرنا سلفا ، مستعينا بتناسخ الأرواح ، والولادة مرة ثانية ، وممارسة الروح لحياة ثانية يفصلها عن الحياة الأولى مدة زمنية كبيرة •••

*

واذا كان الاغريقى قد وضع على لسان المسيح قوله عن نفسه : (انى كذاب ••• ان الشيطان فى داخلى) !

فلقد وضع الهندى على لسان النبى قوله : (عندما يأتى جبريل • أشعر كما لو أنه يأتى من أعماقى ، من نفسى) ! (ص ١٠٦) •

واذا كان الاغريقى قد أشار الى أنه عندما تختلط الأمور على صاحب الرسالة ــ المسيح ــ يكون الله والشيطان واحدا ! ، حسب مزاعمه المضللة ، فان الهندى اقتبس تلك الفكرة ووضعها فى مناقشة صحابة النبى للصفقة المزعومة مع أبى سفيان حول وضع معبودات الجاهلية الثلاث : اللات ، والعزى ، ومناة • فهو يزعم أن النبى كان يبرر قبوله للصفقة (بأن تلك المعبودات الثلاث لن يكن كفوا لله • وغاية ما فى الأمر أن يكون لهن نوع من الوسيلة اليه ، أى يكن ذات وضع أقل !

وهنا يصرخ بلال : مثـل الشياطين • فيقول له سلمان : لا ، بل مثل ملائكة الطبقة العليا •

فيعقب النبى بقوله : ملائكة وشياطين • شيطان وجبريل • اننـا جميعا نقبل بوجودهم بين الله والانسان) ! (ص ١٠٧) •

(وعندما يسترد النبى وعيه ، فانه يصرخ بكل قوته ويقول : انه الشيطان ! فى المرة الأخيرة ، كان شيطانا ! ••• لقد انخدع وعرف أن الشيطان جاءه على هيئة كبير الملائكة ، وأن المقاطع التى تلاها فى خيمة الشعر كانت شيطانية ، فيعود الى مدينـة الجاهلية بأسرع ما يكون ، قاصدا بيت الحجر الأسود ويقف أمام التماثيل الثلاثة ويعلن محو تلك المقاطع التى همسها الشيطان فى أذنه) (ص ١٢٣ ـ ١٢٤) •

*

ولقد تكلم نقاد فيلم « التجربة الأخيرة للمسيح » ، عما به من أخطاء عقائدية من وجهة نظر المسيحية ، فقالوا ان تصوير المسيح (وهو يلتقط أقذارا وأحجارا ويقول : هذا هو دمى أيضا ، فان هذا يجعله مؤسس عقيدة وحدة الوجود (التى تقول بأن الله والطبيعـة شىء واحد) كمـا انه مؤسس للمسيحية) •

كذلك التقط الهندى هذه الفكرة ونسج على منوالها ، فاخترع مشهدا يزعم فيه أن النبى صعد الجبل ليسأل كبير الملائكة جبريل فى موضوع المعبودات الثلاث • وأن جبريل عندما رآه يصعد صار يرتجف ويتمنى لو أن النبى لم يحضر اليه ، ثم يحدث نفسه قائلا : انه (يأتى الى من أجل الوحى ، يطلب منى أن أختار بين أن يكونِ **مؤمنا بالاله الواحد (موحدا حقيقيا) ، أو مؤمنا بالاله الواحد مع عبادة آلهة اخرى (موحدا مزعوما)** (ص ١٠٩) •

*

ولقد استخدم اليونانى فقرات من الأناجيل ، استنبط منها حينا ،

ما استهواه خياله واستخدم لفهمها ، أحيانا ، تفاسير منحرفة وروايات منحولة ، أوقعته فى هذه الضلالات .

فمثلا : تذكر الأناجيل المتشابهة (متى ومرقس ولوقا) أن الروح أخرج المسيح الى البرية ، وهناك جربه الشيطان . وبعد أن اجتاز التجارب بسلام ، « تركه أبليس ، واذا ملائكة قد جاءت فصارت تخدمه ــ متى ٤ : ١١ » .

الا أن لوقا ختم حديثه عن تجربة الشيطان للمسيح بقوله : « ولما أكمل ابليس كل تجربة ، **فارقه الى حين** ــ ٤ : ١٣ » . ان هذا يعنى ، بداهة ، أن للشيطان عودة أخرى لتجربة المسيح . وكان هذا هو ما استثمره اليونانى فى روايته : التجربة الأخيرة للمسيح ، الا أنه ضل فى روايته لتلك التجربة التى اعتمد فيها على تفسيرات خاطئة وروايات متهرئة .

كذلك يقرر انجيل يوحنا أن يهوذا كان **امينا للصندوق** (١٣ : ٢٩) ، ولهذا وصفه اليونانى بأنه أفضل أصحاب المسيح ، وصوره فى صورة يهودى حريص على الاسرائيليين أكثر من حرص المسيح نفسه .

وكذلك يذكر انجيل يوحنا ، أنه فى العشاء الأخير ، قال المسيح ليهوذا : « **ما انت تعمله ، فاعمله بأكثر سرعة** . وأما هذا فلم يفهم أحد من المتكئين لماذا كلمه به ــ ١٣ : ٢٧ ــ ٢٨ » . من هنا قال اليونانى ــ وغيره من المدافعين عن يهوذا ــ أن المسيح كان يرجوه أن يخونه لكى يقبضوا عليه ويقتلونه صلبا ، بزعم أن تلك كانت خطة الله لخلاص العالم من الخطيئة !

ولقد كان هذا ما فعله الهندى فى سيره على خطى اليونانى ، اذ اعتمد فى حديثه عن المقاطع الشيطانية ، على روايات متهالكة قامت على

تفاسير منحرفة لبعض آيات القرآن ، مثل قول الله لنبيه : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا . اذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** ﴾ (الاسراء : ٧٤ — ٧٥) .

ان الفهم اللغوى لهذه الآيات ليس فى حاجة الى خلفية علمية أو تاريخية بما كان بين هؤلاء — المشركين الذين تحدث عنهم القرآن — وبين الرسول . **فالآية الأولى تؤكد بوضوح أن الله ثبته** ، وبالتالى لم يركن اليهم . والآية الثانية تبين أنه لو فعل وركن اليهم ، ولو شيئا قليلا ، لكان عذابه مضاعفا .

ان القضية واضحة تماما . لكن هناك من تعاموا عن صدر الآية الأولى ، ووقفوا ينظرون الى بعض بقيتها نظر من يريد وقوع المنفى وقوعه ، فاخترعوا روايات باطلة لا تصمد أمام التمحيص العلمى ساعة من نهار . وليس معنى ركون الرسول الى المشركين — لو وقع — أن يأتيهم بقرآن من عنده ، ليرضيهم ، افتراء على الله . وكيف يكون هذا ، والله يحذر المؤمنين من الركون الى الظالمين ، فى قوله :

﴿ **ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من** أولياء ثم لا تنصرون ﴾ (هود : ١١٣) .

فالركون اليهم ، يعنى — لغة — موالاتهم ، أو القعود عن مجاهدتهم ، أو الاعتماد عليهم .

*

وأخيرا ، نلاحظ أن اليونانى قد استخدم النساء فى حياة المسيح أسوأ استخدام ، وعلى خطاه سار الهندى عاريا ، مجردا من كل ستر أو حياء .

*

ولما كانت رواية التجربة الأخيرة للمسيح ، من أكثر الكتب رواجا

عندما صدرت عام ١٩٥٥ ، فقد سال لعاب الدجال الهندى أن يكون لروايته الشيطانية مثل ذلك الرواج . ولما كان يعلم فى قرارة نفسه أنه كاتب مغمور فاقد الموهبة ، فلم يجد له من وسيلة سوى ارضاء المزاج الغربى الذى تربى على الخوف من الاسلام والطعن فى نبيه وكتابه وكراهية المسلمين ــ كما قرر ذلك بحق برنارد شو قبل خمسين عاما ــ وذلك بترديد أكاذيب بالية عن القرآن ، والخوض فى مطاعن قديمة حول تعدد زوجات الرسول ، وكلها من الموضوعات التى قتلت بحثا وتفنيدا ، ولم يبق فيها مزيد لمستزيد .

« فليس تحت الشمس جديد . ان وجد شىء يقال له : انظر ! هذا جديد ، فهو منذ زمان كان فى الدهور التى كانت قبلنا ــ سفر الجامعة ١ : ٩ ــ ١٠ » .

*

على أن هناك فرقا جوهريا بين الهدف النهائى لكل من اليونانى والهندى من روايتيهما : فالأول يزعم أن روايته : التجربة الأخير للمسيح، ستدفع كل انسان حر الى أن يحب المسيح أكثر وأفضل من أى وقت مضى ، بينما يفصح الثانى فى كل سطر من سطور روايته الشيطانية عن عداوة فاجرة لنبى الاسلام ، فانطلق كالكلب المسعور ينهش لحم ضحيته بطريقة تشمئز منها بقية الكلاب والخنازير ...

*

حقا انها لفضيحة وخديعة ... ومن عجب أن يصفق المخدوعون لخادعهم ... ! لكنها طبيعة البلهاء ...

*

وأخيرا ، نقول انه ليس عجيبا أن تصدر هذه الأساطير الشيطانية عن بعض من ينتسب الى الهند أو اليونان ...

اقرأوا التاريخ القديم ، ان شئتم ، واقرأوا من أين جاءت مثل هذه الأساطير ...

* * *

محاكمة الكاتب سـلمان رشـدى
وفق أحكام الكتـاب المقـدس

● **تمهيـــد :**

ملأ الكاتب الهنـــدى سلمان رشـــدى روايته « مقاطع شيطانية » بالطعن فى المقدسات المشتركة بين اليهود والمسيحيين والمسلمين . فلقد طعن فى الالـــه ، والملائكة والنبيين ، وكان لأمين العرش جبريل ، وأبى الأنبياء ابراهيم النصيب الأكبر من السخرية والشـتائم والاهـانات . وباختصار ، لقد جدف على المقدسات المشتركة .

وفى هذه المحاكمة التى تتم وفق مفاهيم الكتاب المقدس وأحكامـه وعقوباته ، سوف ننحى جانبا تجديفه على مقدسات الاسلام ، ونكتفى بالنظر فى جرائمة التى تقع فى المساحة المشتركة من المعتقدات بين أتبـاع الأديان الثلاثة : اليهودية والمسيحية والاسلام ، مع ملاحظة هامة سبقت الاشارة اليها فى مستهل الحديث عن قضـية هذا الكاتب ، ألا وهى : (أنه يضع فكره وعقله ، مكان فكر كل شخصياته وعقولها . وهو يسوق أفكاره سوقا من وراء شخصياته التى تبدو كالأقنعة أو المشجب حامل الأفكار) .

* *

● **من مفاهيم الكتاب المقدس :**

يعتبر الملاك الذى يصطفيه الله ويرسله الى البشر ، حاملا لاسـم الله ، ومن ثم يحرم التمرد عليه أو الاستخفاف به . وما يحدث فى حياة البشر من اعتبار السفير ممثلا لرأس الدولة ، كذلك الحـال بالنسـبة لهؤلاء الملائكة ــ **﴿وله المثل الأعلى فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾** (الروم : ٢٧) ــ اذ يعتبر التجديف عليهم كأنه تجديف على اسم الله . ولهذا كان تعليم الله لموسى ولبنى اسرائيل فى قوله :

« ها انا مرسل ملاكا أمام وجهك ليحفظك فى الطريق وليجيىء بك الى المكان الذى أعددته • احترز منه واسمع لصوته ولا تتمرد عليه • لأنه لا يصفح عن ذنوبكم لأن اسمى فيه •
ولكن ان سمعت لصوته وفعلت كل ما أتكلم به أعادى أعداءك وأضايق مضايقيك ــ خروج ٢٣ : ٢٠ ــ ٢٢ » •

ومن هذا المفهوم ، كان تعليم المسيح لتلاميذه :

« الحق الحق اقول لكم : الذى يقبل من أرسله ، يقبلنى • والذى يقبلنى ، يقبل الذى أرسلنى ــ انجيل يوحنا ١٣ : ٢٠ » •

وفى كثير من قصص الكتاب المقدس ، يكون الحديث عن الله كأنه حديث عن ملائكته ، والعكس بالعكس •

ففى قصة الذبيح ابن ابراهيم ، نجدها تتبادل الحديث عن الله ، وعن الملاك الذى أرسله الى ابراهيم ، كالآتى :

« وحدث بعد هذه الأمور ان الله امتحن ابراهيم • فقال له : يا ابراهيم • فقال : هأنذا • فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه • • واصعده هناك محرقة على أحد الجبال ••
ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه • فناداه ملاك الرب من السماء وقال : ابراهيم ، ابراهيم • فقال : هأنذا • فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا • لأنى الآن علمت انك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عنى ــ تكوين ٢٢ : ١ ــ ١٢ » •

لم يقل الملاك لابراهيم : الآن علمت أنك خائف الله ، فلم تمسك ابنك وحيدك عنه ، انما قال : ••• عنى •

ومثل ذلك ، ما كان فى أول وحى تلقاه موسى فى سيناء :

« ظهر له ملاك الرب بلهيب نار من وسط عليقة • فنظر واذا

العليقة تتوقد بالنار ، والعليقة لم تكن تحترق . فقال موسى : أميل الآن لأنظر هذا المنظر العظيم ..

فلما رأى الرب أنه مال لينظر ، ناداه الله من وسـط العليقة ــ خروج ٣ : ٢ ــ ٤ » .

ومثـل ذلك كثير ، كمـا رأينـا سلفا فى قصة جدعون ، حيث « **ظهر له ملاك الرب .. فالتفت اليه الرب وقال** ــ قضاة ٦:١٢ـ١٤ » .

واذا كان هذا هو الحال مع الملائكة المرسلين ، بوجه عام ، فان لجبريل أمين الوحى ومعلم الأنبياء وضعا متميزا ولا شك . فهو بلغة الكتاب المقدس : **الواقف قدام الله** .

فقد جاء لزكريا يبشره بابنه يحيى (يوحنا) ويقول له :

« **انا جبرائيل الواقف قدام الله ، وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا** ــ انجيل لوقا ١ : ١٩ » .

وكان هو الذي أرسل الى مريم العذراء ليبشرها بابنها المسيح عيسى:

« **أرسل جبرائيل الملاك من الله .. الى عذراء مخطوبة لرجل .. واسم العذراء مريم** ــ انجيل لوقا ١ : ٢٦ ــ ٢٧ » .

* *

● **عقوبات التجديف على المقدسات :**

التجديف من أكبر الخطايا ، فهو وان كان كلمة ، أو كلمات ، تقال الا أن عقوبتها رهيبة . فلقد حذر المسيح من تلك الخطية ، وخاصـة عندما يكون التجديف على الروح ، فقال :

« **كل خطية وتجديف يغفر للناس . وأما التجديف على الروح فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان (المسـيح) يغفر لـه . وأمـا من قال على الروح القدس فلن يغفر له : لا فى هذا العالم ، ولا فى الآتى ..**

يا أولاد الأفاعى : كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار • فانه من فضلة القلب يتكلم الفم •

ولكن ، أقول لكم : ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس ، سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين • لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان ـ انجيل متى ١٢ : ٣١ ـ ٣٧ » •

وقد اعتبر المسيح التجديف من أكبر الشرور ، فجعله يعادل الزنا والقتل ، اذ قال : « من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة : **زنا ، فسق ، قتل** ، سرقة ، طمع ، خبث ، مكر ، عهارة ، عين شريرة ، **تجديف** ، كبرياء ، جهل • جميع هذه الشرور تخرج من الداخل ، وتنجس الانسان ـ انجيل مرقس ٧ : ٢١ ـ ٢٣ » •

ولقد حرمت التوراة سب الله وسب الرؤساء الدينيين ، فقالت : « **لا تسب الله ، ولا تلعن رئيسا فى شعبك ـ خروج ٢٢ : ٢٨** » •

*

ولقد جعلت التوراة عقوبة مثل هذا التجديف : القتل رجما ، يستوى فى ذلك الاسرائيلى الذى يؤمن بالله والتوراة ، أو غير الاسرائيلى الذى له دين آخر ، أو الذى ليس له دين على الاطلاق •

« كلم الرب موسى قائلا : أخرج الذى سب **(وهو ابن رجل مصرى)** الى خارج المحلة ، فيضع جميع السامعين أيديهم على رأسه ، ويرجمه كل الجماعة •

وكلم بنى اسرائيل قائلا : كل من سب الهه يحمل خطيئته • ومن جدف على اسم الرب فانه يقتل • يرجمه كل الجماعة رجما • الغريب كالوطنى : عندما يجدف على الاسم يقتل ـ لاويين ٢٤ : ١٣ ـ ١٦ »•

كذلك جعلت التوراة عقوبة سب الوالدين ، أحدهما أو كليهما ، انما هى القتل ، فقالت :

« كل انسان سب اباه أو أمه ، فانه يقتل ـ لاويين ٢٠ : ٩ » .

وخلاصة القول : ان عقوبة التجديف على الله ، أو اسمه ، أو ملائكته ، أو خليله ابراهيم ، أو أنبيائه ـ الذين هم أكبر الرؤساء الدينيين ، وسبهم أو السخرية منهم ، أو الحديث عنهم باستهزاء ، كل ذلك وأمثاله ، عقوبته : القتل رجما . ويحدث ذلك بأن تقوم الجماعة التى تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وأنبيائه ، بتنفيذ الحكم على رؤوس الأشهاد .

* *

● **جرائم الكاتب سلمان رشدى :**

١ ـ السخرية من الاله ومن خلقه البشر ذوى خيال وأحلام ، وذلك فى قوله (**لو كنت الله ، لأبطلت الخيال فورا من اذهان الناس .** وآنذاك قد يستطيع أولاد الزنا المساكين مثلى أن يحصلوا على قسط طيب من الراحة (**بالنوم بلا أحلام بمضاجعة الأمهات ليلا**) ! (ص ١٢٢) .

٢ ـ الحديث عن اسم الله بسخرية وتهكم ، اذ يقول :

(**يوجد اله يسمونه هنا : الله ، الذى يعنى ببساطة : الاله . واذا ما سألت الجاهليين عنه فسيعترفون بأن هذا الشخص له نوع من السلطان الكلى ،** الا أنه لا يتمتع بحظوة كبيرة بينهم . فهو اله يقوم بكل الأدوار فى زمن التماثيل المتخصصة) ! (ص ٩٩) .

وجدير بالذكر أن لفظ الجلالة : الله ، بهذا النطق الصوتى (ALAH) كما فى العربية ـ هو ما ذكره عالم اللاهوت الدكتور **سكوفيلد فى الطبعة الأولى من تفسيره للكتاب المقدس الانجليزى** (ENGLISH BIBLE) ـ بمعاونة ثمانية من العلماء حملة الدكتوراة فى اللاهوت ـ وذلك فى تعليقه على العدد الأول من سفر التكوين الذى

يقول : (فى البدء خلق الله[1] السموات والأرض) . وللأسف ، فان الطبعات التالية لتفسير سكوفيلد ، قد حذفت كلمة (ALAH) ، حتى لا يدرك عامة المسيحيين أن عليهم أن يعبدوا الاله الذى يعبده المسلمون ، ويعرفونه باسم : الله .

يقول الله فى قرآنه ، تعليما للمسلمين :

﴿ ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون ﴾ (العنكبوت : ٤٦) .

٣ ــ الاستهزاء بالملائكة والسخرية من تطويع الله لهم بكلمات معسولة ووعود براقة . فهو يقول :

(وماذا عن الحالة الملائكية ؟ هى وضع وسط بين الألوهية والانسية . ألم يعتريهم الشك أبدا ؟ بلى . فقد حدث ذات يوم أن اعترضوا على ارادة الله ، حيث تواروا تحت العرش متذمرين ، ومتجاسرين على التساؤل عن أشياء محظور السؤال عنها : هل من الصواب أن ... ؟ ... فكان طبيعيا أن يهدىء الاله من تذمرهم مستخدما مهارات الادارة الالهية . فلقد أشبع غرورهم بقوله : ستكونون وسائل تنفيذ ارادتى فى الأرض ، وأدواتى لخلاص الانسان وهلاكه ، وكل الهلم جرا المعتادة ! وآنذاك : هتافات فرح سريعة ، ونهاية للاحتجاج ، وعودة ثانية الى العمل ، تصاحبهم الهالات !

ان الملائكة يمكن تهدئتهم بسهولة ، فاذا جعلتهم وسائل فى يدك ، فلسوف يعزفون لحن فيثارتك المفضل . أما البشر ، فانهم نوع مشاكس ، يستطيع الشك فى كل شىء ، حتى ما تشهده عيونهم) (ص ٩٢) .

---

(1) The three primary names of Diety : Elohim, Jehova, and Adoni, and the five most important of the Compound names, occur in Genesis.

Elohim (sometimes EL or Elah), English form : God, formed from : EL = strength, or the strong one, and Alah, to swear , to bind oneself by an oath, so implying faithfulness.

٤ ــ وفى تهكم عابث ، يقول :

(فى تلك السنوات ... هل من الممكن القول بأن كبير الملائكة جبريل ؟ أم أن نقول : الله ؟ قد تسلطت عليه فكرة التشريع) ! (ص ٣٦٣) .

(انا كبير الملائكة الدموى ، جبريل نفسه) (ص ٨٣) .

٥ ــ وعن ابراهيم خليل الله ، يقول :

(فى قديم الزمان ، جاء الأب ابراهيم الى هــذا الوادى بصحبة هاجر وابنهما اسماعيل . وهناك فى تلك البرية عديمة المــاء تخلى عنها ، فسألته : هل يمكن أن تكون هذه ارادة الله ؟ فأجابها : انهــا لكذلك .

ثم رحل ابن الزنا ! منذ البدء ، استخدم الناس الاله لتبرير ما لا يمكن تبريره !) (ص ٩٥) .

ان ذلك الكاتب الهندى يشتم أبى الأنبياء ويصــفه بابن الزنا ، ثم يتهمه بالكذب على الله !

٦ ــ ثم هو يتهم الأنبياء جميعا بأنهم جاءوا من عند أنفسهم ، ومن ثم كان منهم الواقعى ، ومنهم المثالى ، ومنهم المتزمت ، ومنهم المتساهل ، وذلك ما ينطوى عليه قوله :

(ما هوند ، اكثر الأنبياء واقعية ، فقد وافق على فترة انتقالية) (ص ٣٨١)

❋

● الحــــكم :

من الثابت أن الكاتب الهنــدى سلمان رشدى قد ارتكب الجرائم الآتيــة :

ــ التجديف على الله .

ــ التجديف على اسم الله .

ــ التجديف على الملائكة .

ـ سب خليل الله ابراهيم والطعن فيه .

ـ الطعن فى الأنبياء والسخرية منهم .

وتطبيقا للأحكام الواردة فى : (خروج ٢٢ : ٢٨) ، (الاويين ٢٤ : ١٥ ـ ١٦) ، (لاويين ٢٠ : ٩) ، واسترشادا بتعاليم المسيح فى : (متى ١٢ : ٣١ ـ ٣٧) ، (مرقس ٧ : ٢١ ـ ٢٣) ـ تكون عقوبة الكاتب الهندى سلمان رشدى هى :

الرجم حتى الموت .

* *

ذلك هو الحكم على سلمان رشدى ، وفق أحكام **الكتاب المقدس** وهو حكم لا رجعة فيه ولا فرصة عنده للنجاة منـــه .

وجدير بالذكر هنـــا **أن رئيس لجنة الفتوى بالأزهر** قد قال فى تصريح له : (ان سلمان رشدى يستحق الاعدام بسب رسول الله ﷺ غير انه **يجب التحقيق معه وتمكينه من الدفاع عن نفسه . ثم ان له حـــق الرجوع والتوبة ، وهنا يسقط عنه الحـــد**)(١) .

*

(من له اذنان للسمع فليسمع) كما قال المسيح كثيرا فى الانجيل ...

ولكن : **(رب مستمع ، والقلب فى صمم)** ، كما قال الشـــاعر أحمد شوقى ...

* * *

---

(١) شيطان الغرب : ص ٩٧

حقوق الانسان ...

نعم ... وألف نعم من أجل حقوق الانسان ..

وهل الدين ــ كما تعلمناه فهما واستيعابا وايمانا ــ فى أحد مقاصده الكبرى ، الا من أجل حقوق الانسان ؟!

لكن كل حق يقابله واجب ... فتلك بديهية منطقية ، أقرتها خبرات الحياة ، وذلك هو العدل والميزان الذى تستقيم بهما أمور الحياة .

ولسنا الآن فى صدد الحديث عن حقوق الانسان فى الاسلام ، فى بضع صفحات من هذا الكتاب ، فذلك موضوع يحتاج الى بضع مئات من الصفحات . لكنا نكتفى بمسه مسا خفيفا فى صورته العامة التى تتكلم عن حق الكائن الحى من انسان وحيوان ونبات ..

ان أول حق للكائن الحى ، هو حق الحياة . فلا يهلك الا فى منفعة ، أو اقامة لعدل ، أو درءا لمفسدة ﴿ **والله لا يحب الفساد** ﴾ (البقرة : ٢٠٥)

وقد لعن القرآن أولئك الطغاة الذين اذا ما آل اليهم الأمر ، أفسدوا فى الأرض باهلاك الحرث والنسل : من انسان وحيوان ونبات ، فقال :

﴿ **واذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم ، فحسبه جهنم ، ولبئس المهاد** ﴾ (البقرة : ٢٠٥ ــ ٢٠٦) .

وكان من أحاديث الرسول أن رجلا غفر الله له ، من أجل شربة ماء سقاها لكلب فى يوم قائظ ، فأنقذه بها من الهلاك ، وأن امرأة دخلت النار فى قطة حبستها ولم تطعمها حتى ماتت . (فلا هى أطعمتها ، ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض) (رواه البخارى) .

واذا كان الانسان قد أحل له أكل لحوم بعض الحيوانات والطير ، فان هذا الحق الذى منحه الله له ، يقابله واجب هو أن يكون رحيما بالحيوان حين الذبح . وفى هذا قال الرسول : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فاذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، واذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته ، وليرح ذبيحته » (رواه مسلم) .

واذا كان الانسان قد استخدم بعض اخوته من بنى الانسان فى خدمته ، فان عليه واجبا قبلهم ، حدده الرسول بقوله : « هم اخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فأطعموهم مما تأكلون ، وألبسوهم مما تلبسون ، ولا تكلفوهم مايغلبهم ، فان كلفتموهم فأعينوهم » (رواه مسلم) .

واذا كان الانسان قد استخدم بعض الدواب فى الركوب والتنقل وحمل الأثقال والعمل ، فان من حق تلك الحيوانات أن تمهد لها الطرق ، تخفيفا عليها . وقول عمر ـ الخليفة الثانى ـ فى هذا مشهور ، يعطى القدوة والمثل فى العالم أجمع لتقدير الحاكم لمسئولياته ، حتى أمام الحيوان ، اذ قال : « والله لو عثرت بغلة فى العراق لعددت نفسى مسئولا عنها لم لم أمهد لها الطريق » .

ونعود الآن لنقصر الحديث عن حقوق الانسان ، فنقول : انه بعد حقه فى الحياة ، ككائن بيولوجى ، فان له حق الكرامة ، منحة من خالقه : الله ، وليست عطية من مخلوقين مثله :

﴿ ولقد كرمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الاسراء : ٧٠) .

وله الحق فى حرية العقيدة ، دون ضغط أو اكراه :

﴿ لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغى ﴾ (البقرة : ٢٥٦)

ثم نعبر الآن عشرات الحقوق الى أن نصل لحقه فى الكرامة فى غيبته ، لا فى حضوره فقط . وفى هذا يقول القرآن :

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، ان الله تواب رحيم ﴾ (الحجرات : ١٢)

وللانسان الحق فى الكرامة ، ليس حيا فقط ــ سواء فى حضوره أو فى غيبته ــ وانما له الحق فى الكرامة ميتا • فلقد وقف رسول الله لجنازة رجل ميت من غير المسلمين ، فلما استنكر الصحابة ذلك وقالوا له : انها ليهودى ، وقد علموا ما فعله اليهود بهم ، قال :

« أليست نفسا » ؟!

المسلم ، اذن ، بحكم عقيدته وتعاليم نبيه ، هو من أكثر الناس ايمانا بحقوق الانسان • ولكنها حقوق ــ مثل كل الحقوق ــ يقابلها واجبات • فهما وجهان متقابلان لعملة واحدة ، لو أخذنا أحد الوجهين وأغفلنا الوجه الآخر ، لتحولت تلك العملة الى نقد زائف يتعرض حامله لأشد العقوبات •

*

ان حقوق الانسان ، شعار براق يستهوى الأنفس السوية ، ولكنه غالبا ما يطلق ليكون : كلمة حق يراد بها باطل • وما ذلك فى حياة البشر بالشىء الجديد •

لقد كان : السلام •• والعمل من أجل السلام ••• ومن أجل عالم يسوده السلام ••• هى أكبر الشعارات ترديدا على ألسنة المسئولين فى القوتين العظميين ، أثناء فترة الحرب الباردة • ولم تكن هذه الشعارات أكثر من خداع • فلو صدقوا فيما يزعمون لتحقق السلام فى العالم ، ولكن هيهات •••

ولقد كان الحب ، وما زال ، هو أكثر الشعارات استحواذا على النفس ولكنه ، كالعادة ، كلمة حق يراد بها باطل •

وما بالنا نذهب بعيدا ، ولدينا ما زعمه الدجال اليونانى فى تجربته الشيطانية الأخيرة للمسيح ، من أنها من أجل حب المسيح ! يقول هذا بكل تبجح، بعد أن هوى بالمسيح الى الحضيض ، وجعله أضحوكة شديدة المرارة والسخرية !

وهكذا كان شعار حقوق الانسان ، هو ما ردده المرددون دفاعا عن الدجال الهندى ، فى مقاطعه الشيطانية ، بزعم حقه فى حرية التعبير .

ان دل هذا على شيء ، فانما يدل على جهل فاضح أو تزييف متعمد . وان قبل هذا من ملايين البشر التى لا تدرى من حقيقة هذا الأمر شيئا ، فلا يمكن قبوله ، ولو للحظة واحدة ، من كبار المسئولين ، مثل بعض السادة قادة الدول وساستها ورجال الفكر فيها ، الذين يفترض فيهم المعرفة والدراية بما يصدر عن هيئة الأمم المتحدة من مواثيق واعلانات .

لقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة ــ فى العاشر من ديسمبر ١٩٤٨ ــ **الاعلان العالمى لحقوق الانسان** ، ودعت الدول الأعضاء الى ترويج نصه ، والعمل على نشره وتوزيعه . والآن ، ماذا يقول هذا الاعلان ؟

ان أول سطر فى الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، يتحدث عن كرامة الانسان . فهو ينظر اليه بما هو أهله ، أى كمخلوق ذى مثل عليا وقيم يعيش من أجلها ، لا مجرد كائن حى أو حيوان ناطق يسعى من أجل حياته المادية .

تقول ديباجة هذا الاعلان : (**لما كان الاعتراف بالكرامة المتاصلة فى جميع أعضاء الأسرة البشرية** وبحقوقهم المتساوية الثابتة هو أساس الحرية والعدل والسلام فى العالم .

ولما كان تناسى حقوق الانسان وازدراؤها قد أفضيا الى أعمال **همجية آذت الضمير الانسانى ..**

ولما كان من الضرورى أن يتولى القانون حماية حقوق الانسان ..

ولما كانت شعوب الأمم المتحدة قد أكدت فى الميثاق من جديد ايمانها بحقوق الانسان الأساسية **وبكرامة الفرد ...**) .

ان الحديث فى ديباجة الميثاق ينصب على : كرامة الانسان والمحافظة

عليهـا ومنع الأذى عن الضمير الانسـانى • وان هذا لهو ما يرجوه كل انسان حر مستنير •

تأتى بعد ذلك مواد الاعلان ، التى تركز على المحافظة على كرامة الانسان ، فتقول مادته الأولى : (يولد جميع الناس احرارا **متساويين فى الكرامة والحقوق** ، وقد وهبوا عقلا وضميرا ، وعليهم أن يعامل بعضهم بعضا بروح الاخاء) •

وتقول مادته الثانية عشرة : **(لا يعرض أحد لحملات على شرفه وسمعته ، ولكل شخص الحق فى حماية القانون من مثل تلك الحملات)** •

وتقول مادته التاسعة عشرة : (لكل شخص الحق فى حرية الرأى والتعبير) •

ثم تقول مادته التاسعة والعشرون (وهى قبل الأخيرة) فى واجبات ذلك الانسان الذى كفل له هذا الاعلان العالمى كل هـذه الحقوق ، ما يلى :

١ ــ (على كل فرد واجبات نحو المجتمع الذى يتاح فيه وحده لشخصيته أن تنمو نموا حرا كاملا •

٢ ــ **يخضع الفرد فى ممارسـة حقوقه وحرياته لتلك القيود التى يقرها القانون فقط ، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العـادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخـلاق فى مجتمع ديمقراطى** •

٣ ــ لا يصح بحال من الأحوال أن تمارس هذه الحقوق ممارسة تتناقض مع أغراض الأمم المتحدة **ومبادئها)** •

لقد تمسك المدافعون عن الدجال الهندى بالمـادة التاسعة عشر التى تتحدث عن حرية الرأى والتعبير ، ونسوا أو تناسوا أن تلك الحرية مقيدة بروح هذا الاعلان العـالمى وبمختلف مواده وخاصـة **المـادة**

الثانية عشرة » التى تحظر أن يتعرض الانسان لحملات على شرفه وسمعته. **ثم المادة التاسعة والعشرون ــ الفقرة (٢) ــ** التى تقضى باحترام حقوق الغير وحرياته ومقتضيات المصلحة العامة والأخلاق .

واذا نحينا جانبا حملات الدجال الهندى على الله وملائكته ، ونظرنا فيما سطره عن البشر : ابراهيم ومحمد والأنبياء ، لوجدناه قد اغتال شخصياتهم ، وانتهك حقوقهم ، وشن حملات مسعورة على شرفهم وسمعتهم .

انه المجرم الحقيقى الذى تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير حساب .

انه المجرم الحقيقى الذى تعدى على حقوق الانسان وانتهكها بغير مروجها لأشد العقاب .

ان **المملكة المتحدة** قد خالفت الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، وأخلت بتعهدها الذى يلزمها **(باتخاذ اجراءات مطردة ، قومية وعالمية ، لضمان الاعتراف بها ومراعاتها بصورة عالمية فعالة بين الأعضاء) .**

ان القوانين تسن لتواجه متطلبات الحياة الطيبة ، وبناء على خبرات البشر وتجاربهم . ولقد أكدت الأزمة التى أحدثتها رواية « مقاطع شيطانية » ضرورة اتخاذ اجراءات لتعديل القانون الانجليزى الحالى ، الذى يحمى فقط **المذهب الانجليكانى ــ** مذهب الدولة ــ من الطعن والتجريح ، بينما لا تجد بقية المذاهب المسيحية الأخرى ــ مثل الكاثوليك والأرثوذكس ــ ولا تجد بقية الديانات مثل : اليهودية والاسلام ، أى حماية فى ظل هذا القانون .

لقد قال المسيح فى موعظته : **« بالدينونة التى بها تدينون ، تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم ــ متى ٧ : ٢ ــ ٣ » .**

ولقد كان هذا ما حدث فعلا ... فحين غضبت عشرات الملايين من المسيحيين على فيلم الزور والبهتان « التجربة الأخيرة للمسيح » تمسك

المدافعون عنه ، أعداء الله وأنبيائه ، بدعوى : حرية الرأى والتعبير • وآنذاك أسقط فى أيدى المدافعين عن المسيح ، فلم يجدوا ردا حاسما لايقاف الفيلم ، سوى استخدام العنف والاعتداء على دور العرض ، وتخويف جمهور النظارة وارهابهم • ولما كان منهم من يدافع عن الدجال الهندى بذات الدعوى ، وهى : حرية الرأى والتعبير ، فالآن تقول لهم ولأمثالهم ، ما قاله المسيح : (بالكيل الذى به تكيلون ، يكال لكم) !

*

لقد كانت السيدة **مارجريت تاتشر** من أول المدافعين عن الدجال الهندى فى بذاءاته الشيطانية ، بدعوى أن أى تهجم عليه يعتبر (تهجما على حرية الكلمة التى هى من الحريات الأساسية للانسان)

لقد كالت هنا بكيلين • فالكل يعلم حملتها على بيتر رايت مؤلف كتاب: **صائد الجواسيس** ، فى عام ١٩٨٨ ، وملاحقتها له فى أستراليا ومحاولتها منع نشر الكتاب فى العالم • ثم تأتى حملتها الضارية على كتاب مماثل آخر هو : **التاريخ الرسمى للمخابرات البريطانية فى الحرب العالمية الثانية** ، الذى كتبه سير **مايكل هوارد** أستاذ التاريخ الحديث (سابقا) بجامعة أوكسفورد •

ان الحرية حين تترك بلا ضوابط وحدود تتحول الى فوضى شاملة ، اذ أنها تتحول الى عدوان على (حقوق الغير وحرياته ومقتضيات النظام العام والمصلحة العامة والأخلاق فى المجتمع الديمقراطى) ، كما يقول الاعلان العالمى لحقوق الانسان •

بل ان الحرية الشخصية أصبحت موضع تقييد ومساءلة ، حيث ان اطلاقها بلا حدود يعنى الحاق الضرر بالغير وبالمصلحة العامة • ولهذا كان تركيز **الكونجرس الأمريكى** على الأهمية القصوى لعامل الأخلاق وحسن السلوك الشخصى للمرشحين لتولى المناصب الكبرى فى **الادارة الأمريكية** • ومن هذه المنطلق القويم رفض **مجلس الشيوخ الأمريكى** ترشيح **جون تاور** وزيرا للدفاع ، فى فبراير ١٩٨٩ ، بسبب **تعاطيه الخمور**

وعلاقاته النسائية ، كما رفض ترشيح **ريتشارد ارميتاج** مساعدا **لوزير الدفاع** بسبب تورطه فى عمليات سرية تمت من خلف ظهر **الكونجرس** .

وهكذا يثبت واقع الحياة ، استحالة اطلاق **الحريات بلا حدود** . فليس هناك حق مطلق للتعبير وابداء الرأى ، ولكن **هناك حق للتعبير** تقيده حقوق الآخرين واعتبارات الأخلاق التى تلزم لاقامة مجتمع متحضر . بل ان واقع الحياة قد أثبت ضرورة التمسك **بالأخلاق** باعتبارها عاملا أكيد المفعول فى محاربة وباء العصر ــ الايدز ــ والتوقف عن ممارسة الشذوذ الجنسى واستعمال حقن المخدرات . لقد كان هذا ما قرره **المؤتمر الدولى للايدز** الذى عقد فى مونتريال بكندا فى صيف عام ١٩٨٩ . لقد كانت العلاقات الجنسية تعتبر عند كثيرين من المسائل الخاصة جدا ، التى لا يسمح بمناقشتها . بل ان المدلول اللغوى للكلمة الانجليزية (Private) فى أحد استعمالاتها المتعلقة بالعورة ، ليؤكد هذه الخصوصية أما الآن فان هذه الخصوصية أصبحت موضع تقييد ، حرصا على سلامه البشرية من طاعون العصر .

حرية التعبير ، اذن ، حرية مقيدة . وفى هذا يقول الكاتب الانجليزى **رونالد بارك** فى مقال نشرته صحيفة **صن** البريطانية (٥ ملايين نسخة) (لم يكن أحد خارج الأوساط الأدبية يعرف شيئا عن **سلمان رشدى** . لكنه فجأة أصبح من المشاهير الذين دخلوا صحائف التاريخ ، حيث لم يسبق أن تجمع مثل هذا العدد من أصوات الدول لتحتج من أجل حماية انسان واحد : ان البعض يتصورون أن هذا الرجل مجرد كاتب برىء ، وهم يؤكدون أننا جميعا تتمتع بحرية الكلام والنشر ، وهذا صحيح ، **ولكن أليس هناك حد لكل شىء ؟!** اننا مثلا لا نستطيع أن نحرض على قلب نظام الحكم ، بالرغم من هذه الحرية . واذا حدث فسوف نحاكم فورا بتهمة الخيانة العظمى .

اننــا لا نستطيع أن نقوم بالتشهير أو الذم ، والا فان مواد القانون ستطولنا ، والأحكام ستلاحقنا . وحتى الآونة الأخيرة من تاريخنا ، لم

لم يكن لنا أن تتهجم على الدين أو نعلن الكفر • ولكن قلة تمسكنا بالدين أدت بنا الى التخلى عن اعتبار الزندقة من الجرائم التى يعاقب عليها القانون •

ورغم ذلك بقى فى النفوس احساس بالمرارة والاحتقار للذين يستخفون أو يستهزؤون بالمعتقدات التى تعطى الآخرين معنى وقيمة للحياة •

واذا نظرنا الى سلمان رشدى ، فسوف نجد أنه ولد وتربى أصلا فى بيئة اسلامية (فى الهند) ، ولذا فانه حتما يدرك مدى ولاء ووفاء المسلمين لنبيهم ولآله وصحبه ورسالته • وبالتأكيد فان رشدى كان يعلم ، عندما صور النبى بالصورة التى صوره بها ، أن أشواكه الجارحة ستدمى قلوب المسلمين • **فلماذا أساء اليهم هذه الاساءة الفاحشة ؟!**

هل قام بذلك لينال الشهرة بأى ثمن ، أم ليجلب الأنظار الى كتابه ، أم ليكسب المال بأى طريقة ، أم لينفث عن صدره غله وحقده على دين ترعرع فيه قبل أن يقوم بنبذه ؟ لقد اعتذر سلمان رشدى الى الخمينى بذلة ، كما اعتذر الى المسلمين عما سببه لهم من اساءة لمشاعرهم ، لكن المؤسف أنه لم يقدر ، قبل قيامه بتأليف كتابه ، أن هذا الكتاب سيسىء الى تلك المشاعر • **ومع ذلك لم ينطق سلمان رشدى بكلمة اعتذار واحدة الى البلاد التى اتخذها وطنا له (انجلترا) وسبب لها كل هذه المشاكل •** لذا فقد آن الأوان أن يكفر عن اساءاته اليها ، وأن يشرح كيف أرغمته دوافعه الخفية الى اهانة ١٠٠٠ مليون مسلم فى مختلف انحاء العالم •

لقد غادر رشدى بومباى ليجىء الينا ويدرس عندنا ، ويحصل على الجنسية ، ولن يستغرب اذا علم أن عددا كبيرا من سكان الجزر البريطانية يتمنون لو أنه لم يأت الينا من بلاده)(١) •

هذا ، ولقد شهدت القاهرة ندوة فى شهر ابريل ١٩٨٩ ، موضوعها : **العرب وأوروبا عام ١٩٩٢** ، شارك فيها عدد من خبراء السياسة العالمية ،

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٩/٣/٧

كان منهم من الجانب الأوروبى ، المسيو كلود شيسون ، وزير خارجية فرنسا (سابقا) ، ومفوض السوق الأوروبية المشتركة (سابقا) ، وتحدث منهم من الجانب العربى الأستاذ محمد حسنين هيكل ، الذى طرح عدة تساؤلات تتعلق بأوروبا الموحدة المزمع بروزها الى الوجود عام ١٩٩٢ ، فكان التساؤل الأول متعلقا بهـذا الكيان الضخم الذى لم تكتمل صورته النهائية بعد ، وكان (التساؤل الثانى عن طبيعة روح هذا الكيان الضخم الذى سوف نراه أمام عيوننا عبر البحر سنة ١٩٩٢ .. ان أوروبا الموحدة تبدو أمامنا مأخوذة بامكانيات القوة التى يمكن أن تتوافر لها ، **لكننا لا نسمع ما فيه الكفاية عن القيم التى تستهدفها هذه القوة وتسعى اليها**) .

ثم كان التساؤل الثالث ــ الذى يتعلق بسوء الفهم الأوروبى للاسلام والاصرار على اصدار الأحكام المسبقة على العرب والمسلمين ، اذ قال :

(**هناك التساؤل الثالث** : عن الدواعى الحقيقية لمظاهر من سوء الفهم تشوب دائما صورة العرب فى أوروبا ، رغم ما أشرت اليه عن قرون التواصل الحضارى بين الطرفين . على خلفية هذا التواصل الحضارى بين الطرفين ، **فلا بد أن نقول بأمانة انه يدهشنا هذا الذى نراه أحيانا من اختصار الاسلام الى الارهاب ، ومن اختصار العرب الى البترول ، ومن اختصار حقائق الصراع العربى الاسرائيلى الى حكاية معاداة السامية .**

وفيما يجرى على رقعة العالم كله الآن ، فاننا لا نرى سيئات تنسب الى أمة بأسرها ، كما نرى فى حالتنا فعمليات الجيش السرى اليابانى لم تنسب الى الأمة اليابانية ، وعمليات الجيش السرى الفرنسى لم تنسب الى الأمة الفرنسية ، وعمليات الجيش السرى الأيرلندى لم تنسب الى الأمة الأيرلندية . **هناك تقتصر المسئوليات على حدودها السليمة ، وفى حالتنا تطفى الأحكام ويجرى تعميمها بدون تحرز أو تمييز .**

ولقد كانت أوروبا أولى من غيرها بأن تفهم طبائع مراحل التطور

على أرضنا وتساعد على اجتيازها ان استطاعت بدون تعسف لا مبرر له . وانصافا لأنفسنا فنحن لم نلجأ الى مثل هـذا التعسف فى الأحكام ، **وما كان اسهل أن نقول ان أسوأ ظواهر العصر الحديث أوروبية : النازية أوروبية ، والفاشية أوروبية ، والستالينية أوروبية ، والاستعمار أوروبى ، والصهيونية أوروبية ، والتمييز العنصرى أوروبى ، والحربان الوحيدتان على مستوى العالم فى التاريخ كله أوروبيتان – الأولى والثانية –** لكننا من جانبنا أدركنا أن أوروبا الحقيقية أكبر عشرات المرات من كل ما ظهر على أرضها من افرازات وتقلصات مراحل التطور والنمو .

التساؤل الرابع : ومن الحق أن نتحدث عنه بصراحة ، فما ظهر لنا حتى الآن ان اوروبا ، مجتمعة أو متفرقة ، تتعامل مع العالم العربى احيانا – أكرر أحيانا – بمواقف تتراوح بين الأبوية المتفضلة ، او الانتهازية المتسللة .

فما بين دروس تبدأ بالتبشير بمزايا الاعتدال فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وحتى التحذير من عواقب ما يسمونه الارهاب الدولى والذى توجه تهمته الى العرب جزافا – **مرورا بالدروس عن حرية الرأى بصدد تلك الضجة المفتعلة عن كتاب لا يختلف أحد فى أنه اهانة بالغة للدين الاسلامى .**

لقد وصلت الينا هذه الضجة هنا فى العالم العربى وكأنها أصداء صليبية فى غير موضعها وفى غير زمانها .. ومع ذلك فما زلنا نسمع دروس حرية الرأى ، وحرية البحث ، وحرية الخيال من أناس يعرفون قبل غيرهم أن بلادهم ، وهى صاحبة التاريخ الطويل والتقاليد العتيدة فى السعى من أجل الحرية ، تعرف حتى الآن قيودا على هذه الحرية ، تفرض نفسها بسطوة النفوذ أو سلطة القانون . وآخر مثل لها ، حين اضطر رئيس البرلمان الألمانى ، قبل شهور

قليلة ، الى الاستقالة لأنه جازف بابداء رأى قصده خيرا ، ولكن الذين لم تعجبهم بعض الألفاظ نزعوا القائل من فوق مقعده .

وحين ذهب بعض العقلاء منا (نحن المسلمين) الى المحاكم البريطانية يشكون من اهانة دينهم ، كان حكم القاضى أن قانون تحقير الأديان فى بريطانيا ينطبق على المسيحية (المذهب الانجليكانى) ولا ينطبق على الاسلام . ففى بريطانيا وفى غيرها قوانين تسمح بمناقشة الأديان ونقدها ، **ولكن القوانين (فى بلاد كثيرة) تمنع تحقير الأديان لأنه يتجاوز حق أى فرد فى الاعتقاد والخيال ويمس حق الآخرين فى احترام مقدساتهم مهما كان أو يكون)(١) .**

*

وأخيرا ، ومهما يكن من أمر ، فلا سلام للبشر ولا أمن بينهم الا بالحق والعدل . وبدونهما تنهار المبادىء التى جاهدت من أجلها البشرية عبر القرون ، ويتحول العالم الى غابات تسرح فيها الوحوش والحيوانات، **وان ارتدت ياقات بيضاء ، وانطلقت تغزو أجواز الفضاء .**

* * *

---

(١) صحيفة الأهرام : ١٩٨٩/٤/٥

الباب الخامس

من آيات الله

- فضـــائح المبشرين
- غــزو الفضـــاء

فضـــائح المبشرين

● امبراطوريات التبشير والفضائح !

على مدى عام واحد ــ ما بين منتصفى ٨٧ ، ١٩٨٨ ــ تفجرت فى الولايات المتحدة عدة فضائح لقادة العمل التبشيرى ، ظلت تتردد أصداؤها عبر العالم مدة طويلة ، وكشفت عن أن عالم التبشـــير المسيحى هنـــاك عبارة عن امبراطوريات ضخمة لها أباطرتها المحترفون والمحتالون •

وأنه ــ كما تقول مجلة **الشاهد**(١) ــ فى تحقيقها الشهرى الذى اختارته عن : **تجارة المبشرين** ، انما هو (عـــالم من النصب والاحتيال والدجل والابتزاز والسرقات والتهـــديد والكذب والنفـــاق والجنس والخيانات الزوجية والاغتصاب والبـــذخ والثروات الطائلة • عالم من الفضائح •• أسماء كثيرة أشهر فى ــ فى بلادها ــ من نجوم الســـينما والتليفزيون والمسرح •• رجال ونســـاء يسيطرون على عقول عشرات المـــلايين من البشر ، وعلى ســـوق مالى ضـــخم لا يقـــل حجمه عن **٢ مليار دولار سنويا)** •

ان فضائح التبشير متداخلة ، فكلها تنتمى الى عالم واحد ، وما أن تظهر فضيحة حتى يتلوها مسلسل من الفضائح ، نعرض فيما يلى لشىء منهـــا •

❋

● جيمى وتيمى بيكر :

اعتادت تيمى بيكر الظهور على شاشات التليفزيون بجوار زوجها جيمى ــ حين يقدم مواعظه للملايين ــ وهى ترتدى لباس البحر (المايوه)، وتبرر ذلك بقولها : علينا أن نكون جذابين ، واستعمال المساحيق وارتداء المـــايوه ليس أمرا سيئا !

---

(١) مجلة شهرية تصدر فى قبرص ــ العدد ٣٩ ــ نوفمبر ١٩٨٨

وكالعادة ، يقول جيمى لملايين البسطاء : أرسلوا لنا تبرعاتكم فسيساعدكم الله !

ويستجيب له الملايين من الناس ، وتنهال عليه الملايين من الدولارات!
وقد حدث فى عام ١٩٨٠ أن تعرض جيمى بيكر وزوجته لأزمة عائلية خطيرة ، عرضت على شاشات التليفزيون ، اعترفت فيها تيمى أن الشيطان أوقعها فى فخه ، وأنها تتعاطى المخدرات .

ولقد دخل الشيطان بينهما مرة أخرى ، حين تعرف جيمى على فتاة تدعى **جيسيكا هاهن** ، فأعجب بها وروادها عن نفسها . ولما انجزت الفضيحة ، كان تعليقه ، الذى يكشف عن ممارساته الجنسية مع المحترفات، بقوله : ان جيسيكا تتمتع بمواهب المحترفات !

ثم تكلمت جيسيكا ، فقالت : جعلنى أشرب نبيذا مملوءا بمخدر[1]. ثم نزع ثيابى ، وأجبرنى على مداعبته ، فلم أتمكن من مقاومته . لقد مارسنا الحب طيلة ساعة كاملة ، بعد ذلك شعرت وكأننى مثل سندوتش هامبرجر مهمل ، لا يرغب فيه أحد !

بعد ذلك قررت جيسيكا أن تلاحق بيكر قضائيا ، فأرسل يعرض عليها صفقة ، يدفع بموجبها ٢٠ ألف دولار نقدا ، اضافة الى ٢٥ ألف دولار فى حساب مصرفى باسمها مع الفوائد الشهرية ، فى مقابل صمتها لمدة ٢٠ عاما .

لكن أصداء الفضيحة وصلت الى مسامع مبشر منافس له هو : **جيمى سواجارت** ــ الذى كان بيكر قد طرده من برنامجه التليفزيونى ــ فتزعم حملة لاجباره على الاستقالة من مؤسسته التبشيرية بزعم : **الحفاظ على سمعة المبشرين** ! فاستقال بيكر فى فبراير ١٩٨٧

---

(١) ذلك دابهم مع ضحاياهم ، اذ يستخدمون الشراب ذى المخدر حين الاعتداء عليهم أو التنويم المغناطيسى لاخضاع ارادة الضحايا وحثهم على تغيير معتقداتهم . وهم يمارسون ذلك فى العالم كله .

بعد أن هدأت العاصفة قليلا ، ظهر بيكر على شاشات التليفزيون ليعلن أن **سواجارت** تزعم الحملة ضده ليضع يده على **١٢٩ مليون دولار** هى العائد السنوى لمؤسسته التبشيرية . وكان رد سواجارت عنيفا ـ كعادته وباعتباره قد نصب نفسه حاميا للتبشير المسيحى فى أمريكا ـ فكرر قوله بأنه : **قد آن الأوان لكى يتم تنظيف البيت من الداخل ، وأنه لا يمكن لهذه المهزلة الفاضحة ان تستمر ، وان سرطانا يجب استئصاله من جسد المسيح !**

وانقسم المبشرون ، بعضهم مع بيكر والبعض الآخر مع سواجارت واغتنم **مارفن جورمان** ـ وهو مبشر شهير فى نيويورك ـ الفرصة ليصفى حسابات قديمة مع **سواجارت** ، فهاجمه بعنف وطالبه بتعويض لا يقل عن **٩٠ مليون دولار** بسبب الأضرار التى لحقت به من جراء حملة **سواجارت** عليه بأنه مارس الخيانة الزوجية مرارا ، على حين اعترف جورمان نفسه أمام الملايين على شاشات التليفزيون بأنه لم يفعلها سوى مرة واحدة ، وتاب بعد ذلك !

وبعد سقوط **بيكر** ، أخذت وسائل الاعلان تبحث عن ماضيه وعن نمط حياته ، فاكتشف أنه يملك بيوتا فخمة جدا فى كاليفورنيا وفلوريدا ، وأن جدران بعضها مطلاة بالذهب . وأنه وزوجته كانا يعيشان حياة البذخ بلا حدود على حساب تبرعات الأتباع والبسطاء ، وأن حسابات امبراطوريته ليست دقيقة ، **فعندما تدخلت مصلحة الضرائب وسألت عن اختفاء ١٣ مليون دولار من الحسابات ، كانت اجابته ان الشيطان دخل الكومبيوتر واخفى الرقم !** فأوقفت مصلحة الضرائب تحقيقاتها ، لأنه لا سلطان لها على الشياطين !

*

● **والآن .. جاء الدور على سواجارت !**

لقد كان هذا هو العنوان الذى اختارته مجلة **تايم**(١) فى حديثها

---

(١) TIME, March 7, 1988.

الأسبوعى فى باب : **الدين**، عندما عرضت لفضيحة **سواجارت الأخلاقية** •

لقد تفجرت الفضيحة ـ المدعمة بالصور ـ بممارسة سواجارت الجنس مع مومس محترفة • ثم ما لبثت تلك المومس ، واسمها **دبرا ميورفى** أن كشفت عن بعض ما خفى • وكان مما قالته : انها كثيرا ما كانت تتمدد أمامه عارية ••• وفى احدى المرات طلب منها أن ترتدى فستانا (على اللحم •••) دون ملابس داخلية ، ثم خرجا فى نزهة بسيارته حول المدينة •••

لقد كانت الصور التى حصل عليها **جورمان** ـ المبشر المطرود وخصم **سواجارت** ـ بواسطة مخبر سرى استأجره لهذا الغرض ، سلاحا فى يده للمساومة مع **سواجارت** ـ ولما فشلت العملية تفجرت الفضيحة !

ولم يملك سواجارت ـ الذى دعته مجلة تايم : **ملك الفيديو التبشيرى** ـ الا أن يعترف بفضيحته على شاشات التليفزيون ، ويطلب المغفرة من الرب ، وزوجته وابنه ، ومن الآخرين ••• !

لقد كتبت مجلة : **يو • اس • نيوز آند ورلد ريبورت**(٢) تعليقا على فضيحة سواجارت ، قالت فيه : (ان جيمى سواجارت من الذين يقلقهم الشيطان كثيرا • فهو يقول ان الشيطان هو الذى ابتدع الروك ـ آند ـ رول ، والسينما ، والبيرة • وأن الشيطان هو الذى جعل جيم بيكر يخدع زوجته ، وجعل أورال روبرتس يعزل نفسه فى برج •• ولمدة أكثر من ٣٠ عاما ، كان سواجارت يحاول أن يطرد الشيطان بعيدا الى العالم الآخر • لكن أحدا ما كان يتوقع ـ بل كان آخر من يتوقع هذا هو المبشر التليفزيونى العنيف (سواجارت) ـ أن يقوم الشيطان برد الفعل العنيف هذا •••.!

من السابق لأوانه القول ما اذا كان صراع سواجارت مع الشيطان

---

(١) U. S. NEWS & WORLD REPORT. Morch 7, 1988.

ـ فقد صار معلوما أنه كان يدفع لمومس لكى تقوم بتقديم حركات داعرة له ـ ما اذا كان هذا سوف يعطل خدمته التبشيرية العالمية ذات العائد السنوى الذى يبلغ ١٤٠ مليون دولار (توقفت خدمته التبشيرية تماما منذ مدة) .

لكن المدهش أن اعتراف سـواجارت على شـاشات التليفزيون بدموع تتساقط على خـديه ، قـد اعتبر أكثر قليـلا من همهمة على مقياس انتهـاك الحرمات وعمليـات الاغتصـاب للأمـة (الأمريكيـة) يحصيها على مدار السنة مثل تلك الأعمال القذرة التى انكشفت للعيان.

ويبدو أن مشاكل سواجارت قد أكدت أن السمة العامة لمبشرى أمريكا الألكترونيين أنهم فى جوع جنسى ، ولديهم جنون بالمـال ..

واذا راجعنا مسلسل العام الماضى لوجدنا : اعلان اورال روبرتستون أنه اذا لم يدفع له الناس المـال (٨ مليون دولار) فان الله سيقتله !

ثم زنا جيمى وتيمى بيكر ، وفضائح الرشاوى المقدمة للسكوت عن فضائحهما .

والضغائن بين بيكر وجيرى فالويل من أجل ادارة مؤسسة بيكر .

والآن ، تأتى فضيحة سواجارت ، الذى يعتبر واحدا من أكثر وعاظ هذا البلد (الولايات المتحدة) سطوة ، والحكم الأخلاقى للملايين من المشاهدين ، الذى كان يتسلل كاللص لعقـد لقـاءات سرية مـع مومس !

ثم هناك مارفن جورمان المبشر الذى طرد من وظيفته الكهنوتية منذ عامين ، عندما اتهمه سواجارت بالزنا) ذلك بعض ما كان من أمر فضائح المبشرين ، وفضائح سواجارت ملك الفيديو التبشيرى ، ورافع لواء الأخلاق المسيحية .

*

والآن ، هاهى بعض بيانات امبراطوريات المبشرين :

جيمى سواجارت : تبلغ عائداته السنوية ١٤٢ مليون دولار ـ يملك مركزا عالميا فى باتون روج ، يشبه مدينة صغيرة ، يمتد فوق ٢٥٠ فدانا ، يستخدم ١٠٠٠ موظف ، يحتوى على مدارس ، وفنادق ، واستوديوهات ، ودار عبادة تسع ٧٥٠٠ مصل • ويسكن سوارجارت فى فيلا تقدر بنحو ٢ر٤ مليون دولار ، فوق مساحة ٢٠ فدانا ، بنظام أمن ألكترونى متقدم •

جيمى وتيمى بيكر : تبلغ عائداتهما السنوية ١٢٩ مليون دولار ، وثروتهما الشخصية ٧٠٠ مليون دولار • يملكان عدة فيلات وبيوت فخمة • تصل استعراضاتهما التليفزيونية الى ١٣ مليون عائلة •

جيرى فالويل : مؤسس ورئيس حركة : الأكثرية الأخلاقية ، التى تضم ٤ ملايين عضوا • تبلغ عائداته السنوية ٧٥ مليون دولار جمع ٦ مليون دولار للمساهمة فى الجملة ضد الجوع فى افريقيا ، احتفظ منها بنحو ٥ر٥ مليون دولار لنفسه ، وتبرع بالباقى لفقراء افريقيا • ورث امبراطورية بيكر •

أورال روبرتس : تبلغ عائداته السنوية ٥٨ مليون دولار • يملك امبراطورية ضخمة بها محطة تليفزيون ، وجامعة ، ومستشفى ، ومركز كبير للتجارة والتسلية •

بات روبرتسون : تبلغ عائداته السنوية ١٣٠ مليون دولار • يملك سلسلة محطات تليفزيونية تصل برامجها الى ٣٣ مليون عائلة • كان مرشحا لرئاسة الجمهورية فى انتخابات ١٩٨٨

*

● مواقف سواجارت من الاسلام ونبيه :

اشتهر سواجارت بخصومته العنيدة للاسلام ، ونبيه : محمد رسول الله ، وكتابه : القرآن • وفى احدى أحاديثه التليفزيونية قال : (ان الخطر الذى يهدد الحضارة الغربية الآن ، ليس هو الشيوعية

والاتحاد السوفييتى ، وانما هو الاسلام الذى يغزو بلاد الغرب بصورة مذهلة . ان لندن عاصمة فكتوريا التى كانت تحكم العالم الاسلامى كله ، قد أصبحت تأوى أنشط مركز اسلامى فى العالم ، وان عدد المراكز الاسلامية فى الولايات المتحدة أصبح يفوق عدد أعضاء الحزب الشيوعى الأمريكى . وعلى حين يتراجع الحزب الشيوعى ، يتزايد عدد المراكز الإسلامية ، وتقوى جموع المسلمين) [1] .

ثم كان لقاؤه الشهير فى نوفمبر ١٩٨٦ مع الداعية الاسلامى المعروف **أحمد ديدات** ، فى مناظرة عامة حول موضوع : **هل الكتاب المقدس كلمة الله ؟**

وكما هو واضح من موضوع المناظرة أنه يتعلق بالكتاب المقدس ومدى حقيقة القول بأنه كلمة الله الا أن سواجارت انتهز الفرصة وبدأ حديثه بالطعن فى الاسلام ونبيه وكتابه ، فقال :

(لقد قابلت السيد ديدات لتوى عصر اليوم ، وفى الحقيقة فانى قابلته لبضع دقائق هذا المساء . وفى الحقيقة فانه من ذلك الطراز من الرجال الذين تقابلهم والذين تحبهم فورا ..

هو أحد العلماء ، وأنا لست من علماء الانجيل ، رغم كونى من الدارسين النهمين للانجيل . لقد كان يداعب زوجتى ويداعبنى قبل أن أحضر الى هنا قائلا : **الاسلام يبيح أربع زوجات ، ثم صحح وقال : يسمح حتى اربع . فقلت له : حسنا يا مستر ديدات ، المسيحية تسمح لنا بواحدة فقط ، ولذلك أصطاد أفضلهن من اول قذيفة .**

يشرفنى أن أكون هنا الليلة ، وأنا سعيد أن أتيحت لى هذه الفرصة ، للتحدث ولو قليلا حول ما نعتقد أنه كلمة الرب القدير :
وأريد أن أقول شيئا قبل أن أبدأ فى الموضوع ، **وهو انى لم أكن أعرف كثيرا عن الاسلام . ولا اقول هذا باى نوع من التفاخر او الزهو ، ولكن يجب ان اكون امينا .**

---

(١) شيطان الغرب ـ ص ٧١

ففى الأشهر القليلة الماضية درست الاسلام على نحو ما ، واعترف أن دراستى له كانت سطحية .

وفى الماضى – وأعتقد أن هذا حدث منذ حوالى سنتين – **فى ذلك الوقت تفوهت على التليفزيون بعبارات نابية عن القرآن ،** واذا لم تكونوا قد استمعتم الى فى ذلك الأسبوع بالذات ، فلن أقول لكم أبدا شيئا عن ذلك . ولكنى أعتذر عن ذلك ولن أكرره مرة أخرى ، لأنى أشعر بأن ذلك الذى فعلت كان تصرفا غير لائق .

وبعد ذلك درست قليلا ، كما ذكرت منذ لحظات ، وتعلمت أن المسلمين من أكثر الناس كرما وتفتحا على وجه الأرض ..

لقد تعلمت احترام القرآن ، وتعلمت احترام المسلمين ، **لكنى لا أومن أن القرآن كلمة الله ، ولا أومن أن محمدا كان نبى الله ،** ولكنى أحترم فعلا معتقداتكم ، وأحترم اخلاصكم لدينكم ...) !

ثم دخلَ سواجارت ، بعد هذه المقدمة اللولبية ، فى الموضوع ...

ان الاعتراف سيد الأدلة ، ولا شك . فبماذا اعترف سواجارت ؟

لقد أقر بأنه : **لم يكن يعرف كثيراً عن الإسلام ، وأنه فى الأشهر القليلة الماضية درسه على نحو ما ، وأن دراسته له كانت سطحية ، وأنه طعن فى القرآن بعبارات نابية .**

وخلاصة ما قاله سواجارت – متعلقا بموقفه من الاسلام ونبيه وكتابه – أنه : طعن **(بغير علم) .**

ذلك واحد من جوانب القضية ، وهو أهمها وأخطرها ، أن يدرس سواجارت احدى ديانات العالم الكبرى دراسة سطحية فى شهور قليلة ، ثم يتخذ منها موقف العداء والكفر . أما الجانب الآخر ، فهو مشهد سواجارت فى مناظرته وحديثه العدوانى عن الاسلام ومقدساته . لقد كان سواجارت يمثل نجما تليفزيونيا مغرورا : يصول ويجول فوق

المسرح ، مستعرضا كل مواهبه وكبريائه وعضلاته ، وهو يثنى جانبيه عجبا واستكبارا . وفى لغة عربية راقية نقول : كان يتحدث **(ثانى عطفه)** .

ففى معاجم اللغة : عطفا كل شيء : جانباه ، وعطفا الرجل : جانباه من لدن رأسه الى فخذيه ، وعطفت الشيء عطفا : ثنيته وأملته .

ان شريط الفيديو شاهد على ثنى سواجارت لعطفه ... والآن ، ماذا نجد فى القرآن العظيم ، متعلقا بهذا السواجارت وأمثاله ، الذين درجوا منذ القدم على الجدال فى أمور الدين بغير علم ، عبثا واستكبارا ؟ يقول الله فى قرآنه :

﴿ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله ، له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق . ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴾ (الحج : ٨ ــ ١٠)

والآن .. ماذا تحقق من هذه الآيات القرآنية ؟

لقد وقف سواجارت يجادل فى الله ــ الاله الواحد الأحد الذى تنزه عن المثيل والولد ــ **يجادل بغير علم** ، **ثانى عطفه** ، **فأذاقه الله الخزى فى الدنيا** ، وحسابه عند الله فى الآخرة .

فلم تمض الا شهور على مناظرته الشهيرة مع ديدات ، والتى هاجم فيها الاسلام ومقدساته ، حتى سقط ملك الفيديو التبشيرى عن عرشه بفضيحة أخلاقية مدوية ، وفقد معها مئات الملايين من الدولارات وسطوة ونفوذا ...

﴿ ان فى ذلك لآية ، وما كان أكثرهم مؤمنين . وان ربك لهو العزيز الرحيم ﴾ (الشعراء : ٨ ، ٩) .

ولكن المعاندين كثير ، منذ القدم ، والى الآن ، والى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

فلقد رأى فرعون وآله ما جاء به موسى من آيات الله ، فقالوا : ﴿ ساحر كذاب ﴾ (سورة ص : ٤) .

ورأى اليهود ما صنعه الله بيد عيسى من آيات ، فقالوا له : (بك شيطان) ، وقالوا عنه : (لا يخرج الشياطين الا ببعلزبول ، رئيس الشياطين) .

ويرى من على شاكلة هؤلاء وهؤلاء ، آيات القرآن التى أرسل الله بها محمدا ، ﴿ فسينغضون اليك رءوسهم ﴾ (الاسراء : ٥١) .

﴿ قلوبهم منكرة وهم مستكبرون . لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون ، انه لا يحب المستكبرين ﴾ (النحل : ٢٢ ، ٢٣) .

﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون ﴾ (النحل : ٢٥) .

﴿وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾ (يوسف : ١٠٥)

ولكن : ﴿ وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ (يونس : ١٠١)

* *

نقرأ في القرآن كثيرا من الآيات التى تتحدث عن الكون وبنائه وسماواته ، وعوالمه الهائلة ومخلوقاته المتنوعة ، فنعلم منــه الكثير عن خواص البنــاء الكونى ، وأن الحياة ليست حكرا على الكرة الأرضية ، التى وصفها محمد رسول الله بأنها لا تزيد عن أن تكون : **حلقة ملقاة فى صحراء ...**

ولا يتسع المجال لاستعراض ما جــاء فى القرآن ، وفى أحاديث الرسول خاصا بالكون وعجائبه ، لكننا نكتفى بلقطات قصيرة تمكننـــا من تجميع صورة اجمالية لخواص السماء ، وامكانية غزو الانســـان للفضاء ، واحتمالات الاتصال بحضارات أخرى تحتويها ثنايا هذا الكون الرهيب .

*

● **أهــل السمـــوات :**

من المعلوم ــ لغة ــ أن « من » اسم لمن يصلح أن يخاطب (كالعاقل المتكلم) . وقد وردت « من » فى آيات كثيرة من القرآن ، تشـــير الى خلق آخرين غير بنى آدم ، سماهم قدامى المفسرين : أهل السموات ، كما جاء فى تفسيرهم لبعض هذه الآيات ، مثل :

﴿ قــل لا يعــلم من فى السمـــوات والأرض الغيب الا الله ﴾ (النمل : ٦٥)

يقول ابن كثير فى تفسيره : (يقول تعالى ، آمرا رسول الله ﷺ **أن يقول معلمــا لجميــع الخــلق أنه : لا يعلم احد من أهل السموات والأرض الغيب الا الله)** .

وكذلك فى تفسير قوله تعالى :

﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السمـــوات ومن فى الأرض الا من شاء الله ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ﴾ (الزمر : ٦٨)

يقول ابن كثير عن نفخة الصعق هذه : (هى التى يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض الا من شاء الله) .

وعلى ضوء ما تقدم ، نفهم أن فى السموات مخلوقات عاقلة كثيرة لا يعلمهن الا الله :

﴿ وربك اعلم بمن فى السموات والأرض ﴾ (الاسراء : ٥٥) .

فكلهم ملك لله ، وهم عبيده الناطقون باسمه :

﴿ الا ان لله من فى السموات ومن فى الأرض ﴾ (يونس : ٦٦) .

وكل هذه الخلائق العاقلة تسأل الله من فضله ، فيجيبها ــ سبحانه ــ بما يشاء :

﴿ يسأله من فى السموات والأرض ، كل يوم هو فى شأن ﴾ (الرحمن : ٢٩)

يقول ابن كثير : (أى لا يستغنى عنه اهل السموات والأرض : يحيى حيا ، ويميت ميتا ، ويربى صغيرا ، ويفك أسيرا) .

حتى اذا كان اليوم الآخر ، جاءه كل مخلوق مكلف من أهل السموات وأهل الأرض ، ليوفى حسابه :

﴿ ان كل من فى السموات والأرض الا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا ﴾ (مريم : ٩٣ ــ ٩٥) .

*

● **عوالم من الأحياء فى السموات :**

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة ، وهو على جمعهم اذا يشاء قدير ﴾ (الشورى : ٢٩) .

ولفظ الدابة ، يقع فى اللغة على حيوان جسمانى يتحرك ويدب .

فالآية واضحة فى دلالتها على وجود الدواب فى السموات كما هى فى الأرض •

ويبين القرآن أن المقصود بالدابة ــ هنا ــ الأصل الذى جاءت منه الأنواع الرئيسية للمخلوقات ، كما فى هذه الآية :

﴿ والله خلق كل دابة من مـاء ، فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع ، يخلق الله ما يشـاء ، ان الله على كل شىء قدير ﴾ (النور : ٤٤) •

وكلمة « ماء » هنا فى صورتها النكرة ، لا تعنى المـاء المعروف الذى يتكون جزيئه من ذرتين ايدروجين ، وذرة أوكسجين ، وانمـا يعنى أصل النوع الذى تخلق منه المخلوق •

فالقرآن يحدثنا عن خلقة الانسان بقوله :

﴿ فلينظر الانسـان مم خـلق • خـلق من مـاء دافـق ﴾ (الطارق : ٥ ، ٦) •

بل ان فى السموات عوالم من النبات ، كما نفهمها من قول الحق فى القرآن :

﴿ الا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السموات والأرض ويعـلم ما تخفون ومـا تعلنون • الله لا اله الا هو رب العرش العظيم ﴾ •
(النمل : ٢٥ ، ٢٦)

فالخبأ ــ كما قال المفسرون ــ النبـات ، الذى يخرجه الله من الأرض •

❋

● **وفى السموات لغات للتخاطب ووسائل للاتصال بين المخلوقات :**

﴿ قال ربى يعلم القول فى السماء والأرض ، وهو السميع العليم ﴾ (الأنبياء : ٤) •

ثم نأتى بعد ذلك لآية قرانية صريحـة فى تقرير وجـود كواكب مأهولة أخرى غير الأرض :

﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير وأن الله قد أحاط بكل شىء علما ﴾ (الطلاق : ١٢) .

وقد قال ابن كثير فى تفسير قوله تعالى : **﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ﴾** (الاسراء : ٤٤) ، أن قوله تعالى فى سورة الطلاق : **﴿ ومن الأرض مثلهن ﴾** : (أى سبعا أيضا ، كما ثبت فى الصحيحين : « من ظلم قيد شبر من الأرض ، **طوقه من سبع أرضين** » .

وفى الحديث الآخر : « ما السموات السبع وما فيهن وما بينهن ، **والأرضون السبع وما فيهن وما بينهن** ، فى الكرسى ، الا كحلقة بأرض فلاة » ..

وعن ابن عباس فى قوله تعالى : **﴿ سبع سموات ومن الأرض مثلهن ﴾** قال : **لو حدثتكم بتفسيرها لكفرتم** ، وكفركم **تكذيبها**) .

حقا .. لو عرف عرب الجاهلية وصدر الاسلام أن ف الكون عوالم ومخلوقات أخرى ، لكفروا بذلك واعتبروه فوق العقل والتصديق .

وما كان ليعقل هذا الا أبناء النصف الثانى من القرن العشرين ، وما بعده من القرون .

بقى أن نشير الى أن لغة القرآن تسمح بأن العدد يذكر — أحيانا — ليفيد الكثرة ، وذلك فى مثل قوله تعالى لنبيه بخصوص موقفه من المنافقين :

﴿ استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ﴾ (التوبة : ٨٠) .

يقول ابن كثير : (ان السبعين انما ذكرت حسما لمادة الاستغفار لهم ، لأن العرب فى أساليب كلامها تذكر السبعين فى مبالغة كلامها) .

والخلاصة من كل ما تقدم : أن السموات — وهى تعنى لغة :

كل ما علا ــ تعج بشتى أنواع الحياة ومتطلباتها على كواكب أخرى غير الأرض •

*

● **فى السموات طرق ومسارات :**

لقد ورد فى القرآن ما يفيد أن بها طرقا عديدة ومسارات مختلفة ، وذلك فى قوله تعالى ، قسما بالسماء ذات الطرق : ﴿ **والسماء ذات الحبك • انكم لفى قول مختلف** ﴾ (الذاريات : ٧ ــ ٨) •

والحبــك ، مفرده : حبيــكة ، وهى الطريق فى الرمل ، أو بين النجوم • وبالنسبة للسماء تكون هى الطريق بين النجوم •

ومن حبــك الســـماء : مســالك الأجــرام الســماوية على اختلاف مواقعها : ﴿ **كل فى فلك يسبحون** ﴾ (يس : ٤٠) •

ومن حبك السماء : مجرات الفضاء الكونى • وقديما أطلقوا عليها إسم الطرق ، ومنها مجرتنا المعروفة بسكة التبانة أو الطريق اللبنى ، تشبيها لهــا بالطريق الذى تناثر فيه التبن ، أو بمجرى اللبن المراق •

*

● **الصعود فى مسارات متعرجة :**

ان الحركة فى الفضاء لا تعرف الخط المستقيم • ولقد ثبت ذلك عمليا ، حيث ان الصعود فى السماء لا يتم الا فى مســارات منحنيــة بعضها بيضاوى أو شديد الانحناء • ولقد جرت خلال أبحاث الفضاء حديثــا عــدة قياســات أيدت صــحة انحناء الضــوء فى الفضــاء الكونى • ولعلنا نلمس بأنفسنا الاشارة الى انحناء السير فى الفضــاء أو الصعود الى السماء ، بما عبر عنــه القرآن دائما باستخدام كلمة : « عروج » ، التى تعنى الخروج عن الخط المستقيم ، وذلك فى مثله قوله :

﴿ يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منهـا وما ينزل من السـماء وما يعرج فيها ﴾ (الحديد : ٤) •

﴿ من الله ذى المعارج • تعرج الملائكة والروح اليه فى يوم كان مقداره خمسين الف سـنة ﴾ (المعارج : ٣ ، ٤) •

ويتم السفر فى الفضاء ، بالعروج دائما فى السماء :

﴿ ولو فتحنا عليهم بابا من السـماء فظلوا فيـه يعرجون • لقـالوا انمـا سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون ﴾ (الحجر : ١٤ ، ١٥)

*

● **اشارات لغزو الفضـاء :**

نرى فى القرآن اشارات لغزو الفضاء والصعود الى طبقات وكواكب أخرى ، تتضمنها بعض آياته •

فالكون بسمواته وأراضيه هو مجال عمل الانسان واكتشافاته :

﴿ وسخر لكم ما فى السـموات وما فى الأرض جميعا منه ، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الجاثية : ١٣) •

نعـم ••• ان الذين يتفكرون هم الذين يبصرون آيات الله ، أما الباقون ، فهم فى دنياهم يعمهون •••

﴿ وما انتم بمعجزين فى الأرض ولا فى السـماء ، وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير ﴾ (العنكبوت : ٢٢) •

فمن الواجب ألا يغتر الانسان بما أوتى من علم يصـعد به الى أغوار الفضاء ، أو يغوص به فى أعماق البحار ، فكل ذلك من فضـل الله عليه وعلى الناس •

ثم تأتى الى آيات قرآنيـة واضحة تؤكد الانطلاق فى السـماء ﴿ طبقا عن طبق ﴾ سواء أكان ذلك لمركبات على هيئة أطباق ، أو للانتقال

المتصاعد عبر طبقات الجو المختلفة . وانه لمما يأخذ بالألباب حقا ، أن هذا الانطلاق فى السماء يرتبط بالقمر ، كما فى قول الله تعالى :

« فلا اقسم بالشفق . والليل وما وسق . والقمر اذا اتسق . لتركبن طبقا عن طبق . فمالهم لا يؤمنون . واذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون »
(الانشقاق : ١٦ ــ ٢١)

« حقا لقد ركب الانسان طبقا عن طبق من أجل هذا القمر !
ونستطيع الآن أن نفسر قوله تعالى : « **طبقا عن طبق** » كما يلى :

١ ــ أن رائد الفضاء تدرب أولا على مرحلة انعدام الوزن قبل القيام بالرحلة ، وذلك بالدوران فى أطباق بسرعات مختلفة .

٢ ــ يركب رائد الفضاء فى كابسولة فى أعلى صاروخ متعدد المراحل ، كما لو كان الصاروخ فعلا طبقا عن طبق .

٣ ــ اختراق الصاروخ لطبقات الغلاف الجوى المختلفة مثل طبقات : التروبوسفير ، والستراتوسفير ، والايونوسفير ، والاكسوسفير، حتى ينفذ من جو الأرض متجها الى القمر .

٤ ــ لقد تم ارسال العديد من سفن الفضاء قبل نجاح الوصول الى القمر . وكانت هذه السفن كالأطباق تحمل ركابا متعاقبين ، طبقا عن طبق ، لتدور بهم حول الأرض . وهؤلاء الركاب مثل جاجارين ، وشبرد ...

٥ ــ فى ٢١ يوليو عام ١٩٦٩ تمت رحلة سفينة الفضاء (أبوللو ــ ١١) الأمريكية ، والتى حملت الرواد : نيل آرمسترونج ، والدرين ، وكولينز ، الى القمر حيث هبط آرمسترونج والدرين على سطح القمر لأول مرة فى تاريخ البشرية بواسطة المركبة القمرية ، بينما ظل زميلهم كولينز ينتظرهما فى مركبة أخرى تدعى (كولومبيا) كانت تدور حول القمر ، حتى التحمت بها المركبة القمرية بعد أداء مهمتها على سطح

القمر • وعادوا جميعا سالمين الى الأرض وقد ركبوا فصلا طبقا عن طبق »(١) •

*

هذا بعض ما نجده فى القرآن العظيم عن السماء وأهل السماء والصعود الى السماء • واذا اقتبست لغة القرآن ، فانى أقول :

« ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » (الأحقاف : ٤)

أى كتاب مقدس علم الناس ما فى الكون وما فى السماء ، كما علمهم القرآن ؟!

وأى نبي حدث الناس عما شاهده فى معراجه الى السماء ، كما حدثهم محمد رسول الله ؟!

لقد سألوه « بعد حادث الاسراء والمعراج ، منذ أربعة عشر قرنا : كيف رأيت الأرض ، وأنت تصعد للسموات ؟

قال : رأيتها كحلقة ملقاة فى فلاة شاسعة !

ويصعد اليوم رائد الفضاء الأمريكى الى القمر ، ويسألونه : كيف رأيت الأرض ؟

فيقول : رأيتها كعملة من المعدن ملقاة فى بحر » ! (٢) •

سبحان الله ••• ! لقد قال **الحق** فى قرآنه ، ومن أصدق من الله حديثا : **« سنريهم آيتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد »** (فصلت : ٥٣) •

* *

● **وماذا بعد الحق الا الضلال •••**

فبعد هذا الحق يطلع علينا الدجال الهندى فى روايته الشيطانية بأكاذيب فاجرة ، يقول فيها : (عندما كان المؤمنون يناقشون وجهة نظر

---

(١) الكون والاعجاز العلمى : الدكتور منصور حسب النبى ــ ص ٢٢٦
(٢) القرآن وعلم الفلك : أحمد جبالية ــ ص ٢٠٠

ماهوند حول أى موضوع ، بدءا من امكانية السفر فى الفضاء ، الى دوام العذاب فى جهنم ، فان الملك (جبريل) يعود دائما بالاجابة التى تدعم رأى محمد . **فلقد قرر ، دون أدنى ظل من الشك ، أنه من المستحيل ان يسير انسان على سطح القمر**) (ص ٣٦٤) .

أى كذب وافتراء على الحق ، يبثه هذا الكذاب الجهول ؟!

لقد ورد لفظ : القمر ، فى القرآن ٢٧٢ مرة[1] . وانى أدعو القارىء غير المسلم أن يراجع آيات القرآن التى تتحدث عن القمر ، سواء فى لغتها العربية ، أو فى تراجم معانيها الى اللغات الأخرى ، ليتبين حقيقة هذه الأكاذيب . ويوقن أن كاتبه الذى يقرأ له ما هو الا دجال مضل ، دونه عشرات الكذابين الذى اشتهروا فى التاريخ ...

ألا ان : **﴿ لعنة الله على الكاذبين ﴾** (آل عمران : ٦١) .

*

حقا ، قال الله فيه وفى أمثاله ، آية معجزة من معجزات العلم بما حدث لذلك الذى يصعد فى السماء دون وقاية وحجاب ، حيث يعانى من الضيق والشدة ما يفوق الوصف . وهو ما أكدته أبحاث الفضاء التى مهدت لصعود الانسان فى الفضاء ، والسير على سطح القمر ، والتطلع الى الكواكب الأخرى :

﴿ فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد فى السماء ، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون ﴾ (الأنعام : ١٢٥)

* * *

---

(١) تبينها أرقام السور والآيات كالآتى : ٧٧/٦ ، ٩٦/٦ ، ٥٤/٧ ، ٥/١٠ ، ٤/١٢ ، ٢/١٣ ، ٣٣/١٤ ، ١٢/١٦ ، ٣٣/٢١ ، ١٨/٢٢ ، ٦١/٢٩ ، ٢٩/٣١ ، ١٣/٣٥ ، ٣٩/٣٦ ، ٤٠/٣٦ ، ٥/٣٩ ، ٣٧/٤١ ، ٣٧/٤١ ، ١/٥٤ ، ٥/٥٥ ، ١٦/٧١ ، ٣٢/٧٤ ، ٨/٧٥ ، ٩/٧٥ ، ١٨/٨٤ ، ٢/٩١ ، ٦١/٢٥

خاتمة

الانسان عدو ما يجهل ... تلك حكمة صاغتها مختلف الشعوب ، بعد أن اكتسبتها من خبرات الحياة ، فصارت من حقائقها ومسلماتها .

ويكفينا هنا مثلين للبرهنة على تغير المواقف من أقصاها الى أقصاها ، أى بزاوية مقدارها ١٨٠ درجة ، عندما تعالج القضية الواحدة مرة فى الظلام والتعتيم ، ثم تبحث مرة أخرى فى ضوء التنوير .

*

١ ــ موقف البابوية من الاسلام والمسلمين

(أ) فى ظل الجهالة والتعتيم :

فى عام ١٠٩٥ وقف البابا ايربان الثانى ، رأس الكنيسة الكاثوليكية، ليعطى اشارة البدء بالحروب الصليبية ضد المسلمين ، قائلا : (أنتم فرسان أقوياء ، ولكنكم تتناطحون وتتنابذون فيما بينكم . **ولكن تعالوا حاربوا الكفار** .. تقدموا للدفاع عن المسيح .. لا تلهكم نساؤكم ولا أولادكم ولا أموالكم عن القتال فى سبيل الله .. **تقدموا الى بيت المقدس . انتزعوا الأرض الطاهرة واحفظوها لأنفسكم . ساغفر لكم ذنوبكم وخطاياكم بالقوة التى زودنى بها الله) ! .**

(ب) فى ضوء التنوير :

عقد **مجمع الفاتيكان الثانى** فى الفترة (٦٢ ــ ١٩٦٥) ، وكان من جملة قراراته فى وثائقه المنشورة ، قرارا يقول : (ان كنيسة المسيح تعترف بأن مبادىء عقيدتها قد بنيت لدى الرسل والأنبياء طبقا لسر الخلاص الالهى **فهى تعترف فعلا بان جميع المؤمنين ، وهم ابناء ابراهيم**

ـ حسب العقيدة ـ داخلون فى رسالة ذلك النبى • ولنعانق اولا المسلمين الذين يعبدون الها واحدا ، والذين هم اقرب الينا فى المعنى الدينى وفى علاقات ثقافية انسانية واسعة) •

وهكذا ، أبطلت الكنيسة فى القرن العشرين ما سبق أن أعلنته فى القرن الحادى عشر ، من اعتبار المسلمين كفارا ••

*

٢ ــ موقف فولتير من الاســلام ونبيه

(أ) فى ظل الجهــالة :

كتب فولتير مسرحية بعنوان : محمد ، سب فيها النبى سبا قبيحا ، وأهداها للبابا بندكت الرابع عشر (تولى البابوية من ١٧٤٠ الى ١٧٥٨)، قائــلا :

(فلتستغفر قداستك لعبد خاضع من أشد الناس اعجابا بالفضيلة ، اذ تجرأ فقدم الى رئيس الديانة ما كتبه ضد مؤسس ديانة كاذبة بربرية ، والى من غير وكيل رب السلام • والحقيقة أستطيع أن أتوجه بنقدى قسوة نبى كاذب وأغلاطه • فلتأذن لى قداستك فى أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه • أجثــو وأقبل قدميك القديسين)[١] (فولتير : ١٧ أغسطس ١٧٤٥) •

(ب) فى ضوء التنوير :

ثم دار الزمان دورته وفتش فولتير الكتب ــ كما قال المسيح ــ وتعلم ، فغير موقفه بزاوية مقدارها ١٨٠ درجــة ، وأعلن ذلك فى كتابه **(يقين أسانيد الاسلام)**(٢) الذى صدر غلافه بآية من القرآن العظيم تقول : **« فباى حديث بعده يؤمنون »** (المرسلات : ٥٠) •

---

(١) مجلة الهلال ــ عدد شعبان ١٣٩٨ هـ (أغسطس ١٩٧١ م) •

(٢) LA CERTITUDE des EPREUVES DU MAHOMETISME .

يقول فولتير لقرائه المسيحيين : (كيف تحقرون كتابا يدعو الى الفضيلة والزكاة والرحمــة ؟! كتابا يجعل الرضــوان الأعلى جزاء لمن يعملون الصالحات ، وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية ؟! ان الذين يهاجمون القرآن لم يقرءوه قطعا ..) ! .

ويقول القاموس الفلسفى لفولتير ــ طبعة ١٨٢٢ ، جزء ٦ ، ص ٤ ــ مخاطبا متعصبى الغرب ضد الاسلام : (أكرر لكم القول أيها الجهلة الأغبياء ، الذين غرر بهم جهلة أغبياء ، وأفهموكم أن عقيدة محمــد عقيدة لذات وجنس ، قوامها الشهوات المــادية ، فى حين أنها أبعد ما تكون عن هذا الوصف . لقد خدعتم فى هذه الناحية كما خدعتم فى نواح أخرى عديدة ..

أيها الأساقفة والرهبان والقسس : اذا فرض عليكم قانون يحرم تناول الطعام من الرابعة صباحا حتى العاشرة مساء فى شهر يوليو ــ أى فى وقدة الصيف ــ عندما يحل الصيام فى هذا الشهر .. واذا حرم عليكم لعب الميسر والا استهدفتم للعنة الله .. واذا حرم عليكم شرب الخمور والأنبذة تحت التهديد بالجزاء نفسه .. اذا فرض عليكم الحج فى صحراء محرقة .. اذا فرض عليكم اعطاء ٢½٪ من مالكم للفقراء .. اذا كنتم تتمتعون بزوجات تبلغ ثمانى عشرة زوجة أحيانا ، فجــاء من يحــذف أربعة عشر من هذا العدد .. هل يمكنكم الادعاء مخلصين بأن هــذه الشريعة شريعة لذات وجنس ؟! ...

لقد هدم محمد الضلال السائد فى العالم على عهده ، وقام بالكفاح المفروض على الإنسان لبلوغ الحقيقة . ولكن يبدو أنه يوجد دائمــا من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطأ) ! (١) .

*

ان خلاصة الخلاصة فى موقف الجاهلين بحقيقة الاسلام ونبيه هو

---

(١) مجلة الدوحة ــ العدد ١٠٠ ــ أبريل ١٩٨٤

ما قرره **الدكتور ميجيل ايرناندث** في بحثه الذى ألقاه في **مؤتمر الحوار الاسلامى المسيحى** ، الذى عقد في قرطبة باسبانيا عام ١٩٧٧ تحت عنوان:

(الجذور الاجتماعية والسياسية للصورة المزيفة التى كونتها المسيحية عن النبى محمد) .

ولقد كان من أقواله :

(لا يوجد صاحب دعوة تعرض للتجريح والاهانة ، ظلما على مدى التاريخ ، مثل محمد . وان الأفكار حول الاسلام والمسلمين ونبيهم محمد استمرت تسودها الخرافة ...) .

* *

وأخيرا ، نختم حديثنا هذا باعتذار الى الله ــ سبحانه وتعالى ــ والى ملائكته الكرام البررة ، والى أنبيائه ورسله المصطفين الأخيار ، اعتذارا ملء رضاء الله ، عما صــدر من بعض حثالة البشر من بذاءات وخطايا يشيب من هولها الولدان ، فلا نجد خيرا من آيات الله نرفعها اليه ونقول :

﴿ سبحان ربك رب العزة عمـا يصـفون . وسـلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ﴾ (الصافات : ١٨٠ ــ ١٨٢) .

* * *

قائمـــة المراجع الرئيســية

(أ) تفاسـير القرآن العظيم

١ ـ تفسـير الطبرى :

(جامع البيـان فى تفسـير القرآن ، لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى) .

٢ ـ تفسير الفخر الرازى :

(مفاتيح الغيب ، لأبى عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الرازى) .

٣ ـ تفسـير ابن كثير :

(تفسـير القرآن العظيم ، لعمـاد الدين أبى الفـداء اسـماعيل ابن كثير)

*

(ب) تراجم عربية للكتاب المقدس

٤ ـ طبعـة البروتسـتانت ، (دار الكتـاب المقـدس فى الشرق الأوسـط) .

٥ ـ طبعة الكاثوليك ، (دار المشرق ـ بيروت) .

٦ ـ كتب الشريعة الخمسة ، (دار المشرق ـ بيروت) .

٧ ـ العهد الجديد ، (دار المشرق ـ بيروت) .

٨ ـ العهد الجديد ، (المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت) .

*

(ج) تراجم انجليزية

٩ — King James Version .

١٠ — REVISED STANDARD VERSION (R.S.V.)

١١ — TORAY'S ENGLISH VERSION

١٢ — Hugh Schonfield : THE ORIGINAL NEW TESTAMENT, Firethorn Press, London. 1985.

*

(د) تراجم فرنسـية

١٣ — LA BIBLE (A. T : Louis Segond).

١٤ — TRADUCTION OECUMÈNIQUE DE LA BIBLE (T. O. B).

١٥ — LA BIBLE DE JÈRUSALEM.

*

(هـ) مراجع متنوعـة

١٦ ــ سيرة ابن اسحق : تحقيق وتعليق محمد حميد الله ــ معهد الدراسـات والأبحاث للتعريب ــ الرباط .

١٧ ــ تهذيب سـيرة ابن هشام : عبد السلام هارون ــ مكتبـة التوعية الاسـلامية ــ القاهرة .

١٨ ــ نهاية الأرب فى فنـون الأدب : شـهاب الدين النويرى ــ المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ــ القاهرة .

١٩ ــ تاريخ الأمم والملوك : لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى .

٢٠ ــ نسـاء النبى : الدكتورة عائشة عبد الرحمن ــ دار الكتاب العربى ــ بيروت .

٢١ـ حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل ـ دار المعارف بمصر ـ القاهرة .

٢٢ ـ الرسول ـ حياة محمد : ر . ف . بودلى ـ ترجمة محمد فرج ، وعبد الحميد جودة السحار ـ لجنة النشر للجامعيين ـ القاهرة .

٢٣ـ محمد فى حياته الخاصة : الدكتور نظمى لوقا ـ مكتبة غريب ـ القاهرة .

٢٤ ـ الخالدون مائة ـ أعظمهم محمد رسول الله : الدكتور مايكل هارت ـ ترجمة أنيس منصور ـ المكتب المصرى الحديث ـ القاهرة .

٢٥ ـ الاسلام ـ عقيدة وشريعة : الامام الأكبر محمود شلتوت ـ دار الشروق ـ القاهرة .

٢٦ـ الأحكام العبرية : دى بغلى ـ نقله الى العربية وعلق عليه محمد حافظ صبرى ، تحت اسم : المقابلات والمناظرات .

٢٧ـ أحكام الأسرة فى الجاهلية والاسلام : ابراهيم فوزى ـ دار الكلمة للنشر ـ بيروت .

٢٨ ـ الطلاق فى الاسلام : مولانا محمد على ـ ترجمة السيدة جبيبة يكن ـ منشورات المكتبة العصرية ـ بيروت .

٢٩ ـ وضع المرأة فى الاسلام : الدكتور محمد معروف الدوليبى ـ دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت .

٣٠ـ المرأة فى التصور الاسلامى : عبد المتعال الجبرى ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

٣١ ـ قصة زينب بنت جحش : الدكتور محمد بديع شريف ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة .

٣٢ ـ المرأة عبر التاريخ : مونيك بيتر ـ ترجمة هنرييت عبودى ـ دار الطليعة ـ بيروت .

٣٣ـ الاسلام فى فجر عظمته : موريس لومبارد

(L'ISLAM DANS SA PREMIÈRE GRANDEUR par : Maurice Lombard).

ترجمة حسين العودات ــ منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومى ــ دمشـــق .

٣٤ ــ الفتوحات الاسلامية فى فرنسا وايطاليا وسويسرا ، فى القرون الثامن والتاسع والعاشر : جوزيف رينو

(Invasions des Sarrazins en France et de France en Savoie, en Piémont et dans la Suisse, Pendant les huitième, neuvième et dixième siècle de notre ère, par : M. Reinaud) .

تعريف د. اسماعيل العربى ــ دار الحداثة للطبــاعة والنشر ــ بيروت .

٣٥ ــ العرب وأوروبا : لويس يونج

(THE ARABS AND EUROPE, by : Lewis Young)

ترجمة ميشيل أزرق ــ دار الطليعة ــ بيروت .

٣٦ ــ الحضارة العربية : الدكتور ى . هل ــ ترجمة الدكتــور ابراهيم العدوى ــ كتاب الهلال ــ يونية ١٩٧٩ ــ القاهرة .

٣٧ ــ ثورة الفكر : الدكتــور لويــس عوض ــ مركز الأهرام للترجمة والنشر ــ القاهرة .

٣٨ ــ مارتن لوثر ــ الدكتور القس حنا الخضرى ــ دار الثقافة ــ القــاهرة .

٣٩ــ شــيطان الغرب سلمان رشــدى : ســعيد أيوب ــ دار الاعتصام ــ القاهرة .

٤٠ ــ آيات ســماوية فى الرد على آيات شــيطانية : الدكتــور شمس الدين الفاسى ــ دار مايو الوطنية للنشر ــ القاهرة

٤١ ــ رسالة العلم والايمان : الدكتــور محمــد جمــال الدين الفندى ــ مطبوعات المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ــ القاهرة .

٤٢ ـ الكون والاعجاز العلمى للقرآن : الدكتور منصور حسب النبى ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة •

٤٣ ـ القرآن وعلم الفلك : أحمد جبالية ـ الدار العربية للكتاب ـ طرابلس ـ ليبيا •

٤٤ ـ الاعلان العالمى لحقوق الانسان ـ مطبوعات الأمم المتحدة •

*

٤٥ — Karen Armstrong : THE GOSPEL ACCORDING TO WOMAN, Elm Tree Books, London, 1986.

٤٦ — H. Root (& others) : GOD, SEX & LOVE Fontana Books, London, 1963.

٤٧ — R. H. Bainton : Sex, Love and Marriage, Fontana Books, London, 1964.

٤٨ — Bertrand Russel : Why I am not a Christian, George Allen & Unwin, London, 1957.

٤٩ — C. H. Dodd : The Meaning of Puul for Today, Fontana Books, 1964.

٥٠ — D. E. Nineham : SAINT MARK, Penguin Books, London, 1963.

٥١ — G. B. Caird : SAINT LUKE, Penguin Books, 1963 .

٥٢ — J. C. Fenton : SAINT MATTHEW, Penguin Books , 1963.

٥٣ — G. A. Wells : The Jesus of The Early Christians, Pemberton Books, London, 1971.

٥٤ — David Catarivas : ISRAEL, Vista Books, London, 1964.

* *

محتويات الكتاب

الصفحة

الباب الأول : نســـاء الأنبياء

(٧ ـ ١١٢)

الباب الثانى : تعدد الزوجات

(١١٣ ـ ١٨٤)

الصفحة

الباب الثالث : مكانة المرأة

(١٨٥ ـ ٣٠٨)

الصفحة

الصفحة

الباب الرابع : حقائق ومواقف
(٣٠٩ ـ ٥٠٠)

الصفحة

الباب الخامس : من آيات الله
(٥٠١ ــ ٥٢١)

* * *

كتـــب للمؤلف

تطلب من مكتبة وهبة ـ ١٤ شارع الجمهورية ـ عابدين ـ القاهرة

تليفون ٣٩١٧٤٧٠

* أساسيات العلوم الذرية الحديثة
  في التراث الاسلامى ـ ١٩٧٧
* المســـيح
  فى مصادر العقائد المسيحية ـ ١٩٧٨
* وقد صدرت ترجمته الانجليزية عام ١٩٨٥ تحت عنوان :
  THE CHRIST as seen in The Sources of The Christian Beliefs.
* الوحى والملائكة
  فى اليهودية والمسيحية والاسلام ـ ١٩٧٩
* النبوة والأنبياء
  فى اليهودية والمسيحية والاسلام ـ ١٩٧٩
* اعجــاز النظــام القرآنى ـ ١٩٨٠
* طائفة الموحــدين
  من المسيحيين عبر القرون ـ ١٩٨٠
* حقيقة التبشير
  بين الماضى والحاضر ـ ١٩٨١
* اختلافات فى تراجم الكتاب المقدس ـ ١٩٨٧
* حوار عبر النصوص
  بين المسيحية والاسلام
  (بالفرنسية)

DLALOGUE TRNSTEXTUEL
entre
Le Christianisme et L'Islam

Centre Abaâd, 6 rue Baudin, 93400 Saint Ouen, PARIS, 1987

رقم الايداع بدار الكتب المصرية ٨٩/٧٢٤٩
الترقيم الدولى ٥ ــ ١٩٩ ــ ٣٠٧ ــ ٩٧٧

دار التوفيق النموذجية للطباعة
ت: ٩٢٥٣٠٤
الأزهر ٣ حيضان الموصلى ـ بجوار جامع الدعاء

هذا الكتاب

● يتحدث الكثير في موضوع تعدد الزوجات ، وفق شائعات متوارثة صارت بقوة التكرار كأنها حقائق ومسلّمات . لكن الدراسة المقارنة لتعدد **نساء الأنبياء** وما يرتبط بها من **مكانة المرأة** في اليهودية والمسيحية والإسلام ، لكفيلة بتصحيح المفاهيم الخاطئة ...

● لقد عانت المرأة في الغرب كثيراً من المظالم والاضطهادات ، في ظل تقاليد أسبغت عليها هالات القداسة ، فاعتُبرت : أقذاراً ... ! وجرى التساؤل عما إذا كانت إنساناً . ! أو أن الله يهتم بخلاصها ! ثم كانت الطامة الكبرى فيما عُرِفَ **بمذابح النساء** بزعم معاشرتهن للشيطان .. ! مذابح كانت من القسوة بحيث قضت تماماً على مُعْظَم النساء في بعض القرى الأوروبية ...

● وفي هذا الكتاب حديث عن **حضارة لا إله إلا الله** وهي حضارة قال فيها بعض علماء الغرب : إن أشياءً كثيرة لا يزال على الغرب أن يتعلّمها من **الحضارة** الإسلامية، منها النظرة المتسامحة وعدم التمييز على أساس الدين والعِرق واللّون ...

● ومن المؤكد أن هناك حملة مسعورة على عيسى ومحمد من **مظاهرها** تحويل قصة اليوناني - كازانتزاكس - : **التجربة الأخيرة للمسيح** إلى فيلم أُخرِجَ في نفس العام الذي صدرت فيه رواية الهندي سلمان رشدي : **مقاطع شيطانية** فكلاهما سِبَاب وبذاءات وأكاذيب .. لقد زعم اليوناني أن المسيح زنى بمريم المجدلية وجعل يهوذا الخائن بطلا يسب المسيح ويقول له : أيها الخائن ! وجعل الشيطان يوقع المسيح في حبائله ... وعلى خطاه سار الهندي ...

● **إن محاكمة سلمان رشدي وفق أحكام الكتاب المقدس** سوف تكشف لنا أن الحكم عليه سيكون رادعاً ... ومن المؤكد أن الذين يدافعون عن هذا الدجّال الهندي تحت اسم : حقوق الإنسان ، إنما هم جهلة لم يقرأوا **الإعلان العالمي لحقوق الإنسان** ...

● ومؤلف الكتاب : ليس غريباً على معالجة هذا الموضوع . فقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من مؤلفاته القيمة في موضوع « مقارنة الأديان » .

● ويسر **مكتبة وهبة** : أن تقوم بنشر هذا الكتاب إسهاماً منها في معركة الحق ضد الباطل ، وهي معركة مستمرة ما بقي الإنسان .. وبالله التوفيق .

مكتبة وهبة